

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة البليدة (2)

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

الظاهرة الأسلوبية في التعقيبات القرآنية

أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه

في الدراسات اللغوية

إشراف :

أ. د / عمّار ساسي

إعداد الطالب :

مراد العرابي

السنة الجامعية: 2015/2014

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة البليدة (2)

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

الظاهرة الأسلوبية في التعقيبات القرآنية

أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه

في الدراسات اللغوية

إعداد الطالب :

مراد العرابي

أمام اللجنة المشكّلة من :

د. علي حميداتو	أستاذ محاضر (أ)	جامعة البليدة (2)	رئيساً
أ. د. د. عمّار ساسي	أستاذ	جامعة البليدة (2)	مشرفاً ومقرراً
أ. د. لخضر حدّاد	أستاذ	جامعة الجزائر (1)	عضواً مناقشاً
د. عماد بن عامر	أستاذ محاضر (أ)	جامعة البليدة (2)	عضواً مناقشاً
د. محمّد زوقاي	أستاذ محاضر (أ)	جامعة المديّة	عضواً مناقشاً
د. خشاب الصّادق	أستاذ محاضر (أ)	جامعة المديّة	عضواً مناقشاً

السنة الجامعية: 2015/2014

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَقَدْ زَرَبَ زَوْجُنِي عَلَنًا﴾

(طه ، 114)



﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ

اِخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾

إهداء

إلى روح والدي ...

إلى كل شمعة في حياتي تنير الطريق ...

إلى كل النجوم الكبيرة ... في عالمي ...

مراد

ملخص الرسالة

الظاهرة الأسلوبية في التعقيبات القرآنية

يُراد بالتعقيب في هذه الدراسة ذلك الجزء أو المقطع المستقل الذي تُختم به آية أو مجموعة من الآيات في كتاب الله تعالى ، زيادة في البيان ، وتحقيقاً لأغراض الخطاب من مدح وذم ، ووعد ووعد ، وأمر ونهي... وتوقعاً للآيات بما يناسب السياق من جرس . وهو أسلوب قرآني مهمّ يجمع بين قوة الدلالة وجمال التوقع ، وهو من الناحية الكمية واحدٌ من أظهر أساليب القرآن ، ويدلّ على ذلك حضوره المتميز في ثلث آياته الكريمة ، فلا تكاد تخلو منه سورة فيها من الطول ما يتيح شيئاً من التنوع في الأساليب ، ولا تجد في قصصه ما يستغني عن هذا الأسلوب الربّاني الفاعل في توجيه دلالات القصص.

ورغم هذه الأهمية البالغة وهذا الحضور الاستثنائي إلا أنّ أسلوب التعقيب لم يحظ بقدر من الدراسة الكافية وظلّ الأمر مقتصرًا على مجرد لطائف أسلوبية وإشارات مبثوثة في كتب التفسير والإعجاز والبلاغة دون أن يتجاوز الأمر ذلك . ولعلّ ذلك مما يزيد من قدر الحاجة إلى مثل هذه الدراسة باعتبار أن القارئ لا يجد في المكتبة العربية ، قديمها وحديثها ممّا كُتب في أسلوب التعقيب سوى شيء قليل جداً لا يكفي للإحاطة بجوانب هذه الظاهرة القرآنية .

وقد جاءت هذه الدراسة استجابة لهذه الحاجة الملحة ، وهي في ذلك تتناول هذا الظاهرة الأسلوبية في كتاب الله تعالى كلّ بدءاً بالتأسيس المفهومي ، ثم وصف أشكال التعقيب وأغراضه البلاغية، ثم وصف البنية اللغوية لهذا الأسلوب القرآني الفريد ، وذلك من خلال منهج يقوم على وصف عناصر الظاهرة وتحليلها ، كما تستعين بشيء من التأريخ والإحصاء في بعض المواضع .

وتخلص هذه الدراسة إلى جملة من النتائج الهامة ، منها ما يتعلّق بحصر أشكال التعقيب اعتماداً على عوامل تسمح بوضع تصنيف شامل ، كما تجتهد في إحصاء أهم الأغراض البلاغية لأسلوب التعقيب من ثناء على الله تعالى ووعد ووعد ، وأمر ونهي ، ومدح وذم . أما فيما يتعلّق بالشقّ الثاني من الدراسة والمتعلق بالبنية اللغوية فإن الدراسة تخلص إلى جملة من النتائج الهامة كاستقصاء عناصر التوقع في هذه الموضع الخاص ، وتسليط الضوء على خصائص المفردة من فصاحة في الشكل ودقة بالغة بما يناسب ما يقتضيه سياق الآية الكريمة ، كما تجتهد هذه الدراسة في وصف أهم البنى التركيبية الأساسية في التعقيبات القرآنية بشكل عام ، وتعقيبات الأسماء الصفات بشكل خاص .

فهرس الموضوعات

- إهداء	
- ملخص الرسالة	
- فهرس الموضوعات	
- مقدمة	
- الباب الأول : التّعقيبات القرآنية ، مفهومها ، وأشكالها ، وأغراضها	7
- الفصل الأول : التأسيس المفهومي لمصطلح التّعقيبات القرآنية	9
- التّعقيب في اللغة	14
- التّعقيب في الاصطلاح	18
- بين التّعقيب والفاصلة	26
- أسلوب التّعقيب في كلام العرب	31
- التّعقيبات القرآنية في كتب التفسير والدراسات القرآنية	35
- خلاصة	59
- الفصل الثاني : أشكال التّعقيبات القرآنية	60
- التّعقيب النموذجي أو الشكل الأساسي	65
- التّعقيب المكرّر	68
- التّعقيب المكرّر خارج السورة الواحدة	72
- التّعقيب المكرّر داخل السورة الواحدة	88
- التّعقيب الآية	102
- التّعقيب المركّب أو التّعقيب على القصص	112
- خلاصة	120
- الفصل الثالث : الأغراض البلاغية الأساسية لتّعقيبات القرآن الكريم	122
- الثناء على الله تعالى	126
- الأمر والنهي	133
- الوعد والوعيد	149
- المدح والذّم	158
- خلاصة	172
- الباب الثاني : الخصائص الإيقاعية والإفرادية والتركيبية في التّعقيبات القرآنية	175
- الفصل الأول : الظاهرة الإيقاعية في تعقيبات القرآن الكريم	178

180	- التوقيع في لغة العرب
182	- الظاهرة الإيقاعية في القرآن الكريم
189	- الظاهرة الإيقاعية في التعقيبات القرآنية
191	- الإيقاع الناتج عن رعاية الأسلوب القرآني للفاصلة
191	- أدوات التوقيع في الفاصلة القرآنية
192	- التوازي
195	- التوازن
197	- التطريف
200	- الوقف
208	- تكرار حروف الغنة والمدّ
222	- إيقاع التعقيب
222	- الإيقاع الناتج عن توازي الجمل في أسلوب التعقيب
229	- الإيقاع الناتج عن تكرار التعقيبات القرآنية
234	- خلاصة
235	الفصل الثاني : أهمّ الخصائص الإفرادية في تعقيبات القرآن الكريم
240	- فصاحة الألفاظ القرآنية :
246	- مسألة التناثر والتلاؤم بين حروف الكلمة
256	- مسألة الطول في بعض الألفاظ القرآنية
260	- ألفاظ التعقيبات القرآنية في موازين الفصاحة
267	- دقة الألفاظ في التعقيبات القرآنية :
272	- الجمع والإفراد
274	- الإظهار والإضمار
276	- التعريف والتذكير
278	- الإثبات والنفي
281	- الاسمية أو الفعلية
282	- دقة الكلمة عموماً في دلالتها على المعنى الذي يقتضيه السياق
292	- خلاصة
294	الفصل الثالث : الخصائص التركيبية في التعقيبات القرآنية
296	- جملة التعقيب وعلاقتها بما قبلها

303	- البنى النحوية الأساسية في التعقيبات القرآنية
305	- تعقيبات الاستفتاح بـ " ألا "
313	- تعقيبات همزة الاستفهام
324	- تعقيبات " من " الشرطية
333	- تعقيبات " إن " الشرطية
336	- تعقيبات الإضراب بـ " بل "
343	- تعقيبات الاستدراك بـ " لكن "
346	- الظاهرة التركيبية في تعقيبات الأسماء والصفات
350	- خصائص التركيب النحوي في تعقيبات الأسماء والصفات
357	- تعقيبات الجملة الاسمية البسيطة
357	- تعقيبات الجملة الاسمية البسيطة المثبتة
360	- تعقيبات الجملة الاسمية البسيطة المنفية
361	- تعقيبات الجملة الاسمية الموسّعة
361	- دخول " إن " المشبهة بالفعل على تعقيبات الأسماء والصفات
366	- دخول " كان " على تعقيبات الأسماء والصفات
369	- تحليل عام
374	- نتيجة عامة
376	- خلاصة
378	- خاتمة البحث
384	- ملاحق
420	- قائمة المصادر والمراجع
	- ملخص باللغة الأجنبية

مُقَاتِلَةٌ

مقدمة :

حينما يكون كلام الله تعالى موضوعاً للبحث تدرك ضآلة الفعل البشري، وتشعر بالقصور المتزايد للقدرة المحدودة على الإحاطة بمظاهر الانسجام غير المتناهي في نسيج النص المعجز. ولعلّ هذا الشعور بالفارق كان أعظم في زمن مضى حينما كان الناس يتوارثون لغة نبيّ الله إسماعيل فصيحاً كابرّاً عن كابر، لا تشوبها شائبة، ولا يكدر صفوها عجمة ولا لحن. وربما كان هذا الشعور أعظم بكثير عند بلغاء مكّة وعظمائها من المشركين ممّن وجه إليهم التحدي في مظهر فيه من الاستخفاف ما لا يخفى، حيث تدرّج خطابهم في القرآن بشكلٍ تنازليّ يفضح إحساسهم بحجم العجز المتزايد أمام نصّ مختلف.

ولذلك كان التحدي أول الأمر بقرآن مثله، فقال تعالى : ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ (الطور، 34)، ثم تدرّجت وتيرة التحدي نزولاً عشر سورٍ مفترياتٍ، فقال تعالى : ﴿ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتِطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (هود، 13). ثم نزلت بعد ذلك إلى سورة واحدة : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (البقرة، 23).

هكذا يكون المرء أمام ظاهرة كالقرآن. . . تسليم واعتراف وعجز أمام دقّة عجيبة وإحكام لا تحيط بهما قدرة محدودة. وكيف لا يكون كذلك وقد وصف الله تعالى نفسه في التنزيل بقوله : ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿ (الزعد، 8-9).

ب

هكذا هو القرآن. . . لا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه. وتلك هي لغته التي خرجت نواميسها من صلب لغة العرب، ولكنها تلبّست بصفات الكمال الإلهي، فأُعيت بلاغتها أجيالاً من خاصّة أهل العلم ممن جعلوا حياتهم وقفاً خالصاً لله تعالى في سبيل وصفها وصفاً يكشف الحُجب عن السرّ. . . ولكن هيهات. . .

بدأت قصّتي مع تعقيبات كتاب الله تعالى قبل سنوات. لم أكن يومها أدرك أنها صُحبةٌ ممتعةٌ بهذا القدر، وقد كنت أسأل الله تعالى أن يجعل رحلتي مع أطروحة الدكتوراه فرصة العمر لبداية حقيقية مع القرآن، فكانت مشيئته ﷻ أن وضعني في أول هذا الطريق وسخّر من خلقه من يُلقي بين يدي كتاب التناسب البياني في القرآن الكريم لأحمد أبي زيد، وهو من نفائس ما كُتب في مجال المناسبة في كتاب الله تعالى في العصر الحديث. لم أدر يومها أن تلك القراءة كانت خطوةً أولى في طريق خير عميم يتعاضم. . .

إنه التعقيب في كتاب الله تعالى. . . أسلوب من الأساليب التي أغفلها العلماء وسكتوا عن دورها الفاعل ضمن منظومة توقيعية دلالية متكاملة قام القرآن بتفعيلها. وقد كان أسلوب التعقيب قبل القرآن معروفاً ضمن نطاق ضيقٍ جداً في كلام بعض الفصحاء، ثم جاء الوحي فجعل له التمكن، وأودع فيه من الأسرار ما لم يكن فيه من قبل، بما يتناسب مع ما أجراه الله تعالى على كلامه من حكمة الترتيل على ذلك النحو البديع الذي تظهر به فضيلة بنائه المحكم.

والحقيقة أن أسلوب التعقيب في كتاب الله تعالى موضوعٌ بالغ الأهمية، والشاهد على وضعه الاستثنائي حضوره في القرآن، فقد جعل الله تعالى ثلث آيه موشحةً بهذا الأسلوب البديع الذي يتجاوز دوره الوظيفية الإيقاعية، وتمتدّ غاياته إلى تحقيق جملة من المقاصد وتمكين أهم مضامين

العقيدة في نفوس السامعين. وزاد من قيمة هذا الموضوع أنك لا تجد في المكتبة العربية، قديمها وحديثها مما كُتب في أسلوب التّعقيب سوى شيئاً قليلاً جداً لا يشفي الغليل، حتى إن الخائض في هذا الأمر يوقن أنه في أرضٍ بكر لم تطأها قدمٌ من قبل.

وكان لهذا الحال من جدّة الموضوع مشقّة كبيرة لا يقدر المرء على تجاوزها إلاّ بتأييد الله تعالى والإيمان بقيمة البحث في القرآن، وأن المجتهد فيه مأجور في خطئه وصوابه ما صدق الله تعالى في نيته خدمةً لدستور هذا الدين. وقد منّ الله عليّ بنعمة إتمام هذا العمل بعد سنوات من الرّقعة الطيبة فخرج إلى النور بعد مخاضٍ عسير موسوماً بالعنوان التالي :

الظاهرة الأسلوبية في التّعقيبات القرآنية

وهي دراسة وصفية تحليلية لأسلوبٍ من أظهر أساليب القرآن، وقد كان حقّ هذه العبارة الواصفة " دراسة وصفية تحليلية " أن تظهر في العنوان لولا كراهة التّعديل. وهي تسعى لوصف البنية اللغوية لأسلوب التّعقيب في مستوياتها المختلفة، كما تجتهد في الإجابة عن أسئلة كثيرة تتعلّق بالتوظيف القرآني لهذا الأسلوب المتميّز وغاياته المقصودة، وبالكيفية التي يصبح بها مظهراً متميّزاً من مظاهر إعجاز القرآن الكريم.

وقد اقتضى العمل المنهجي تقسيم مادة البحث إلى بابين، يضمّ كلّ منهما ثلاثة فصولٍ، فأما الفصل الأول من الباب الأول فقد خُصّص للتأسيس المفهومي لمصطلح التّعقيبات القرآنية، وهو يضمّ استقصاءً لأسلوب التّعقيب في كلام العرب قبل القرآن وبعده إثباتاً لفكرة أن التّعقيب أسلوب

قرآني بامتياز. كما يضم أيضاً استقصاءً لهذا المفهوم في كتب التفسير وعلوم القرآن حسب ترتيبها الزمني.

أما في الفصل الثاني، فإن مباحث هذه الدراسة تجتهد في تحديد أهم أشكال التعقيبات القرآنية اعتماداً على معيارين، يتعلق أولهما بتكرار التعقيب في النصّ القرآني، وأما الثاني فيتعلق بالبساطة والتركيب في بنية التعقيب، ثم تنتقل بعد ذلك في الفصل الثالث إلى تناول أهم الأغراض البلاغية لهذا الأسلوب المتميز في كتاب الله تعالى.

أما الباب الثاني من البحث فقد خُصص لوصف الظواهر الأسلوبية المختلفة التي تتجلى في تعقيب الآيات الكريمة، بدءاً من تفصيل أدوات التوقيع، مروراً بخصائص المفردة، وصولاً إلى خصائص التركيب النحوي.

وتعتمد هذه الدراسة في بحث المسائل السابقة على تضافر منهجيّ الوصف والتحليل، فقد أصبح المنهج الوصفي أكثر المناهج أهمية في دراسة اللغة ووصفها في العصر الحديث. أما وصفه بالتحليل فذلك يعني أنه منهج بحثٍ يقوم على عزل أجزاء الظاهرة بعضها عن بعض عزلاً عقلياً، أو هو وسيلة لإثبات قضية عقلية معينة عن طريق تأليف سلسلة من القضايا، أولها القضية المراد إثباتها، وآخرها القضية المعلومة، ويُلجأ إلى ذلك عند تعقد الظاهرة وتداخل جوانبها¹.

¹ - ينظر : المعجم الفلسفي : جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ج 1، ص 254 - 255.

والواقع أنّ الجمع بين الوصف والتحليل يشكل منهجاً جيداً في البحث، وقد استغلّت إمكاناته في شتى العلوم قبل أن يستغلّ لاحقاً في دراسة اللغة وظواهرها المختلفة. إن المنهج الوصفي ضالتحليلي يهدف إلى وصف خصائص وأبعاد ظاهرة ما في حالة معينة من خلال تجميع المعلومات وتنظيمها وتحليلها للوصول إلى فهمها وفهم العوامل المتصلة بها، ومن ثم استخلاص نتائج يمكن استغلالها فيما بعد.

إلى جانب ذلك، فإن هذه الدراسة تستعين في أول فصولها بما يقدّمه اجتماع الاستقصاء بالتأريخ من إمكانات من خلال توظيف المنهج الاستقصائي التاريخي في تتبع مفهوم التعقيبات في كتب التفسير وعلوم القرآن. كما تستعين أيضاً في آخر فصولها بما يقدّمه المنهج الإحصائي في محاولة لفهم الخصائص العامة التي تقوم عليها بنية النص في تعقيبات الأسماء والصفات.

ولأن المرء لا يقدر على مثل هذا العمل دون الاستعانة بما انتهى إليه غيره من أهل السبق من خدم كتاب الله تعالى ولغته الشريفة، فإنني أعرب في هذا المقام عن مقدار إفادتي في هذه الدراسة من سائر كتب التفسير، وأخص بالذكر تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري، وتفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور، وتفسير المحرر الوجيز لابن عطية، وتفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، ومفاتيح الغيب للرازي، وتفسير المنار لمحمد رشيد رضا، وفي ظلال القرآن لسيد قطب، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود. كما أفدت إفادة عظيمة من جواهر ما أُلّف في تفسير متشابه الكتاب وفي مقدّماتها ملاك التأويل لابن الزبير الغرناطي، ودرّة التنزيل للخطيب الإسكافي، وأسرار التكرار في القرآن لبرهان الدين الكرمانلي. كما أدين في هذه الدراسة أيضاً لكثير من أصحاب الفضل ممّن أفدت من مؤلفاتهم القيمة في علوم القرآن ومسائل الإعجاز والبلاغة والمعاجم. وذلك مما لا يتسع المجال لتفصيله في هذا المقام.

وقد لقيت في سبيل إتمام هذا العمل على وجهه الذي يليق ببحث في القرآن بعض الصعوبة الناشئة
عن أمرين اثنين :

- أولهما : جدّة الموضوع، وندرة الدراسات السابقة، إن لم نقل انعدامها.

- الثاني : خطورة الخوض في بعض المسائل.

لقد كانت رحلة طويلة ممتعة في خضمّ متلاطم من التّحدّيات والأعباء، ولكن الله يسّر بفضل أهل
الفضل وأولهم أستاذي المشرف: أ. د. عمّار ساسي الذي تكبّد معي وعناء هذا الدّرب الوعر، وإني
أسأل الله تعالى أن يجزيه الجزاء الأوفى، كما أسأله سبحانه أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه
الكريم وأن يكتب له القبول، وأن يغفر ما جاء فيه من الوهن والزلّات، فإنّه جهد المقلّ.

الباب الأول

التعقيبات القرآنية، مفهومها، وأشكالها،

وأغراضها

يتناول هذا الباب - كما سبق الذكر في المقدمة - جملةً من الجوانب الهامة المتعلقة بالتعقيبات القرآنية ، بدءاً بالتأسيس المفهومي لمصطلح التعقيب في كلام العرب ، ثم تخصيص هذه الدلالة العامة وإطلاقها في مجال الدراسات القرآنية على ظاهرة أسلوبية تمثل صلب هذا البحث . كما يضم استقصاءً لهذا المفهوم في كتب التفسير وعلوم القرآن حسب ترتيبها الزمني .

إلى جانب ذلك فإن مباحث هذه الدراسة في هذا الباب تجتهد في وصف أهم أشكال التعقيبات القرآنية اعتماداً على معايير تسمح بوضع تصنيف شامل . كما تجتهد أيضاً في بيان أهم الأغراض التي يتم لأجلها توظيف هذا الأسلوب البديع في كتاب الله تعالى . ولذلك يمكن ترتيب مباحث هذا الباب ضمن ثلاثة فصولٍ على النحو التالي :

- أولاً : التأسيس المفهومي لمصطلح التعقيبات القرآنية .

- ثانياً : أشكال التعقيبات القرآنية .

- ثالثاً : الأغراض البلاغية الأساسية لتعقيبات القرآن الكريم .

الباب الأول

الفصل الأول

التأسيس المفهومي لمصطلح التّعقيبات القرآنية

- مفهوم التعقيبات القرآنية في اللغة والاصطلاح.
- بين التعقيب والفاصلة.
- أسلوب التعقيب في كلام العرب.
- التعقيبات القرآنية في كتب التفسير والدراسات القرآنية.

منذ أول الوحي، شكل النصّ القرآني ظاهرةً جديدةً تدعو لعظيم الإعجاب، فهو الكلام المعجز الذي يُغايّر ما ألفته العرب في شعرها ونثرها، رغم أنه يجري مجرى سنها في الكلام، فقد رُكبت كلماته من نفس الحروف، كما رُكبت جملة وآياته من نفس الكلمات، وهو - رغم هذا الشبه - يمثل مرتبة جديدة في البلاغة العالية لم يستطع إنكارها أحدٌ خصومه ممن فُتتوا بسحره حتى تفرقت بينهم السبل بين تُهم الجنون والكهانة والشعر والسحر يلقون بها على رسول الله ﷺ كبراً وعناداً¹.

وقد وصف القرآن الكريم حيرتهم وتخبّطهم في محاولات الجمع بين الإنكار والتفسير لهذه الظاهرة الجديدة التي بلغت في جمالها وتفردّها حدّ الكمال، فقال في وصف أسنّهم وأعرفهم بفنون القول² : ﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿ فَفُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿ ثُمَّ نَظَرَ ﴿ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿ فَفَالَ إِنَّ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْتَرُ ﴾ (المدثر، الآيات 18-24).

¹ - فقد رُوي أن نفرًا من قريش اجتمعوا إلى الوليد بن المغيرة أيام الموسم، يريدون أن يجمعوا رأيهم في محمد ﷺ على قول واحد، فلا يفرّق بعضهم بعضاً. فقالوا : " يا أبا عبد شمس أقم لنا رأياً نقول به، قال: بل أنتم، فقولوا أسمع، قالوا : نقول كاهن، قال: لا والله ما هو بكاهن، قد رأينا الكهان، فما هو بزممة الكاهن ولا مسجعه، قالوا: فنقول: أنه مجنون، قال: لا والله ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون وعرفناه، فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته، قالوا: فنقول شاعر، قال: لا والله ما هو بشاعر، لقد عرفنا الشعر كله، رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه فما هو بالشعر، قالوا: فنقول ساحر، قال: ما هو بساحر، قد رأينا السحار وسحرهم، فما هو بنفثه ولا عقده، قالوا: فما نقول يا أبا عبد شمس ؟ قال : والله إن لقوله لحلاوة وإن أصله لعذق وإن فرعه لجناة، وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عرف أنه باطل، وإن أقرب القول منه أن تقولوا: ساحر جاء بقولٍ هو سحر يفرق بين المرء وابنه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وعشيرته "، للاستزادة ينظر :

- النكت في القرآن الكريم : علي بن فضال المجاشعي، تح : عبد الله عبد القادر الطويل، دار الكتب العلمية بيروت، ط 1، 2007، ص 524.

² - هو الوليد بن المغيرة.

والحقيقة أن هذا النصّ المعجز الذي راع العقل الجاهلي المفتون بسحر الكلمة لا تتقضي عجائب التشكيل في أسلوبه المتفرد، إذ يتكشف للناظر في سحر القرآن " آفاق وراء آفاق من التناسق والاتساق، فمن نظم فصيح، إلى سردٍ عذب، إلى معنى مترابط، إلى نسقٍ متسلسل، إلى لفظٍ معبرٍ، إلى تعبيرٍ مصورٍ، إلى تصويرٍ مشخّص، إلى تخييلٍ مجسم، إلى موسيقى منعمة، إلى اتساقٍ في الأجزاء، إلى تناسقٍ في الإطار، إلى توافقٍ في الموسيقى، إلى افتتاحٍ في الإخراج... وبهذا كلّه يتمّ الإبداع، ويتحقق الإعجاز " ¹.

ولذلك ظلّ القرآن الكريم على مدى الزمان مائدة العلماء، لا ينفد ما عليها بالأخذ منه، بل تهبّ لمرتابها من الخير العظيم ما يظهر بعضه من أول نظر، ويخفى كثيره فلا يتكشف إلا بالصُّحبة والإلاح وطول النظر. وقد قيّض الله تعالى لهذا العمل الجليل رجالاً أخذوا من هذا الخير، ثم بسطوه للناس في مؤلفات خُصّصت لتفسير الإعجاز.

ولم يكن الناس في زمن النبوة في حاجةٍ إلى علم ذلك، ولم يكن الصحابة رضوان الله عليهم يسألون عن معاني القرآن لأنهم كانوا في غنى عن مثل تلك الأسئلة ما دام القرآن جارياً على سننهم في الكلام، ومادام يحمل كلّ خصائص الكلام العربي من زيادة وحذف، وإضمار واختصار، وتقديم وتأخير ². وكانوا يهابون الخوض في تأويل ما ينغلق عليهم من المعاني بغير علم، فقد روي أنّ أبا بكرٍ رضي الله عنه سئل عن معنى الأبّ في قوله تعالى: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ (عبس، 31) فقال: "أيّ سماء تُظِلُّني وأيّ أرضٍ تُقِلُّني إذا قلت في كلام الله ما لا أعلم"، وقد وقف عندها عمر رضي الله عنه، فقال: "الفاكهة قد عرفناها فما الأبّ؟"، ثم لم يلبث أن ثاب إلى نفسه، وقال: "لعمرك يا ابن الخطاب إن هذا لهو التكلف" ³.

غير أن أحوال الأمة لم تستمرّ على هذا النحو إذ عرضت لبيئة العرب في الأزمنة اللاحقة أمورٌ استدعت فيها الضرورة الخوض فيما تهيبّ منه الصحابة والتابعون فألف أبو عبيدة كتابه مجاز القرآن في

¹ - التصوير الفني : سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط 17، دت، ص 142.

² - ينظر : مجاز القرآن : أبو عبيدة معمر بن المثنى، تح : محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1381هـ، مقدمة المحقق، ص 16.

³ - البرهان في علوم القرآن : أبو عبد الله بدر الدين الزركشي، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط 1، 1957، ج 1، ص 295.

خطوة جريئة توالى بعدها مؤلفات كثيرة حول إعجاز القرآن، من ذلك كتاب ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن، والفرّاء في مجاز القرآن، وهي أعمال جاءت في جملتها ردّاً على بعض المطاعن والشُّبهات التي أُثيرت حول أسلوب القرآن في تلك المرحلة التاريخية حيث توسّعت الرُّقعة الجغرافية للدولة الإسلامية، واختلطت الألسن وعمّ في الناس الجهل بأحوال اللّغة، وطمع بعض الملحدّين والزنادقة في النّيل من القرآن بإثارة بعض المسائل التي أُولت على غير وجهها الصّحيح.

وبعد هذه المرحلة الدقيقة من عُمر البحث في إعجاز القرآن انتقل العلماء إلى مرحلة التّأصيل لكُنْه الإعجاز، ولم تعد مطاعن أهل الإلحاد ذات خطر يُذكر، فألّف الرماني رسالته النّكت في القرآن، كما ألّف الخطابي والباقلاني كتابين في إعجاز القرآن. وخصّص القاضي عبد الجبّار في موسوعته المغني جزءاً كاملاً لعرض مذهبه في الإعجاز. ثمّ تُوجّ ذلك كلّه بكتابي دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني وهما تتويج لمرحلة كاملة.

ولم تتوقف جهود العلماء بعد هذه المرحلة بل استمرّ عطاؤهم لا ينقطع حتى عصرنا الحديث، وكيف لا يكون الأمر على هذا النّحو من العطاء والنّقاني وفي عقيدتهم أن القرآن خير ما يشغل به الناس، وأشرف ما يتعاطونه من صناعةٍ لشرف غايتها وموضوعها¹. وقد أثمر ذلك عن مؤلّفات كثيرة، أهمّها : إعجاز القرآن للرافعي، والتّصوير الفنّي والظلال لسيد قطب، و الإعجاز البياني للقرآن لبنت الشاطي.

كما تعدّدت مجالات البحث في إعجاز القرآن فذهب فريق من العلماء إلى البحث في ألفاظه باعتبارها لبّ كلام العرب وزيدته، وواسطته وكرائمه، وهو المذهب الذي أنكره آخرون باعتبار أن ألفاظ القرآن ترد في سائر كلام الفصحاء، فلا تبلغ مقدار حسنّها الذي تكون عليه في كتاب الله تعالى، ولذلك نسبوا المزيّة إلى انتظامها في التّركيب، فكان ذلك سبيلهم إلى نظرية النّظم.

¹ - الإتقان في علوم القرآن : جلال الدين السيوطي، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، جمهورية مصر العربية، 1974م، ج 4، ص 199.

وقد كان من نصيب بعض المباحث القرآنية حظٌ وافر في دراسات القدماء والمعاصرين كما هو حال الفاصلة في كتاب الله تعالى باعتبارها موضع عناية المتكلم، وقد نبّه ابن جني إلى هذه الخصوصية حين يتعلّق الأمر بمقاطع الكلام، فقال : " ألا ترى أن العناية في الشّعْر إنما هي بالقوافي لأنها المقاطع، وفي السّجّ كمثّل ذلك ، وآخر السّجّة والقافية أشرف عندهم من أولها، والعناية بها أمسّ، والحشد عليها أوفى وأهم. وكذلك كلما تطرّف الحرف في القافية ازدادوا عنايةً به ومحافظة على حكمه " ¹.

ورغم أن التّعقيبات القرآنية تمثّل مقاطع الكلام في كتاب الله تعالى إلا أن ذلك لم يجعلها في مكانها الذي يليق بها من العناية والاهتمام عند الباحثين، ولم يكن نصيبها في الدراسات القرآنية القديمة أو الحديثة كنصيب الفاصلة رغم قوة العلاقة القائمة بينهما، فلا نجد سوى بعض الإشارات المتفرقة في بعض كتب التفسير، أو في كتب متشابه اللفظ في كتاب الله تعالى. كما نجد بعض التّنّف القليلة من الصفحات التي تتصل بشكل من الأشكال بموضوع التّعقيب في بعض المؤلفات الخاصة بعلوم القرآن.

ولم نعثر عند المعاصرين على شيء يستدرك هذا النقص ويسدّ هذا الفراغ، سوى ما كتبه قلة من الدارسين، رغم الحاجة إلى الخوض في مثل هذه المباحث التي لا تتفصل عن قضية الإعجاز في كتاب الله تعالى، ولعلّها باب واسع من أبوابه باعتبار صلاتها الوثيقة بالإيقاع والدلالة.

وقد كانت التّعقيبات في كتاب الله تعالى موضع عناية الأسلوب القرآني ورعايته باعتبارها مقاطع الكلام، وهي من الناحية الكميّة تتّصل بثلاث أي القرآن الكريم، في تنوعٍ بديعٍ يضيف على العبارات الحسنة الموجزة روعةً في الإيقاع وقوةً الدلالة. وهي تختلف اختلافاً واضحاً في شكلها ومضمونها ومقاصدها في السياقات المختلفة، وتتنوع تنوعاً لطيفاً يكشف للمبحر في روعة البيان القرآني الكثير من دقائق الأسلوب

¹ - الخصائص : أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، جمهورية مصر العربية، ط 4،

الإلهي المعجز، وصدق الله تعالى إذ يقول في كتابه العزيز : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ (النساء، 82).

ولعلّ هذه العناية في كتاب الله تعالى بهذا الأسلوب الذي يمتثل وجهاً من وجوه الإعجاز أحوج إلى مثل هذه الدراسة التي نجتهد من خلالها للوصول إلى إجابات عن أسئلة كثيرة مطروحة تتعلق بالاستعمال الإلهي لهذا النمط الأسلوبي وغاياته المقصودة ، وبالكيفية التي يُصبح بها مظهراً متميّزاً من مظاهر الإعجاز.

ولعلنا قبل ذلك كلّ في حاجة أكدة إلى الوقوف عند مفهوم التّعقيب وضبط دلالاته انطلاقاً من مبدأ أساس في مناهج البحث الحديثة ينصّ على أن المصطلحات هي مفاتيح العلوم، ولذلك فإن الضبط الاصطلاحي لمفهوم التعقيبات القرآنية هو الأساس الذي تقوم عليه كلّ خطوة صحيحة ثابتة نحو فهم الظاهرة واكتناه ما أمكن من خفاياها وأسرارها.

1 - مفهوم التّعقيب :

أ - التّعقيب في اللغة :

(ع ق ب) أصل في كلام العرب يدل في عمومته على تأخير شيء وإتيانه بعد غيره ¹، وتُشتق منه صيغ كثيرة لا تخرج دلالتها عن المعنى اللغوي العام، فعَقِبُ كُلَّ شيءٍ، وَعَقَّبُهُ، وَعُقِبُهُ وعَاقِبْتُهُ، وعَاقَبُهُ، وعُقِبْتُهُ، وعُقِبَاهُ، وعُقْبَاهُ : آخِرُهُ، وخاتمته ²، وعَقِبَهُ وعُقِبَهُ وأَعَقَبَهُ أي خلفه ونزل مكانه، وأَعَقَبَهُ ندماً وغماً

¹ - ينظر : معجم مقاييس اللغة : أحمد بن فارس، تح : عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979م، ج 4، ص 77.

² - ينظر :

- لسان العرب : ابن منظور أبو الفضل محمد بن مكرم، دار صادر، بيروت، ط 3، 1414هـ، ج 1، ص 611.

أي أورثه¹. وكل شيء جاء بعد شيء : فقد عاقب وعقّب². وعقّب الرجل: ولّده وولد ولده الباقر من بعده³.

والتعاقب والاعتقاب التداول⁴، والورد مرة بعد مرة، والعقبة: الدولة والنوبة، كقول الشاعر:

إِنَّ عَلَيَّ عُقْبَةً أَقْضِيهَا *** لَسْتُ بِنَاسِيهَا وَلَا مُنْسِيهَا⁵.

وأما العقيب فهو الذي يخلف صاحبه في العمل، والليل والنهار يتعاقبان ويعتقبان وهما عقيبان، وكل منهما عقيب الآخر⁶. والمعقاب المرأة التي من عاديتها أن تلد ذكراً ثم أنثى. والنخل المعاقبة التي تحمل عاماً وتُخلف آخر⁷. والمعقبات ملائكة الليل والنهار، والتسبيحات يخلف بعضها بعضاً، واللواتي يقمن عند أعجاز الإبل، المُعْتَرِكَاتِ على الحوض، فإذا انصرفت ناقة دخلت مكانها أخرى⁸.

والعاقب اسم من أسماء رسول الله ﷺ، ففي الحديث: "لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشير الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب"⁹.

وأما التعقيب فمصدر الفعل عَقَبَ، وهو في اللغة أن تغزو ثم تنني من سننك، والتردد في طلب المجد، والجلوس بعد الصلاة لدعاء، والصلاة بعد التراويح¹. وانصرافك راجعاً من أمر أردته أو وجه،

1 - لسان العرب، ج 1، ص 613.

2 - مجمل اللغة لابن فارس: أبو الحسين أحمد بن فارس، تح: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 2، 1986 م، ج 1، ص 620.

3 - كتاب العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، دت، ج 1، ص 178.

4 - لسان العرب، ج 1، ص 616.

5 - نفسه، ص 618.

6 - نفسه، ص 616. ينظر أيضاً: العين، ج 1، ص 179.

7 - لسان العرب، ج 1، ص 616.

8 - القاموس المحيط: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 8، 1426 هـ، ص 116.

9 - صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط 1، 1422 هـ، ج 4، ص 185.

والغزوة بعد الغزوة، والسَّير بعد السَّير²، والتَّعْقِيب في الصلاة الجلوس بعد قضائها لدعاء أو مسألة³، وفي الحديث : " وَمَنْ عَقَّبَ الصَّلَاةَ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَهُوَ فِي صَلَاةٍ مَا لَمْ يُحْدِثْ " ⁴.

وقد ورد في القرآن الكريم نحو ثمانين كلمة مشتقة من الأصل (ع ق ب)، وهي لا تغادر معنى آخر الشيء أو ما يليه في كلِّ أحوالها، ولا تخرج في دلالتها عما جرت عليه العرب في سائر كلامها، من ذلك لفظ العقبي في قوله تعالى : ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ (الرعد، 24)، والعاقبة في قوله: ﴿ فَأَخَذْنَا هُوَ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانَظَرُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴾ (القصص، 40)، وهي كل ما يعقُبُ أمراً، ويقع في آخره من خير وشر⁵، وكذلك العقاب : ﴿ إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴾ (ص، 14)، وهي في جميع ذلك تعني ما يلي أفعال العباد من جزاء ومثوبة في الدنيا والآخرة.

وورد لفظ المعقَّب حين أنكر القرآن أن يلي كلام الخلق حكم الخالق فيردّه، فقال عز وجلّ : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (الزّعد، 41)، فلا أحد يتعقَّب حكمه فيردّه كما يتعقَّب أهل الدُّنيا بعضهم حكم بعض فيردّه⁶.

وجاء وصف الملائكة بالمعقَّبات في قوله تعالى : ﴿ لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴾ (الرعد، الآية 11)، لأن بعضهم يعقُب بعضا ويليه ويخلفه، ولأنهم يعقُبُون ما يتكلَّم به

¹ - القاموس المحيط، ص 117.

² - كتاب العين، ج 1، ص 178.

³ - لسان العرب، ج 1، ص 615.

⁴ - المعجم الكبير : أبو القاسم سليمان الطبراني، تح : حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط2، ج 10، ص 221.

⁵ - التحرير والتتوير : محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984 هـ، ج16، ص 343، 344.

⁶ - الدر المنثور في التفسير بالمأثور : جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، ج4، ص 667.

الناس فيكتبونه¹. كما ورد لفظ العَقَبَة، ويعني الجبل الطويل يعرض للطريق فيأخذ فيه²، في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾ (البلد، الآية 12).

كما ذكر لفظ العقب في صيغة الإفراد بمعنى الذرية والخلف في قوله: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الزخرف، الآية 28)، وفي صيغتي والمثنى والجمع في الآية الكريمة: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبِهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (آل عمران، 144).

كما ورد في الصيغ الفعلية: أعقب وعاقب وعوقب بمعنى العاقبة والجزاء، في الآيتين من سورتي التوبة والحج في قوله: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ (التوبة، الآية 77)، وفي قوله: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصُرْتَهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ (الحج، الآية 60).

كما ورد في صيغة الفعل يُعَقَّب بمعنى يرجع ويلتفت في قصة موسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾ (القصص، الآية 31).

وهكذا فإن دلالة التعقيب في الاستعمال القرآني بشكل خاص، وفي سائر الاستعمال اللغوي بشكل عام تدور في فلك أمرين اثنين: أولهما معنى آخر الشيء، وأما المعنى الثاني فهو الدلالة على التوالي بين شيئين.

¹ - البحر المحيط في التفسير: أبو حيان الأندلسي، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420هـ، ج6، ص 360.

² - تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م، ج1، ص 185.

ب - التعقيب في الاصطلاح :

إن مفهوم التعقيب بالمعنى الاصطلاحي لا يخلو من إشكالات كبيرة أساسها جدة الطرح، برغم أن التعقيبات كسمة أسلوبية تميّز أكثر آيات القرآن الكريم، وهي لا تخفى على ناظر، باعتبارها درة التاج، وجوهرة العقد في النظم القرآني¹.

ورغم أن كتب التفسير وعلوم القرآن قد سجّلت ملاحظات كثيرة نُثبت عناية القدماء بالتعقيبات في كتاب الله تعالى منذ زمن نزول الوحي²، إلا أننا لا نكاد نعثر على تعريف مناسب لها، وهو ما حدا ببعض المهتمين بالظاهرة إلى التصريح بغموض المفهوم دون اللجوء إلى التمثيل من واقع النص القرآني³.

ولعل أحمد أبو زيد من أول الدارسين الذين كان لهم السبق في إثارة الموضوع، ووضع تحديد للمصطلح عند المعاصرين - فيما وصل إلينا - في دراسته الموسومة بالتناسب البياني في القرآن الكريم، إذ أفرد فصلاً من بحثه للموضوع بعنوان : " التناسب المعنوي في التعقيبات القرآنية "، وبين فيه علّة اختيار المصطلح فقال : "... وللتخفيف من تلك التعددية السلبية في المصطلحات، نقترح استعمال مصطلح واحد لهذا الفن البديعي القرآني، هو مصطلح التعقيب... وقد اخترنا هذا المصطلح لأنه ذو دلالة واسعة تشتمل سائر أضرب الخواتم التي تأتي في أعقاب الآيات، ولأنه يبعد الدارس عن الانشغال بالمصطلحات والتعريفات وعن إرهاق الناس بها " ⁴.

¹ - أسلوب التعقيب القرآني مقارنة جمالية : أسامة عبد العزيز جاب الله، مطبعة ومكتبة الإسراء، طنطا، 2008م، ص3.

² - سنتعرض لبعض هذه الملاحظات خلال مباحث لاحقة ضمن هذا الفصل نخصصها للاهتمام بالتعقيبات القرآنية.

³ - ينظر : أسلوب التعقيب في القرآن الكريم : محمد كريم الكواز، منشورات جامعة السابع من أبريل، ط 1، 1425، ص 12.

⁴ - التناسب البياني في القرآن الكريم : أحمد أبو زيد، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1992، ص 97.

وفي سياق ذلك يقترح تعريفاً مهماً لمفهوم التعقيب، استحسنة الباحثون من بعده، يقول : " المراد بالتعقيب على الآيات ذلك الجزء أو المقطع الذي يأتي في ختامها، تُذيل به الآية زيادة في البيان ومحافظة على وحدة الإيقاع " ¹، كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ تعقيباً على الآية الكريمة من سورة البقرة : ﴿ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (البقرة، الآية 20).

أما محمد كريم الكواز فقد أفرد كتاباً خاصاً بأسلوب التعقيب في القرآن الكريم، وهو أول كتاب من نوعه، وفيه يؤسس تعريفه للمصطلح على أساس دلالاته اللغوية باعتباره صلة بين أمرين ²، ويُعرب عن صعوبة تحديد المصطلح من دون الاعتماد على التمثيل من واقع النص القرآني، باعتباره سبباً إلى الموضوع، يقول : " هذا بحث يحاول أن يجد له مكاناً في مسيرة الدراسات القرآنية، زاعماً الكشف عن منطقة لم تصل إليها أقلام الباحثين بعد " ³. ويعترف أن تأسيسه للمصطلح كان ضرورة اقتضتها طبيعة الموضوع، باعتبار أنه لم يجد من اصطلاح عليه كما فعل ⁴، وأنه اجتهد في تحديد المصطلح بحسب ما استقر في ذهنه بعد التدبُّر والتأمل، يقول : " لعل من الضرورة توضيح المقصود بالتعقيب، لا سيما ونحن نشعر في بحثه أسلوباً من أساليب القرآن الكريم، يدفعنا إلى ذلك الحاجة إلى إيجاد دالٍّ لما استقر في أذهاننا من مدلول، قضينا زمناً في تدبره ومراقبته، وهو يشغل مساحة واسعة من التعبير القرآني " ⁵.

¹ - التناسب البياني في القرآن الكريم ، ص 91.

² - أسلوب التعقيب في القرآن الكريم، ص 11.

³ - أسلوب التعقيب في القرآن الكريم، ص 5.

⁴ - نفسه، ص 5.

⁵ - نفسه، ص 11.

وانطلاقاً من الدلالة اللغوية للفظ التعقيب، واعتماداً على أمثلة كثيرة متنوعة يرى أن التعقيب - كما استقر مدلوله في ذهنه - هو ¹ : " نتيجة قضية والحكم عليها، أصدره الله سبحانه وتعالى، وليس من التعقيب الصادر عن غير الله - جلّ وعلا - كقول شعيب الذي جاء في قوله تعالى : ﴿ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾ (الأعراف، 93). أي أن : ﴿ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾ ليس من التعقيب الذي نحن بصددده، لأنه حكم لم يصدر عن الله سبحانه. وليس من التعقيب، كذلك، قول الملائكة : ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾، في قوله تعالى في قضية خلق آدم : ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ (البقرة، الآية 32).

وقد كان هذان التعريفان أصل كل التعريفات القليلة التي اعتمدها الباحثون في الموضوع بعد ذلك ²، غير أن استقصاء الظاهرة في كتب التفسير أبعد المسافة بين ما ذهب إليه الكوازي وبين فهم المفسرين للتعقيب، ووطّد علاقة قوية بين التعريف الأول وبين مفهوم التذييل كمصطلح بلاغي ذائع الاستعمال في كتب التفسير. فإذا كان أحمد أبو زيد يجد أنه من المتعذر تحديد مفهوم التعقيب دون الاعتماد على مصطلح التذييل، يقول : " تُذِيلُ به الآية زيادة في البيان ومحافظة على وحدة الإيقاع " ³ كشاهد على العلاقة القوية بين المصطلحين، فإن تعريف القزويني للتذييل يُبرز قدم تلك العلاقة، وتعدّر تعريف التذييل دون الاعتماد على مفهوم التعقيب، يقول : " هو تعقيبُ الجملةِ بأخرى تشتملُ على معناها

¹ - أسلوب التعقيب في القرآن الكريم ، ص 14.

² - ينظر : أسلوب التعقيب القرآني مقارنةً جمالية، ص 12.

ينظر أيضاً :

- دلالة أسلوب التعقيب في القرآن الكريم : أحمد كاظم عماش، بحث على شبكة الأنترنت من خلال الرابط :

<http://aldhiaa.com/arabic/magazine/maab/09/4.pdf>

³ - التناسب البياني في القرآن الكريم، ص 91.

للتوكيد " ¹، متفرداً عن غيره من العلماء الذين لجؤوا إلى محاولة عقل التذليل من خلال تعريفات دائرية تفسر الشيء بنفسه ² كما فعل تقي الدين الحموي ³.

والحقيقة أن العلاقة بين المصطلحين في البلاغة العربية هي علاقة الأصل بالفرع باعتبار التذليل نوعاً من التعقيب، كما يذهب إلى ذلك صاحب المنزع البديع إذ يعرف التعقيب بأنه قول مركب من جزئين، أحدهما يجري مجرى المقدمة، والثاني يجري مجرى التكملة بحيث يمكن استقلال القول به من دون تلك التكملة، ويقع جزء التكملة بعد تمام جزء المقدمة وكمالها. أما التذليل فهو نوع من التعقيب يكون فيه جزء التكملة بعد تمام المقدمة حجة ⁴، وإلا كان إيغالاً ⁵.

¹ - الإيضاح في علوم البلاغة : جلال الدين القزويني، تح : محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط 3، د ت، ج 3، ص 205.

² - من شروط تعريف الشيء أن لا يكون التعريف دائرياً، وبعبارة أخرى، يجب أن لا يشتمل التعريف على اسم لشيء من الأشياء المراد تعريفها، لأننا لو فعلنا ذلك لكننا كمن يعرف الشيء بنفسه، ينظر :

- مدخل على المنطق الصوري : محمد مهران، دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1994، ص 111.

³ - يعرف تقي الدين الحموي التذليل بقوله : " التذليل هو أن يذيل الناظم أو النائر كلاماً، بعد تمامه وحسن السكوت عليه بجملة تحقق ما قبلها من الكلام، وتزيده توكيداً وتجري مجرى المثل، بزيادة التحقيق ". وهو تعريف دائري يفسر الشيء بنفسه، كما هو واضح، للاستزادة ينظر :

خزانة الأدب وغاية الأرب : تقي الدين الحموي، تح: عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، دار البحار، بيروت، 2004، ج 1، ص 242.

⁴ - الحجة هي الشيء الموصل إلى التصديق، يقول الفيلسوف الرئيس ابن سينا : " وقد جرت العادة... أن يسمى الشيء الموصل إلى التصديق المطلوب حجة فمنها قياس ومنها استقراء "، للاستزادة ينظر :

- الإشارات والتنبيهات، ابن سينا الحسين بن عبد الله، تح : سليمان دنيا، دار المعارف، مصر، ط 3، ص 136.

⁵ - المنزع البديع : أبو محمد القاسم السجلماسي، تح : علل الغازي، مكتبة المعارف، الرباط، ط 1، 1980، ص 311، 312.

- أصل الإيغال في اللغة الإبعاد في الأمر والوصول فيه على غاية بعيدة. وهو في الاصطلاح ختم البيت بكلمات يتم المعنى دونها لنكتة أو غرض، فهو لفظ زائد على مقصود الشاعر يتم به القافية، ويؤدي به معنى من المعاني، ومنه قول الخنساء :

وإن صخرًا لتأتّم الهداة به كأنه علم في رأسه نار

فمن الواضح أن تشبيه شقيقها صخر بالجبل يكفي للدلالة على ارتفاعه وظهوره، ولكنها لم تكتف بذلك حتى جعلت في رأسه ناراً إيغالاً ومبالغة في الدلالة على ذلك، للاستزادة ينظر :

غير أن هذه العلاقة الاندراجية القائمة بين المصطلحين بحسب السجلماسي والتي يتضمن بموجبها التذييل مفهوم التعقيب - كما هو واضح أيضاً في تعريف القزويني الذي ذكرناه من قبل - سرعانما تختفي في أعمال المفسرين، ويتحول المصطلحان إلى مترادفين، ففي تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْطِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (الروم، الآية 24)، يكون المقطع الأخير من الآية الكريمة، وهو قوله عز وجل : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ تذييلاً بحسب مجموعة من المفسرين من أمثال محمد متولي الشعراوي¹ في خواطره، ومحمد سيد طنطاوي في تفسيره الوسيط²، وشهاب الدين محمود الألوسي في روح المعاني³، إلا أنها تعقيب بحسب ابن الزبير الغرناطي⁴. أو كما في التعقيب على الدعوة إلى الإيمان بقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ في الآية الكريمة ﴿ فَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (التغابن، 8)، فهي تذييل بحسب محمد الطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير⁵، وتعقيب بحسب عبد الكريم يونس الخطيب في التفسير القرآني للقرآن⁶.

وهكذا فإن واقع التوظيف العملي لمصطلح التذييل عند المفسرين يثبت اتفاقاً تاماً بينه وبين مصطلح التعقيب، والأمثلة الدالة على ذلك كثيرة جداً. كما يُثبت بالمقابل بوناً بعيداً بين ما يذهب إليه المفسرون في مفهومهم للتذييل وبين دلالاته الاصطلاحية عند البلاغيين. وقد جرّ الخلط بين المفهومين إلى بعض

- البلاغة فنونها وأفنانها : فضل حسن عباس، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط 4، 1997، ص 488 وما بعدها.

¹ - تفسير الشعراوي : محمد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، 1997، ج 18، ص 11376.

² - التفسير الوسيط : محمد سيد طنطاوي، دار نهضة، القاهرة، ط 1، 1997، ج 7، ص 444.

³ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : شهاب الدين محمود الألوسي، تح : علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1415 هـ، ج 11، ص 32.

⁴ - ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل : أبو جعفر أحمد بن الزبير الثقفي الغرناطي، عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 2، ص 294.

⁵ - التحرير والتنوير، ج 28، ص 2730.

⁶ - التفسير القرآني للقرآن : عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة، ج 14، ص 980، 981.

الأحكام التي قد تحتاج إلى نظر في الدراسات الحديثة، من ذلك ما ذهب إليه محمد كريم الكواز من تفريق بين التعقيب والتذييل، وهو أمرٌ فيه بعض التسرع كما يبدو، لأنه يقوم على التعريف التقليدي للتذييل باعتباره ضرباً من الإطناب، وهو ما حمله على القول بأن دلالاته زائدة عن المعنى المراد، وأن علاقته بما تقدّمه تبعية (توكيد)، على خلاف المراد بالتعقيب¹. كما حمله أيضاً على المبالغة في الاهتمام بالقيمة التمثيلية للتذييل والتي نشأت عن تصنيفه في كتب البلاغة إلى قسمين: يجري أولهما مجرى المثل لاستقلاله بالمعنى المراد على خلاف الصنف الثاني².

وتكمن حقيقة الخلاف في الفرق الكبير بين دلالاتي مصطلح التذييل عند البلاغيين وعند علماء التفسير كما ذكرنا، ففي حين تعرضت هذه الدلالة عند المفسرين لكثير من التوسيع، فإن دلالة التذييل عند البلاغيين قد تعرضت لجمودٍ كبير حتى أنّ الأمثلة نفسها لا تزال تتكرر منذ بدايات التنظير في البلاغة العربية.

فإذا كانت دلالة التذييل تبعية بحسب ما يذهب إليه محمد كريم الكواز في كتابه، إذ لا تتجاوز وظيفة التوكيد على خلاف دلالة التعقيب، فإن أغلب المفسرين يذهبون إلى أن دلالة التذييل تتجاوز ذلك، وهي أوسع من هذا المعنى بكثير، إذ يُراد بها تحقيق أغراض كثيرة يسعى إليها الخطاب القرآني كالوعد والوعيد، والثناء والذم، والنصح والتوبيخ، وغير ذلك من المعاني المستفادة من السياق³.

وقد استدلل الكواز لإثبات الفرق بين التعقيب والتذييل بالدلالة العامة التي تميّز التذييل والتي تجعله في منزلة المثل الذي يُضرب في كل سياق مشابه على خلاف التعقيب، فإذا اختلفت القضية أي موضوع الآيات اختلف التعقيب عليها، ثم يمضي لتوضيح الفرق بالاعتماد على واقع النص القرآني في قوله ﷻ: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (المائدة، 44)، فكان جزاء الشرط ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ

¹ - أسلوب التعقيب في القرآن الكريم، ص 18.

² - نفسه، ص 18، 19.

³ - سنتعرض لهذه المعاني بالتفصيل في الفصل الثالث.

الْكَافِرُونَ» في سياق الاستهانة بحكم الله، ثم يرتقي الجزاء إلى الظلم بعد تجاوز الاستهانة إلى الكفر وارتكاب المعصية الموجبة للعقاب فقال ﷻ : ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (المائدة، الآية 45)، ثم يرتقي بعد ذلك إلى الفسوق : ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (المائدة، الآية 47)، أي المتمردون من الكفرة، وهم أشد كفراً ممن سبقهم¹.

ويعلق الكواز على ذلك قائلاً : " فيكون التعقيب بالشرط المتضمن أوصافاً ثلاثة مختلفة، متدرجاً مترقياً من الأخف إلى الأثقل على عادة الأسلوب القرآني في الوعد والوعيد. وهذا يخالف التذييل من حيث عدم جريه مجرى المثل السائر المستقل بدلالة عامة، يمكن أن تضرب في المقامات المشابهة، ثم أن في اختلاف جزاء الشرط ما يبين شدة ارتباط التعقيب بقضيته، فإذا اختلفت القضية اختلف التركيب " ². والواقع أن الكثير من علماء الأمة المفسرين يرون أن هذا يكون في التذييل القرآني أيضاً، وأن هذا المثال نفسه من التذييل غير أبهين بالقيود السابقة التي وضعها علماء البلاغة بعيداً عن واقع الاستعمال اللغوي، ويمكن العودة إلى تفسير الآيات السابقة في كتب التفسير، كما في تفسير أبي السعود إرشاد العقل السليم³، أو تفسير الألوسي روح المعاني⁴، أو تفسير القاسمي محاسن التأويل⁵، أو تفسير محمد سيد طنطاوي الموسوم بالتفسير الوسيط⁶.

كما يؤسس الكواز لفرق آخر بين التعقيب والتذييل وذلك بالنظر إلى عدد الجمل اعتماداً على تعريف القزويني، يقول : " التذييل يكون بجملة بعد جملة، فهو محدود بجملتين أو أكثر بقليل، في حين يتعدى

¹ - أسلوب التعقيب في القرآن الكريم، ص 18، 19.

² - للاستزادة ينظر : أسلوب التعقيب في القرآن الكريم : محمد كريم الكواز، ص 19.

³ - إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : أبو السعود العمادي محمد بن مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج 3، ص 42، 43، 44.

⁴ - روح المعاني، ج 3، ص 313، 314، 319.

⁵ - محاسن التأويل المعروف بتفسير القاسمي : محمد جمال الدين القاسمي، تح : محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت ط 1، 1418 هـ، ج 4، ص 146.

⁶ - التفسير الوسيط، ج 4، ص 167، 171، 177.

التعقيب هذا العدد، فلا يتقيد بعدد معين من الجمل، وإنما هو منوط بتمام القضية، ولا عبء بعدد جملها، وكذلك التعقيب نفسه إذ لا يتحدد بعدد مخصوص من الجمل " ¹، ثم يستدل بقضية وعيد الكافرين الذين اغترّوا بطول مكثهم في الدنيا، وما جاء بعدها من تعقيب طويل في قوله تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (يونس، 55 - 56).

وهذا في رأي الكواز لا يكون في التذييل، فهو تعقيب بالنظر إلى طوله وتركيبه من عدد من الجمل يتجاوز ما هو متعارف عليه في التذييل عند البلاغيين، ولكنه قد لا ينسحب على المفسرين الذين تجاوزوا المعايير التي وضعها مُنظِّرو البلاغة كما في تفسير التحرير والتنوير مثلاً ².

إن كثيراً من المفسرين ممن وظّفوا مصطلح التذييل كمرادف للتعقيب في القرآن الكريم تجاوزوا وظيفة التحقيق أو التوكيد التي ميّزت التعريفات البلاغية القديمة إلى معانٍ كثيرة يرمي إليها الخطاب القرآني كالوعد والوعيد، والمدح والذم، والعتاب والنصح وغير ذلك. ولم تظهر عندهم قضية جريانه مجرى المثل التي كانت تجسّد التعبير الذي تتعلق البلاغة بأذياه، وهو ما أدّى بدلالة المصطلح إلى كثير من الاتساع والتعميم.

إن مصطلحي التعقيب والتذييل - بهذه الصورة - هما وجهان لمفهوم واحد على مذهب الكثير من علماء الأمة المفسرين، وهذا ما أثبتته لنا الاستقصاء والتدبر، وهو مذهبنا في هذا البحث ولا مشاحة في المصطلح، وقد رجح عندنا مصطلح التعقيب تأسيساً بكثير من السابقين من علماء الأمة من أمثال ابن الزبير الغرناطي، وبرهان الدين أبو الحسن البقاعي، وسيد قطب، وعبد الكريم يونس الخطيب وغيرهم،

¹ - أسلوب التعقيب في القرآن الكريم، ص 19.

² - ينظر : التحرير والتنوير، ج 11، ص 198.

وذلك لسعة مدلوله مقارنةً مع ما يذهب إليه بعض علماء البلاغة من خلال مصطلح التذييل، وتخصيصاً له كمصطلح قرآني، وإبعاداً للأذهان عن الانشغال بغيره من المصطلحات البلاغية.

إن التعقيب سمة أسلوبية هامة تميز آي القرآن الكريم وأعقاب قصصه، وهي وجهٌ عجيبٌ من وجوه إعجازه البياني، ونعني به ذلك الجزء أو المقطع المستقل الذي تُختم به آية أو مجموعة من الآيات، زيادة في البيان، وتحقيقاً لأغراض الخطاب من مدحٍ وذمٍّ، ووعدٍ ووعيدٍ، وأمرٍ ونهيٍ... وتوقعاً للآيات بما يناسب السياق من جرس. وقد يصبح التعقيب أطول من ذلك في بعض الحالات فيتجاوز المقطع، ويتكوّن حينئذٍ من آية مستقلة أو من مجموعة من الآيات ¹.

2- بين التعقيب والفاصلة :

الفصل في اللغة عموماً بون ما بين الشئين، فالمفصل ملتقى العظمين من الجسد، والفصل الفطام، والفصل القضاء بين الحقّ والباطل، والفاصلة الخرزة التي تفصل بين الخرزتين في النّظام ².

أما في الاصطلاح فيُراد بالفاصلة في القرآن عموماً " كلمة آخر الآية، كقافية الشّعِرِ وقريئة السّجّع " ³. وقد ذهب الدّاني إلى أنها " كلمة آخر الجملة " ⁴، أو هي " الكلام التّام المنفصل مما بعده، والكلام التام قد يكون رأس آية، وكذلك الفواصل يَكُنْ رؤوس آي وغيرها، فكلّ رأس آية فاصلة وليس كل فاصلة رأس آية، فالفاصلة تعمّ النوعين وتجمع الضريين " ⁵.

¹ - سنتعرض لهذه الحالات لاحقاً في الفصل التالي المتعلّق بأشكال التعقيبات القرآنية.

² - ينظر : لسان العرب، ج 11، ص 521، 522.

³ - البرهان في علوم القرآن، ج 1، ص 53.

⁴ - نفسه، ص 53.

⁵ - البيان في عد آي القرآن : أبو عمرو الداني، تح : غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث، الكويت، ط 1، 1994، ص 126.

ويعرفها الباقلاني بقوله : " الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع، يقع بها إلهام المعاني " ¹، وتقع عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام بها ²، إذ تتيح فسحة للقارئ حيث يسكت قليلاً عند نهاية كل آية قبل أن يأخذ في تلاوة الآية التي بعدها، وهي بذلك تمكنه من حسن الأداء، كما تتيح للسامع فرصة حسن المتابعة لما يُتلى مع تذوق المعاني وتدبرها ³. وتسمى فواصل لأنه ينفصل عندها الكلام عما يليه، وهي بذلك تحدد نهايات الآيات وبداياتها، وتميز بين الآيات، لأن من سنن تلاوة القرآن وأدائه الأملل الوقوف عند رأس كل آية، إلا في مواضع قليلة في القرآن الكريم، فيحسّن وصل الآية بما بعدها ⁴. كما أن إطلاق لفظ الفاصلة على هذا الضرب الخاص من خواتم الكلم مناسب لقوله ﷺ : ﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (فصلت، 3). وأما امتناعهم عن تسميتها أسجاءً ⁵ فلأن " أصله من سَجَعَ الطَّيْرَ فَشُرِفَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ أَنْ يَسْتَعَارَ لشيء فيه لفظٌ هو أصلٌ في صوت الطائر، ولأجل تشريفه عن مشاركة غيره من الكلام الحادث في اسم السَّجْعِ الواقع في كلام آحاد الناس، ولأن القرآن من صفات

1 - إعجاز القرآن : أبو بكر الباقلاني، تح : السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ط 5، 1997م، ص 270.

2 - البرهان في علوم القرآن، ج 1، ص 54.

3 - ينظر : الموسوعة القرآنية المتخصصة : مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، 2002 م، ص 495.

4 - ينظر : نفسه، ص 496.

5 - الواقع أن آراء علماء البلاغة والإعجاز في هذه القضية تختلف اختلافاً كبيراً، وقد نقل الزركشي جانباً من الجدل الطويل الذي دار بين منكري السجع في كلام الله تعالى كالباقلاني والرماني وأبي الحسن الأشعري، وبين غيرهم من المثبتين كابن سنان الخفاجي، والحقيقة أن كل فريق يقيم رأيه وفق منظور خاص مختلف يبنّي على جملة من الأدلة المتباينة قوة وضعفاً. ولعل تلك الآراء المتناقضة تلتقي عند ما ذكره ابن سنان في قوله : " فإننا متى حمدنا هذا الجنس من السَّجْعِ كنا قد وافقنا دليل من كرهه، وعملنا بموجبه، لأنه إنما دلّ على قبح ما يقع من السجع بتعمّل وتكلف. ونحن لم نستحسن ذلك النوع ووافقنا أيضاً دليل من اختاره، لأنه إنما دلّ به على حسن ما ورد منه في كتاب الله تعالى وكلام النبي ﷺ والفصحاء من العرب ".

- سر الفصاحة : ابن سنان الخفاجي، دار الكتب العلمية، ط 1، 1982م، ص 171.

- ينظر أيضاً : البرهان في علوم القرآن، ج 1، ص 54 وما بعدها.

وبالنظر في نص الخفاجي فإننا نستشعر وجود مجال مشترك من التوافق القائم في أصله على حرص الفريقين على إثبات الإعجاز بما لا يتنافى مع تنزيه كلام الله تعالى عن كل وصفٍ أو إيهامٍ غير لائق بقدسيته. رغم ذلك تبقى قضية المصطلح المناسب تعيق هذا التوافق وتستمر بظلالها إلى وقتنا الحاضر.

الله عز وجل فلا يجوز وصفه بصفة لم يرد الإذن بها وإن صحَّ المعنى " ¹ . ويختزل ابن سنان الخفاجي هذه الأسباب المتفرقة في حقيقة واحدة هي أصل كلِّ ما سبق، يقول : " وأظن أن الذي دعاهم إلى تسمية كلِّ ما في القرآن فواصل ولم يسموا ما تماثلت حروفه سجعاً رغبتهم في تنزيه القرآن عن الوصف اللاحق بغيره من الكلام المروي عن الكهنة وغيرهم وهذا غرض في التسمية قريب والحقيقة ما قلناه " ² .

وقد ذكر الجعبري أن فواصل القرآن تُعرف بطريقتين مختلفتين :

- أولهما توقيفي، فقد كان رسول الله ﷺ يقطع قراءته آيةً آيةً لتُعرف رعوس الآي " فما وقف عليه السلام عليه دائماً تحقّقنا أنه فاصلة، وما وصله دائماً تحقّقنا أنه ليس بفاصلة، وما وقف عليه مرّةً ووصله أخرى احتمل الوقف أن يكون لتعريفهما، أو لتعريف الوقف التّام، أو للاستراحة، والوصل أن يكون غير فاصلة أو فاصلة وصلّاها لتقدّم تعريفها " ³ .

- أما الطريق الثّاني فهو القياس ويعني ذلك " ما ألحق من المحتمل غير المنصوص بالمنصوص لمناسب، ولا محذور في ذلك، لأنه لا زيادة فيه ولا نقصان، وإنما غايته أنه محلّ فصلٍ أو وصلٍ، والوقف على كل كلمة جائز ووصل القرآن كله جائز " ⁴ .

ولعل في هذا العرض المقتضب عن الفاصلة ما يفي بالمراد في هذا المقام، لأنه مفصّل في كتب البلاغة، وفي أغلب الدراسات ذات الصلة بعلوم القرآن، وهي برغم التّفصيل لا تضيف - في الواقع - شيئاً عمّا سبق.

¹ - البرهان في علوم القرآن، ج 1، ص 54.

² - نفسه، ص 58.

³ - نفسه، ص 98.

⁴ - نفسه، ص 98.

وفي هذا السياق ننبه إلى واقع تلك الدراسات التي تتبدى فيها العناية واضحةً بالفاصلة على خلاف التعقيب رغم قوة العلاقة القائمة بينهما. كما يُلاحظ أيضاً وجود التباس واضح بين المفهومين عند بعض الدارسين، كما هو الحال في كتاب "البيان في روائع القرآن"، الذي يرى صاحبه أن الفاصلة أنواع، منها ما يكون جزءاً من تركيب الآية التي خُتمت بها، مكملاً لبنيتها، فلا يُتصور تمام المعنى إلا به، ومنها ما يردُّ بعد تمام المعنى فتكون تذييلاً للآية كالتعليق أو كالتعقيب على محتواها، كقوله تعالى: "وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ" تعقيباً على الآية: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَارَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾ (آل عمران: 152). ومن ذلك أيضاً ما جاء تعقيباً على الآيات التي تلي هذا الموضع في كتاب الله تعالى، كقوله: ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾، ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾¹.

كما نجد هذا الالتباس واضحاً أيضاً في كتاب "الفاصلة في القرآن" لمحمد الحسناوي في سياق استعراضه لأنواع الفواصل، إذ يرى أن الفاصلة في القرآن الكريم قد تستغرق آية كاملة، فتتشكل حينئذ من مجموعة من الحروف كما في فواتح السور، في قوله ﷻ: ﴿ألم﴾، ﴿حم﴾، أو ﴿طسم﴾ أو غير ذلك. كما قد تتألف من كلمة، مثل: ﴿الرَّحْمَنُ﴾، أو ﴿الْحَاقَّةُ﴾، أو ﴿الْقَارِعَةُ﴾. وقد تكون الفواصل بعضاً من آية، وهو النوع الغالب المطرد، وهي في ذلك على وجهين: أولهما، ما كان جزءاً من الآية لا تقوم الآيات إلا به، ولا تستقل هي بمفهوم في غير آياتها، كقوله عز وجل: ﴿وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ﴾ ﴿وَمَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ (النجم، 1-3)، وأكثر فواصل قصار السور جاءت فواصلها على هذا النحو. وأما النوع الثاني فهو ما جاء وكأنه تعقيب على الآية، أو تلخيص لمضمونها،

¹ - ينظر: البيان في روائع القرآن، ص 279، 280.

أو تأكيد لمعناها، وقد تصرف القرآن في هذا تصرفاً عجيباً، فجاء بالفواصل بعد الآيات كأنها رجع الصدى أو إجابة الداعي إذا دعا " ¹.

هذا الخلط بين مفهومي الفاصلة والتعقيب في هذا الموضع من الكتاب لم نجد ما يفسره، خاصة حينما نجده في موضع لاحق من كتابه يعتمد - بعد تردد بسيط - مصطلح التعقيب للدلالة على التعقيبات القرآنية، في سياق حديثه عن التوازي ².

ويبدو أن هذا الالتباس من الناحية الزمنية أقدم مما يبدو، فقد تعرض الزركشي لأشكال الفواصل القرآنية باعتبار السياق الذي ترد فيه، وذلك أثناء حديثه عن التمكن، ورأى أنها أنواع، منها ³ : اختلاف الفاصلتين في موضعين والمحدث عنه واحد. وعكسه اتفاق الفاصلتين والمحدث عنه مختلف، كما قد ترد الفاصلة لا نظير لها في القرآن كله. غير أن تتبع كلام الزركشي وأمثله التي أوردها في هذا السياق يثبت أن المراد بالفاصلة في هذه المواضع إنما هو التعقيب. وقد ذهب السيوطي إلى ذلك أيضاً في إتقانه ⁴.

ويبدو أن علة هذا الالتباس ترجع في الأساس إلى غياب مفهوم التعقيب في كثير من الدراسات رغم الحاجة إليه، كما ترجع أيضاً إلى توسيع حاصل في دلالة مصطلح الفاصلة الذي يُراد به في الدراسات القرآنية عموماً كلمة آخر الآية، ككافية الشعر وقرينة السجع ⁵. وقد يتجاوز الأمر ذلك فيُطلق على التركيب كله كما فعل بعض أئمة هذا العلم كالزركشي والسيوطي، ثم تبعهم في ذلك بعض المعاصرين كما رأينا.

والحقيقة أن علاقة التعقيب القرآني بالفاصلة هي علاقة العام بالخاص، لأن " التعقيب القرآنية تحتوي الفاصلة بداخلها وتصبغها بصبغتها الدلالية، ولابد من وجود فاصلة لكل آية وليس شرطاً وجود تعقيب لكل

¹ - ينظر : الفاصلة في القرآن : محمد الحساوي، دار عمار للنشر والتوزيع، ط 3، 2000م، ص 155، 156.

² - نفسه، ص 239 - 241.

³ - البرهان في علوم القرآن، ج 1، ص 86 - 93.

⁴ - ينظر : الإتيان في علوم القرآن، ج 3، ص 350-354.

⁵ - ينظر : البرهان في علوم القرآن، ج 1، ص 53.

آية، فالفاصلة القرآنية أكثر عدداً بلا جدالٍ من التعقيبات " ¹. وهكذا فإن التعقيب ظاهرة خاصة " لا تأتي إلا حين يقتضيها السياق ويتطلبها الجو النفسي للآية، لأن تمام الآية نصياً ودلالياً وجمالياً لا يكون إلا بها، وهي حينئذٍ لا يمكن الاستغناء عنها، رغم وجود الفاصلة في نهاية الآية، وكجزءٍ من تركيب التعقبة " ².

3 - أسلوب التعقيب في كلام العرب :

لقد تفرّد الاستعمال القرآني لأسلوب التعقيب عن سائر كلام العرب، إذ أن ثلث آيه وشّحت أعقابها بهذا النمط البديع من التعبير الربّاني المعجز، ولا نكاد نعثر في غيره على تعقيب إلا في القليل النادر.

أما في الأحاديث الشريفة، فقد ظهر الأسلوب القرآني بارزاً من خلال ظهور بعض صيغه بألفاظها ومعانيها في أقواله ﷺ، كما ظهرت بعض أساليب التعقيب في خواتيم الأدعية، من ذلك ما روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه سأل رسول الله ﷺ أن يعلمه دعاءاً يدعو به في صلاته فقال : " قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاعْفُ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ " ³. أو كما في الحديث الذي رواه أبو الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ علّمه كلماتٍ يدعو بهنّ في صباحه ومساءه، فيقول : " اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ عَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَأَنْتَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ، مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَمِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا، إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ " ⁴.

¹ - أسلوب التعقيب القرآني مقارنة جمالية، ص 13، 14.

² - نفسه، ص 14.

³ - صحيح البخاري، ج1، ص 166.

⁴ - الدعاء : سليمان أبو القاسم الطبراني، تح : مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1413 هـ، ج1، ص 128.

كما وردت بعض التعقيبات الشريفة في غير الدعاء، وهي قليلة، كما في الحديث الذي يرويه عليه السلام عن ربه ﷻ، فيصف عظيم رحمته التي يقابل بها عباده، فيقول : " إِنَّ رَبَّكُمْ رَحِيمٌ فَمَنْ هُمْ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ، وَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةٍ، إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هُمْ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ، وَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ عَلَيْهِ وَاحِدَةٌ أَوْ يَمْحُوهَا اللَّهُ، وَلَا يَهْلِكُ عَلَى اللَّهِ إِلَّا هَالِكٌ " ¹، وهو من أجمل التعقيب في أحاديثه ﷺ.

أما في غير القرآن الكريم وأحاديثه ﷺ من سائر كلام العرب، فإننا لا نكاد نعثر على تعقيب، إلا فيما تُحصيه أغلب كتب البلاغة القديمة والحديثة من أبيات معدودة في الشعر الجاهلي، من ذلك قول النابغة الذبياني :

وما رأيتُكَ إِلَّا نظرةً عرضت يوم النَّمَارةِ، والمأمورُ مأمورٌ ²

أو قوله :

دعاكَ الهوى واستجْهَلْتَكَ المنازلُ فكيف تَصَابِي المرءِ والشَّيْبُ شاملٌ ³

كما ورد بعض ذلك أيضاً في شعر تأبط شراً، يقول :

هما خُطَّتَا، إما إِسَارٌ ومَنَّةٌ وإما دَمٌ، والقتل بالحرِّ أَجْدُرُ ⁴

ويقول أيضاً :

¹ - شعب الإيمان : أحمد أبو بكر البيهقي، تح: عبد العلي عبد الحميد حامد ومختار أحمد الندوي، مكتبة الرشد، الرياض، ط 1، 1423هـ، ج1، ص 514.

² - ديوان النابغة، تقديم : حمدو طمّاس، دار المعرفة، بيروت، ط 2، 2005، ص 64.

³ - نفسه، ص 88.

⁴ - ديوان تأبط شراً، تح : علي ذو الفقار شاكِر، دار الغرب الإسلامي، ط 1، 1984، ص 89.

فَأُبْتُ إِلَى فِهم وما كُنت آيَاً وَكَم مثْلُها، فارَقْتُها وهي تُصْفِرُ¹

وقد ميّز هذا الأسلوب بعض أشعار لبيد²، فظهرت أبيات كثيرة من معلقته موشحة بتعقيبات تتضمن حِكماً ومواعظ تُنم عن تأثر واضح بالنظم القرآني، وهو ما حمل بعض الباحثين على التشكيك في نسبة معلقته إلى العصر الجاهلي، وطرح كثير من علامات الاستفهام حول قضية نحلها³، ويمكننا ملاحظة الظاهرة بوضوح من خلال هذه الأبيات المنتقاة من معلقته :

فَأَفْطَعُ لُبَانَةً مَنْ تَعَرَّضَ وَصَلُهُ وَلَشَرُّ وَاصِلِ خُلَّةٍ صَرَامُهَا⁴

رَجَعَا بِأَمْرِهِمَا إِلَى ذِي مِرَّةٍ حَصِيدٍ وَنُجْحٍ صَرِيمَةٍ إِبْرَامُهَا⁵

صَادَقْنَ مِنْهَا غِرَّةً فَأَصْبَبْنَهَا إِنَّ الْمَنَايَا لَا تَطِيْشُ سِيْهَامُهَا⁶

مِنْ مَعَشَرٍ سَنَنْتَ لَهُمْ أَبَاؤُهُمْ وَلِكُلِّ قَوْمٍ سُنَّةٌ وَإِمَامُهَا⁷

¹ - ديوان تأبط شرا ، ص 362.

² - هو لبيد بن ربيعة بن عامر، من شعراء المعلقات، أسلم قبل الفتح، وقد عمّر إلى خلافة معاوية. للاستزادة ينظر :

- المعلقات العشر وأخبار شعرائها : أحمد الأمين الشنقيطي، دار النصر للطباعة والنشر، دت، ص 24 وما بعدها.

³ - نذير العظمة : قراءة جديدة لمعلقة لبيد، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، العدد 102، أفريل، 2006، ص 113.

⁴ - شرح المعلقات السبع : أبو عبد الله الزوزني، دار المعرفة، بيروت، ط 2، 2004، ص 143.

⁵ - نفسه، ص 146.

⁶ - نفسه، ص 151.

⁷ - نفسه، ص 165.

وقد تأثر الشعر العربي بعد الإسلام بسحر النظم القرآني، وظهرت ألفاظه ومعانيه واضحة في كثير من القصائد، إلا أن توظيف أسلوب التعقيب ظلّ محدوداً جداً عند شعراء هذه المرحلة أيضاً. ومن الشواهد القليلة التي نجدها في دواوينهم ما جاء في شعر أبي الطيب المتنبي، يقول :

كَرَّمْ تَبَيَّنَ فِي كَلَامِكَ مَثِلاً وَبَيَّنْ عِتْقُ الْخَيْلِ فِي أَصْوَاتِهَا

أَعْيَا زَوَالُكَ عَنْ مَحَلِّ نِلْتَهُ هَلْ تَخْرُجُ الْأَقْمَارُ عَنْ هَالَاتِهَا¹

كما يبدو أسلوب التعقيب ظاهراً في شعر أبي فراس الحمداني، من ذلك قوله :

سَيَذْكُرُنِي قَوْمِي إِذَا جَدَّ جِدُّهُمْ وَفِي اللَّيْلَةِ الظُّلُمَاءِ يُفْتَقَدُ الْبَدْرُ

وَلَوْ سَدَّ غَيْرِي مَا سَدَدْتُ أَكْتَفَوْا بِهِوَ مَا كَانَ يَغْلُو التَّبَرُّ لَوْ نَفَقَ الصُّفْرُ

تَهُونُ عَلَيْنَا فِي الْمَعَالِي نُفُوسُنَا وَمَنْ خَطَبَ الْحَسَنَاءَ لَمْ يُغْلِبْهَا الْمَهْرُ²

أو في شعر أبي العلاء المعري :

مَا جَتِ نُمَيْرٌ فَهَاجَتْ مِنْكَ ذَا لُبِدٍ وَاللَيْثُ أَفْنَكُ أَفْعَالاً مِنَ النَّمِرِ³

¹ - ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1983، ص 187.

² - ديوان أبي فراس الحمداني، شرح : خليل الدويهي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 2، 1994، ص 165.

³ - سقط الزند : أبو العلاء المعري، دار بيروت للطباعة والنشر، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1957،

أَفَنى قُواها قَليلُ السَّيرِ تُدْمِئُهُ والعَمَرُ يُفْنِيهِ طُولُ العَرَفِ بالغَمَرِ

والكِبَرُ والْحَمْدُ ضِدَّانِ اتَّفَقَهُمَا مِثْلُ اتَّفَاقِ فَتَاءِ السَّنِّ والكِبَرِ
يُجْنى تَنَاقُصُ هذا من تَزَايُدِ ذَا والليلُ إن طال غَالَ اليَوْمَ بالقِصْرِ

خَفَّ الورى وأَقَرَّتْكُمْ حُلومكم والجَمَرُ تُعَدُّ فِيهِ خِفَّةُ الشَّرِّ¹

وإجمالاً يكمن القول أن توظيف الشعر أو النثر لهذا الأسلوب القرآني ظلّ محصوراً ضمن هذه الشواهد المعدودة التي تتكرّر في أغلب كتب البلاغة، ولا نكاد نعثر على شيء غير ذلك.

4 - التعقيبات القرآنية في كتب التفسير والدراسات القرآنية:

منذ بداية نزول الوحي كانت التعقيبات القرآنية مظهراً بارزاً من مظاهر إعجازه البياني، وقد أدرك الصحابة رضوان الله عليهم - وهم أرباب فصاحة وبيان - ما فيها من دقيق المعاني وعظيم الأسرار، ولعل من أقدم الآثار التي تؤثّق لبداية الاهتمام بهذه الظاهرة ما رُوي عن زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أَملى عليه الآية الكريمة: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سَلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ ﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ﴾، فقال معاذ ﷺ: ﴿ فَنَبَّارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ (المؤمنون، 12 - 14)، فضحك رسول الله ﷺ. فقال له معاذ: ممّ ضحكت يا رسول الله؟ قال: " بها خُتِمت، فَنَبَّارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ " ².

¹ - سقط الزند، ص 62.

² - هذا الخبر ضعيف جداً لثلاثة أسباب: أولها يتعلق بجابر بن يزيد الجعفي وقد جاء ذكره في سند الخبر وإسناده ضعيف جداً، والثاني أن الآية مكية وزيد بن ثابت كتب الوحي بالمدينة، والثالث أن إسلام معاذ بن جبل كان في المدينة، ينظر:

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : وافقت ربي ووافقتني في أربع : نزلت هذه الآية ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ ﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ﴾ (المؤمنون، 12 - 14) قلت أنا : " فتبارك الله أحسن الخالقين "، فنزلت : ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ ¹.

وحكي أن أعرابيا سمع قارئاً يقرأ ﴿ فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾ (البقرة، 209) فاعلموا أن الله غفور رحيم، ولم يكن يقرأ القرآن، فقال : إن كان هذا كلام الله فلا يقول كذا. ومرّ بهما رجل فقال: كيف تقرأ هذه الآية ؟ فقال الرجل : ﴿ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ فقال هكذا ينبغي، الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل لأنه إغراء عليه ².

وشبيهه بهذا الخبر ما روي عن الأصمعي، قال : قرأت هذه الآية وإلى جنبي أعرابي، فقلت : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ ﴾ (المائدة، 38) والله غفور رحيم سهواً، فقال الأعرابي : كلام من هذا ؟ قلت : كلام الله، قال : أعد، فأعدت : " والله غفور رحيم "، فقال : ليس هذا كلام الله. فتنبهت فقلت : ﴿ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾، فقال : أصبت، هذا كلام الله، فقلت : أتقرأ القرآن ؟ قال : لا، قلت : فمن أين علمت أنني أخطأت ؟ فقال : يا هذا، عزّ، فحكم، فقطع، ولو غفر ورحم لما قطع ³.

- تفسير القرآن العظيم : ابن كثير أبو الفداء إسماعيل القرشي، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط 2، 1999 م، ج 5، ص 469.

¹ - تفسير القرآن العظيم، ج 5، ص 468.

² - الإتيان في علوم القرآن، ج 3، ص 347.

³ - الجدول في إعراب القرآن الكريم : محمود بن عبد الرحيم صافي، دار الرشيد، دمشق، مؤسسة الإيمان، بيروت، ط 4، 1418 هـ، ج 7، ص 73.

ولعل هذه الأخبار - رغم قلتها - تكشف عن اهتمام مبكر بإحكام ودقة التعقيبات القرآنية رغم أن ذلك لم يخرج عن نطاق الملاحظات الانطباعية العامة القائمة على الحدس اللغوي. ولم يجد هذا الاهتمام حظه من العناية والتنظيم إلاّ بظهور علم المناسبة¹، حيث بدأ العلماء يتلمسون دقة ترتيب الألفاظ والجمل، وإحكام اختيارها، والكشف عن العلاقات القائمة بينها كحال البناء المحكم الأجزاء الذي تتحد أجزاؤه وتتسق حتى تصبح كالجزم الواحد.

¹ - علم المناسبة هو علم دقيق من علوم الإعجاز يهدف إلى الكشف عن وجوه الارتباط والتناسق بين آيات القرآن الكريم وسوره. وترجع بعض المصادر نشأة هذا العلم إلى مطلع القرن الثالث الهجري، وتنسب الفضل في ذلك لأبي بكر عبد الله بن محمد بن زياد النيسابوري (238 - 324 هـ)، وهو أمر غير صحيح، تسبّب فيه بعض التصرف من طرف السيوطي - غفر الله له - في إتقانه عند نقل كلام صاحب البرهان.

فقد جاء في البرهان قول الزركشي: " وقال الشيخ أبو الحسن الشهرستاني: أول من أظهر ببغداد علم المناسبة ولم نكن سمعناه من غيره هو الشيخ الإمام أبو بكر النيسابوري، وكان غزير العلم في الشريعة والأدب، وكان يقول على الكرسي إذا قرئ عليه الآية لم جعلت هذه الآية إلى جنب هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة؟ وكان يزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة".

- البرهان في علوم القرآن، ج 1، ص 36.

وقد أعاد السيوطي النص نفسه في الإتيان، وفي معترك الأقران أيضاً، مع تصرف خطير أسقط فيه لفظ " ببغداد"، وجعل للنيسابوري سبقاً مطلقاً إلى هذا العلم، يقول: " وأول من سبق إلى هذا العلم الشيخ أبو بكر النيسابوري، وكان كثير العلم في الشريعة والأدب، وكان يقول على الكرسي إذا قرئت عليه الآية: لم جعلت هذه الآية إلى جنب هذه، وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة، وكان يزري على علماء بغداد، لعدم علمهم بالمناسبة".

- معترك الأقران في إعجاز القرآن: جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1408 هـ، ج 1، ص 43، 44.

- الإتيان في علوم القرآن، ج 3، ص 369، 370.

أما التصرف الثاني فهو إسقاط اسم أبي الحسن الشهرستاني من سند النص، مما جرّ محققي كتب السيوطي للاعتقاد تسرعاً بأن النيسابوري المذكور هو محمد بن زياد (238 - 324 هـ)، أو هو الإمام المقرئ محمد بن عبدوس (ت 324 هـ)، وأحدث خطأ كبيراً في التأريخ لعلم المناسبة تبعاً لذلك.

وحقيقة الأمر أن اسم أبي بكر النيسابوري وسّم لكثير من الشخصيات المعروفة في التاريخ الإسلامي أحصى منها بعض الباحثين خمسة عشر اسماً معروفاً. غير أن القرينة الهامة في النص هي أن النيسابوري المذكور كان معاصراً لأبي الحسن الشهرستاني وقد سمع عنه، مما يؤكّد أنه من علماء القرن السابع الهجري، ويثبت أن علم المناسبات القرآنية قد تأخر ظهوره حتى هذه الفترة دون شك. ويبقى السؤال المتعلق بتحديد هوية أبي بكر النيسابوري صاحب الفضل في هذا العلم ببغداد معلّقاً بسبب نقص المصادر التي توثق لذلك وبقاء كثير منها بعيداً عن أضواء الطبع والتحقيق. للاستزادة ينظر:

- أضواء على ظهور علم المناسبة القرآنية: عبد الحكيم الأنيس، مجلة الأحمدية، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، العدد 11، جويلية، 2002 م، ص 15.

وقد ظل هذا الضرب الخاص من العلم مجرد ملاحظات متفرقة لا نكاد نعثر لها على أثر في كتب المفسرين بسبب دقته، ولما يستجره من التكلف فيما خفي من بعض وجوه المناسبة بين الآي والسور. ولعل من نفيس ما ألق في هذه المرحلة تفسير فخر الدين الرازي¹ المعروف بالتفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، فقد أورد فيه صاحبه الكثير من هذه الدقائق التي تكشف عن بديع الترتيب الرباني في كتاب الله تعالى وعجيب نظمه، وتؤكد أن أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط² التي تمثل وجهاً من وجوه الإعجاز، يقول : " ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة³، وفي بدائع ترتيبها، علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، فهو أيضاً معجز بحسب ترتيبه ونظم آياته. ولعل الذين قالوا : إنه معجز بحسب أسلوبه أرادوا ذلك، إلا أنني رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف غير متنبهين لهذه الأمور، وليس الأمر في هذا الباب كما قيل :

وَالنَّجْمُ تَسْتَصْغِرُ الْأَبْصَارُ رُؤْيَاهُ وَالذَّنْبُ لِلطَّرْفِ لَا لِلنَّجْمِ فِي الصَّغَرِ⁴

كما عني الرازي ببيان المناسبة بين مطالع السور وختامها⁵، وبين صدر بعض الآيات وتعقيباتها، يقول في تعقيب الآية الكريمة : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ

¹ - فخر الدين الرازي أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري (544 - 606 هـ) : الإمام المفسر، أوجد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل. قرشي النسب، أصله من طبرستان، ومولده في الري وإليها نسبته، يقال له ابن خطيب الري. أقبل الناس على كتبه في حياته يتدارسونها. يجيد الفارسية، له تصانيف كثيرة في التفسير والكلام والعقائد والأصول واللغة والفلسفة، منها : التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، لوامع البينات في شرح أسماء الله تعالى والصفات، معالم أصول الدين، المسائل الخمسون في أصول الكلام، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز... للاستزادة ينظر : الأعلام : خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي، دار العلم للملايين، ط 15، 2002 م، ج 6، ص 313.

² - مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير : فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 3، 1420 هـ، ج 10، ص 110.

³ - يعني سورة البقرة.

⁴ - ينظر : مفاتيح الغيب، ج 7، ص 106، 107.

⁵ - ينظر : نفسه، ص 106.

تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً ﴿ 58 ﴾ (النساء، 58)، يقول: "... إن الله كان سميعاً بصيراً، أي إذا حكمت بالعدل فهو سميع لكل المسموعات يسمع ذلك الحكم، وإن أدت الأمانة فهو بصير لكل المبصرات يبصر ذلك، ولا شك أن هذا أعظم أسباب الوعد للمطيع، وأعظم أسباب الوعيد للعاصي... فلما كان هذا الموضع مخصوصاً بمزيد العناية لا جرم، قال في خاتمة هذه الآية: إن الله كان سميعاً بصيراً، فما أحسن هذه المقاطع الموافقة لهذه المطالع " ¹.

ورغم جهود الرازي في هذا الإطار، إلا أن الأمر ظل مجرد دُرٍ من الملاحظات المنثورة في بعض التفاسير، ولم يتجاوز الأمر ذلك، حتى القرن السابع الهجري إذ ألف ابن الزبير الغرناطي (ت 708 هـ) ² كتابين من أجل الكتب في هذا الباب، أولهما هو البرهان في ترتيب سور القرآن ³، يقول: "لم أر في هذا الضرب الخاص شيئاً لمن تقدّم وغبر، وإنما بدر لبعضهم توجيه ارتباط آيات في مواضع متفرقات، وذلك في الباب أوضح ومجال الكلام فيه أفسح وأسرح " ⁴. والثاني هو ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، الذي عني فيه ببيان أدقّ الترتيبات والروابط بين آي القرآن الكريم، وتتبع فيه مواضع عجيبة ليكشف عن أسرار في النظم والمناسبة لم يسبقه إليها أحد، يقول: "إن مما حرّك إلى هذا الغرض وألحقه عند من تحلى ولوعاً باعتباره، والتدبر لعجائبه الباهرة وأسراره، بمثل حالي على استحكام جذبي وإمحالي بالواجب المفترض أنه باب لم يقرعه ممن تقدم وسلف، ومن هذا

¹ - مفاتيح الغيب، ج 10، ص 111، 112.

² - أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي (627 هـ - 708 هـ)، محدث مؤرخ، من أبناء العرب الداخلين إلى الأندلس. انتهت إليه الرياسة بها في العربية ورواية الحديث والتفسير والأصول. ينظر:

- الأعلام، ج 1، ص 86.

³ - اختلف في عنوان هذا الكتاب فقد حققه أيضاً سعيد بن جمعة الفلاح بعنوان: البرهان في تناسب سور القرآن، ينظر: البرهان في تناسب سور القرآن: أبو جعفر أحمد بن الزبير الثقفي الغرناطي، تح: سعيد بن جمعة الفلاح، دار ابن الجوزي، ط 1، 1428هـ.

⁴ - البرهان في ترتيب سور القرآن: أبو جعفر أحمد بن الزبير الثقفي الغرناطي، محمد شعباني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1990م، ج 1، ص 181.

حنوهم ممن أتى بعدهن وخلف أحد فيما علمته على توالي الأعصار والمُدد، وترادف أيام الأبد، مع عظيم موقعه وجليل منزعه، ومكانته في الدين وفته أعضاء ذوي الشك والارتياب من الطاعنين والملحدين " ¹.

و "ملاك التأويل " كتاب من جزأين، مرتب بحسب سور القرآن الكريم في المصحف الشريف. وفي كل سورة يطرح ابن الزبير مجموعة من الأسئلة حول آيات معينة من المتشابهات في القرآن الكريم بحثاً عن أدق أسرار المناسبة. وفي سياق ذلك تظهر عنايته بالتعقيبات القرآنية، من خلال منهج يقوم على طرح سؤال على نحو : " للسائل أن يسأل عن وجه الاختلاف فيما أعقبت به كل آية من هاتين الآيتين فقل في الأولى: ﴿ إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ وفي الثانية: ﴿ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ وهل كان يمكن عكس الواقع ؟

ثم يجيب عن سؤاله من خلال المقابلة بين التعقيبين ومحيطهما النصي، بالاعتماد على مواهب فذة في الحفظ والفهم والملاحظة والقدرة على المقابلة. ثم يذكر في ختام ذلك بدقة الإحكام وعجيب المناسبة رداً على كل ملحد مكابر، يقول : " فتبين وجه مناسبة هذا إتمام ما به ختم، كما ناسب الختام قبله ما أعقب به، فوضّح أن كل ختام منهما لا يلائم غير موضعه، وأنه لو ختمت هذه الأخيرة بما به ختمت الأولى، والأولى بما به ختمت هذه، لم يكن ليناسب هذه المناسبة الحاصلة " ².

وعلى خطى ابن الزبير الغرناطي ألف أبو حيان الأندلسي ³ كتابه " البحر المحيط في التفسير " ⁴، ويقوم منهجه على ترتيب معين، يبتدئ فيه أولاً بالكلام على المفردات التي ترد في الآيات التي يفسرها.

¹ - ملاك التأويل، ج1، ص 8.

² - نفسه، ج 2، ص 438.

³ - أبو حيان أثير الدين محمد بن يوسف الغرناطي الأندلسي (654 هـ - 745 هـ)، من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات. ولد في إحدى جهات غرناطة، ورحل إلى مالقة. وتقل إلى أن أقام بالقاهرة. وتوفي فيها، بعد أن كف بصره. واشتهرت تصانيفه في حياته وقرئت عليه. للاستزادة ينظر :

- الزركلي : الأعلام، ج 7، ص 152.

⁴ - شرع في وضع هذا التفسير سنة 710 هـ، كما جاء في خطبة كتابه، للاستزادة ينظر :

- البحر المحيط في التفسير : أبو حيان الأندلسي، تح : صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420 هـ، ج1، ص 10.

ثم يشرع في تفسير الآية، فيذكر سبب نزولها، ونسخها ومناسبتها، وارتباطها بما قبلها، ثم يتعرض لقراءتها المستعملة والشاذة، ذاكراً توجيه ذلك في علم العربية، ناقلاً أقاويل السلف والخلف في فهم معانيها، مبدياً ما فيها من غوامض الإعراب، ودقائق الآداب، من بديع وبيان، ناقلاً أقاويل الفقهاء الأربعة، وغيرهم في الأحكام الشرعية، مما فيه تعلق باللفظ القرآني¹.

ومع أن السمة البارزة في هذا التفسير هي اعتماده على النحو حتى أصبح المرجع الأول والأهم عند أهل العلم للوقوف على إعراب ألفاظ القرآن الكريم، إلا أن أبا حيان الأندلسي عني بإبراز المناسبة في مواضع كثيرة من تفسيره، بين الآيات القرآنية وما قبلها، وبين مفتاح السور ومختتمها²، كما تعرض لكثير من التعقيبات ببيان قوة الترابط، وشرح وجوه المناسبة بينها وبين سائر محيطها النصي، ونبه إلى وجوب العناية بذلك قائلاً: " فينبغي أن يُلاحظ ذلك حيث جاء فإنه من محاسن علم البيان " ³.

كما اهتم بالكشف عن عظيم الدقة في ألفاظ التعقيبات القرآنية، فالتعقيب بالقدرة يرد في كتاب الله تعالى في سياق إثبات التصرف التام في الملك والخلق والاختراع⁴ أو المغفرة والتعذيب⁵، كتعقيب قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْذَوْا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوْهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرْ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (البقرة، 284).

وأما التعقيب بالتقوى فيكون بعد تكليف شاق ترويضاً للنفوس وتركيزاً لها⁶، كالصوم والقصاص باعتبار أنهما من أشق التكاليف، " لأن منع الإنسان من أمرٍ مشتتهٍ بالطبع اشتهاً عظيماً بحيث هو ألد ما

¹ - البحر المحيط في التفسير ، ج 1 ، ص 12.

² - نفسه، ج 2، ص 255.

³ - نفسه، ص 204.

⁴ - نفسه، ج 4، ص 256.

⁵ - نفسه، ج 2، ص 755.

⁶ - البحر المحيط في التفسير، ج 2، ص 204.

للإنسان من الملاذ الجسمانية شاق عليه ذلك، ولا يحجزه عن معاطاته إلا التقوى، فلذلك ختمت هذه الآية بها، أي : هم على رجاء من حصول التقوى لهم بالبيان الذي بين الله لهم ¹ . وكذا يجيء أسلوب القرآن فيما هو شاق وفيما فيه ترخيص أو ترقية ² .

وأما التعقيب بالشكر، فيكون بعد النعم من تيسير ورخص ³ ، كتعقيب قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَذَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (البقرة، 185) . كما يكون بعد نعمة العفو بعد الزلة الكبيرة ⁴ ، كتعقيب قوله تعالى ﴿ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (البقرة، 52) في قصة عجل بني إسرائيل، أو بعد نعمة الإحياء بعد الموت ⁵ كما في تعقيب الآية : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (البقرة، 56) بعد صاعقة بني إسرائيل.

كما اهتم أبو حيان الأندلسي ببيان العلاقات الدقيقة بين الألفاظ ودلالاتها ومواقعها في التعقيبات القرآنية، يقول في المناسبة بين السمع والعلم في تعقيب قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (البقرة، 137) ، يقول : " وهو السميع العليم، مناسبة هاتين الصفتين أن كلاً من الإيمان وضده مشتمل على أقوال وأفعال، وعلى عقائد تنشأ عنها تلك الأقوال والأفعال، فناسب أن يختتم ذلك بهما، أي وهو السميع لأقوالكم، العليم بنباتكم

¹ - البحر المحيط في التفسير، ج 2، ص 223.

² - نفسه، ص 204.

³ - نفسه، ص 204.

⁴ - نفسه، ج 1، ص 326.

⁵ - نفسه، ص 344.

واعتقادكم. ولما كانت الأقوال هي الظاهرة لنا الدالة على ما في الباطن، قُدِّمت صفة السَّميع على العليم، ولأن العليم فاصلة أيضاً " ¹.

كما ألَّف برهان الدين الزركشي (745 هـ) ² كتابه " البرهان في علوم القرآن "، وهو كتاب قيِّم، فيه عصارة أقوال المتقدمين في كلِّ ما يتعلق بالقرآن الكريم. وهو يضمُّ سبعة وأربعين نوعاً من أنواع علومه الشريفة، ويدور كلُّ نوع حول موضوع خاصٍّ من علومه ومباحثه، وذلك بالتأريخ له، واستقصاء ما ألَّف فيه. جمع فيه صاحبه أقوال العلماء من محدِّثين وفقهاء وأصوليين، كما تعرَّض لآراء المتكلمين وأصحاب الجدل ومسائل العربية وأرباب الفصاحة والبيان. فجاء الكتاب " فريداً في فنّه، شريفاً في أغراضه، مع سداد المنهج، وعذوبة المورد، وغزارة المادة، بعيداً عن التعمية واللبس، ناوئاً عن الحشو والفضول " ³.

ويبدو أن موضوع المناسبة بين آي القرآن الكريم كان مُرتكراً هاماً في تأليف البرهان، إذ إن الزركشي خصَّص النوع الثاني من العلوم الشريفة – بعد معرفة أسباب النزول – للمناسبات بين الآيات، وعقيدته في ذلك أن كتاب الله المحكم قلادة ذات اتِّساق، لتتناسب ألفاظه وتتأسق أغراضه وحسن ارتباط أواخره وأوائله وبديع إشاراته وعجيب تنقّلاته حتى كان له سلطان وإمرة على كلِّ كلام سواه ⁴.

وقد بيّن الزركشي أن مقاطع الكلام وأواخره من المواضع التي يتأكّد فيها إيقاع المناسبة، يقول : " اعلم أن من المواضع التي يتأكّد فيها إيقاع المناسبة مقاطع الكلام وأواخره وإيقاع الشيء فيها بما يشاكله، فلا

¹ - البحر المحيط في التفسير، ج 1، ص 654.

² - بدر الدين أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي (745 هـ - 794 هـ)، عالم بفقّه الشافعية والأصول، تركي الأصل، مصري المولد والوفاء. له تصانيف كثيرة في عدة فنون، منها البرهان في علوم القرآن، البحر المحيط في أصول الفقه، ربيع الغزلان، وغير ذلك، للاستزادة ينظر :

- الأعلام، ج 6، ص 60، 61.

³ - البرهان في علوم القرآن، ج 1، ص 13.

⁴ - ينظر : البرهان في علوم القرآن، ج 1، ص 4.

بد أن تكون مناسبة للمعنى المذكور أولاً، وإلاّ خرج بعض الكلام عن بعض " ¹ ، فالفاصلة تأتي في القرآن الكريم في غاية الائتلاف مع ما يدلّ عليه الكلام.

وفي سياق ذلك تعرّض للكثير من التعقيبات القرآنية منبهاً إلى بديع أشكالها المختلفة ² ، رغم أنه لم يوظّف مصطلح التعقيب. فمن ذلك ما تختلف فيه الفاصلتان والمحدّث عنه واحد لنكتة لطيفة، كما في قوله تعالى في سورة إبراهيم : ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ (إبراهيم، 34)، ثم قال في سورة النحل : ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (النحل، 18).

كما نبّه إلى نوع ثانٍ من التعقيبات يقابل النوع الأول، حيث تتفق الفاصلتان رغم أن المحدّث عنه مختلف، كما في سورة النور، يقول تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ... ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (النور، 58) ، ثم قال في الآية التالية : ﴿ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (النور، 59).

كما نبّه أيضاً إلى شكل آخر من التعقيب تتفرّد فيه الفاصلة، فلا يكون لها نظير في القرآن كلّها، كما في قوله تعالى عقب الأمر بالغضّ في سورة النور : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ (النور، الآية 30).

¹ - البرهان في علوم القرآن، ج1، ص 78.

² - نفسه، ص 78 وما بعدها.

ويبدو أن السيوطي (ت 911 هـ)¹ في الإتيان لم يخرج عن فلك ما جاء في البرهان إذ يبدي الاهتمام نفسه بالمناسبة في مقاطع الكلام وأواخره، متعرضاً لجملة من التعقيبات، منبهاً إلى بديع أشكالها بالطريقة نفسها عند الزركشي حتى أنه يكرر الأمثلة في كثير من الأحيان².

كما ألف الألوسي (ت 1270 هـ)³ كتابه " روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني "، وهو موسوعة تضم خلاصة ما قبلها من تفاسير، وقد جمع فيه أسباب النزول ومسائل النسخ، والقراءات والفقهاء والعقيدة، كما ضمّنه مسائل البلاغة والنحو وعلم المناسبة.

ويتعرّض الألوسي في بداية كلّ سورة لتسميتها، ثم مكّيها ومدنيها، فناسخها ومنسوخها إجمالاً، ثم يشرح وجوه مناسبتها لما قبلها. بعدها يشرع في تفسير السورة آية آية، مُبدِئاً عنايةً ملحوظة بالتعقيبات القرآنية⁴، إذ أورد في تفسيره شرحاً وتحليلاً لغالب ما ورد منها في القرآن الكريم، مدقّقاً في تركيبها النحوي، ومحلّها من الإعراب، متعرّضاً لبعض ألفاظها، وما يستفاد من صيغتها الصرفية، كما يشرح وجوه مناسبة التعقيبات للسياقات التي ترد فيها.

¹ - جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي (849 هـ - 911 هـ) إمام حافظ مؤرخ أديب. له نحو 600 مصنف. نشأ في القاهرة يتيماً، ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس، وخلا بنفسه في روضة المقياس، على النيل، منزوياً عن أصحابه جميعاً، كأنه لا يعرف أحداً منهم، فألف أكثر كتبه. وكان الأغنياء والأمراء يزورونه ويعرضون عليه الأموال والهدايا فيردها. طلبه السلطان مراراً فلم يحضر إليه، وأرسل إليه هدايا فردها. وبقي على ذلك إلى أن توفي. للاستزادة ينظر :

- الأعلام، ج 3، ص 303.

² - ينظر : الإتيان في علوم القرآن، ج 3، ص 350-354.

³ - محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، شهاب الدين، أبو الثناء (1217 هـ - 1270 هـ) : مفسر، محدث، أديب، من المجددين، من أهل بغداد، مولده ووفاته فيها. كان مجتهداً، منقطعاً للعلم. سافر إلى الأستانة حيث أكرمه السلطان عبد المجيد، ثم عاد إلى بغداد يدون رحلاته ويكمل ما كان قد بدأ به من مصنفاته التي منها : روح المعاني في التفسير، دقائق التفسير، حاشية على شرح القطر، غرائب الاغتراب، وغير ذلك، للاستزادة ينظر :

- الأعلام، ج 7، ص 176.

⁴ - يستعمل الألوسي مصطلح التنزيل للدلالة على ما اصطلاحنا عليه في بحثنا هذا بالتعقيبات القرآنية.

كما عني الألوسي ببيان الأغراض المختلفة للتعقيبات القرآنية، كالتنبيه والتوكيد في قوله ﷻ : ﴿ وَلَنْ يَمَمْتُوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ (البقرة، 95). والتذكير في قوله : ﴿ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (البقرة، 105). والنصح والإرشاد : ﴿ وَلَا تَتَكْبَهُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (البقرة، 121). والترغيب والترهيب في قوله تعالى : ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (البقرة، 228). والتوبيخ : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ (النساء، 134).

وبالطريقة نفسها وضع الطاهر بن عاشور (1393 هـ) ¹ كتابه في التفسير المسمّى بـ " تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد "، وهو تفسير بالرأي، قال عنه صاحبه أنه ساوى على اختصاره مطولات القماطير، ففيه أحسن ما في التفاسير، وفيه أحسن مما في التفاسير ². ويقوم منهجه على تناول مقطع من السورة، ثم يشرع في تفسيره متعرّضاً لمسائل المناسبة واللغة والقراءات والفقه والعقيدة وغير ذلك.

وقد أولى الطاهر بن عاشور عناية واضحة بأغلب التعقيبات القرآنية، وهو في تحليلها لا يغيّر نهجه العام في تفسيره لسائر الآيات، مع الحرص على بيان الأغراض المختلفة كما فعل الألوسي. وهو يستخدم

¹ - محمد الطاهر بن عاشور (1296 - 1393 هـ) عالم تونسي، رئيس المفتين المالكيين، وشيخ جامع الزيتونة. ولد وتوفي بتونس. هو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة. له مصنفات مطبوعة من أشهرها : مقاصد الشريعة الإسلامية، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، التحرير والتنوير في تفسير القرآن، الوقف وآثاره في الإسلام، أصول الإنشاء والخطابة، موجز البلاغة، وغير ذلك. ينظر :

- الأعلام : الزركلي، ج 6، ص 174.

² - التحرير والتنوير، ج 1، ص 8.

مصطلح التذييل للدلالة على التعقيبات القرآنية. غير أن ما يميّز الطاهر بن عاشور هو استخدامه الموازي لمصطلح التعقيب أيضا. وقد كشف لنا استقصاء المفهومين عن فرق واضح بينهما، فالتعقيب عنده لا يتقيد بموضع العقب في الآية الكريمة، بل يتجاوز ذلك إلى مواضع مختلفة، وهو ما يجعل دلالاته أوسع بكثير. من هذه المواضع :

- موضع عقب الآية، وهو المعنى الذي نذهب إليه في بحثنا هذا، وبذلك يكون مرادفاً للتذييل، كالتعقيب في قوله ﷻ : ﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ في الآية الكريمة : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (الحجرات، 4 - 5).

- تعقيب وصف بوصف، كتعدد صفات الله ﷻ في الآية الكريمة : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (الحشر، 23).

- تعقيب سؤال أو كلام بجواب، كالجواب في الآية : ﴿ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴾ (يونس، 20).

- تعقيب غرض بغرض، كتعقيب الوعد بالوعيد، والإنذار بالبشارة، وغير ذلك، وهي عادة القرآن، كما في قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ مَاوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ (النساء، 121 - 124).

كما ألف سيد قطب¹ تفسيره " في ظلال القرآن "، وهو نقلة جديدة بعيدة في التفسير، إذ تفرّد باعتباره تفسيراً خاصاً تلقى صاحبه من معين القرآن مباشرة فاستخرج الكثير من كنوزه المذخورة فيه². ويظهر النص القرآني في تفسير الظلال كلاً متكاملاً في غاية التناسق والتناسب، تجمع أجزائه وحدة موضوعية تتعدد مظاهرها ضمن مستويات متدرجة على النحو التالي³:

- التناسب بين السورة والسورة.
- التناسب بين دروس السورة الواحدة التي تلتقي على تحقيق هدف السورة وغرضها، وتتناغم في إبراز ملامح شخصية تلك السورة.
- التناسب بين مقاطع الدرس الواحد.
- التناسب بين آيات المقطع الواحد.
- التناسب بين كلمات الآية الواحدة وجملها.

¹ - هو سيد قطب إبراهيم حسين شاذلي، ولد يوم 1906/10/09م بأسبوط في صعيد مصر، صاحب الفكرة المتفرّدة عن التصوير الفني في القرآن الكريم، تدرّج من الكتابة الأدبية والنقدية، إلى التأليف والعمل الإسلامي، ساهم بقوة وجراًة في محاربة الفساد السياسي والاجتماعي، وقد سبب ذلك إخراجاً وضيقاً للفاسدين من المسؤولين في حكم جمال عبد الناصر، فسعوا بكل الطرق لإبعاده وإقصائه، غير أنهم فشلوا في تحقيق ذلك. تعرض للسجن، ثم اتهم بتدبير مؤامرة ضد نظام الحكم، ونفّذ فيه حكم الإعدام في ظروف استثنائية تجنباً لضغط الشارع يوم 1966/08/28م. وقد ترك أثراً كثيرة منها : في ظلال القرآن، التصوير الفني في القرآن الكريم، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، معركة الإسلام والرأسمالية وغير ذلك...

للاستزادة ينظر :

- مدخل إلى ظلال القرآن دراسة وتقويم : صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار عمار، عمان، ط2، 2000، ج1، ص 19 وما بعدها.

² - نفسه، ص 237.

³ - نفسه، ج 2، ص 156.

كما ظهر الاهتمام بتتبع ودراسة أوجه التناسب في النظم القرآني أيضاً في كتابه " التصوير الفني في القرآن الكريم " فكان بذلك من أكثر الدارسين المحدثين اجتهاداً وتوسعاً في هذا المجال¹، وقد أوضح فيه أن التناسق في كتاب الله تعالى ألوان ودرجات، منها ما تنبه إليه بعض الباحثين في بلاغة القرآن، ومنها ما لم يمسه أحدٌ منهم حتى الآن، فمن ذلك² :

- التنسيق في تأليف العبارات بتخيّر الألفاظ، ثم نظمها في نسق خاص يبلغ في الفصاحة أرقى درجاتها.
 - الإيقاع الموسيقي الناشئ عن تخير الألفاظ ونظمها في نسق خاص.
 - النكت البلاغية التي تنبه لها الكثير من العلماء، وإحكام دلالة الألفاظ والتراكيب بما يتناسب غاية المناسبة مع السياق.
 - والتسلسل المعنوي بين الأغراض في سياق الآيات الكريمة.
 - التناسق النفسي بين الخطوات المتدرجة في بعض النصوص، والخطوات النفسية التي تصاحبها.
- وقد تعرض في النوع الثالث أثناء حديثه عن النكت البلاغية إلى موضوع التناسب بين التعقيبات القرآنية والسياقات التي ترد فيها، كاشفاً عن تلازم عجيب بين بعض التعقيبات وسياقات معينة لاحظها العلماء، يقول : "ومنها تلك النكت البلاغية التي تنبه لها الكثيرون، من التعقيبات المتفقة مع السياق، كأن تجيء الفاصلة ﴿ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ بعد كلام يثبت القدرة، والفاصلة ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ بعد كلام في وادي العلم المستور"³.

¹ - التناسب البياني في القرآن، ص 46.

² - التصوير الفني، ص 87، 88.

³ - نفسه ، ص 88.

وقد شكّلت هذه الظاهرة وجهاً مميّزاً من وجوه الإعجاز في تفسير سيد قطب، فالتدبر في تعقيبات القرآن الكريم وسائر آياته يكشف للناظر أنه لا مجال للصدفة في كتاب الله تعالى، وإنما هي آيات أُحكمت ثم فصلت من لدن حكيم خبير، باعتبارها جزءاً من كلّ، لا باعتبارها عناصر متفرقة، في إطار منهج إلهي متكامل يفسر سرّ الدقة والمناسبة والاتساق. وليس غريباً في ضوء هذه الرؤية الشاملة التي يراها صاحب الظلال أن يرتبط التعقيب بالتقوى - مثلاً - في القرآن بكل تلك السياقات المختلفة كالتقاضي والمال والقصاص والوصية والصيام باعتبارها قطاعات متناسقة مشدودة إلى عروة تربط قطاعات النهج كله¹، يقول² : " وهكذا نرى هنا أحكاماً تتعلق بالتصور والاعتقاد، وأحكاماً تتعلق بالشعائر التعبدية، وأحكاماً تتعلق بالقتال، كلّها تتجمع في نطاق واحد، وكلّها يُعقَّب عليها تعقيبات تذكر بالله وتقواه. ففي موضوع إتيان البيوت من ظهورها يجيء تعقيب يصحح معنى البرّ، وأنه ليس في الحركة الظاهرة، إنما هو في التقوى : ﴿ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى وَاتَّقَى الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (البقرة، 189) ... وفي القتال في الشهر الحرام يعقب بتقوى الله : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (البقرة، 194) ... وفي التعقيب على بعض شعائر الحج يقول: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (البقرة، 196) ، وفي التعقيب الآخر على بيان مواقيت الحج والنهي عن الرفث فيه والفسوق والجدال يقول : ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُوا يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (البقرة، 197) ، وحتى في توجيه الناس لذكر الله بعد الحج يجيء التعقيب: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (البقرة، 203) .

وفي ضوء هذه الرؤية الشاملة التي تتكامل فيها أجزاء الكلّ ضمن شبكة من العلاقات تتفاعل التعقيبات القرآنية مع تفاصيل القصص القرآني في تفسير سيد قطب، في تناسق بديع مع المشاهد والفجوات من

¹ - في ظلال القرآن : سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط 17، 1412 هـ، ج1، ص 177.

² - نفسه، ص 178.

الناحيتين الفنية الجمالية، والدينية الوجدانية كما في قصة سليمان عليه السلام ومملكة سبأ¹. كما يتجاوز دورها الوظائف التقليدية المعروفة في التفسير السابقة، وتصبح لبننة هامة في بناء الصورة الفنية القرآنية، إذ تجيء في أول القصة وفي آخرها، وبين ثناياها، متناسقة مع الموضوع، وطريقة الأداء، والعبارات، محققة بذلك كمال الغرض الديني والسّمات الفنية كما في قصة يوسف عليه السلام².

كما أن إيراد التعقيبات القرآنية في مواقع معينة من القصة يحقق التوافق بين مطلعها وختامها³. إلى جانب ذلك فهي تحمل الكثير من التوجيه الوجداني المقصود بعرضها في السّورة، كما تحقق العبرة التي من أجلها يُساق القصص في القرآن الكريم.

ومتزامناً مع تفسير سيّد قطب وضع عبد الكريم الخطيب⁴ تفسيره المعروف بالتفسير القرآني للقرآن، وهو يجري مجرى الظلال حيث ينهل صاحبه من معين كلام الله تعالى مباشرة، إذ يجتهد الخطيب للإمساك بحالة الذهول والروعة التي يعيشها في صحبة القرآن وحبسها على الورق، يقول: "إننا لا نفسر القرآن بالمعنى المعروف للتفسير، في هذه الصّحبة التي نصحب فيها كتاب الله، وإنما نحن نرتل آيات الله ترتيلاً، آية آية، أو آيات آيات، ثم نقف لحظات نلتقط فيها أنفاسنا المبهورة، لما تطالعنا به الآية أو الآيات، من عجب ودهشة وروعة، ثم نمسك القلم، لنمسك به على الورق بعض ما وقع في مشاعرنا من

1 - في ظلال القرآن، ج5، ص 2637.

2 - نفسه، ج 4، ص 2037.

3 - نفسه، ص 2037.

4 - عبد الكريم يونس الخطيب (1910 - 1985 م)، باحث، ومفكر إسلامي. ولد بقرية الصوامعة غرب بصعيد مصر. تخرج بمدرسة المعلمين، حيث اشتغل بالتدريس قبل أن يُعيّن كاتباً برلماناً لوزير الأوقاف، ثم مديراً لمكتبه للشؤون العامة. سُجن وفُصل من وظيفته ظلماً مع مجموعة من كبار الموظفين بسبب رفضهم الإدلاء بشهادة زور ضد الوزير، وقد أتاح له ذلك التفرغ للقراءة والكتابة.

له ما يزيد عن خمسين كتاباً، منها: التفسير القرآني للقرآن، سدّ باب الاجتهاد وما ترتب عليه، القصص القرآني، التعريف بالإسلام في مواجهة العصر الحديث وتحدياته، قضية الألوهية بين الفلسفة والدين، القضاء والقدر بين الفلسفة والدين، إعجاز القرآن، وغير ذلك... للاستزادة ينظر:

- إتمام الأعلام: نزار أباطة ومحمد رياض المالح، دار صادر، بيروت، ط 1، 1999، ص 164.

- تنمة الأعلام: محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، ط 2، 2002م، ص 317.

صور العجب والدهشة والروعة. وإنها لصور باهتة بالنسبة للواقع الذي حملته تلك المشاعر. فما أبعد الفرق بين الشعور المشتعل علينا ونحن بين يدي كلمات الله، وبين الكلمة التي تنقل هذا الشعور!! ولكنها - على أي حال - معلّم من معالم الطريق إلى كتاب الله، يمكن أن يجد فيه السالك نورا، ويزداد به المهتدي هدى... " ¹.

وقد اجتهد صاحب التفسير القرآني للقرآن في هذه الصحبة الكريمة بتتبع التعقيبات في كتاب الله تعالى، وشرح وجه المناسبة بينها وبين سائر محيطها النصي، كما التفت إلى دقائق النظم الإلهي ولطائف الأسلوب الربّاني المعجز فيها مجتهداً في تفسير ذلك، يقول معلقاً على التعقيب بقوله تعالى ² : ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ (الإسراء، 57) : "... ولم يأت في النظم القرآني تعقيب على قوله تعالى : ﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ ﴾ كما جاء التعقيب على قوله سبحانه : ﴿ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾، لأن أكثر ما يؤتى الناس من استخفافهم بعذاب الله، أو غفلتهم عنه، أما الرجاء في مغفرته ورحمته، فالناس جميعاً واقفون على باب الرجاء، حتى أن أكثرهم عصياناً لله، ومحدّة له يتخذون من الطمع في رحمة الله مدخلا يدخلون به على المعاصي في جرأة فاجرة، حتى ليقول صاحب الجنّتين الذي كفر بربه : ﴿ وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا ﴾ (الكهف، 36).

كما اهتم الخطيب بالقصة القرآنية وبالتعقيبات الواردة بعدها كالتعقيب على قصة ميلاد المسيح في سورة مريم ³، أو تلك التي تتخلّل بعض المشاهد كالتعقيب على مشهد أوبة السحرة في قصة موسى عليه السلام وفرعون ⁴ في سورة طه، أو تلك التي تلي بعض المواقف والأحداث ¹، مجتهداً في ربط ذلك بواقع الناس، وبالغاية التي لأجلها ورد القصّ في كتاب الله تعالى.

¹ - التفسير القرآني للقرآن، ج 1، ص 11.

² - نفسه، ج 8، ص 506.

³ - ينظر : نفسه، ص 732، 733.

⁴ - التفسير القرآني للقرآن، ج 8، ص 809.

غير أن استقصاء مفهوم التعقيب في التفسير القرآني للقرآن يكشف أنه لا يرتبط بالضرورة بموضع عقب الآية الكريمة كما في سائر التعقيبات، بل قد يتوسطها أحياناً، كقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ ﴾ تعقيباً على الآية: ﴿ وَمَنْ يَخْلُ فَإِنَّمَا يَخْلُ عَنِ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾ (محمد، 38) ².

كما لا يصبح التعقيب جزءاً من الآية في بعض الحالات، بل قد يطول، فيضم آيات عديدة، ويكون ذلك غالباً تعقيباً على القصة القرآنية أو بعض مشاهدتها، كما في آخر سورة القصص ³. أو قد تصبح السورة القرآنية كلها تعقيباً على سورة سابقة كما في سورة "ق" التي تبدو في تفسير الخطيب تعقيباً على سورة "الفتح"، واستعادة للماضي وأحداثه، بين يدي هذا الحاضر المسعد، والمستقبل المشرق ⁴.

كما وضع محمد متولي الشعراوي ⁵ تفسيره المعروف بخواطر الشعراوي، وهو تفسير يجمع أصالة التفاسير القديمة بواقع الحياة المعاصرة ومعارفها وعلومها. وقد تمكن بفضل ما حباه الله به حافظه قوية

¹ - التفسير القرآني للقرآن، ج 8 ، ص 819.

² - ينظر : نفسه، ج13، ص 390.

³ - للاستزادة ينظر : تفسير الآيات 84 إلى 88 من سورة القصص :

- نفسه، ج10، ص 392.

⁴ - نفسه، ج13، ص 463.

⁵ - محمد متولي الشعراوي (1911 - 1998 م)، إمام مجدد، ولد في قرية دقادوس، بمحافظة الدقهلية بمصر في 1911/04/15، حفظ القرآن الكريم في سن العاشرة. حاصل على شهادة العالمية من كلية اللغة العربية بالقاهرة عام 1941. انتدب في الجزائر والسعودية، ثم عين مديراً لمكتب شيخ الأزهر، فمديراً للأوقاف، ثم وكيلاً للدعوة والفكر. عين وزيراً للأوقاف في عهد أنور السادات. توفي الإمام الشعراوي عام 1998 /06 /17، وقد ترك الكثير من الأعمال التي جمعت بإذنه في حياته متنازلاً عن كل حقوقه المادية، أشهرها تفسيره المعروف بخواطر الشعراوي، للاستزادة ينظر :

- الشيخ الشعراوي وقضايا إسلامية حائرة : محمود فوزي، دار النهضة هاتيه، ط 2، ص 7 وما بعدها.

وعلم غزير وذكاء متوقد وقدرة على التحليل¹ من عرض النص القرآني على وجوهه المختلفة بطريقة متميزة، وأسلوب فريد، يأخذ القلوب والعقول² مستخلصاً الكثير من كنوزه المكنونة.

وقد أولى الشعراوي غاية عنايته بموضوع التناسب في القرآن الكريم، سوره وآياته، كما عني بدقائق التعبير الرباني في التعقيبات القرآنية³، كاشفاً عن وجه مذهل من الدقة والقوة والحجية والإعجاز، إذ إن كل كلمة في كتاب الله تعالى ترتبط بمعناها بمقتضى إحكام معجز، يقول في تعقيب قوله تعالى : ﴿ إِنَّ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (المائدة، 118) : " وبعض السطحين الذين ينلمسون الأخطاء في القرآن قالوا : ألم يكن الأجدر أن يقول عيسى : إن تغفر لهم فإنك أنت الغفور الرحيم ؟ ونرد على هؤلاء السطحين فنقول : إن كل كلمة في القرآن جاذبة لمعناها، وكل معنى في القرآن

عاشق لكلمته " ⁴. ثم يكشف عن دقة الأسلوب الإلهي المعجز في هذا الموضع – كما في غيره من المواضع – بذكاء وفطنة، فالغفور الرحيم لا تناسب التعذيب، وإن كانت تناسب المغفرة. ولذلك كان تعقيب الآية الكريمة بما يخدم طلاقة المشيئة في التعذيب أو الغفران، بمقتضى عزته تعالى وحكمته⁵.

كما نجد في عرض كثير من التعقيبات منهجاً يعيدنا إلى طريقة ابن الزبير الغرناطي في " ملاك التأويل "، بمقابلاته ومقارناته بين أساليب التعقيبات المختلفة رداً على بعض السطحين والملاحدة ممن ينلمسون الأخطاء في القرآن الكريم، ويستدركون على الله تعالى في جحود ومكابرة، يقول⁶ : " إن بعضاً ممن يستدركون على القرآن يقولون : كيف يقول القرآن مرة : ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ

¹ - مذكرات إمام الدعاة : محمد زايد، دار الشروق، ط 3، 1998، ص 16.

² - نفسه، ص 11.

³ - يستخدم الشعراوي مصطلح التنزيل للدلالة على التعقيبات القرآنية.

⁴ - تفسير الشعراوي، ج6، ص 3480.

⁵ - نفسه، ص 3480.

⁶ - تفسير الشعراوي، ج12، ص 7561.

الإنسان لَظْلُومٌ كَفَّارٌ ﴿ (إبراهيم، 34) . ثم يقول في آية أخرى: ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (النحل، 18)، ثم يجيبهم بالردود المسكتة المفحمة، بفطنة عجيبة ووعي كبير بدور السياق في توجيه دلالة التعقيب القرآني، يقول : "... ونردُّ على هؤلاء : أنتم لم تنظروا إلى السياق الذي جاء في كل آية، وعَمِيتْ بصيرتكم عن معرفة أن سياق الآية التي نحن بصدد خواطرنا عنها (سورة إبراهيم) قد جاء فيها ذِكرُ النِّعمِ وذكر الجحود والكفران بالنعمة، وهذا ناشئ عن ظُلم الإنسان لنفسه بالظُّلم العظيم. وفي آية أخرى (سورة النحل) جاء بِذكرِ النعمة، ورغم ظُلمنا إلا أن رحمته سبحانه وَسِعَتْنا، ولم يمنع عَنَّا ما أسبغهُ علينا من نِعمٍ، وكأنه سبحانه يُوضِّح لنا : إياكم أن تستَحُوا أن تسألوني شيئاً، وإن كنتم قد ظلمتم وكفرتم في أشياء، فظُلمكم يقابله غفران مِنِّي، وكافريتكم يقابلها مِنِّي رحمة، وهكذا لا يوجد تعارضٌ بين الآيتين " ¹.

كما تعرّض غير هؤلاء من المفسرين على امتداد الأعصر لكثير من التعقيبات القرآنية في تفسيرهم للنص القرآني، وقد تفاوت هذا الاهتمام كماً وكيفاً، كما في إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود (ت 982 هـ)، وفي محاسن التأويل لمحمد جمال الدين القاسمي (ت 1332 هـ)، وفي تفسير المنار لمحمد رشيد رضا (ت 1354 هـ)، ومن المعاصرين سيد طنطاوي في التفسير الوسيط. غير أن هذا الاهتمام ظل محصوراً في حدود ضيقة، ولم يتجاوز بعض الإشارات السطحية إلى بعض مقاصد التعقيبات القرآنية.

ولم تُخصَّصْ لموضوع التعقيبات القرآنية دراسات مستقلة حتى عهد قريب فيما اطلّعنا عليه، وقد كانت الريادة في ذلك لكتاب " التَّنَاسُبُ البَيَانِي فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ : دراسة في النّظم المعنوي والصّوتي " لأحمد أبي زيد، ويرجع في أصله إلى أطروحة جامعية نُوقِشت بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط لنيل درجة الدّكتوراه في اللغة العربية وآدابها، وقد طُبِعَ عام 1992م. وقد ذكر صاحب الكتاب في المقدّمة أن دراسته

¹ - تفسير الشعراوي، ج12، ص 7561.

في الواقع هي محاولة متواضعة لمتابعة ما أشار إليه العلماء من ارتباط آيات القرآن واتساق معانيه وانتظام مبانيه، بطريقة تجتهد في الجمع بين النظرية والتطبيق¹. وهي مؤلفة من قسمين متكاملين، خُصص أولهما لموضوع التناسب المعنوي في نظم القرآن الكريم، أما الثاني فقد تعرّض فيه الباحث لبعض أهم مظاهر التناسب اللفظي والإيقاعي في كتاب الله تعالى.

ومن المهمّ أن نشير إلى أن هذه الدراسة الرائدة لم تخصص كلّها لموضوع التّعقيبات القرآنية، ولكن صاحبها خصّص فصلاً كاملاً وهو الفصل الثالث من الباب الأول لدراسة التناسب المعنوي في التّعقيبات القرآنية، وهو مؤلف من ثلاثين صفحة. وتكمن الأهمية الحقيقية لهذه الصفحات - رغم قلتها - في أنها مثّلت تأكيداً على الحاجة الملحة لدراسة هذه الظاهرة القرآنية بشكلٍ مستقلّ، ونبّهت على ضرورة تدارك هذا الفراغ الغريب في هذا الجانب المهمّ من الدراسات القرآنية. إلى جانب ذلك فقد كان لهذه الدراسة فضل السبق في كثير من الجوانب، وبكفي للدلالة على ذلك أن مصطلح التّعقيب ذاته يدين لهذه الدراسة بالكثير من الفضل نتيجة هذا التوظيف القديم الجديد، كما كان لهذه الدراسة فضل السبق في تحديد المفهوم من خلال وضع أول تعريف للتّعقيبات القرآنية في تاريخ الدراسات القرآنية، وهو التعريف الذي استحسنته كلّ الدراسات اللاحقة كما أشرنا إلى ذلك من قبل.

وقد نبّه أحمد أبو زيد إلى وجود نوعين² مختلفين من التّعقيبات القرآنية، أما أولهما فهو ذلك الضرب من التّعقيبات التي تقع في أعقاب سائر الآيات الكريمة، وهي كثيرة، ويمكن تقسيمها إلى قسمين :

- قسمٌ يتكرّر فيه تعقيبٌ واحدٌ بعد كلّ آيةٍ أو مجموعةٍ من الآيات، ويؤدّي معنىً واحداً، كما في سورتي الرحمن والمرسلات.

¹ - للاستزادة ينظر : التناسب البياني في القرآن الكريم، ص 6.

² - للاستزادة ينظر : نفسه، ص 98.

- وأما القسم الثاني فتتنوع فيه التّعقيبات من آية إلى أخرى، ويؤدّي معاني منوعة، وهو موجود في معظم سور القرآن.

أما النوع الثاني من التّعقيبات القرآنية فهو التّعقيب على القصص، ويمكن تقسيمه أيضاً إلى قسمين :

- أما أولهما فيتكرّر فيه التّعقيب الواحد بعد مجموعة من قصص الأنبياء التي ترد في سورة واحدة كما في سور: الشعراء، والصافات، والقمر.

- وأما القسم الثاني فيتتنوع فيه التّعقيب، وتتتنوع مواقعه ومعانيه التي يؤدّيها، فقد يرد التّعقيب في مستهلّ القصة، أو في تضاعيفها، أو في ختامها¹.

كما كان لهذه الدراسة فضل السبق أيضاً في إجراء دراسة تطبيقية للتّعقيبات الواردة في واحدة من السور الطوال وهي سورة البقرة، وانتهت إلى جملة من النتائج الهامة الواردة في آخر الفصل².

وقد كان من ثمرات هذه الدراسة كتاب ثانٍ هو أول بحثٍ مستقلّ يُخصّص بشكلٍ كاملٍ لدراسة التّعقيبات القرآنية، وقد ألفه محمد كريم الكواز، وهو بعنوان : " أسلوب التّعقيب في القرآن الكريم "، وقد صدر في طبعته الأولى عام 1425 هـ. وتتطّلق هذه الدراسة من فكرة أن السورة القرآنية تتألف من مجموعة من قضايا أو موضوعات، صغيرة أو كبيرة، منسجمة في سياقها تركيباً ودلالةً، مردفة بتعقيب خاص بها، هو بمثابة نتيجة القضية، وهو صادر من الله تعالى³. كما تجتهد هذه الدراسة في تقسيم السور القرآنية بحسب طبيعة أسلوب التّعقيب الذي يميّز السورة الكريمة إلى ثلاثة أقسام :

- سور ذات تعقيب متكرّر، كالشعراء، والمرسلات، والزّحمن.

- سور ذات تعقيب غالب، كالصافات، والزّوم، والحجّ.

¹ - للاستزادة ينظر : التّناسب البياني في القرآن الكريم، ص 122- 124

² - للاستزادة ينظر : نفسه، ص 125.

³ - أسلوب التّعقيب في القرآن الكريم، ص 6.

- سور ذات تعقيب متنوع، وتتمل في سائر السور مما لم يلتزم فيها الأسلوب القرآني بتعقيب مكرّر ولا غالب.

وقد خُصّص القسم الأكبر من البحث لدراسة التعقيب في كتاب الله تعالى تركيباً ودراسةً، من خلال وصف البنى الأسلوبية التي يوظفها الخطاب القرآني في موضع التعقيب واستنطاقها للكشف عن الدلالة.

كما كان من ثمرات الدعوة التي أطلقها أحمد أبو زيد من خلال حديثه عن التناسب المعنوي في التعقيبات القرآنية كتاب آخر خُصّص لدراسة أسلوب التعقيب في كتاب الله تعالى، وقد ألفه أسامة عبد العزيز جاب الله، وهو بعنوان: "أسلوب التعقيب القرآني مقارنة جمالية"، وهو كتاب من الحجم الصغير باعتبار عدد صفحاته. وتنطلق هذه الدراسة من منطلقات ثلاثة في التأسيس المفهومي للتعقيب:

- التعقيب باعتباره ختماً للآية الكريمة "بها خُتِمت"، وهو الوصف الذي أطلقه النبي ﷺ.

- الدلالة المعجمية والصرفية لمصطلح التعقيب.

- الفاصلة القرآنية باعتبارها جزءاً من التعقيب.

كما تتبنى هذه الدراسة تقسيماً للتعقيبات القرآنية أشبه بذلك التقسيم الذي وضعه أحمد أبو زيد مع اختزال بسيط في تعقيبات القصص، وقد نتج عن ذلك تقسيمها إلى نوعين، يضم أولهما التعقيب على الآيات القرآنية، ويكون تكرارياً في بعض السور الكريمة، وغير تكراري في سائر السور. أما النوع الثاني فهو التعقيب على القصص، ويرتبط ببعض السور الكريمة ذات المحتوى القصصي كما في سورة الشعراء.

خلاصة :

إن التأسيس المفهومي لمصطلح التعقيب القرآني لا يخلو من إشكالات مرجعها جدّة الطرح رغم أن الظاهرة قد اقترنت بالقرآن الكريم منذ نزوله. وقد اجتهدنا من خلال مباحث هذا الفصل في التأسيس لمفهوم التعقيب بدءاً من دلالاته في اللغة، ثم في الاصطلاح، ثم عرضنا لعلاقته بمفهوم الفاصلة.

بعد ذلك انتقلنا في رحلة لاستقصاء هذا الأسلوب، بحثاً عن وجود قبليّ مفترضٍ له في كلام العرب، وقد رأينا أنه قليل الاستعمال سوى عند قلة من الشعراء في أبيات معدودات، وأن التوظيف الحقيقي له كان في كتاب الله تعالى.

كما نتبعنا بعد ذلك رحلة الاهتمام والتنظير لهذا الأسلوب في كتب التفسير والدراسات القرآنية، وقد وجدنا أنه برغم الاهتمام المبكر بإحكام ودقّة التعقيبات القرآنية إلا أن ذلك لم يخرج عن نطاق الملاحظات الانطباعية العامة، ولم يجد حظه من العناية والتنظيم إلا بظهور علم المناسبة، في سياق اهتمام بعض علماء الأمة الزّواد بالعلاقة بين متن بعض الآيات الكريمة وما يليها من خواتيم لتفسير بعض الظواهر المتعلّقة بالمتشابهات كما فعل ابن الزبير الغرناطي وغيره. ثم استمرّت رحلتنا عبر كتب التفسير والدراسات القرآنية على امتداد الأعصر وصولاً إلى جهود المحدثين من أمثال سيد قطب وعبد الكريم الخطيب، والإمام الشعراوي وغيرهم.

البَابُ الْأَوَّلُ

الفصل الثاني

أَشْكَالُ التَّعْقِيبَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ

- التعقيب النموذجي أو الشكل الأساسي.
- التعقيب المكرر:
- التعقيب المكرر خارج السورة الواحدة.
- التعقيب المكرر داخل السورة الواحدة.
- التعقيب الآية.
- التعقيب المركب أو التعقيب على القصص.

أشكال التعقيبات القرآنية

لم تظهر قيمة التعقيب كسمة أسلوبية أساسية في الخطاب إلا بفضل ما أولاه الله تعالى به من حضور متميز في كتابه الكريم، وبذلك انتقل من مظهر كمالٍ يميّز بعض ما أثر من كلام العرب إلى ركيزة أساسية في بناء النصّ شكلاً ومضموناً. فمن جانب المعنى أصبح للتعقيبات حضور قوي في تحقيق الدلالة وتوصيلها بالكيفية التي تليق بنصّ غايته التبليغ والإقناع، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (المائدة، 67). أما من جانب الشكل، فقد كان للتعقيبات دور هام في توقيع الآية بما يحقق لها الانسجام والتناغم مع سائر محيطها باعتبارها أساساً تقوم عليه كثير من الفواصل.

وهكذا كان للتعقيبات ذلك الحضور المتميز في النصّ القرآني، فأصبحت مظهراً أسلوبياً بارزاً يشمل ثلث آية، دون أن يعتري ذلك ضعف ولا اضطراب، ذلك أنها تجري وفق تصريح رباني دقيق محكم ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَتْرِكُ مَنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (فصلت، 42). كما تجاوز توزيعها كلّ حقول الدلالة القرآنية في انسجام بديع، فلم تكن صلتها ببعض القرآن أوثق من غيره، بل كان حضورها قوياً في مكّيّه ومدنيّه، دون تمييز بين ما يخص العقيدة، أو ما يخص آيات التشريع والأحكام، أو ما يخص القصص، كما لم تميّز بين ما كان خطاباً للنبي ﷺ وغيره من المؤمنين أو الكفار وأهل الكتاب. كما لم يتصل حضورها بغرض من الأغراض دون غيره فكانت الحاجة إليها أكدة في كلّ معرض.

إلى جانب هذا الحضور القوي للتعقيبات القرآنية في كتاب الله تعالى شكّل التنوع في أشكالها ظاهرة قرآنية تعكس حرصاً بالغاً على إقناع المتلقي باعتباره هدف الرسالة كلّها، غير أن محاولة

التظير في هذا المنحى أمرٌ لا يخلو من إشكالات، باعتبار التعقيب القرآني أمراً مركباً يمكن النظر إليه من زوايا متعدّدة، إذ يمكن القيام بتصنيف للتعقيبات وفق منظور نحوي بالنظر إلى طبيعة الجملة وعلاقاتها التركيبية. غير أن هذا النوع من الدراسة لن يكون مجدياً في فهم القوانين الكلية التي تحكم التنوع في أشكال التعقيبات، وإنما سيكون مجرد تصنيف لا يختلف عن أي دراسة تركيبية، ولذلك أرجأنا هذا الأمر إلى أوانه في فصل لاحق من دراستنا الأسلوبية.

كما يمكن النظر إلى التعقيب من جهة غرضه البلاغي، فينتج عن ذلك تعقيبات أمر ونهي، أو مدح وذم، أو تنبيه وتوبيخ... غير أن تصنيفاً كهذا سيظل غير قادر على كشف أسرار التنوع أيضاً، وإن كان ذا فائدة جمة في باب الأغراض البلاغية¹. كما يمكن النظر إلى التعقيبات من زاوية المتلقي أو الجهة المقصودة بالخطاب، فينتج عن ذلك تعقيبات للخطاب النبوي، وأخرى لخطاب المؤمنين، أو الكفار، أو أهل الكتاب، أو غير ذلك.

كما يمكن النظر إليها من زاوية السياق، فبعضها جاء تعقيباً على آيات تتعلق بالعقيدة والعلم بالله تعالى، وبعضها جاء عقب آيات التشريع وأحكام الأسرة والمواريث أو الجهاد... غير أن استقصاء الظاهرة أثبت أن كل ذلك لا يتصل بشكل محدّد من التعقيبات، ولا يمكن وضع تصنيف وفق هذا الأساس لأنه لا ينسحب على النص القرآني كلّ، بل على آيات معينة دون غيرها، وهو ما جعل هذا الاتجاه محصوراً في مجرد لطائف وإشارات مبثوثة في كتب البلاغة والإعجاز والتفسير دون أن يتجاوز ذلك².

¹ - سنتعرض في الفصل اللاحق إلى موضوع الأغراض البلاغية للتعقيب القرآني.

² - ينظر مثلاً ملاحظات الشهيد سيّد قطب - رحمه الله - بشأن تفسير التعقيب على الآية 242 من سورة البقرة، بقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

- في ظلال القرآن، ج 1، ص 259.

غير أن التأمل العميق في الظاهرة واستقصاء أحوالها وأشكالها كشف لنا عن معيارين يمكن اعتمادهما في وضع تصنيف يستغرق عالتعقيبات كلها، يتعلق أولهما بتكرار التعقيب في النصّ القرآني، وأما الثاني فيتعلق بالبساطة والتركيب في بنية التعقيب.

وهكذا فبالنظر إلى التعقيبات القرآنية من جهة التكرار، فإن الأصل فيها أن لا تتكرر في القرآن كله تكراراً تاماً¹، وهو ما يثبت الإحصاء إذ إن من جملة ما يقارب ألفاً وتسعمائة تعقيب قرآني فإن أزيد من ستين في المائة (60 %) لم ترد إلا مرة واحدة من دون أن يلحقها شكل من أشكال التغيير. غير أن ما يمثل النسبة الباقية من التعقيبات قد تكرر ورودها في النص القرآني، وهي تمثل عدداً غير قليل من التعقيبات التي اقترنت بسياقات ومواضع مختلفة ضمن مظهرين أساسيين:

- تعقيبات مكررة في مواضع من القرآن الكريم كله، دون أن يرتبط ذلك بسور معينة.
- تعقيبات مكررة في سور محددة من القرآن الكريم.

أما بالنظر إلى المعيار الثاني، فإن الأصل فيها أن ترد في شكل مقطع أو جزء يذيل الآية الكريمة، كما سبق وأن عرفنا. غير أن كثيراً من التعقيبات القرآنية تخالف هذا الأصل في حالات معينة، ليتحول التعقيب إلى آية كاملة منقطعة عما قبلها بالتوقيف. كما قد يتعدى الأمر ذلك ليصبح التعقيب صيغة مركبة تضم آيات عديدة. ومنه يمكننا الحديث عن شكلين مختلفين من التعقيبات التي تخالف الشكل النموذجي المعهود:

ينظر أيضاً ملاحظاتاً بشأن التعقيب على بعض أحكام الشهادة والدين في ختام سورة البقرة، بقوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ ﴾.

- في ظلال القرآن، ج 1، ص 338.

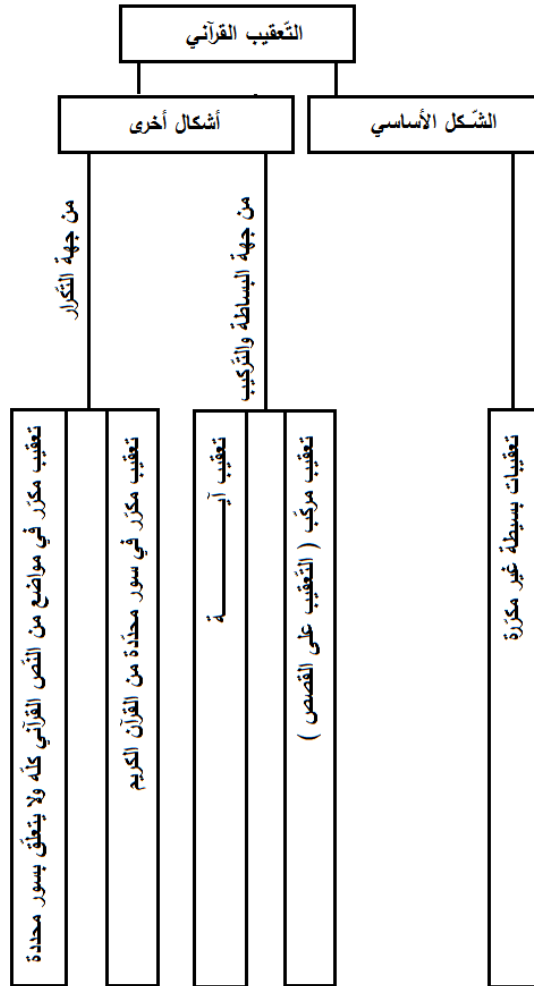
¹ - نعني بذلك التعقيبات المكررة حرفياً وفق الصيغة نفسها، دون تبديل أو إضافة، في كلمة أو حتى حرف.

- التعقيب الآية.

- التعقيب المركب أو تعقيبات القصص.

وهكذا يمكننا الحديث عن مجموعة من الأشكال الأساسية التي تتخذها تعقيبات القرآن

الكريم، وهي ممثلة في الرسم التوضيحي التالي:



مخطط توضيحي لأشكال التَّعْقِيبَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ

عموماً سنجهد بعون الله تعالى من خلال المباحث التالية ضمن هذا الفصل في تتبُّع كلِّ شكلٍ

من الأشكال السابقة قصد الكشف عن أهمِّ خصائصه والوصول إلى بعض ما أودع الله تعالى فيه

من أسرار.

1 - التعقيب النموذجي أو الشكل الأساسي:

هو أكثر أنواع التعقيب انتشاراً في النص القرآني، إذ يمثل - كما سبق الذكر - نسبة تزيد عن ستين في المائة من مجمل التعقيبات القرآنية. ويتميز هذا النوع ببساطة تركيبه وعدم تكراره في النص القرآني كله تكراراً تاماً.

فمن جهة البساطة يرد هذا النوع في شكل مقطع قصير أو متوسط الطول يذيل الآية الكريمة، باعتباره خاتمة يقتضيها السياق ويتطلبها الجو النفسي، لتحقيق الكمال النصي والدلالي والجمالي¹. أما من جانب التكرار، فإن شأنه في أسلوب التعقيب عموماً يجري مجراه في سائر الأساليب، فلا يقع تكرار في موضع إلا وفيه ما يتبدى بالتأمل أنه غاية البلاغة والإعجاز. وهو في ذلك على مراتب متفاوتة تتدرج على النحو التالي:

- تعقيبات لا نظير لها في القرآن الكريم كله، كما في التعقيب على بعض أحكام الطلاق بقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة، 230)، أو في التعقيب رداً على سلوك بعض الكائدين ممن يسعون لإطفاء نور الله بأفواههم، فقال: ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (الصف، 8).

- تعقيبات مكررة جزئياً، وهي تقوم على عاملي الاختلاف و التتويج، وترتقي في ذلك عبر مراتب تبدأ من التكرار البسيط للمضمون، لتصل إلى ما يوشك أن يكون تكراراً حرفياً، غير أنه ينتهي عند هذا الحد، وذلك بتغيير بسيط في صياغة جملة التعقيب، أو إبدال أو إضافة كلمة أو حرف فيها، وهي بذلك تضم طيفاً عريضاً من مراتب التكرار.

¹ - أسلوب التعقيب القرآني مقارنة جمالية، ص 14.

- تعقيبات يتكرر ورودها في القرآن الكريم تكراراً تاماً لدواعٍ يتطلبها السياق.

ويشكل النوعان الأول والثاني مظهر التعقيب الأساسي في النصّ القرآني باعتباره أهم أشكاله وأكثرها انتشاراً، وهو ظاهرة قرآنية تقع مقابل النوع الأخير، وتتجاوز عدداً. ويمكن من خلال هذا النوع تبين بوضوح أن التكرار في النصّ القرآني لا يراد لذاته، فهو أعظم من أن يكون نقيصة أغفلها المترصّون بالدعوة في زمن التحدي. وقد خاض كثير من العلماء في تفسير بعض اللطائف المتعلقة بهذا الباب، كما فعل الكرمانى¹ في كتابه " البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان "، وهو يعرف أيضاً بـ " أسرار التكرار في القرآن الكريم "، أو كما فعل ابن الزبير الغرناطي في كتابه: " ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من أي التنزيل "، وقد سبق الحديث عن ذلك في الفصل السابق.

ويمكننا أن نتأمل النظم العجيب في مجموعة التعقيبات التالية على سبيل التمثيل لإدراك المستويات التي قد يبلغها التنويع شكلاً ومضموناً في هذا النوع:

﴿ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (البقرة، 118).
﴿ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (الأنعام، 97).

¹ - يقول في مقدمة كتابه: " هذا كتاب أذكر فيه الآيات المتشابهات التي تكررت في القرآن وألفاظها متفقة ولكن وقع في بعضها زيادة أو نقصان أو تقديم أو تأخير أو إبدال حرف مكان حرف أو غير ذلك مما يوجب اختلافاً بين الآيتين أو الآيات التي تكررت من غير زيادة ولا نقصان، وأبين ما السبب في تكرارها والفائدة في إعادتها، وما الموجب للزيادة والنقصان والتقديم والتأخير والإبدال، وما الحكمة في تخصيص الآية بذلك دون الآية الأخرى، وهل كان يصلح ما في هذه السورة مكان ما في السورة التي تشاكلها أم لا، ليجري ذلك مجرى علامات تزيل إشكالها وتمتاز بها عن أشكالها من غير أن أشتغل بتفسيرها وتأويلها، فإني بحمد الله قد بينت ذلك كله بشرائطه في كتاب لباب التفسير وعجائب التأويل مشتملاً على أكثر ما نحن بصدد، ولكنني أفردت هذا الكتاب لبيان المتشابه، فإن الأئمة رحمهم الله تعالى قد شرعوا في تصنيفه واقتصرنا على ذكر الآية ونظيرتها ولم يشتغلوا بذكر وجوهاً وعللها والفرق بين الآية ومثلها. وهو المشكل الذي لا يقوم بأعبائه إلا من وفقه الله لأدائه ". ينظر مقدمة الكتاب:

- أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان: تاج القراء برهان الدين الكرمانى، تح: عبد القادر أحمد عطا، دار الفضيلة، ص 63، 64.

﴿ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ (الأنعام، 98).
﴿ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾ (الأنعام، 126).
﴿ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف، 32).
﴿ كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴾ (الأعراف، 58).
﴿ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (التوبة، 11).
﴿ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (يونس، 5).
﴿ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (يونس، 24).
﴿ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (الروم، 28).

ولعل المتأمل في الآيات السابقة يرى فيها من عجيب التصريف ما يحمله على القول بفكرة التنويع في النص القرآني عموماً وفي تعقيباته خصوصاً، ويُبعد ذهنه عن التكرار الذي يرى بعضهم أنه من العي، ففي كل تعقيب مما سبق ما يهبه خصوصيته وتميُّزه، إذ يؤدي معنى يختلف عما يؤديه غيره بحسب ما يستدعيه السياق. ولأجل ذلك ذهب بعض الدارسين إلى أن: " الذي في القرآن هو التنويع، وذلك بأن يضيف القرآن الجديد في كل مرة يعيد فيها ذكر القصة أو الآية أو الجملة أو الكلمة، إما معلومة جديدة، وإما كلمة جديدة، وإما لهدف جديد، وإما للتناسب مع سياق جديد..¹ فالظاهرة في كتاب الله تعالى – إذاً – ليست هي التكرار، " وإنما هي التنويع، فلا يوجد نصان متماثلان في القرآن كله، إنما يوجد تشابه فقط دون تماثل، تشابه كذلك الذي قد يوجد بين الإخوة والأقارب، لكنه ليس تكراراً بحال من الأحوال "².

¹ – القرآن ونقض مطاعن الرهبان: صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم، دمشق، ط 1، 2007 م، ص 569.

² – دراسات قرآنية: محمد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط 8، 2004، ص 255.

وفائدة هذا التنوع في التعقيبات المكررة جزئياً أنه جمال في ذاته وتفننٌ يُذهب الملل عن النفس الإنسانية التي تشتهي التنوع¹، كما أنه أدعى لإعمال العقل لما فيه من دعوة لمزيد من التدبر في عجيب النظم، فعلى متدبر كلام الله " أن يبحث في كل نص يبدو له أنه من النصوص المكررة في القرآن ليكتشف غرض التكرير إذا كان النص مكرراً حرفياً، وليكتشف فوارق المعاني إذا كان النص المكرر مختلفاً ولو بعض الشيء، ولو بكلمة أو حرف في كلمة، فكثير من النصوص التي يُتوهم فيها التكرار هي ليست في الحقيقة مكررة، ولكنها متكاملة يؤدي بعضها من المعاني المرادة ما لا يؤديه البعض الآخر " ².

وإذا كان النوع الأساسي من التعقيبات يتميز بالتنوع كما يذهب بعض العلماء وليس فيه من التكرار شيء، فإن أغلب علماء الأمة من المفسرين والمهتمين بالإعجاز يذهبون إلى وقوع التكرار في القرآن، وفي تعقيباته أيضاً بطريقة تجعل من الرخصة التي ينبغي فيها الحذر موطناً من أهم مواطن الإعجاز في كتاب الله ﷻ. ولأجل ذلك نجد أنه من الملزم لنا التعرض بمزيد من التفصيل لهذا الرأي بدءاً من مفهوم التكرار وصولاً إلى التعقيب المكرر في القرآن الكريم.

2 - التعقيب المكرر:

الكرّ لغة الرجوع على الشيء³، ومنه التكرار، تقول: كرّر الشيء تكريراً وتكراراً أيضاً، بفتح التاء وهو مصدر ويكسرهما وهو اسم⁴.

¹ - دراسات قرآنية ، ص 255.

² - قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل: عبد الرحمن الميداني، دار القلم، دمشق، ط 4، 2009، ص 307.

³ - لسان العرب، ج 5، ص 135.

⁴ - مختار الصحاح: زين الدين أبو عبد الله الرازي، تح: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت، ط 5، 1999، ص 268.

أما في الاصطلاح فهو التَّجْدِيدُ لِلْفَظِ الْأَوَّلِ وَيُفِيدُ ضَرْبًا مِنَ التَّأْكِيدِ¹. أو هو الإتيان بشيء مرة بعد أخرى²، أو ذكر الشيء مرة - فصاعدا - بعد أخرى³، وهو أعم من الإعادة⁴، وأبلغ من التوكيد⁵.

وال تكرار في كلام العرب سُنَّةٌ معروفة، في منظومهم ومنثورهم، فالعرب متى أرادت التنبيه على تقبيح شيء أو تعظيمه، كرّره⁶، وهو ليس من العي، بل هو من البيان ما لم يزد عن الحاجة، وليس فيه حدٌّ يُنتَهَى إليه، وإنما ذلك على قدر المستمعين، ومن يحضره من العوام والخواص⁷. وقد ردّ البخاري على من كره إعادة الحديث وأنكر على الطالب الاستعادة وعدّه من البلادة، فقال: "والحق أن هذا يختلف باختلاف القرائح فلا عيب على المستفيد الذي لا يحفظ من مرة إذا استعاد، ولا عذر للمفيد إذا لم يعد، بل الإعادة عليه أكد"⁸، وقال ابن التين: "إن الثلاث غاية ما

¹ - تاج العروس من جواهر القاموس: مرتضى محمد بن محمد الزبيدي تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية، ج 14، ص 27.

² - كتاب التعريفات: الشريف الجرجاني، تح: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1983م، ج 1، ص 65.

³ - كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: محمد بن علي ابن القاضي التهانوي، تح: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط 1، 1996م، ج 1، ص 502.

⁴ - يخالف هذا الرأي ما ذهب إليه محمد عزام في تعريفه للتكرار، يقول: "التكرار هو الإعادة، وأكثر ما يقع في الألفاظ، وقد يقع في المعاني". وهو مذهب صاحب الفروق اللغوية في الفرق بين الإعادة والتكرار، يقول: "التكرار يقع على إعادة الشيء مرة، وعلى إعادته مرات. والإعادة للمرة الواحدة، ألا ترى أن قول القائل أعاد فلان كذا لا يفيد إلا إعادته مرة واحدة، وإذا قال كرّر هذا كان كلامه مبهما لم يدر أعاده مرتين أو مرات وأيضاً فإنه يقال أعاده مرات ولا يقال كرّره مرات". للاستزادة ينظر:

- المصطلح النقدي في التراث الأدبي العربي: محمد عزام، دار الشرق العربي، لبنان / سوريا، ص 119.

- الفروق اللغوية: أبو هلال العسكري، تح: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ص 39.

⁵ - البرهان في علوم القرآن، ج 3، ص 11.

⁶ - البحر المحيط في التفسير، ج 1، ص 494.

⁷ - البيان والتبيين: أبو عثمان الجاحظ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1423 هـ، ج 1، ص 105.

⁸ - فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، 1379 هـ، ج 1، ص 189.

يقع به الاعتذار والبيان " ¹. كما يكون التكرار ضرورة في مقام الوعظ باعتبار النفوس " أنفر شيء عن حديث الوعظ والنصيحة، فما لم يكرّر عليها عوداً عن بدء لم يرسخ فيها ولم يعمل عمله " ². وقد حرص علماء الأمة على مبدأ التكرار كأساس في العملية التعليمية، وهي عقيدة ترسّخت من هدي سنّته ﷺ باعتباره المعلم الأول للأمة، فقد ثبت عنه أنه كان يُعيد الكلمة ثلاثاً لتُعقّل عنه ³، وقد يكرّر وعظه سبعا ليركزه في قلوبهم ويغرسه في صدورهم ⁴.

كما وردت عنه أحاديث كثيرة تؤكد حرصه على تعليم الأمة اعتماداً على التكرار متى تعلق الأمر بتقرير بعض المبادئ الهامة في الدين، أو التحذير من الكبائر، كالشرك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل نفس من ينطق بالشهادة، ولو كان بذلك متعوذاً من الموت، فقد عاتب ﷺ أسامة بن زيد رضي الله عنه بعد أن قتل مشركاً قال: " لا إله إلا الله "، وظلّ يكرر عتابه، في موقف كان أشقّ ما يكون على أسامة، حتى تمنى أنه لم يكن أسلم قبل ذلك اليوم ⁵.

كما كان يكرّر دعوته الشريفة ثلاثاً في كثير من المواقف، شداً لانتباه أصحابه، قصد تعليمهم ما ينفعهم من عظيم أمور الدين، فقد روي عن عبد الرحمن بن أبي بكرة، عن أبيه رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: " ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ " (ثلاثاً)، قالوا: بلى يا رسول الله. قال: " الإشراف بالله

¹ - فتح الباري ، ج 1 ، ص 189.

² - الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 3، 1407 هـ، ج 4، ص 123.

³ - سنن الترمذي، ج 5، ص 600، 601.

⁴ - الكشف، ج 4، ص 123.

⁵ - مما جاء في " باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد إلى الحرقات من جهينة " في صحيح البخاري ما رواه سيدنا أسامة رضي الله عنه، قال: " بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحرقة، فصبحنا القوم فهزمناهم، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم، فلما غشيناه، قال: " لا إله إلا الله "، فكفّ الأنصاري، فطعنته برمحي حتى قتلتته. فلما قدمنا بلغ النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: " يا أسامة، أقتلتته بعد ما قال لا إله إلا الله ؟ " قلت: " كان متعوذاً "، فما زال يكررها، حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم. ينظر:

- صحيح البخاري، ج 5، ص 144.

وعقوق الوالدين – وجلس وكان متكئاً – فقال: " ألا وقول الزور ". قال: " فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت " ¹. كما نبّه إلى خطورة عقوق الوالدين في أحاديث كثيرة، وكرر توبيخه للمقتصّر في حقّ أحدهما، أو كليهما، تعظيماً للجرم، وترهيباً من العقاب، فقال: " رغم أنف، ثم رغم أنف، ثم رغم أنف رجل أدرك والديه، أحدهما أو كلاهما، لم يدخل الجنة " ².

كما كان حريصاً على سلامة العقيدة وتخليصها من كل ما يشوبها من عوالق الجاهلية، فالتزم منهج التكرار تقريراً لمبدأ التوحيد، وتمكيناً له في النفوس، ونفياً لكل أشكال الوساطة بين العبد وربّه، وتحذيراً من سوء الظن بالله، فقال راداً على أعرابي قال في حضرته ﷺ: " إنا نستشفع بالله عليك، وبك على الله "، فقال النبي ﷺ: " سبحان الله، سبحان الله!! ". (يعني: تنزيهاً، وتعظيماً لله)، فما زال يكرّرها حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه ". ثم قال: " ويحك أتدري ما الله ؟ ! إن شأن الله أعظم من ذلك، إنه لا يستشفع بالله على أحد " ³.

وهو سلوك نبوي مستلهم من الوحي، تعليماً للصحابّة وترسيخاً لمبادئ الدين في عقيدتهم. وقد أثبت العلم سلامة هذا المنهج وفضائله، فالتكرار يؤدي دوراً هاماً في عملية التذكر، واستكمال مهمة الاستيعاب الشامل في كل عملية تعليمية، كما يفيد المرور المتكرر للمعلومات في إحياء المعلومات المحفوظة في الذاكرة ورسوخ آثارها على المدى الطويل ⁴. وهو ما قرره القرآن من قبل

¹ – صحيح البخاري، ج5، ص 172.

² – فتح المجيد شرح كتاب التوحيد: عبد الرحمن بن حسن سليمان التميمي، تح: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ط 7، 1957م، ج 1، ص 19.

³ – فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد: حامد بن محمد بن حسين بن محسن، تح: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار المؤيد، ط 1، 1996م، ص 166.

⁴ – أثبتت التجارب الخاصة بالاسترجاع الحر التي قام بها كل من راندوس Rundus وأتكينسون Atkinson في مطلع السبعينات أن هناك علاقة أساسية بين التذكر والتكرار بصوت جهري، ففي إحدى التجارب عرضت على المفحوصين قائمة كلمات بمعدل كلمة كل خمس ثوانٍ، حيث كان على المفحوص أن يتذكر هذه القائمة مكرراً بعض الكلمات جهرياً خلال الخمس ثوانٍ الفاصلة بين كل كلمة وأخرى. يذكر أن المفحوص لم يرغب على تكرار

فجاء الأمر الإلهي يلزم بتكرار التلاوة، ولم يقتصر الأمر على مجرد الفهم والإدراك¹ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ (فاطر، 29). كما تكررت في سورة آيات كثيرة تقريراً لمبادئ الدين في عقيدة المؤمن، وهي – رغم كثرتها – تسلم من كل أشكال القلق والاضطراب، ولم تقع في القرآن آية منها كانت مثاراً لنقد أو طعن في زمن التحدي وأرباب البلاغة من المشركين يتحيتنون الفرص للنيل من دعوة النبي ﷺ.

وإذا كان القرآن الكريم قد كرّس مبدأ التكرار من أجل تقرير مبادئ الدين في عقيدة المؤمن، فإنه قد خصّ أعقاب آياته بهذا النمط الأسلوبي باعتبار خصوصيتها الشكلية والدلالية. ولأجل ذلك كانت التعقيبات المكررة أهم أشكال التعقيب القرآني، وهي تنقسم إلى قسمين:

– قسم يتكرر في كل النص القرآني، ولا يرتبط بسورة معينة.

– قسم يتكرر في سورة واحدة كلازمة القصيدة.

أ – التعقيبات المكررة خارج السورة الواحدة:

وهي من أظهر أشكال التعقيبات القرآنية، وأكثرها عدداً بعد الشكل الأساسي. ويقترن فيها التعقيب بسياقات مختلفة لا ترتبط بسورة واحدة. وإنما تتوزع عبر كامل النص القرآني، لتظهر في موقعها المناسب، وبالصورة التي يقتضيها السياق.

كلمات محددة وإنما تركت له حرية اختيار الكلمات التي يود تكرارها. وقد تبين أن هناك علاقة بين إمكانية استرجاع هذه الكلمات المنتقاة وبين عدد مرات تكرارها بصوت جهري. للاستزادة ينظر:

– عبد الحكيم السلوم: الذاكرة والتعلم، مجلة النبأ (مجلة إلكترونية تصدر عن مؤسسة النبأ للثقافة والإعلام)، العدد 52، 2000.

¹ – الفوز الكبير في أصول التفسير: الإمام أحمد بن عبد الرحيم ولي الله الدهلوي، دار الصحوة، القاهرة، ط 2، 1986، ج 1، ص 159، 160.

وهي لا تخرج في غاياتها عما سبق الحديث عنه من أهداف دينية وأدبية للتكرار. من خلال تقرير المكرّر، وتوكيده وإظهار العناية به ليكون في السلوك أمثلاً وللاعتماد أبين¹. وأما الناحية الأدبية فإن دور التكرار فيها متعدّد، وإن كان الهدف منه في جميع مواضعه يؤدي إلى تأكيد المعاني وإبرازها في معرض الوضوح والبيان².

وقد حرص القرآن الكريم على ترسيخ أهم مبادئ المعتقد وتقريرها في قلب المؤمن من خلال هذا النوع من التعقيبات، إذ تكررت بعض أسماء الله تعالى وصفاته بشكل واضح مقارنة بمضامين أخرى، حتى يكون المرء أعرف بربه باعتبار أن العلم بأسمائه تعالى وصفاته هو أجلّ العلوم وأعظمها وأشرفها³، وكلمة "زادت معرفة العبد بالله وعلمه به، وبأحكامه وعقابه وثوابه، كان خوفه أشد" ⁴، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (فاطر، 28).

وغاية هذا التقرير لصفات الله تعالى هو توطيدها في النفس⁵ وتحويل ما يناسب منها إلى سلوك عملي في حياة المؤمن، ولعل ذلك ما يفسر حرص القرآن الكريم على تكرار صفتي " الغفور "و" الرحيم " في أكثر التعقيبات تكراراً على الإطلاق. كما أن ذلك يبعث الأمل المتجدد في عفو الله تعالى ورحمته، ويقطع الطريق بين المؤمن وبين الوقوع في شرك اليأس القنوط، قال تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (آل عمران، 133)، وفي الحديث القدسي: " يا ابن آدم، لو عملت قراب الأرض خطايا ولم تشرك بي شيئاً، جعلت لك

¹ - خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية: عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، مكتبة وهبة، ط 1، 1992 م، ج 1، ص 322.

² - خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، ج 1، ص 322.

³ - معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات: محمد بن خليفة بن علي التميمي، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط 1، 1999، ص 15.

⁴ - فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد، ص 166.

⁵ - من بلاغة القرآن: أحمد أحمد البدوي، نهضة مصر، القاهرة، 2005، ص 113.

قرب الأرض مغفرة " ¹. وقد أقسم النبي ﷺ على ذلك فقال: " والذي نفسي بيده لو أخطأتم حتى تملأ خطاياكم ما بين السماء والأرض، ثم استغفرتم الله يغفر لكم، والذي نفس محمد بيده لو لم تخطئوا لجاء الله بقوم يخطئون ثم يستغفرون الله فيغفر لهم " ².

وهي دعوة قرآنية مفتوحة للعودة إلى الله تعالى تقررها التعقيبات المكررة بصفتي "

الغفور" و" الرحيم " على النحو التالي:

التعقيب	تكراره
﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾	13
﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾	12
﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾	9
﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾	3
﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾	2
﴿ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾	3
﴿ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾	1
﴿ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾	1
المجموع	44

جدول رقم (1) يوضح تواتر التعقيبات القرآنية المكررة بصفتي الغفور الرحيم

¹ - مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، تح: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط 1، 2001، ج 35، ص 240.

² - مسند أبي يعلى: أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى التميمي، الموصلي، تح: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، ط 1، 1984، ج 7، ص 226.

وإذا كانت يد الله تعالى مبسوبة بالمغفرة والرحمة كما رأينا، فإن الله تعالى أعرف بعباده، وبصدق أوبتهم إليه، فكان مقتضى الحكمة أن يقترن الأمل بالعمل، والرجاء بالخوف، وأن لا يترك العباد للتواكل، ولأجل ذلك حرص النص القرآني على تقرير صفات إلهية أخرى توقظ في العباد مخافة الله وتستحضر هيئته وجلاله ومراقبته في كل قول أو عمل أو نية، فجاء التعقيب بصفتي " العليم الحكيم " و " العزيز الحكيم " كأكثر التعقيبات المكررة في القرآن الكريم كله بعد " الغفور الرحيم " .

التعقيب	تكراره
﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾	12
﴿ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾	5
﴿ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾	4
﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾	4
﴿ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾	3
﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾	1
﴿ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾	1
﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾	1
﴿ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾	1
﴿ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾	1
المجموع	33

جدول رقم (2) يوضح تواتر التعقيبات القرآنية المكررة بصفتي العزيز الحكيم

التعقيب	تواتره
﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾	13
﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾	6
﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾	4
﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾	2
﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾	1
﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾	1
﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾	1
﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾	1
المجموع	29

جدول رقم (3) يوضح تواتر التعقيبات القرآنية المكررة بصفتي العليم الحكيم

ولم يكتف القرآن الكريم بتقرير ما يتعلق بمعرفة الله تعالى من أسماء أو صفات أو إخبار، فقد كرر تعقيبات أخرى، في سياقات كثيرة، تتعلق بالوعد والوعيد، والأمر والنهي، والثناء والعتاب، والزجر والتوبيخ، وغير ذلك مما يتعلق بسائر المضامين القرآنية فاختلف مقدار تكريرها بحسب ضرورتها في الدين والحرص على تقريرها في نفس المتلقي.

كما روعي في نظمها قدر من الفرق، فجاءت صيغها - إلى جانب التقرير - تخاطب العقول والقلوب بدقيق المعاني، ذلك أنها ترد في كل مرة " بعبارة طرية جديدة وأسلوب جديد حتى يكون له وقع أكثر في النفوس وأمتع للأذهان والعقول، فلو كان التكرار مع اتحاد الألفاظ والعبارات لكان

شيئاً من حقه أن يُكرّر ويردّد فحسب. ولكنه مع اختلاف التعابير وتنوع الأساليب مدعاة للتفكير وخوض العقل واستجماع خاطر¹.

وقد قمنا بإحصاء التعقيبات القرآنية المكررة معتمدين على معايير شكلية صارمة للصيغة التي يُصَبّ فيها التعقيب، وحساب تواترها في كامل النص القرآني بصيغة معينة، وذلك لفهم دورها، ورصد مدى توظيفها بلغة الأرقام فكان الجدول التالي:

التعقيب	تكراره
﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾	13
﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾	13
﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾	13
﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾	12
﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾	12
﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾	11
﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾	11
﴿ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾	9
﴿ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾	9
﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾	9
﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾	9
﴿ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾	8
﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾	8
﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾	7
﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾	7
﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾	6
﴿ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾	6

¹ - الفوز الكبير في أصول التفسير، ج 1، ص 159، 160.

6	﴿ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾
6	﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾
6	﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾
6	﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾
6	﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾
6	﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾
6	﴿ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾
6	﴿ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾
6	﴿ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾
6	﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾
5	﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾
5	﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾
5	﴿ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾
5	﴿ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾
5	﴿ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾
5	﴿ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾
5	﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾
5	﴿ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾
5	﴿ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾
5	﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾
5	﴿ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾
5	﴿ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾
4	﴿ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾
4	﴿ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾
4	﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾
4	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾
4	﴿ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾
4	﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

4	﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾
4	﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾
4	﴿ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾
4	﴿ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾
4	﴿ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾
4	﴿ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾
4	﴿ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾
4	﴿ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾
4	﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾
4	﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾
4	﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾
4	﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾
4	﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾
4	﴿ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾
4	﴿ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾
4	﴿ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾
4	﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾
4	﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾
4	﴿ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾
4	﴿ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾
3	﴿ أَفَلَا تَنْبَصِرُونَ ﴾
3	﴿ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾
3	﴿ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾
3	﴿ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾
3	﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾
3	﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾
3	﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾
3	﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾

3	﴿ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾
3	﴿ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾
3	﴿ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾
3	﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾
3	﴿ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾
3	﴿ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾
3	﴿ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾
3	﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾
3	﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾
3	﴿ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾
3	﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾
3	﴿ وَالِىَ اللَّهُ الْمَصِيرُ ﴾
3	﴿ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾
3	﴿ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾
3	﴿ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾
3	﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾
3	﴿ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴾
3	﴿ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾
3	﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾
3	﴿ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾
2	﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾
2	﴿ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾
2	﴿ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾
2	﴿ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾
2	﴿ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾
2	﴿ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾
2	﴿ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴾
2	﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَّءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾

2	﴿ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾
2	﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾
2	﴿ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾
2	﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾
2	﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴾
2	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾
2	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾
2	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾
2	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾
2	﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾
2	﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾
2	﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾
2	﴿ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾
2	﴿ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾
2	﴿ إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾
2	﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾
2	﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾
2	﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى ﴾
2	﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾
2	﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾
2	﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُم إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾
2	﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾
2	﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾
2	﴿ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾
2	﴿ إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴾
2	﴿ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾
2	﴿ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾
2	﴿ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾

2	﴿ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾
2	﴿ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾
2	﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾
2	﴿ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾
2	﴿ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾
2	﴿ إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا ﴾
2	﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾
2	﴿ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾
2	﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾
2	﴿ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾
2	﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴾
2	﴿ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾
2	﴿ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾
2	﴿ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾
2	﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾
2	﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾
2	﴿ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾
2	﴿ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾
2	﴿ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴾
2	﴿ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾
2	﴿ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾
2	﴿ فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴾
2	﴿ فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾
2	﴿ فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ ﴾
2	﴿ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾
2	﴿ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾
2	﴿ فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾
2	﴿ فَتَمَنَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾

2	﴿ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾
2	﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾
2	﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾
2	﴿ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾
2	﴿ كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴾
2	﴿ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾
2	﴿ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴾
2	﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾
2	﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾
2	﴿ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾
2	﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾
2	﴿ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾
2	﴿ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾
2	﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾
2	﴿ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾
2	﴿ وَاللَّهُ رَعُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾
2	﴿ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾
2	﴿ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾
2	﴿ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴾
2	﴿ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾
2	﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾
2	﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾
2	﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾
2	﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾
2	﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾
2	﴿ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾
2	﴿ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾
2	﴿ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾

2	﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾
2	﴿ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾
2	﴿ وَالْيَهُ الْمَصِيرُ ﴾
2	﴿ وَالْيَهُ تُرْجَعُونَ ﴾
2	﴿ وَالْيَهُ مَابِ ﴾
2	﴿ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾
2	﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾
2	﴿ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾
2	﴿ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾
2	﴿ وَأَنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾
2	﴿ وَأَنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴾
2	﴿ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾
2	﴿ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴾
2	﴿ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾
2	﴿ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾
2	﴿ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾
2	﴿ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾
2	﴿ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾
2	﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾
2	﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾
2	﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾
2	﴿ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾
2	﴿ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾
2	﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾
2	﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾
2	﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾
2	﴿ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾
2	﴿ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾

2	﴿ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾
2	﴿ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴾
2	﴿ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾
2	﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾
2	﴿ وَمَا أَوْلَتْكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾
2	﴿ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾
2	﴿ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾
2	﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾
2	﴿ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾
2	﴿ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾
2	﴿ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾
2	﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾
2	﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾
2	﴿ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾
2	﴿ وَمَنْ يَقُولْ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾
2	﴿ وَمَنْ يَضِلْ اللَّهُ فَلَئِنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴾
2	﴿ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾
2	﴿ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾
2	﴿ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾
2	﴿ وَهُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾
2	﴿ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾
2	﴿ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾
2	﴿ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾

من خلال الجدول السابق يمكن تسجيل الملاحظات التالية:

- التنوع الكبير في مضامين التعقيبات المكررة.

- أقصى تواتر للتعقيبات القرآنية المكررة يقف عند سقف ثلاثة عشر (13) مرة، ولا يتكرّر

تعقيب خارج السّورة القرآنية بنفس الصيغة في القرآن الكريم كلّ أكثر من ذلك.

- أكثر التعقيبات القرآنية المكررة عدداً هي التعقيبات التي ترد مرتين في كامل النص

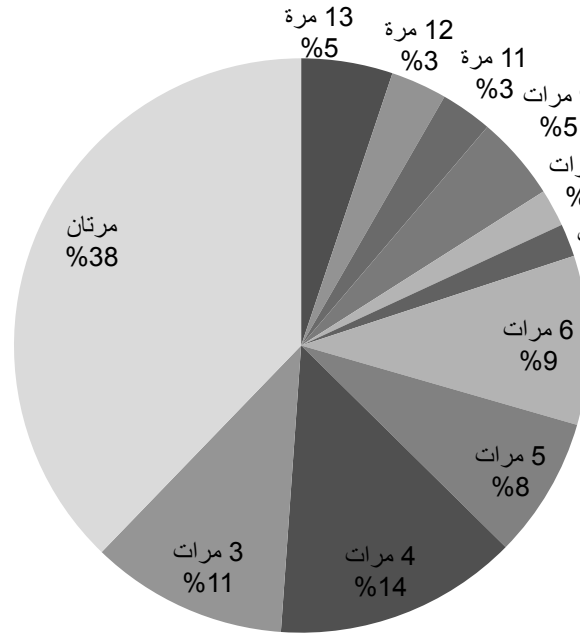
القرآني، وتبلغ نسبة حضورها 38% تقريباً. ويقل هذا العدد - عموماً - بارتفاع التّواتر.

وهو ما يوضّحه الجدول التفصيلي التالي:

التعقيب المكرّر	وروده	المجموع	النسبة المئوية
13 مرة	3	39	5.15%
12 مرة	2	24	3.17%
11 مرة	2	22	2.91%
9 مرات	4	36	4.76%
8 مرات	2	16	2.11%
7 مرات	2	14	1.85%
6 مرات	12	72	9.51%
5 مرات	12	60	7.93%
4 مرات	26	104	13.74%
3 مرات	28	84	11.10%
مرتان	143	286	37.78%

جدول تفصيلي رقم (4) يوضّح الحضور المتباين للتعقيبات المكررة خارج السورة

في القرآن الكريم



رسم بياني رقم (1) يوضح مدى توظيف التّعقيبات المكررة في النص القرآني

ولعلّ هذه النتائج تعزّز ما سبق من قول بأن الأصل في كتاب الله تعالى أن لا يتكرّر التّعقيب إلاّ بحسب ما تقتضيه الضرورة في الدين، ولذلك فإن أكثر التّعقيبات لم تتكرّر في كتاب الله تعالى كلّها، وأما ما خالف ذلك فإن الغالب فيه أن لا يقع التكرار سوى في مواضع قليلة، وذلك ما يفسّر الحضور الملحوظ للتّعقيبات التي لم تتكرّر سوى مرّة واحدة، حيث تجاوز عددها ثلث العدد الإجمالي للتّعقيبات المكررة خارج السورة. ويبقى هذا الحضور مرتفعاً بشكلٍ نسبي حين يتعلّق الأمر بالتّعقيبات ذات المستويات المتوسطة من التكرار، والتي يمكن حصرها بين 3 و 6 اعتماداً على نتائج الرّسم البياني رقم (1)، حيث بلغ مجموعها ثلاثمائة وعشرين تعقيماً، وهو ما يعادل نسبة 42.28%.

أما بالنسبة للتّعقيبات التي تكرّرت أكثر من ذلك فإن حضورها ينخفض بشكل واضحٍ بارتفاع التواتر، وهي لا تبلغ في مجموعها نسبة عشرين بالمائة من مجموع التّعقيبات المكررة خارج السورة. وهي تمثّل في الأعمّ الأغلب حالاتٍ خاصّة تكون فيها الحاجة أكدهً إلى تحقيق بعض المضامين

الأساسية في عقيدة المؤمن، والتي لا تخرج عن فلك المعرفة بعض أسماء الله تعالى وصفاته ممّا هو ضروري في استقامة الحياة الإنسانية.

ب - التعقيبات المكررة داخل السورة الواحدة: هي نوع خاص من التعقيبات المكررة، إذ

يقترن التعقيب الواحد بعدد من السياقات المختلفة المندرجة في سورة واحدة. وهي ظاهرة أسلوبية تميز بعض سور القرآن الكريم، فتضفي عليها إيقاعاً أشبه ما يكون بلازمة القصيدة.

وقد كان هذا النوع من التعقيبات المكررة مدخلاً من مداخل الطعن على القرآن، عند الكثير من المستشرقين وممن تتلمذ على يديهم، " إذ عدّوا هذا التكرار مَخْلًا ببلاغة الكلام، جائراً على فصاحته، ثم يجاوزون هذا إلى القول بأن هذا التكرار الذي جاء خارجاً على الأسلوب العام للقرآن، إنما يمثل حالاً من أحوال الصرع الذي كان يعرض للنبي ﷺ ! " ¹.

وهو افتراء عليه ﷺ، وجهل بأحوال كلام العرب في منشورها وأشعارها، فهذا النوع من التكرار الذي تدعو إليه حاجة المتكلم أو المخاطب معروف في كلام الفصحاء، إذ نجد من ينهى عن البغي والفساد في الأرض يقول لمن يعتقد انزجاره: " أقتل فلاناً وأنت تعلم براءة ساحته، وتقتل فلاناً وأنت تعرف نسكه ودينه، وتقتل فلاناً وأنت تعلم إجابة دعوته، وحسن قبوله في الناس، ولا يزال يعدّد عليه أوصاف من ينهاه عن قتله، ويعتقد انزجاره بذكر صفاته، ويكرّر ذكر القتل، وليس ذلك بعِيٍّ ولا تكرارٍ من القول، بل هو نفس تعبير البراعة، وحُسْنُ اللّسن، فسقط ما تعلقوا به " ².

¹ - التفسير القرآني للقرآن، ج 14، ص 652.

² - الانتصار للقرآن: أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد الباقلاني، تح: محمد عصام القضاة، دار الفتاح، عمّان، دار ابن حزم، بيروت، ط 1، 2001 م، ج 2، ص 807.

كما نجد من فحول الشعراء من يفعل مثل ذلك، فهزامهلهل بن ربيعة يرثي أخاه كليبا، فكان لتكراره دندنة تستعذبها نفسه الجريحة، فكرر شطراً من قصيدته في أكثر من عشرين موضعاً¹، وليس ذلك بعِيٍّ، يقول²:

علي أن ليس عدلاً من كُليب	إذا طرد اليتيم عن الجُور
علي أن ليس عدلاً من كُليب	إذا ما ضيم جيران المجير
علي أن ليس عدلاً من كليب	إذا علنت نجيات الأمور
علي أن ليس عدلاً من كُليب	غداة بلائك الأمر الكبير
علي أن ليس عدلاً من كليب	إذا رجفَ العضاءُ من الدبور
علي أن ليس عدلاً من كُليب	إذا خرجت مخبأة الخُور

ولم نجد من النقاد طاعناً في قصيدة المهلهل إذ يبكي أخاه، رغم كل ذلك التكرار الذي حسن توقيعه في موضع الخطب العظيم، فشكلمحوراً أساسياً في بناء معنى القصيدة، ووجوها النفسي³. وكذلك الحال في قصيدة الحارث بن عباد بعد عودته إلى قتال تغلب إثر موقف المهلهل من مقتل ابنه " بجير "، فكرر قوله " قربا مربط النعامة⁴ مني " في خمسين بيتاً⁵، يقول:

قرباً مربط النعامة مني لقحت حرب وائل عن حياالي

¹ -كتاب الصناعتين: أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 1419 هـ، ص 194.

² - الأمالي: أبو عبد الله محمد بن العباس اليزيدي، مطبعة جمعية دائرة المعارف، الهند، ط 1، 1397 هـ، ص 120.

³ - خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني: محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، ط 7، ص 293.

⁴ -النعامة اسم فرسه.

⁵ - نهاية الأرب في فنون الأدب: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط 1، 1423 هـ، ج 15، ص 403.

قرباً مربوط النعمة منى شاب رأسى وأنكرتنى رجالى

وقد ميز هذا النوع من التعقيبات بعض السور القرآنية، بشكل متفاوت، باختلاف مضمونها وطريقة نظمها. غير أن سورة الرحمن كانت حالة خاصة، شكّلت أكثر السور عناية بهذه الظاهرة الأسلوبية. إلى جانب سور: المرسلات، الشعراء، والقمر.

– التعقيبات المكررة في سورة الرحمن:

تعرف بعروس القرآن¹، وقد نزلت ردّاً على المشركين حين قالوا: " وما الرحمن ؟! ". وخلافاً لما تشير إليه بعض المصاحف بناءً على رأي قلة من الصحابة² فإن سورة الرحمن مكيّة في قول ابن عباس وعائشة والحسن وعروة بن الزبير وعكرمة وعطاء وجابر وجمهور الصحابة والتابعين، رغم أن ابن عباس استثنى آية منها، وهي قوله تعالى: ﴿ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾. ويؤيد مكيّتها بعض الأدلة، منها ما روي عن أسماء بنت أبي بكر، قالت: " سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقرأ وهو يصلي نحو الركن، قبل أن يصدع بما يؤمر، والمشركون يسمعون: ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾³.

وهو الرأي الذي رجّحه كثير من المفسرين كمقاتل بن سليمان⁴ والقرطبي⁵ وابن كثير¹. وقد تبعهم في ذلك كثير من المعاصرين، كما في التفسير المنير²، والموسوعة القرآنية³، والتفسير

¹ - عن علي ؑ أنه سمع النبي ﷺ يقول: " لكل شيء عروس، وعروس القرآن الرحمن ". ينظر:

- شعب الإيمان، ج4، ص 116.

² - وهو قول ابن مسعود ومقاتل رضي الله عنهما، ينظر:

- تفسير القرطبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط 2، 1964، ج 17، ص 151.

³ - مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج 44، ص 517.

⁴ - تفسير مقاتل بن سليمان: أبو الحسن مقاتل بن سليمان الأزدي، تح: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث، بيروت، ط 1، 1423 هـ، ج 4، ص 193.

⁵ - تفسير القرطبي، ج 17، ص 151.

الوسيط⁴، وهو " ما تطمئن إليه النفس، لأن السورة من أولها إلى آخرها فيها سمات القرآن المكي، الذي يغلب عليه الحديث المفصل عن الأدلة على وحدانية الله وقدرته وعظم نعمه على خلقه، والمقارنة بين حسن عاقبة الأخبار، وسوء عاقبة الأشرار " ⁵.

وقد عدد الله تعالى في هذه السورة المباركة بعض نعمه العظيمة على خلقه من الثقلين، وأتبع كلَّ نعمة بقوله: ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَان ﴾، وهي آية مستقلة ترد تعقيباً على ما قبلها، على خلاف سائر أشكال التعقيبات القرآنية، وتتضمن معنى التوبيخ والزجر على الكفران بنعم الله تعالى تأكيداً وتنبيهاً للنفوس، وطرداً للغفلة⁶، ليكون أبلغ في الإنذار والإعذار⁷. وقد عاتب رسول الله ﷺ أصحابه على صمتهم أمام آيات الله وفيها تعديد نعمه، فقد روي أنه خرج على أصحابه، فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها فسكتوا، فقال: " لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردوداً منكم، كنت كلما أتيت على قوله " فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَان "، قالوا: " لا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد " ⁸.

¹ - تفسير ابن كثير، ج 7، ص 488.

² - التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط 2، 1418 هـ، ج 27، ص 191.

³ - الموسوعة القرآنية: إبراهيم بن إسماعيل الأبياري، مؤسسة سجل العرب، 1405 هـ، ج 2، ص 10.

⁴ - التفسير الوسيط: سيد طنطاوي، ج 14، ص 125.

⁵ - نفسه، ص 125.

⁶ - الجواهر الحسان في تفسير القرآن: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، تح: محمد علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 1، 1418 هـ، ج 5، ص 349.

⁷ - تفسير القرآن: أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار، تح: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، ط 1، 1997م، ج 6، ص 133، 134.

⁸ - سنن الترمذي، ج 5، ص 399.

وقد كرّر الله تعالى هذا التعقيب إحدى وثلاثين مرة بدءاً من الآية الثالثة عشرة لتتوزع عبر كامل السورة في مواضع دقيقة مشكّلة بذلك متتالية حسابية حقيقية أساسها اثنان (2)، ولا تنكسر رتابة هذه المتتالية إلا في أربعة مواضع، كما هو واضح في المخطط التالي¹:

الآيات	13															
	التغيير الأول															
	18 16															
	التغيير الثاني															
	25 23 21															
	التغيير الثالث															
	42 40 38 36 34 32 30 28															
التغيير الرابع																
77	75	73	71	69	67	65	63	61	59	57	55	53	51	49	47	45

مخطط توضيحي يمثل توزيع التعقيبات المكررة في سورة الرحمن

وتتوزع التعقيبات عبر مضامين السورة التي يمكن اختزالها فيما يلي:

¹ - سنعرجُ تفصيل هذا الأمر إلى موضعٍ لاحقٍ نخصّصه لدراسة الإيقاع الناتج عن تكرار التعقيبات القرآنية.

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (13)	في تعداد عجائب خلق الله وبدائع صنعه ومبدأ الخلق ومعادهم
فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (16)	
فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (18)	
فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (21)	
فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (23)	
فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (25)	
فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (28)	
فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (30)	
فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (32)	في ذكر النار وشدائدها
فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (34)	
فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (36)	
فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (38)	
فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (40)	
فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (42)	
فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (45)	
فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (47)	في وصف الجنان وأهلها
فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (49)	
فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (51)	
فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (53)	
فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (55)	
فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (57)	
فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (59)	
فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (61)	

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (63)	في وصف الجنين اللتين دونهما
فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (65)	
فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (67)	
فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (69)	
فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (71)	
فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (73)	
فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (75)	
فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (77)	

ويرى الكرمانى أن عدد التعقيبات وتوزيعها على هذا النحو العجيب لا يخلو من دلالة، يقول: " كرر الآية إحدى وثلاثين مرة، ثمانية منها ذكرت عقب آيات فيها تعداد عجائب خلق الله وبدائع صنعه ومبدأ الخلق ومعادهم، ثم سبعة منها عقب آيات فيها ذكر النار وشدائدها على عدد أبواب جهنم، وحسن ذكر الآلاء عقبها لأن في صرفها ودفعها نعمًا توازي النعم المذكورة، أو لأنها حلت بالأعداء، وذلك يعد أكبر النعماء. وبعد هذه السبعة ثمانية في وصف الجنان وأهلها على عدد أبواب الجنة، وثمانية أخرى بعدها للجنيتين اللتين دونهما، فمن اعتقد الثمانية الأولى وعمل بموجبها استحق كلتا الثمانيتين من الله، ووقاه السبعة السابقة، والله تعالى أعلم " ¹.

- التعقيبات المكررة في سورة المرسلات:

المرسلات سورة مكية، وحكي عن ابن عباس وقتادة ومقاتل أن فيها آية مدنية وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ (المرسلات، 48) ². وهي تتضمن خطاباً للكافرين بلهجة حادة تتجاوز لغة الإقناع إلى التوبيخ والتهديد.

¹ - أسرار التكرار في القرآن، ج 1، ص 231.

² - ينظر: البحر المحيط في التفسير، ج 10، ص 372.

وتعرض السورة الكريمة في بدايتها انقلابات عظيمة يتغير فيها المشهد الكوني معلناً نهاية الحياة الدنيا، ثم تتوالى الآيات لتبدأ بعد ذلك أهوال الحشر ومشاهد العذاب في الموقف العظيم. كما يُواجه المجرمون في السورة بسيل من الاستفهامات والاستنكارات والتهديدات التي تتداخل مع دعوة إلهية للتأمل في بديع صنعه تعالى في الإنسان والكون، والاعتبار من مصارع الأمم الكافرة السابقة، والترغيب في مآل المتقين.

وقد عنيت كل آية بتقرير قضية البعث والحساب، باعتبارها مسألة ضرورية لبناء عقيدة سليمة يقوم عليها صلاح الفرد والمجتمع، بدءاً بقسم إلهي عظيم بالمرسلات¹ تنوعت فيه أساليب التوكيد في مطلع السورة، مكرراً قوله تعالى ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ عشر مرات عقب آيات قصيرة تتآلف فيما بينها لتشكّل سورة حادة الملامح، عنيفة المشاهد، شديدة الإيقاع². ويتكرّر هذا التعقيب في شكل آية مستقلة للتهديد والتوبيخ عقب كل مشهد في السورة على نحو تشير فيه الكلمات القليلة والآيات القصيرة إلى عوالم واسعة دون إغراق في الوصف إثارةً للخيال وزيادةً في التهويل وفق ما ترمي إليه أغراض السورة. ويمكن توضيح ذلك في الجدول التالي:

يوم الفصل وعلاماته	وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (15)
هلاك المجرمين من الأولين والآخرين	وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (19)
خلق الإنسان	وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (24)
الأرض والجبال والماء	وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (28)

¹ - الملائكة، أو الريح أو الرسل، للاستزادة ينظر:

- جامع البيان في تأويل القرآن المعروف بتفسير الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط 1، 2000، ج 24، ص 122 وما بعدها.

² - في ظلال القرآن، ج 6، ص 3789.

بعض أهوال النار	وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (34)
مشهد الكفار يوم الحساب	وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (37)
يوم الفصل وجمع الأولين والآخرين	وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (40)
مشاهد النعيم لأهل الجنة	وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (45)
توبيخ المشركين المجرمين	وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (47)
إعراض المشركين عن الركوع	وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (49)

جدول تفصيلي رقم (5)

يمثل توزيع التعقيبات المكررة في سورة المرسلات

التعقيبات المكررة في سورة الشعراء:

الشعراء سورة مكية في قول الجمهور¹، وهي تواجه تكذيب المشركين لما جاء به النبي ﷺ ، وإعراضهم عنه وتقولهم عليه. كما تتضمن السورة الكريمة تسليية لرسول الله ﷺ الذي يتألم لإصرار المشركين على تكذيب دعوته والكفر بها، ولأجل ذلك غلب عليها عنصر القصص، والإخبار عن أبرز قصص التكذيب المشابهة في الرسالات السابقة، بدءاً بدعوة موسى عليه السلام ثم إبراهيم، نوح، هود، صالح، لوط ثم شعيب عليهم السلام.

ويشكّل الخطاب في السورة الكريمة حلقة تبدأ بتسليية النبي ﷺ ، وبها تنتهي. كما تشكل كلّ قصة من قصصها حلقة صغرى تبدأ بالتكذيب وتنتهي بالعذاب، ثم يلي ذلك قوله ﷻ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ

¹ - وقد استثنى من ذلك ابن عباس وعطاء وقتادة ما جاء في آخرها، فإنه مدني، بدءاً من قوله تعالى: " وَالشُّعْرَاءُ بِتَبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ". كما استثنى مقاتل قوله تعالى: " أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ "، للاستزادة ينظر:

- تفسير القرطبي، ج 13، ص 87.

- البحر المحيط، ج 8، ص 139.

أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٨٨﴾. وهو تعقيب يتكرر في السورة الكريمة ثماني مرات

يوضحها الجدول التالي:

موقف المشركين من دعوة النبي	إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (8) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (9)
دعوة موسى عليه السلام لفرعون وعاقبة أمره	إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (67) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (68)
دعوة إبراهيم عليه السلام لقومه، وعاقبة أمرهم	إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (103) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (104)
دعوة نوح عليه السلام لقومه، وعاقبة أمرهم	إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (121) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (122)
دعوة هود عليه السلام لقومه، وهلاك عاد	إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (139) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (140)
دعوة صالح عليه السلام لقومه، وهلاك ثمود	إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (158) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (159)
دعوة لوط عليه السلام لقومه، وهلاكهم	إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (174) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (175)
دعوة شعيب عليه السلام لقومه، وهلاك أصحاب الأيكة	إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (190) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (191)

جدول توضيحي رقم (6)

يمثل توزيع التعقيبات المكررة في سورة الشعراء

وهو تعقيب مكوّن من آيتين يقع متمكناً في مواضع من السّورة يحسن الوقوف عندها والترتّب لتدبرها، وتأمّل ما تحوي من دروس تُستفاد مما مضى من حوادث التاريخ¹. وفي تكراره تقرير له في النفوس، وتأكيد على عزّة الله تعالى ورحمته، ولأجل ذلك خُتم " بوصفي العزيز الرحيم، للإشارة إلى أن العزة على من لا يؤمن منهم، والرحمة لمن آمن "².

التعقيبات المكررة في سورة القمر:

هي سورة مكية في قول الجمهور³، وقد نزلت في شأن واقعة انشقاق القمر في زمن النبي ﷺ واتهامه بالسحر⁴. وهي تتسم بلغة الزجر والتهديد في الأعم الأغلب سوى ما جاء في آخرها. وتبدأ السورة الكريمة بالحديث عن إعراض الكافرين عن دعوة النبي ﷺ رغم آيات الله العظيمة، لتصف لنا بعد ذلك مشهداً رهيباً من مشاهد البعث والإحياء، وتختتم بمشهد آخر من مشاهد اليوم الآخر تؤلفه صورتنا العذاب والنعيم. وبين المشهدين تتألف السورة من خمس حلقات فيها خلاصة أبرز مواقف الإعراض عن دعوة الحق في قصص الأنبياء.

وتبدأ كل حلقة بموقف التكذيب لتنتهي بمشهد العذاب العاجل، وهو القانون الإلهي الذي تجسّده السورة زجراً لمشركي قريش، بدءاً بقوم نوح عليه السلام، مروراً بعاد، فثمود، ثم قوم لوط عليه السلام، وصولاً إلى فرعون وقومه.

¹ - من بلاغة القرآن، ج1، ص 120.

² - معترك الأقران في إعجاز القرآن، ج 1، ص 260.

³ - ينظر: مفاتيح الغيب، ج 29، ص 288.

⁴ - مما جاء في أسباب النزول أن القمر قد انشق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت قريش: هذا سحر بن أبي كبشة سحرهم، فاسألوا السّفار، فسألوه فقالوا: نعم قد رأينا، فأنزل الله عز وجل: ﴿ أَفَتَرَبُّتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعَرِّضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿ (القمر، 1-2). ينظر:

- أسباب نزول القرآن: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد النيسابوري، تح: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1411 هـ، ص 418.

وتنتهي كل حلقة ¹ من هذه الحلقات المتألفة بتعقيب مركّب من مجموعة من الآيات أو التعقيبات كما هي عادة القرآن في التعقيب على القصص ²، وهو ما يوضحه الجدول التالي:

قوم نوح عليه السلام	وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ (15) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ (16) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ (17)
عاد (قوم هود عليه السلام)	فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ (18)
	فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ (21) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ (22)
ثمود (قوم صالح عليه السلام)	(29) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ (30) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ (32)
قوم لوط عليه السلام	فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرٍ (37)
	فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرٍ (39) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ (40)

جدول توضيحي رقم (7) يمثل توزيع التعقيبات المكررة في سورة القمر

وقد تكرر هذا النوع من التعقيب في آخر كل قصّة تقريراً له في النفوس " وإشعاراً بأن تكذيب كلّ رسولٍ مقتضى لنزول العذاب، واستماع كل قصّة مستدعٍ للدّكار والاعتاظ، واستثناً للتنبية والاعتاظ لئلا

¹ - سوى قصة هلاك فرعون وقومه لأن السورة الكريمة لم تتعرض لتفاصيلها، بل اكتفت بإشارة سريعة إليها باعتبارها أكثر القصص حضوراً في النص القرآني في غير هذا الموضع.

² - سنخصص لاحقاً في هذا الفصل مبحثاً يتناول موضوع التعقيب المركّب أو التعقيب على القصص في القرآن الكريم.

يغلبهم السهو والغفلة¹. ولما كانت هذه النذارة بلغت بالقرآن، والمشركون في غيهم معرضون عنه " ذيل خبرها بتتويبه شأن القرآن بأنه من عند الله، وأن الله يسره، وسهله لتذكر الخلق بما يحتاجونه من التذكير مما هو هدى وإرشاد " ²، فقال في ختام كل تعقيب: " وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ". وقد بُني كل تعقيب من التعقيبات السابقة من لبنات أساسية تتمثل في تعقيبات صغرى مكررة في السورة وفق قيم يوضحها الجدول التالي:

4	﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾
4	﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴾
2	﴿ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴾
2	﴿ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾

وتتضافر هذه اللبنات أو التعقيبات الصغرى المكررة في السورة لبناء تعقيب يتوافق مع مقتضى كل

قصة وما يفرضه جوها العام:

ففي قصة عاد قوم نبي الله هود عليه السلام يتكرر قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴾ وهو تعقيب للتهويل بصيغة الاستفهام، ذكر قبل ما حلّ بهم وبعده، لغرابة ما عذبوا به من الريح، وانفرادهم بهذا النوع من العذاب " ³، ولأن الأولى في الدنيا والثانية في العقبى ⁴. كما تكرر قوله تعالى: ﴿ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴾ للتهويل بصيغة الأمر في قصة قوم لوط عليه السلام، في وسطها بعد طمس عيون هؤلاء المجرمين مساءً كبدية للعذاب، وفي ختامها بعد هلاكهم في الصباح، وذلك لتماريهم بالنذر، ولشدة ما أقدموا عليه من المنكر وتجريتهم على نبي الله وضيفه من الملائكة.

¹ - أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 1، 1418 هـ، ج 5، ص 167.

² - التحرير والتنوير، ج 27، ص 187، 188.

³ - البحر المحيط في التفسير، ج 10، ص 41.

⁴ - أسرار التكرار في القرآن، ص 230.

كما نلاحظ أن تعقيب التهويل بعذاب الله تعالى ونُدُّره قد ورد بصيغة الاستفهام في القصص الثلاثة الأولى، ولم يرد كذلك في قصة قوم لوط عليه السلام بل ورد في صيغة الأمر، وهي صيغة وردت في النص القرآني في واحد وعشرين موضعاً، تقع كلّها في سياق الحديث عن عذاب جهنم¹، وهي تقتزن في هذا الموضع بعذاب عاجل في الدنيا لتدلّ على هول ما لاقوا من العذاب وشدة ما أصابهم من تكيل بما يتناسب مع فداحة جرمهم.

وبعد هذا العرض التفصيلي للتعقيبات المكررة في السور القرآنية السابقة، يمكننا وضع جدول يلخص النتائج التي توصلنا إليها بلغة الأرقام، وهو يوضح عدد التعقيبات المكررة في كل سورة، وعدد الآيات المعنية بذلك باعتبار بعض التعقيبات المركبة، كما يحصي النسبة المئوية لهذه الآيات بالنظر إلى عدد آيات السورة:

السورة	عدد التعقيبات المكررة	عدد الآيات	عدد آيات السورة	النسبة المئوية
الرحمن	31	31	78	39.74 %
المرسلات	10	10	50	20 %
الشعراء	8	16	227	7.04 %
القمر	4	8	55	14.54 %

جدول رقم (8)

يوضح توظيف التعقيبات المكررة في الخطاب القرآني

¹ - اختلف العلماء في دلالة كلمة العذاب في قوله تعالى: " وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ " (سورة الأنفال، الآية 35)، فذهب الضحاك إلى أنها تعني ما أصاب الكافرين يوم بدر من تقتيل وأسر وهزيمة. كما ذهب غيره إلى أنه تدل على عذاب جهنم في الآخرة. للاستزادة ينظر:

- تفسير البيضاوي، ج3، ص 58.

من خلال الجدول يمكننا تسجيل الملاحظات التالية:

التعقيبات القرآنية المكررة في السورة الواحدة هي ظاهرة قرآنية خاصة ببعض السور الكريمة، وهي أكثر حضوراً في سورة الرحمن، بنسبة تساوي أربعين في المائة من العدد الإجمالي للتعقيبات، تليها سورة المرسلات بنسبة عشرين في المائة.

أما في سورتي الشعراء والقمر فإن التعقيب المكرر عقب كل حلقة قصصية يظهر في صورة مركبة من آيتين متتاليتين. ورغم أن الظاهرة أكثر حضوراً في سورة الشعراء إلا أن نسبة الآيات التي تدخل في بناء التعقيبات أعلى في سورة القمر بسبب التباين الكبير في عدد آيات كل سورة.

يمكننا أن نقول أن التعقيبات القرآنية المكررة داخل السورة الواحدة هي خاصية أسلوبية يتفرد بها القرآن المكي، وذلك أبلغ في الإنذار والإعذار كما عرفنا. كما أن طبيعة المشركين بعنادهم وجحودهم أوجب إلى مثل هذا التكرار. أما الخطاب المدني فقد استغنى عن ذلك، ولم يتضمن شيئاً منه بالنظر إلى انقياد المؤمنين وتسليمهم لأوامر الله تعالى ونواحيه ووقوفهم عند حدوده، كما أن المنهج التربوي في الإسلام لا يتجاوز الثلاث كما عرف عن النبي ﷺ.

3 - التعقيب الآية :

الآية في اللغة العلامة ¹، ودليل ذلك قوله ﷻ: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ (البقرة، 248)، كما ترد بمعنى العبرة ²، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِّلْمُتَلَلِّينَ ﴾ (يوسف، 7)، وآيات الله عجائبه ³، والآية الجماعة من الناس ⁴. وقد سميت

¹ - لسان العرب، ج 14، ص 61.

² - نفسه، ص 61.

³ - نفسه، ص 61.

⁴ - نفسه، ص 61.

الآية من التنزيل آية لأنها علامة لانقطاع كلام من كلام، وعلامة يُفَضَّى منها إلى غيرها كأعلام الطريق المنصوبة للهداية، ولأنها جماعة من حروف القرآن¹.

وفي الاصطلاح هي الواحدة من المعدودات في السور²، وَيَحْسُنُ تعريفها بأنها " طائفة من القرآن يتصل بعضها ببعض إلى انقطاعها، طويلة كانت أو قصيرة " ³، أو هي " ما تبين أوله وآخره توقيفا من طائفة من كلامه تعالى بلا اسم " ⁴.

ومعرفة الآيات علم توقيفي لا مجال للقياس فيه كمعرفة السور⁵، فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه كان يقف على رءوس الآي للتوقيف ليعلم أصحابه أنها رأس آية، فعن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: " فَاتِحَةُ الْكِتَابِ سَبْعُ آيَاتٍ أُولَاهُنَّ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ " ⁶، وكان يقطعها في قراءته آية آية⁷، وقد عدّها عنه صحابته رضوان الله عليهم في أيديهم عدّ الأعراب⁸. كما عدّ آي سورة الملك⁹، وخواتيم آل عمران¹⁰،

1 - لسان العرب، ج 14، ص 61.

2 - البرهان في علوم القرآن، ج 1، ص 267.

3 - التعريفات، ج 1، ص 41.

4 - كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، 1996، ج 1، ص 75.

5 - الكشاف، ج 1، ص 31.

6 - مفاتيح الغيب، ج 1، ص 173.

7 - الكشف والبيان عن تفسير القرآن المعروف بتفسير الثعلبي: أبو إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي، تح: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط 1، 2002 م، ج 1، ص 103.

8 - الوسيط في تفسير القرآن المجيد: أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1994، ج 1، ص 60.

9 - قال رسول الله ﷺ: " إِنَّ سُورَةَ فِي الْقُرْآنِ ثَلَاثُونَ آيَةً شَفَعَتْ لِصَاحِبِهَا حَتَّى غُفِرَ لَهُ ". ينظر:

- سنن ابن ماجه: ابن ماجه أبو عبد الله محمد القزويني، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي، ج 2، ص 1244.

10 - عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ عشر آيات من آخر آل عمران كل ليلة. ينظر: تفسير الثعلبي، ج 2، ص 234.

وفواتيح سورة الكهف¹، وغير ذلك. وقد ثبت عن الصحابة رضوان الله عليهم أنهم كانوا يستقرون من النبي ﷺ، فكانوا إذا تعلموا عشر آيات، لم يُخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل².

وقد ورد في كتاب الله تعالى بعض مواضع رؤوس الآي ينقطع التعقيب فيها عما قبله، فيكون بذلك آية مستقلة، أو آيتين في بعض المواضع، على خلاف العادة في التعقيبات القرآنية التي يكون فيها التعقيب مقطوعاً يذيل الآية. فيكون التعقيب بذلك حالة خاصة اصطلاحاً عليها في بحثنا بالتعقيب الآية.

فالتعقيب الآية هو تعقيب ينقطع بالتوقيف عما قبله، وهو من ناحية المعنى يجري مجرى سائر التعقيبات، ويرد لذات المقاصد من وعد ووعد، ومدح وذم، ونهي وأمر. وقد أطلقنا لفظ التعقيب الآية كوصف لهذا النوع من التعقيبات رغم أن بعضها يمتد إلى آيتين في بعض المواضع لأسباب نُوجزها فيما يلي:

- لأن هذه التعقيبات تتألف من آيتين قصيرتين، وهي في بنائها أشبه بالآية الواحدة، كما أنها تختلف شكلاً ومضموناً عن التعقيب المركب.

- لأن هذه التعقيبات تتكرر في الأعم الأغلب في مواضع مختلفة من بعض السور الكريمة بنفس الهيئة، وهو ما يعكس قوة التلازم بين مكوناتها، فهي أشبه بالبناء الواحد أو الآية الواحدة.

- لأن لفظ الآية يُطلق على ما هو أكثر من الآية، كقول ابن مسعود ؓ أخوف آية في القرآن: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿ فَإِنِهَا آيتان باتفاق.³

وقد اجتهدنا في اقتفاء الظاهرة في القرآن الكريم من خلال مسح شاملٍ لحصر هذا الشكل من التعقيبات وفهمه. وهي مرتبة في الجدول التالي بحسب ترتيبها في سور المصحف الشريف:

¹ - تفسير الثعلبي، ج 6، ص 144.

² - تفسير الطبري، ج 1، ص 74.

³ - دراسات في علوم القرآن الكريم: فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، ط 14، الرياض، 1426هـ، ص 127.

التعقيب	تصنيفها
﴿ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (البقرة، 5)	مدنية
﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (البقرة، 12)	مدنية
﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبَحَتِ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ (البقرة، 16)	مدنية
﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة، 242)	مدنية
﴿ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ (آل عمران، 76)	مدنية
﴿ أُولَٰئِكَ مَاوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴾ (النساء، 121)	مدنية
﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ (المائدة، 56)	مدنية
﴿ ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (الأنعام، 88)	مكية
﴿ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِيُقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (الأنعام، 105)	مكية
﴿ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا بِظُلْمٍ ﴾ (الأعراف، 177)	مكية
﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضِلِّ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (الأعراف، 178)	مكية
﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (الأعراف، 174)	مكية
﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (الأنفال، 4)	مدنية
﴿ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَيْدِ الْكَافِرِينَ ﴾ (الأنفال، 18)	مدنية
﴿ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴾ (الأنفال، 14)	مدنية
﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (يونس، 62)	مكية
﴿ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (يونس، 33)	مكية
﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (يونس، 44)	مكية
﴿ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾ (إبراهيم، 20)	مكية
﴿ كَذَٰلِكَ نَسُكُّهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (الحجر، 12)	مكية

مكية	﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ (الحجر، 75)
مكية	﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الحجر، 77)
مكية	﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾ (الحجر، 86)
مكية	﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ (النحل، 128)
مكية	﴿ إِنَّ الْمُبْذَرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴾ (الإسراء، 27)
مكية	﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ (الإسراء، 30)
مكية	﴿ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُفُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ (الإسراء، 43)
مكية	﴿ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ (مريم، 34)
مكية	﴿ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ (مريم، 36)
مكية	﴿ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ﴾ (طه، 99)
مكية	﴿ مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأنبياء، 6)
مكية	﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِي ﴾ (الأنبياء، 92)
مدنية	﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (الحج، 6)
مدنية	﴿ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ (الحج، 10)
مدنية	﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ ﴾ (الحج، 16)
مدنية	﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ (الحج، 32)
مكية	﴿ فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾ (المؤمنون، 7)
مكية	﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴾ (المؤمنون، 30)
مكية	﴿ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِي ﴾ (المؤمنون، 52)
مكية	﴿ لَا تَجَارُوا الْيَوْمَ إِنَّا نَحْنُ لَا تَنْصَرُونَ ﴾ (المؤمنون، 65)
مدنية	﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾ (النور، 10)
مدنية	﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَعُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (النور، 20)

مكية	﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿ (الشعراء، 8 - 9)
مكية	﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿ (الشعراء، 67-68)
مكية	﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿ (الشعراء، 103-104)
مكية	﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿ (الشعراء، 121-122)
مكية	﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿ (الشعراء، 174-175)
مكية	﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (الشعراء، 220)
مكية	﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ (النمل، 74)
مكية	﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (السجدة، 25)
مدنية	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴾ (الأحزاب، 64)
مكية	﴿ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾ (فاطر، 17)
مكية	﴿ إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (فاطر، 38)
مكية	﴿ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ ﴾ (الصافات، 73)
مكية	﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿ (الصافات، 80-81)
مكية	﴿ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿ (الصافات، 110-111)
مكية	﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿ (الصافات، 121-122)
مكية	﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿ (الصافات، 131-132)
مكية	﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿ (الصافات، 174-175)
مكية	﴿ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿ (الصافات، 178-179)
مكية	﴿ إِنَّ كُلَّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴾ (ص، 14)

مكية	﴿ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴾ (ص، 64)
مكية	﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ (ق، 37)
مكية	﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴾ (القمر، 16)
مكية	﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسْرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ (القمر، 21-22)
مكية	﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴾ (القمر، 30)
مكية	﴿ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴾ (القمر، 39)
مكية	﴿ وَلَقَدْ يَسْرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ (القمر، 32)
مكية	﴿ وَلَقَدْ يَسْرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ (القمر، 40)
مكية	﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (الرحمن، 13)
مكية	﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (الرحمن، 16)
مكية	﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (الرحمن، 18)
مكية	﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (الرحمن، 21)
مكية	﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (الرحمن، 23)
مكية	﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (الرحمن، 25)
مكية	﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (الرحمن، 28)
مكية	﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (الرحمن، 30)
مكية	﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (الرحمن، 32)
مكية	﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (الرحمن، 34)
مكية	﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (الرحمن، 36)
مكية	﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (الرحمن، 38)
مكية	﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (الرحمن، 40)
مكية	﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (الرحمن، 42)

مكية	﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (الرحمن، 45)
مكية	﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (الرحمن، 47)
مكية	﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (الرحمن، 49)
مكية	﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (الرحمن، 51)
مكية	﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (الرحمن، 53)
مكية	﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (الرحمن، 55)
مكية	﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (الرحمن، 57)
مكية	﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (الرحمن، 59)
مكية	﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (الرحمن، 61)
مكية	﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (الرحمن، 63)
مكية	﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (الرحمن، 65)
مكية	﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (الرحمن، 67)
مكية	﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (الرحمن، 69)
مكية	﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (الرحمن، 71)
مكية	﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (الرحمن، 73)
مكية	﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (الرحمن، 75)
مكية	﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (الرحمن، 77)
مكية	﴿ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ (الرحمن، 78)
مدنية	﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٦﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ (الواقعة، 95-96)
مكية	﴿ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (القلم، 33)
مكية	﴿ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴾ (القيامة، 40)
مكية	﴿ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾ (المرسلات، 15)

مكية	﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (المرسلات، 19)
مكية	﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (المرسلات، 24)
مكية	﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (المرسلات، 28)
مكية	﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (المرسلات، 34)
مكية	﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (المرسلات، 37)
مكية	﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (المرسلات، 40)
مكية	﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (المرسلات، 45)
مكية	﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (المرسلات، 47)
مكية	﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (المرسلات، 49)
مكية	﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ (المرسلات، 50)
مكية	﴿كَأَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ (النبأ، 4-5)
مكية	﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾ (النازعات، 26)
مكية	﴿كَأَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ (عبس، 11)
مكية	﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ (عبس، 42)
مكية	﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (المطففين، 10)
مكية	﴿كَأَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (المطففين، 14)
مكية	﴿هَلْ تُؤْتِي الْقُفَّارَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (المطففين، 36)
مكية	﴿فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ أَمْهَلُهُمْ رُوَيْدًا﴾ (الطارق، 17)
مكية	﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ (الفجر، 14)
مكية	﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾ (التين، 8)
مكية	﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ﴾ (العاديات، 11)
مكية	﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ (الكوثر، 3)

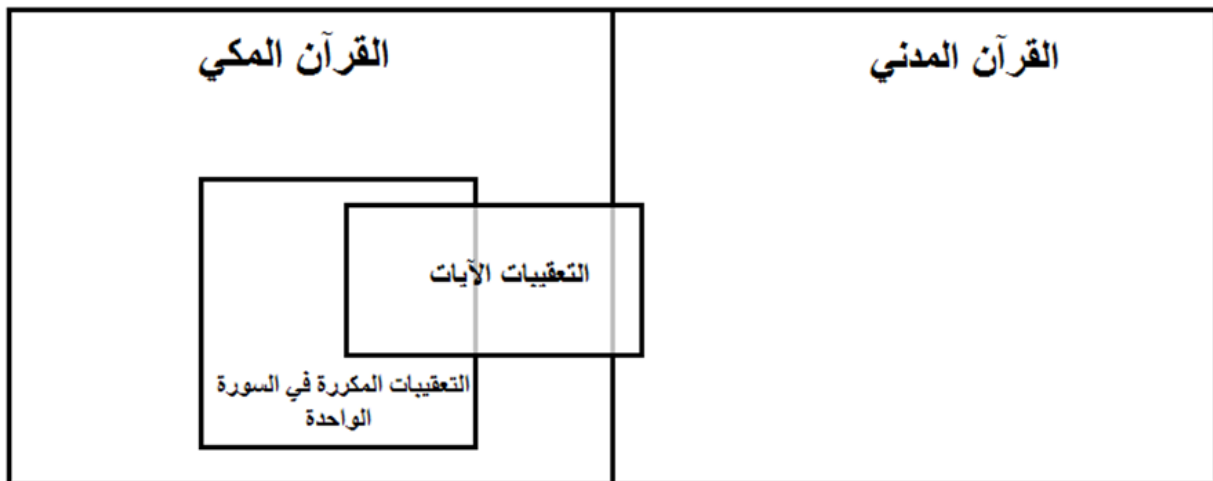
ويمكننا اختصار ما سبق في الجدول التالي:

التعقيبات المكية	التعقيبات المدنية	التعقيبات المكررة	التعقيبات غير المكررة	المجموع
109	18	57	70	127
% 85.83	% 14.17	% 44.88	% 55.12	% 100

من خلال ما سبق يمكننا تسجيل الملاحظتين التاليتين:

- يظهر من الجدول السابق أن التعقيبات التي تستقل بنفسها كآيات هي ظاهرة قرآنية أكثر تعلُّقاً بالمرحلة المكيّة، وهي لا ترد في القرآن المدني إلا في حالات معدودة في بعض تعقيبات السبع الطوال، وسورة الحج. ولا تقع إلا نادراً في غير ذلك.

- كما يُظهر الجدول أيضاً علاقة حضور قوية بينها وبين التعقيبات المكررة داخل السورة الواحدة، وهي ظاهرة مكيّة كما عرفنا، ولعل ذلك ما يفسر الملاحظة الأولى. ونحن لا نجاوز الصواب إذا قلنا أن كلّ تعقيب مكرّر داخل السورة الواحدة هو تعقيب آية، وأن نصف التعقيبات الآيات هي تعقيبات مكررة في سور محددة. وهو ما يظهره المخطط التالي:



مخطط بياني يوضّح

علاقة التعقيب الآية بالتعقيبات المكررة في السورة الواحدة وبالقرآن المكي

4 - التعقيب على القصص القرآني (التعقيب المركب):

لم تكن القصة في القرآن الكريم مقصودة لذاتها، ذلك أنها أخضعت للغرض الديني الذي توالى لأجله رسالات السماء إلى الأرض، فكانت خير أداة للدعوة إلى الله تعالى وترسيخ مبدأ التوحيد في النفوس، فهي للآميين خير وسيلة للتأثير والتفكير من خلال جمالها الفني، وهي لأهل الكتاب حجة يثبت بها الإعجاز بالغيب، وفيها للنبي ﷺ من السرية ما ينفعه في أوقات الحزن، ومن التأيد ما ينفع المؤمنين في مواقف الحاجة.

ورغم خضوع القصة للغرض الديني في النص القرآني، إلا أن عناصرها ترقى إلى مستوى الكمال الذي يجعل من بنائها المحكم أحسن القصص بشهادة الله تعالى، فقال: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ ﴾ (يوسف، 3). وهي في هذا البناء تقوم على عناصر السرد نفسها التي تولّف سائر القصص الفنية، يميّزها جمال فنيّ معجز يتفاعل مع صدق الوقائع التاريخية لتحقيق مقاصد السورة من خلال التأثير الوجداني: ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (آل عمران، 62) ¹.

وقد لعب أسلوب التعقيب في القصص القرآني دوراً هاماً يعزز أغراض القصّ الساعي لترسيخ مبادئ التوحيد، من خلال توجيه السامع عبر النقائات تتوزع في مواقع مختلفة من القصة، يتحول فيها النص من الحكّي إلى خطاب النبي ﷺ - في الغالب - تنوياً بقيمة بعض الأحداث، أو توضيحاً لغايات القصّ وربطها بمقاصد السورة. وهكذا فإن التعقيب القصصي يختلف عن سائر التعقيبات القرآنية، فهو لا يذيل آية معينة زيادةً في البيان، أو محافظةً على وحدة الإيقاع، وإنما يردّ تعقيباً على بعض الأحداث أو المشاهد، أو القصص تحقيقاً لأغراض، أهمها:

¹ - ينظر: التصوير الفني، ص171.

- **التنبية لقيمة الحدث في البناء القصصي:** كما في سورة يوسف عليه السلام، إذ يرد التعقيب في بداية القصة بعد الرؤيا باعتبارها حدثاً في غاية الأهمية، فهي استباق لما يليها من أحداث، يربط أول السورة بختامها، وفيه البشارة بأمرين تقوم عليهما كل أحداث السورة هما: النبوة والتأويل، فقال عليه السلام: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾ (يوسف، 6).

- **بيان الدقة والحكمة في التدبير الإلهي:** من ذلك ما ورد تعقيباً على المحاجة التي وقعت بين خليل الله إبراهيم عليه السلام وقومه، إذ أيده الله بالحجة التي تُفهمهم، ونقطع ما بينهم وبين معبوديهم من أسباب، فقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾﴾ (الأنعام، 83). ومثله ما ورد في قصة يوسف عليه السلام بعد اتهام إخوته بسرقة صواع الملك، وكان في ذلك عذر له من أجل استبقاء أخيه معه، وهو ما يفسره التعقيب، يقول عليه السلام: ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ (يوسف، 76).

- **المحاجة وتنبيه النبي لبعض التفاصيل الغيبية في القصص القرآني:** من ذلك ما جاء تعقيباً على قصة اقتراع أحرار وكهنة اليهود من أجل اختيار كافل مريم ابنة عمران، وهو خبر ذكره القرآن وأغفلته كتبهم، ولم يكن معلوماً إلا عند خاصة علمائهم، "وربما كان من أسرار الهيكل التي لا تُفشى ولا تباح للإذاعة بها، فاتخذها القرآن - في مواجهة كبار أهل الكتاب وقتها - دليلاً على وحي من الله لرسوله الصادق " ¹، فقال عليه السلام: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَفَلَمَنَّهُمْ أَتَاهُمْ مَّرِيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ (آل عمران، 44)، ولم يرد أنهم ردوا هذه الحجة، ولو كانت

¹ - في ظلال القرآن، ج1، ص 396.

موضع جدال لجادلوه¹. ومثله ما جاء في ختام قصة يوسف بتفاصيلها: ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾ (يوسف، 102)، أو عقب قصص بعض الأنبياء مع أقوامهم: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (هود، 49).

- التَّسْرِيَةُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ودعاه في أوقات الحزن: من ذلك ما جاء تعقيباً على قصة قارون الذي أنكر فضل الله تعالى عليه، فبغى وطغى، ولم يدرك أن إمهال الله تعالى كان استدراجاً له، وأن الله لا يحب الفرحين، ولا المفسدين، حتى أخذ بجُرمه على حين غرة، وذلك شأن الله ﷻ في إمهاله قريشاً، بعد أن اشتدَّ أذاها للنبي ﷺ، فجاء التعقيب مطوّلاً للتَّسْرِيَةِ عنه ومعه البشارة بالظفر والعودة منصوراً إلى مكة²، فقال عز وجل: ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَن هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَن يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ ﴿ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَّبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (القصص، 83-88).

أما من حيث الخصائص الشكلية فإن التعقيب القصصي يختلف عن سائر التعقيبات، وهو لا يجري مجراها سوى في حالات قليلة، من ذلك ما ورد تعقيباً على قصة نوح عليه السلام بقوله ﷻ: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ

¹ - في ظلال القرآن، ج1، ص 396.

² - روي عن مقاتل أن رسول الله ﷺ خرج من الغار وسار في غير الطريق مخافة الطلب، فلما أمن رجع إلى الطريق، ونزل بالحفة بين مكة والمدينة، وعرف الطريق إلى مكة واشتاق إليها، وذكر مولده ومولد أبيه، فنزل جبريل عليه السلام، وقال: تشتاق إلى بلدك ومولدك، فقال عليه السلام: نعم، فقال جبريل عليه السلام: فإن الله تعالى يقول: إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد. يعني إلى مكة ظاهراً عليهم. ينظر:

- مفاتيح الغيب، ج 25، ص 19.

وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿ (المؤمنون، 30)، أو قصة أصحاب الجنة: ﴿ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (القلم، 33) .

كما ينذر أن يقع في ذيل الآية غير منقطع عنها، من ذلك قوله تعالى: ﴿ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ (يوسف، 76). تعقيباً على الآية: ﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرِجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ ﴾.

أما في الأعم الأغلب فإن التعقيب القصصي يرد منقطعاً عما قبله في شكل آية مستقلة، أو في شكل مجموعة من الآيات، يميّزها التعدد والطول في الجمل والآيات. كما لا يخلو من عائد¹ أو رابط وهو اسم إشارة يربطه بما يسبقه من قصص ويجعله منها في موقع التعقيب، وهو في غاية الضرورة بعد طول الكلام كي يتصل أوله بآخره.

وقد ورد هذا النوع من التعقيب في كثير من المواضع في كتاب الله تعالى على نحو يوضحه الجدول

التالي:

التعقيب على القصة
﴿ تِلْكَ أُمّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (البقرة، 134)
﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (البقرة، 251-252)
﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَفَلَا مَهْمُ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ

¹ - وهو مميّز في الجدول بالأسود العريض.

يَخْتَصِمُونَ ﴿ (آل عمران، 44)

﴿ ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (آل عمران، 58-62)

﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾ (المائدة، 32)

﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءِ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ (الأنعام، 83)

﴿ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ افْتَدَاهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ (الأنعام، 88-90)

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنَاتٍ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿ أَوْ آمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ ﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِّنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴾ (الأعراف، 96-102)

﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (هود، 49)

﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْفُرَى نَفْسُهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُهُمْ غَيْرَ تَنْبِيهِ ﴿ وَكَذَلِكَ أَخَذَ رَبُّكَ إِذَا أَخَذَ الْفُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمَ مَجْمُوعٍ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ﴿ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ ﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلُمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿ (هود، 100-104)

﴿ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلٍ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (يوسف، 6)

(وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (يوسف، 21)

﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ (يوسف، 24)

﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (يوسف، 56)

﴿ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ (يوسف، 76)

﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾ وَمَا أَكْثَرَ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ أَفَأَمِنُوا أَنْ

تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٤﴾ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٠٥﴾ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٦﴾ (يوسف، 102-111)

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ ﴿ وَأَنهَا لِبَسِيلٍ مُّقِيمٍ ﴾ ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الحجر، 75-77)

﴿ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ (مريم، 34 - 36)

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ (مريم، 58)

﴿ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴾ ﴿ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا ﴾ ﴿ خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا ﴾ ﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾ ﴿ يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴾ ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴾ (طه، 99-104)

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴾ (المؤمنون، 30)

﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿ إِنَّ الَّذِي

فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادِّكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٨٣﴾ وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾ (القصص، 83 - 88)

﴿ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَالْعَذَابُ الْآخِرُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (القلم، 33)

من خلال الجدول السابق يمكن تسجيل الملاحظات التالية:

- الغالب في تعقيبات القصص أنها مكيّة، فمن أصل ثلاثة وعشرين تعقيباً (23) تعقيباً يمكن تسجيل تسعة عشر (19) تعقيباً مكيّاً، بنسبة 82.6 %. ولا يبقى من التعقيبات المدنية سوى أربع (4) تعقيبات (البقرة، آل عمران) أي بنسبة 17.4 %. وهو أمر طبيعي نتيجة ارتباط هذه التعقيبات بالقصّ المفصّل وهو من خصائص السور المكيّة.

- يتعلق طول التعقيب بموقعه من القصة والسورة، ويمكننا التمييز بين:

- تعقيبات قليلة الطول تتخلل القصة كذلك التي تقع عقب بعض الأحداث في سورة يوسف، أو عند الاقتراع في قصة كفالة مريم في سورة آل عمران.

- تعقيبات متوسطة الطول تقع بين قصتين، أو في أعقاب قصة متوسطة التفصيل كالتعقيب على قصة قابيل وهابيل في سورة المائدة.

- تعقيبات طويلة تقع بعد القصة المفصّلة كما سورة يوسف، أو في أعقاب السور التي تعرض القصص المفصّل كما في سور: الأعراف، هود والقصص.

خلاصة:

عرفنا خلال مباحث هذا الفصل أن أسلوب التعقيب في القرآن الكريم يقوم على التنوع في الأشكال باعتبار النفس الإنسانية التي تشتهي التنوع وتنفر من الرتابة. وقد سعى هذا الفصل من البحث إلى استقصاء أهم هذه الأشكال بالاعتماد على معيارين متكاملين:

- أولهما: تكرار التعقيب.

- الثاني: البساطة والتركيب في بنية التعقيب.

ولذلك فإن الأشكال التي يتخذها أسلوب التعقيب في النص القرآني لا تخرج عما يلي:

- **التعقيب الأساسي:** وهو أكثر الأشكال انتشاراً في القرآن الكريم، ويتميز ببساطة تركيبه باعتباره مقطعاً يذيل الآية الكريمة. كما يتميز بعدم تكراره تكراراً تاماً في النص القرآني كله، بل يقوم على عامل التنوع.

- **التعقيب المكرر:** ونعني بذلك ما تكرر وروده في موضعين مختلفين، أو أكثر، تكراراً تاماً، وهو نوعان:

- **تعقيبات تكرر ورودها في مواضع من القرآن لا تتعلق بسور محددة،** وتهدف إلى تقرير

أهم مبادئ المعتقد كالمعرفة بذات الله تعالى من خلال ترسيخ أسمائه وصفاته.

- **تعقيبات تكرر ورودها في مواضع معينة من السورة نفسها تكراراً ملحوظاً:** وهي أكثر

حضوراً في سورة الرحمن، وفي سور أخرى كالمرسلات والشعراء والقمر، وقد عرفنا أنها خاصة

أسلوبية يتفرد بها القرآن المكي دون غيره، وذلك أبلغ في الإنذار والإعذار.

- **التعقيب الآية:** وهو نوع من التعقيبات المنقطعة عما قبلها بالتوقيف، إذ يشكّل التعقيب في هذه الحالة آية مستقلة عما قبلها، وهي ظاهرة قرآنية أكثر تعلقاً بالمرحلة المكيّة أيضاً، كما أنها ذات صلة وثيقة بالتعقيبات المكررة في نفس السورة.
- **التعقيب المركب أو التعقيب على القصص:** ويتكون من مجموعة من آيات تقع تعقيباً على القصة القرآنية أو بعض أحداثها، لأغراض يقتضيها الخضوع للغرض الديني. وهو أسلوب أكثر اتصالاً بالقرآن المكي نتيجة ارتباطه بالقصّ المفصّل، وهو من خصائص السور المكيّة.

البَابُ الْأَوَّلُ

الفصل الثالث

الأغراضُ البلاغيةُ الأساسيةُ لتعقيباتِ القرآنِ الكريمِ

- الثناء على الله تعالى.

- الأمر والنهي.

- الوعد والوعيد.

- المدح والذم.

الأغراض البلاغية الأساسية لتعقيبات القرآن الكريم

لقد شاء الله تعالى أن يكون القرآن الكريم آخر الكتب السماوية، وأن يكون الرسول ﷺ خاتم الرسل، وذلك بعد كمال الدين وتمام النعمة وثبوت الحجة على الناس كافة، ولذلك جاء القرآن الكريم رسالة الله للعالمين، فيه هدي الإنسان في كل أحواله وأزمانه، فيه خطاب المؤمنين والكفار، والمنافقين وأهل الكتاب، فيه الأمر والنهي، والثناء والذم، والشدة واللين، والوعد والوعيد. فيه الإخبار بالغيب، وأخبار الغابرين وقصصهم، وفيه من آيات العلم بالله تعالى ما تستقيم به عقيدة المؤمن، ومن آيات العمل والتشريع ما تنتظم به حياة العباد.

ولأجل ذلك جاء الخطاب القرآني متنوعاً بما يتفق مع طبيعة المضامين، ويتناسب مع صفة العالمية التي تسم رسالة النبي ﷺ باعتباره رسولاً للناس كافة ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (سبأ، 28)، فلم يهمل طرفاً من الأطراف لتكون الحجة بذلك أكدة على الجميع، ويكون النص بتنوعه شاهداً للنبي ﷺ بالكمال في أداء الأمانة وتمام التبليغ، كل ذلك في انسجامٍ معجزٍ، وتصريفٍ عجيبٍ.

ولم تخرج التعقيبات القرآنية عما يجري عليه سائر الخطاب في القرآن الكريم، ففيها خطاب النبي ﷺ من ثناء وتأبيد، وتنبيه وتذكير، وحنو وعتاب، وفيها خطاب المؤمن من تحذير ونصح، وأمر ونهي، وترغيب وترهيب. وفيها خطاب الكافر والمنافق من وعيد وتهديد، وزجر وذم، وفيها خطاب أهل الكتاب من تذكير وتوبيخ، ونصح وجدل، ووعد ووعد، وفيها دعوة للناس كافة إلى ما تستقيم به أحوال دينهم ودنياهم.

وقد كان هذا التنوع في الخطاب داعياً لتعدد أغراض التعقيبات القرآنية لتذهب في شُعب المعاني إلى كل معنى قد يعرض للنفس من أمرٍ ونهي، ووعدٍ ووعدٍ، ومدحٍ وذمٍّ، وتحذيرٍ وتنبيةٍ، ونصحٍ وعتابٍ، وتوبيخٍ وتقريعٍ، وتأبيدٍ وتحقيرٍ... وهو مرتقى صعبٌ تتداخل فيه المعاني وتتقنُّ باعتبارها أموراً نفسيةً مقارنة قائمة على ذوق الإنسان ومشاعره وتجاربه مع لغته وواقعه، فلا يصبح النصُّ على معنىٍ بلاغيٍ بعينه في حقيقة الأمر سوى وضوح هذا المعنى وشهرته عند أهل التفسير، لأن كلَّ أسلوبٍ قد يفيد مجموعةً من المعاني المتقاربة في نفس المتلقي¹.

غير أن هذه المعاني الكثيرة المتداخلة سرعان ما يتضاءل معظمها أمام النظرة المتأنيّة الفاحصة فيبدو حضورها محصوراً ضمن نطاق ضيق لا يتسع إلا لسياقات معدودة جداً، فلا نجد لها تواتراً يُذكر في القرآن الكريم كلّهُ. كما يمكننا الجمع بين بعض المعاني المتقاربة من خلال إلغاء بعض السمات الدلالية ذات الأهمية المتضائلة، لتتكشف لنا بذلك أهمُّ الأغراض والمقاصد التي ترمي إليها التعقيبات القرآنية وتسعى لترسيخها عقيدةً في نفس المتلقي، وهي مجموعة مترابطة في غاية الأهمية يؤدي كلُّ منها إلى الذي يليه في ترابط وظيفي دقيق وتكامل مدهش.

وبأتي الثناء على الله تعالى في قمة ذلك متداخلاً مع غيره، متلبساً بكلِّ ما ورد عن ذات الله ﷻ من اسمٍ أو صفةٍ أو خبرٍ، وذلك أساس المعرفة الصّحيحة بحقيقة المعبود في العقيدة السليمة. ثم لم يكتفِ القرآن بالمعرفة فحسب لبلوغ الكمال، ولم يدعِ الله الحكيم الغنيّ عبده هملاً، ولم يتركهم سدىً، يأكلون نعمته، ويعبدون الجبت والطاغوت، ويجعلون له أندادا، فكان مقتضى الحكمة أن يكون بعد المعرفة والثناء إحكامٌ وتفصيلٌ ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾

¹ - ينظر: أساليب الأمر والنهي في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية: يوسف عبد الله الأنصاري، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1990، ص 12 - 13.

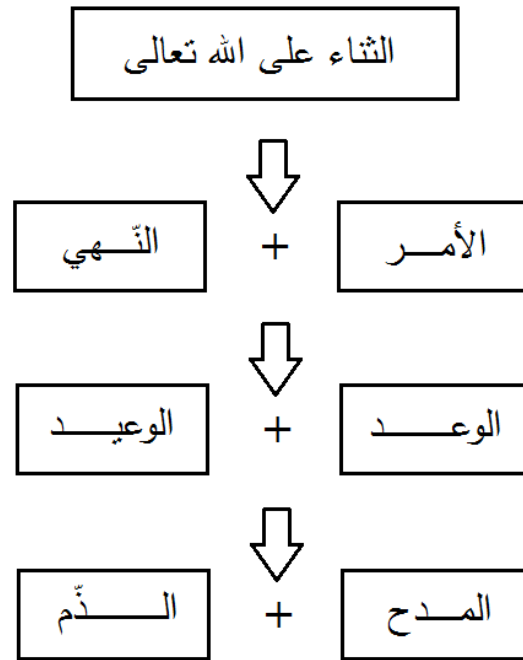
(هود، 1)، وهو شأن كل الرسائل من قبل: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنعام، 154).

وقد رأى أكثر أهل التفسير¹ أن المراد بالإحكام إنما هو الأمر والنهي، وهو لا يكتمل دون تفصيل، فكان مقتضى الحكمة أن يكون بعد الأمر والنهي في كتاب الله تعالى وعدٌ ووعد، وهي معانٍ يترابط بعضها ببعض، يقول الرازي في تفسيره: "ثم تأملنا فقلنا: هل يجوز أن يكون له أمرٌ ونهي مع أنه لا يكون له وعدٌ ووعد ؟ فَحَكَمَ صريحُ العقل بأن ذلك غيرُ جائز، لأنه إن لم يقُرْن الأمر بالوعد بالثواب، ولم يقُرْن النهي بالوعيد بالعقاب لم يتأكد الأمر والنهي، ولم يحصل المقصود، فثبت أنه لا بد من وعدٍ ووعد²".

ثم كان مقتضى الوعد والوعيد مدحٌ وذمٌ في كتاب الله تعالى قبل الحشر، وقبل والثواب والعقاب. وهكذا فإن أسلوب التعقيب يسعى في الأساس إلى ترسيخ هذه المجموعة المتكاملة من الأغراض العظيمة التي تترابط أجزاؤها كحلقات سلسلة يؤدي كلٌ منها إلى الذي يليه، في تكامل مدهش يمثله المخطط التوضيحي التالي:

¹ - ينظر:

- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج 4، ص 399.
- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج 3، ص 272.
- فتح القدير: محمد بن علي الشوكاني، دار ابن كثير، دمشق - دار الكلم الطيب، بيروت، ط 1، 1414 هـ، ج 2، ص 545.
- فتح البيان في مقاصد القرآن: أبو الطيب محمد صديق خان الحسيني البخاري، تقديم ومراجعة: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، 1992 م، ج 6، ص 173.
- ² - مفاتيح الغيب، ج 17، ص 201.



I - الثناء على الله تعالى:

الثَّنَاءُ لغةً من الثَّنَى، وهو العطف وردَّ الشَّيْء بعضه على بعض ¹، ويُطلق على ما تصف به الإنسان من مدح أو ذم ²، وذلك لما فيه من التكرير ³، تقول: أَثْنَى يُثْنِي إِثْنَاءً أو ثَنَاءً، في القبيح من الذكر في المخلوقين وضده ⁴. وهو في الاصطلاح ذكرُ الْخَيْرِ بِاللِّسَانِ ⁵، أو "الإتيان بما يُشعر التعظيم مطلقاً، سواءً كان باللسان أم بالجنان أم بالأركان" ⁶.

¹ - الكليات: أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي، تح: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص 324.

² - لسان العرب، ج 14، ص 124.

³ - الفروق اللغوية، ص 50، 51.

⁴ - العين، ج 8، ص 244. ينظر أيضاً: لسان العرب، ج 14، ص 124.

⁵ - دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون: عبد النبي بن عبد الرسول الأحمّد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 2000م، ص 259.

⁶ - الكليات، ص 324.

وهكذا فإن بينه وبين المدح عمومٍ وخصوص، أما عمومهُ فإطلاقه في الخير والشرّ، وأما خصوصه فهو أنه لا يكون إلا مكرراً، ومنه قوله تعالى: ﴿سبعاً من المثاني﴾ (الحجر، 87)، لأنها تُكرّر في كل ركعة¹.

وقد ورد في القرآن الكريم من الثناء على الله تعالى نصيب وافٍ ممّا لا سبيل إلى الإحاطة بمعانيه، ذلك أنه تابع للمثنى عليه، "فكما أنه تعالى لا نهاية لسلطانه وعظمته فكذلك لا نهاية للثناء عليه"²، وفي الحديث "لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ"³. وقد أثنى الله تعالى على نفسه وحثّ على ثنائه بأساليب كثيرة، منها الحمدة، وجعلها فاتحة كتابه، فكانت أم المثاني، حمداً وثناءً وتمجيذاً⁴. كما أثنى على نفسه بكلمة التوحيد، وبِعَظِيمِ أَسْمَائِهِ وصفاته فقال: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهِيمُنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (الحشر، 23، 24).

وهكذا يجري سائر كتاب الله تعالى على نحوٍ كثيف من عظيم الثناء، إلا أن موضع التعقيب قد حظي بعناية خاصّة في تأكيد ذلك وتقديره في النفوس بما يتناسب مع عظمة المثنى عليه، فجاء أكثره ثناءً من الله تعالى على نفسه مباشرة، وهو في ذلك يلتزم صيغاً كثيرة، كالتعقيب بالفعل "كفى

¹ - الفروق اللغوية، ص 50، 51.

²² - المطلع على ألفاظ المقنع: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي الفتح، تح: محمود الأرناؤوط وياسين محمود الخطيب، مكتبة السوادي للتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط 1، 2003 م، ص 120.

³ - صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج النيسابوري، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج 1، ص 352.

⁴ - ينظر: تفسير ابن كثير، ج 1، ص 143.

"مقترباً بلفظ الجلالة وبعض صفاته تعالى كالوكيل والشهيد والحسيب، كما في قوله: ﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ (الأحزاب، 3)، ﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ (الفتح، 28)، ﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ (الأحزاب، 39). أو كالتعقيب بالفعل تبارك مقترباً بلفظ الجلالة وبعض صفاته ﴿ تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ (المؤمنون، 14)، ﴿ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (غافر، 64)، ﴿ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ (الرحمن، 78). أو كالتعقيب بالتسبيح في قوله: ﴿ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ ﴾ (الأنعام، 100)، ﴿ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (التوبة، 31)، ﴿ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (يونس، 18) .

كما أجرى الله الثناء على نفسه في القرآن على لسان كثير من خاصة خلقه، كثناء عامة الملائكة: ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ (البقرة، 32)، وخاصتهم من حملة العرش: ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (غافر، 8)، أو كثناء الرسل يوم الجمع: ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ (المائدة، 109)، واختص من ثنائهم ما جاء على لسان أنبيائه، كنوح: ﴿ وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴾ (المؤمنون، 29)، وهود: ﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ ﴾ (هود، 57)، وصالح: ﴿ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴾ (هود، 61)، وإبراهيم: ﴿ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ (إبراهيم، 39)، وشعيب: ﴿ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾ (الأعراف، 89)، ويعقوب: ﴿ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (يوسف، 64)، وأيوب: ﴿ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (الأنبياء، 83)، وموسى: ﴿ وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴾ (الأعراف، 155)، وسليمان: ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ (ص، 35)، وزكريا: ﴿ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ (آل عمران، 38)، وعيسى: ﴿ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ (المائدة، 114). أو كثناء غيرهم ممن رضي عنهم من سائر خلقه كامرأة عمران: ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (آل عمران، 35)، ومريم الصديقة: ﴿ إِنَّ

اللَّهُ يَزُكُّ مَنْ يَشَاءُ بَغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ (آل عمران، 37)، وأهل الجنة: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (فاطر، 34)، وكثاء الراسخين في العلم: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ (آل عمران، 8)، وغير ذلك كثير.

وعموماً فإن سائر ما جاء من ثناء على الله تعالى في كتابه العزيز، سواء كان من الله تعالى مباشرة، أم أجراه على بعض خلقه هو من ثناء الله تعالى على نفسه لأن القرآن كله كلام الله¹، وهو يتميز بسمتين أسلوبيتين أساسيتين:

أ - **الحضور المكثف لأسماء الله تعالى وصفاته:** وذلك أن الله جلّ وعلا أدرك بما يجوز في حقّه من ثناء وتعظيم، فلا يكون مدحه إلا بما أخبر عنه من عظيم أسمائه وصفاته². وقد جاء أسلوب التعقيب هادفاً إلى تقريرها في النفس وتمكينها كأساس في العقيدة، وتحويل ما يناسب منها إلى سلوك في حياة المؤمن، كما يهدف إلى تلقين العباد ما يناسب من طرائق وأساليب التعبد

¹ - مما جاء في "تراث أبي الحسن الحرّالي المراكشي في التفسير" في تفسير بعض آيات سورة الفاتحة قوله: "القرآن كله كلام الله، لكن منه ما هو كلام الله عن نفسه، ومنه ما هو كلام الله عما كان يجب أن ينطق به الخلق على اختلاف ألسنتهم وأحوالهم وترقي درجاتهم ورتب تفاضلهم، مما لا يمكنهم البلوغ إلى كنهه، لقصورهم وعجزهم، فتولى الله الوكيل على كل شيء الإنباء عنهم بما كان يجب عليهم، مما لا يبلغ إليه وسع خلقه، وجعل تلاوتهم لما أنبأ به على ألسنتهم نازلاً لهم منزلة أن لو كان ذلك النطق ظاهراً منهم، لطفاً بهم، وإتماماً للنعمة عليهم، لأنه تعالى لو وكلهم في ذلك إلى أنفسهم لم يأتوا بشيء يصلح به أحوالهم في دينهم ودنياهم". للاستزادة ينظر:

- تراث أبي الحسن الحرّالي المراكشي في التفسير: أبو الحسن علي بن أحمد الحرّالي، تح: محمادي بن عبد السلام الخياطي، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، ط 1، 1997 م، ص 148-149.

- محاسن التأويل، ج 3، ص 464.

- التفسير القرآني للقرآن، ج 9، ص 1198.

² - فائدة جلييلة في قواعد الأسماء الحسنى: ابن قيم الجوزية، تح: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، طبعة غراس، الكويت، ط 1، 2003م، ص 31.

والتودّد إلى الله جلّ وعلا¹، "ليتعرف إلى عباده ويعرّفهم كيف يحمّدونه، وكيف يثنون عليه، وليحبّب إليهم بذلك، ويحبّهم إذا عرفوه وأحبّوه وحمّدوه"²، ذلك أن الله تعالى "يحبّ أسماءه وصفاته، ويحبّ المتعبّدين له بها، ويحبّ من يسأله ويدعوه بها، ويحبّ من يعرفها، ويعقلها ويثني عليه بها، ويحمّده ويمدحه بها"³، ففي الحديث الصحيح: "ليس أحدٌ أحبّ إليه المدح من الله، من أجل ذلك مدح نفسه، وليس أحدٌ أغيّر من الله، من أجل ذلك حرّم الفواحش"⁴.

ولعلّ من أبرز ما يميز التوظيف القرآني لأسماء الله تعالى وصفاته في أسلوب التعقيب اقتران بعضها ببعض في موضع الثناء، كاقتران المغفرة بالرحمة، والعزة بالحكمة، والسّمع بالعلم أو البصر، وذلك في سياقاتٍ خاصة في غاية المناسبة واللفظ، فما قرّن شيء إلى شيء أزين من حلم إلى علم، ومن رحمة إلى علم، ومن عفو إلى قدرة، ومن ملك إلى حمد، ومن عزة إلى رحمة⁵.

وينشأ عن هذا الاقتران صفة كمالٍ ثلاثة تختلف عن الوصفين أو الاسمين منفردين، وقد نبّه إلى ذلك بعض أهل العلم فقال: "صفة تحصل من اقتران أحد الاسمين والوصفين بالآخر، وذلك قدر زائد على مفرديهما نحو الغنيّ الحميد، العفو القدير، الحميد المجيد، وهكذا عامة الصفات

¹ - ينظر مثلاً تفسير الشيخ طاهر بن عاشور لقوله تعالى: ﴿فنعم الماهدون﴾: التحرير، ج 27، ص 17.

² - طريق الهجرتين وباب السعادتين: ابن قيم الجوزية، دار السلفية، القاهرة، ط 2، 1394هـ، ص 130.

³ - طريق الهجرتين وباب السعادتين، ص 129.

⁴ - صحيح مسلم، ج 4، ص 2113.

⁵ - ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: ابن قيم الجوزية، تح: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 3، 1996م، ج 1، ص 59.

المقترنة والأسماء المزدوجة في القرآن، فإن الغنى صفة كمالٍ والحمد كذلك، واجتماع الغنى مع الحمد كمالٌ آخر، فله ثناءٌ من غناه وثناءٌ من حمده وثناءٌ من اجتماعهما¹.

ب - الحضور المكثف لأساليب التوكيد في الثناء على الله تعالى: يتميز أسلوب التعقيب في مواضع الثناء على الله تعالى بحضور كثيف لأساليب التوكيد المختلفة وذلك قصد مزيد من المبالغة في معاني المدح، من ذلك:

- تصدير التعقيب بـ "إِنَّ" المشددة التي من شأنها الإثبات لما يأتي بعدها وتأكيده، كما في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَعُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (البقرة، 143) ﴿إِنَّكَ لَا تَخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ (آل عمران، 194)، ﴿إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ (هود، 73).

- صيغ المبالغة المستفادة من أبنية كثيرٍ من أسماء الله تعالى وصفاته كالتَّوَّاب، الوهاب، علام الغيوب، الرؤوف، الشكور، السميع، العليم...

- صيغ التفضيل، وهي في دلالتها على الإطلاق تخرج عن باب التفضيل إلى الدلالة على إثبات الصفة على سبيل التقوية والتوكيد²، كما في قوله ﷻ: ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (يوسف، 92)، ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (المؤمنون، 14)، ﴿وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ (هود، 45)، ﴿وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (الأعراف، 151). وقد يرد التفضيل باستعمال فعل مساعد مضافاً إلى جمع معرفة، كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾ (آل عمران، 150)، ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ

¹ - بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي، بيروت ج 1، ص 159.

² - ينظر: أسماء الله الحسنى: أحمد مختار عمر، دراسة في البنية والدلالة، مكتبة الأسرة، 2000م، ص 101.

الْفَاتِحِينَ ﴿ (الأعراف، 89)، ﴿ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ (المائدة، 114)، ﴿ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾ (الأعراف، 87).

- اللام المزلقة¹، كما في قوله ﷻ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (النحل، 18)، ﴿ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ (إبراهيم، 39)، ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (البقرة، 143).

- ضمائر الفصل²، وهي تختلف بحسب السياق، إذ يرد الضمير "هو" لتوكيد المعنى في موضع الثناء عموماً، كما في قوله ﷻ: ﴿ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (البقرة، 37)، ﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (الأنفال، 61)، ﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (الإسراء، 1)، أما في موضع الثناء المصاحب لطلب أو مسألة فالغالب أن يرد ضمير الفصل "أنت"، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (البقرة، 127)، ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (البقرة، 129)، ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ (ص، 35).

¹ - اللام المزلقة: من المؤكدات، فائدتها توكيد نسبة الخبر إلى المبتدأ، والأصل فيها أن تنصدر الكلام، غير أن اجتماعها مع "إن" في صدر الكلام كان سبب زحلقها إلى الخبر، لأن اجتماع حرفين بمعنى واحد في مكان واحد لا نظير له، فسُمِّيَت اللام المزلقة. للاستزادة ينظر: - فتح رب البرية في شرح نظم الأجرومية: أحمد بن عمر بن مساعد الحازمي، مكتبة الأسد، مكة المكرمة، ط1، 2010 م، ص 377.

² - هو الضمير الذي قد يتوسط بين المبتدأ والخبر، أو ما أصله مبتدأ وخبر، إيذاناً من أول الأمر بأن ما بعده خبر لا نعت. وهو يفيد تأكيد الحكم، لما فيه من زيادة الربط. وقد سُمِّيَ بضمير الفصل لأنه يؤتى به للفصل بين ما هو خبر أو نعت، لأنك إن قلت "زهير المجتهد"، جاز أنك تريد الإخبار، وأنت تريد النعت. فإن أردت أن تفصل بين الأمرين، وتبين أن مرادك الإخبار لا الصفة، أتيت بهذا الضمير للإعلام من أول الأمر بأن ما بعده خبر، لا نعت. للاستزادة ينظر: - جامع الدروس العربية: مصطفى بن محمد سليم الغلاييني، المكتبة العصرية، بيروت، ط 28، 1993 م، ج 1، ص 126.

II- الأمر والنهي:

الأمر في اللغة مصدر الفعل أَمَرَ، تقول: أَمَرُهُ به وأَمَرُهُ، وهو نقيض النهي، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ﴾ (طه، 132)، كما تعني الحادثة، وجمعها أُمُورٌ، وفي التنزيل العزيز: ﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ (الشورى، 53)، كما تعني الكثير، وهي حينئذٍ مصدر الفعل أمر، ومنه قوله ﷺ: "خَيْرُ الْمَالِ سِكَّةٌ مَأْبُورَةٌ أَوْ مُهَرَّةٌ مَأْمُورَةٌ"، بمعنى كثيرة النِّتَاجِ والنَّسْلِ¹.

والنهي خلافُه ونقيضُه كما سبق، تقول العرب نَهَيْتُهُ ونَهَوْتُهُ عنه فانتَهى وتناهى أي كفَّ²، وهو مصدر أيضاً، وعموماً فإن دلالة لا تخرج عن غاية الشيء ومنتهاه³، فالنهاية الغاية التي ينتهي إليها الشيء⁴، وتَنْهِيَةُ الوادي حيث تنتهي إليه السيول⁵، والنَّهْيُ والنَّهْيُ الموضع الذي له حاجز ينهى الماء أن يفيض منه، وناقصة نَهْيَةٍ أي التي بلغت غاية السَّمن، والنَّهْيَةُ حيث انتهت إليه الرُّصُوع بين حمالة السيف وجفنه، والنَّهْيُ العقل لأنه ينهى عن القبيح⁶.

أما في الاصطلاح، فيعني الأمر "طلب إيجاد الفعل"⁷، أو هو "استدعاء الفعل بالقول ممن هو دونه"⁸، أو هو "طلب حصول الفعل من المخاطب على وجه الاستعلاء مع الإلزام"¹.

¹ - ينظر مادة (أ م ر): لسان العرب، ج 4، ص 26-28.

² - نفسه، ج 15، ص 343.

³ - العين، ج 4، ص 93.

⁴ - لسان العرب، ج 15، ص 344.

⁵ - العين، ج 4، ص 93.

⁶ - ينظر مادة (ن ه ي): لسان العرب، ج 15، ص 345، 346.

⁷ - الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة: زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري، تح: مازن المبارك، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط 1، 1411 هـ، ص 84.

⁸ - معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم: جلال الدين السيوطي، تح: محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 1، 2004 م، ص 66.

ويبدو أن الدلالة الاصطلاحية لمفهوم الأمر على هذا النحو الذي عرضناه تتّجه من العموم إلى الخصوص، وذلك باعتماد مزيد من السمات الدلالية كالاستعلاء والإلزام تحقيقاً لدلالة الأمر، وإبعاداً لغيرها من الدلالات المجازية المستفادة من سياق الكلام وقرائن الأحوال عند خروج الأمر عن حقيقته. ولعل الدلالة الاصطلاحية للأمر القرآني أحوج إلى مثل هذا التضييق وذلك لما يميّزه في كتاب الله تعالى من وفرة وتعدد في الأشكال، وخروج عن حقيقة الأمر، ولذلك اختار بعض الباحثين تعريف الأمر في حقيقة بيان الوحي بقوله: "هو القولُ الطالبُ إيجادَ فعلٍ ممكنٍ مرادٍ غيرٍ حاصلٍ وقت طلبه على الحال التي طُلبَ عليها، مدلول عليه بالفعل ونحوه"².

أما النهي فيعني في الاصطلاح "القول الذي يستدعي ترك الفعل ممن هو دونه"³، أو هو "قول القائل لمن دونه لا تفعل مجرّدة عن القرائن الصارفة عن النهي"⁴، أو هو "القول الطالب كفاً ممكناً مراداً عن فعل ممكن مدلول على ذلك بصيغة لا تفعل ونحوها"⁵.

وقد ضمّ كتاب الله تعالى بين دفتيه من أساليب الأمر والنهي ما يعسرُ حصره، وفرةً وتنوعاً، ذلك أنها عمود التشريع، فشرعة الله تعالى "كلُّها أمرٌ ونهيٌّ، والتقوى منحصرة في الامتنال والاجتناب"⁶. وتتجلى هذه الأساليب في صور مختلفة يمكن تصنيفها إلى فئتين: أما الأولى فهي الكثرة الغالبة، وثمّنل الأمر السياقي، لدلالاتها على معنى الأمر أو النهي تلويحاً بمعونة السياق

¹ - جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، المكتبة العصرية، بيروت، ص 71.

² - صورة الأمر والنهي في الذكر الحكيم: محمود توفيق محمد سعد، مطبعة الأمانة، مصر، ط1، 1993، ص 13.

³ - معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، ص 66.

⁴ - كشاف اصطلاحات الفنون، ج 1، ص 267.

⁵ - صورة الأمر والنهي في الذكر الحكيم، ص 15.

⁶ - التحرير والتنوير، 14، ص 254.

والقارئ¹، واعتماداً على كلّ المكونات الأسلوبية. وأما الثانية فتقوم على البنية القياسية لأسلوب الأمر والنهي، وهي تدل على معناها صراحةً عند تجزّدها من القارئ الصارفة عنه إلى غيره من المعاني:

1 - أسلوب الأمر والنهي السياقي في التعقيبات القرآنية: يدل هذا النوع على معاني الأمر أو النهي دون الاعتماد على الصيغ القياسية المألوفة، فهو خطاب كنائي قائم على غير المصارحة الشاحصة، إذ "يستجمع رحاق دلالاته من السياق مقالاً ومقاماً"².

وتتعدّد الأساليب الدالة على معنى الأمر أو النهي في كتاب الله تعالى، من ذلك تلبّسهما صورة الخبر في مقام التشريع، فكلّ خبر في سياق التشريع إنما يراد به الطلب نهياً أو أمراً³، أما "وجه إفادته الحكم الشرعي أن يجعل الإثبات مجازاً عن الأمر والنفي مجازاً عن النهي"⁴.

وهكذا يفيد الخبر الأمر بوجوب الحكم الشرعي بأبلغ وجه⁵، على الهيئة التي يحبها الله تعالى، من ذلك قوله ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ (النساء، 58)، إذ يعدل الأسلوب القرآني عن صيغة الأمر المباشر إلى الإخبار عن الأمر، وفي ذلك "دلالة على القصد إلى المسارعة في تحصيل المطلوب، أو القصد إلى المبالغة في الطلب نفسه، أو القصد إلى مدح المطلوب منه وأنه ممن يسارع في الامتثال، فهو جدير بأن يخبر عنه، لا أن يُطلب منه"⁶.

¹ - صورة الأمر والنهي في الذكر الحكيم، ص 16.

² - نفسه، ص 71.

³ - نفسه، ص 71.

⁴ - نفسه، ص 71.

⁵ - نفسه، ص 71.

⁶ - نفسه، ص 84.

وقد يقع هذا العدول في موضع التعقيب من الآية الكريمة، فيفيد تحقيق الأمر الإلهي وتوكيده، من ذلك تعقيب قوله تعالى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات، 13)، ومعناه أن الله تعالى "عليم بطواهركم، يعلم أنسابكم، خبير ببواطنكم لا تخفى عليه أسراركم، فاجعلوا التقوى عملكم، وزيدوا في التقوى كما زادكم"¹، فهو "كناية عن الأمر بتركية نواياهم في معاملاتهم"². ومثله أيضاً تعقيب قوله ﷻ: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ ﷻ وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً﴾ (الأحزاب، 2 - 3)، فمعناه "اكتفِ بالله وكيلاً"، وهو أمر باختصاص الله تعالى بالتوكل والاكتفاء لأن توكل غيره سفه³.

ويرد الخبر متضمناً معنى الأمر في كثير من المواضع التي تقتضي النظر والتأمل في آياته جلّ وعلا وعظمة خلقه، من ذلك تعقيب قوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل، 69). ومثله تعقيب قوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ (الزّوم، 23)، ففي ذلك من الحث على التفكير والأمر بالإقبال على الله تعالى مما لا يخفى على ذي سمع أو بصر.

كما يكثر أسلوب الأمر في صورة الخبر مصاحباً لدلالة المدح ضمن بعض التعقيبات المعربة عما يحبه الله تعالى فيكون الإثبات كناية عن الأمر، إذ أن الله تعالى لا يخبر بذلك إلا لإرادة تنفيذه، من ذلك الأمر بالتزام التوبة والطهارة في تعقيب قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ

¹ - مفاتيح الغيب، ج 28، ص 115.

² - التحرير والتنوير، ج 26، ص 263.

³ - التفسير المظهري: محمد ثناء الله المظهري، تح: غلام نبي التونسي، مكتبة الرشدية، الباكستان، 1412 هـ، ج 7، ص 282.

هُوَ أَدَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿البقرة، 222﴾.

كما يرد الأمر القرآني في صورة استفهام في تعقيب بعض الآيات الكريمة، من ذلك قوله جلّ وعلا: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ مَا أُنْزِلَ بَعْلَمِ اللَّهِ وَأَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (هود، 14)، فهو أمر في صورة استفهام¹، جاء في عقب دعوة عظيمة للتحدي أعلنها الله تعالى مُظهرًا عجز الكافرين عن معارضة كلامه جلّ وعلا، فمن جعل الخطاب لهم كان معناه فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ مبايعون بالإسلام بعد الحجة القاطعة، ومن جعل الخطاب للمؤمنين كان ذلك أمرًا بالترقي في مراتب الإيمان واليقين².

ومثله في الدلالة على الأمر تعقيب قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ (المائدة، 91)، بمعنى "انتهوا"³ فهو استفهام يتضمن معنى الأمر⁴، وقد سبقه ذم للخمر والميسر وكشف لقبحهما، ثم أُعيد الحث على الانتهاء بصيغة الاستفهام مرتبًا على ما تقدم من أصناف الصوارف

¹ - البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: أبو العباس أحمد بن محمد الفاسي، تح: أحمد عبد الله القرشي رسلان، منشورات الدكتور حسن عباس زكي، القاهرة، 1419 هـ، ج 2، ص 516.

² - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج 2، ص 383.

³ - لباب التأويل في معاني التنزيل المعروف بتفسير الخازن: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم الخازن، تح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1415 هـ، ج 2، ص 76.

⁴ - البحر المحيط في التفسير، ج 4، ص 359.

فَقِيلَ ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ أَيْذَانًا بِأَنَّ الْأَمْرَ فِي الزَّجْرِ وَالتَّحْذِيرِ وَكَشَفٍ مَا فِيهِمَا مِنَ الْمَفَاسِدِ وَالشُّرُورِ قَدْ بَلَغَ الْغَايَةَ وَأَنَّ الْأَعْذَارَ قَدْ انْقَطَعَتْ بِالْكَلِيَّةِ ¹.

وقد جعله الرازي في تفسيره الكبير استفهاماً بمعنى النهي لا الأمر، فقال: "واعلم أن هذا وإن كان استفهاماً في الظاهر إلا أن المراد منه هو النهي في الحقيقة، وإنما حسن هذا المجاز لأنه تعالى ذم هذه الأفعال وأظهر قبحها للمخاطب، فلما استفهم بعد ذلك عن تركها لم يقدر المخاطب إلا على الإقرار بالترك، فكأنه قيل له: أتفعله بعد ما قد ظهر من قبحه ما قد ظهر فصار قوله فهل أنتم منتهون جارياً مجرى تنصيص الله تعالى على وجوب الانتهاء مقروناً بإقرار المكلف بوجوب الانتهاء ².

وأكثر ما يرد من النهي في صورة الخبر في موضع التعقيب ما يجيء مصاحباً لمعاني الذم ضمن بعض التعقيبات المعبّرة عما لا يحبّه الله تعالى في عبادته، فيكون النفي كناية عن النهي مثلما يكون الإثبات كناية عن الأمر، إذ إن الله تعالى لا يخبر بذلك إلا لإرادة النهي عنه في هذا المقام لأن نفي حبّ الله تعالى لشيء ما يكفي لتحريمه وتجريمه ³، من ذلك تعقيب قوله تعالى: ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ (الحديد، 23)، ففي تعقيب الآية دلالة على النهي عن الفرح وإيدان بأنه أقبح من الأسى ⁴. ومثله في الدلالة على النهي تعقيب قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا

¹ - إرشاد العقل السليم، ج 3، ص 76.

² - مفاتيح الغيب، ج 12، ص 425.

³ - التفسير القرآني للقرآن، ج 3، ص 952.

⁴ - إرشاد العقل السليم، ج 8، ص 211.

يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿ (البقرة، 205)، أو قوله: ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (الأعراف، 55).

وهكذا يمكننا أن ندرك أن الأسلوب السياقي للأمر والنهي في التعقيب القرآني شأنه في سائر كتاب الله تعالى لا يخضع لقواعد تطرّد في كل موضع، وإنما هو ما يتأتّى للبصيرة بالتدبر فيما يحيط بالنصّ من قرائن، وذلك - مما لا شك فيه - مما يصعب حصره ويُشكّل أمره على خلاف الأسلوب القياسي.

2 - أسلوب الأمر والنهي القياسي في التعقيبات القرآنية: هو أسلوب الأمر الصريح، ويقوم على عدد من الصيغ المحدودة في كتاب الله تعالى، وفي سائر كلام العرب، وهي لا تخرج عن ¹: فعل الأمر، المضارع المقترن بلام الأمر، اسم فعل الأمر، والمصدر النائب عن فعل الأمر. أما أسلوب النهي القياسي، فتدلّ عليه صيغة كلامية واحدة هي الفعل المضارع الذي دخلت عليه "لا الناهية" ².

وعموماً فإن إنتاج أسلوب الأمر القياسي في التعقيب القرآني يتم باستخدام صيغة فعل الأمر في الأعم الأغلب، كما يتم توظيف المضارع المقترن بلام الأمر في إنتاجه بوفرة أقل.

أ - أفعال الأمر في التعقيبات القرآنية: هي أكثر صور الأمر القياسي حضوراً في التعقيب القرآني، إذ يتم توظيف القيمة الدلالية لأسلوب التعقيب لترسيخ بعض الأمور ذات الأهمية البالغة

¹ - للاستزادة ينظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، ص 71.

ينظر أيضاً: البلاغة العربية: عبد الرحمن بن حسن الميداني، دار القلم، دمشق - الدار الشامية، بيروت، ط 1، 1996 م، ج 1، 228 وما بعدها.

² - البلاغة العربية، ج 2، ص 228.

في الدين. ويكشف استقصاء هذا الأمر الجليل أن أكثر ما يسعى الخطاب القرآني إلى توكيده وترسيخه في المتلقي لا يخرج في الأعم الأغلب عن فلك أمر واحد هو تقوى الله ﷻ.

والتقوى ثمرة الحضور المستديم لله تعالى في القلب، فيكون المؤمن على نور من ربه إذ يهجر المعاصي إلى الطاعات، رجاء رحمته تعالى، وخوفاً من عقابه¹. وقد ذكر أهل العلم أن حقيقة التقوى أمور، "أحدها: أن يكون على خوف ووجل من تقصير نفسه في تلك الطاعة فيتقوى بأقصى ما يقدر عليه عن جهات التقصير، وثانيها: أن يكون في غاية الاتقاء من أن يأتي بتلك الطاعة لغرض سوى طلب مرضاة الله تعالى، وثالثها: أن يتقوى أن يكون لغير الله فيه شركة"².

ويكثر هذا الأسلوب في القرآن المدني عقب الآيات المتعلقة بالأحكام، متغلغلاً في كل تفاصيل حياة المؤمن، بدءاً بأمور القلب والاعتقاد، ثم ما تستقيم به حياته كفرد، وكأسرة، وكمجتمع، وصولاً إلى ما يضبط علاقاته بغيره من الكفار وأهل الكتاب، وكلها يعقّب عليها القرآن مشدداً على تقوى الله ﷻ، ففي الالتزام بأمر الله تعالى ونهيهِ: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الحجرات، 1)، وفي الحلال والحرام: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ (المائدة، 88)، وفي أحكام الأسرة: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (البقرة، 196)، وفي الغسل والوضوء: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (المائدة، 7)، وفي الصوم: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (البقرة، 189)، وفي الحج: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (البقرة، 203)، وفي الصيد: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (المائدة، 4)، وفي المعاملات المالية: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران، 130)، وفي العدل بين الناس: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة، 8)، وفي

¹ - تفسير ابن كثير، ج 6، ص 375.

² - مفاتيح الغيب، ج 11، ص 339.

القتال والغنائم: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الأنفال، 69)، وفي القصاص: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾
 وَعَلِّمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة، 194)، وفي تفاصيل العلاقات الاجتماعية: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ
 اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ (الحجرات، 12)، وفي أدق سلوكات الناس: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾
 (المجادلة، 9).

ويرتبط التعقيب بالتقوى غاية الارتباط بالعلم، فيأتي أسلوب التعقيب لتوكيد الأمر بتحصيل العلم
 بصفاته جلّ وعلا، وهو ما لا تتحقق هيبة الله تعالى وحضوره في القلب إلا به، وقد حرص القرآن
 على توكيد هذه العلاقة في سياقات كثيرة، فقال ﷺ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر،
 28)، وقال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ (البقرة، 282). وهي حقيقة جسدها النبي ﷺ واقعاً، وأكدها
 بما لا يحتمل الشك من أساليب التوكيد في قوله: "والله إني لأعلمهم بالله، وأشهدهم له خشية"¹.
 ولأجل ذلك قال بعض أهل العلم: "خير العلم ما كانت الخشية معه وذلك لأن الخشية إنما تنشأ عن
 العلم بصفات الحق جلّ وعلا"²، فعلى قدر ما يعلم الإنسان من صفات الخالق بقدر ما يكون
 إيمانه به، وخشيته له، واتقاؤه لمحارمه³. فالتقوى – إذاً – ثمرة العلم⁴، كما أن العلم ثمرة التقوى،
 فهي تتورّ القلب، وتشرح الصدر، وتزيد في العلم والمعرفة⁵، ولأجل هذا التلازم باعتبار كلّ منهما

¹ – صحيح البخاري، ج 8، ص 27. أو ج 9، ص 97.

² – روح البيان: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي، دار الفكر، بيروت، دت، ج 2، ص 71.

³ – التفسير القرآني للقرآن، ج 6، ص 962.

⁴ – مفاتيح الغيب، ج 28، ص 114.

⁵ – التسهيل لعلوم التنزيل: أبو القاسم محمد بن أحمد ابن جزى، تح: عبد الله الخالدي، دار الأرقم بن أبي الأرقم،
 بيروت، ط 1، 1416 هـ، ص 325.

سبباً للآخر، ونتيجة له في الآن نفسه، كان الأمر بتحصيل العلم مصاحباً للأمر بالتقوى في التعقيب القرآني عقب الآيات المتعلقة بالتشريع، ليشكّل ارتباطهما علاقة قويّة تتجلى وفق الأشكال التالية:

أولاً- أن يرد الأمر صريحاً بالتقوى متضمناً الأمر بالعلم: ويتشكّل التعقيب في هذه الحالة من جملتين شديديتي الارتباط دون الاعتماد على حرف من حروف العطف، أما الأولى فهي جملة إنشائية تتضمن أمراً صريحاً بالتقوى. أما الثانية فخبيرية، وهي تتضمن أمراً كنائياً يوجب تحصيل العلم ببعض صفات الله تعالى مما يوجب التقوى، مثل: السميع، العليم، الخبير... وهو ما توضّحه التعقيبات التالية المدرجة على سبيل التمثيل:

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة، 8)
﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (المائدة، 7)
﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الحجرات، 1)
﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (الحشر، 7)
﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الحشر، 18)
﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الأنفال، 69)
﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (المائدة، 4)

ثانياً- الأمر الصريح بالعلم متضمناً الأمر بالتقوى: يتشكّل التعقيب في هذه الحالة من جملة إنشائية تشتمل على أمر صريح بوجوب العلم ببعض صفات الله تعالى مما يوجب التقوى، فهو خطاب كنائي يتضمن الأمر بالتقوى تبينه الأمثلة التالية:

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (البقرة، 267)

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (الأنفال، 25)
﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة، 244)
﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (التوبة، 36-123)

ثالثاً- الأمر الصريح بالتقوى إلى جانب الأمر الصريح بالعلم: يتشكل التعقيب في هذه الحالة من جملتين معطوفتين بحرف العطف "الواو". تتضمن إحداهما الأمر صريحاً بالتقوى، أما الثانية فتفيد أمراً صريحاً بالعلم ببعض صفات الله تعالى السابقة مما يوجب التقوى، كما هو واضح في الأمثلة التالية:

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة، 194)
﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (البقرة، 196)
﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (البقرة، 203)
﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (البقرة، 231)
﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (البقرة، 233)

ب - المضارع المقترن بلام الأمر في التعقيبات القرآنية: هو صيغة من صيغ الأمر القياسي تفيد الإلزام بالفعل ما لم تتصرف عن ذلك بقرائن حالية أو قولية¹. وهي أقل حضوراً في أسلوب التعقيب القرآني من صيغة فعل الأمر المباشر، ويتم توظيفها في الأعم الأغلب لتقرير مبدأ ذي أهمية بالغة في عقيدة المؤمن هو التوكل على الله ﷻ.

وقد ورد الأمر في التعقيب القرآني باستخدام المضارع المجزوم بلام الأمر في تسعة مواضع، وقعت كلها أمراً يوجب التوكل على الله تعالى، سوى في موضع واحد كما يوضح الجدول التالي:

¹ - البلاغة العربية، ج 1، ص 231.

﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (آل عمران، 122)
﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (آل عمران، 160)
﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (المائدة، 11)
﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (التوبة، 51)
﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (إبراهيم، 11)
﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ (إبراهيم، 12)
﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (المجادلة، 10)
﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (التغابن، 13)
﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ (المطففين، 26)

وحقيقة التوكّل في اللغة هي الاعتماد على من يوثق بكفايته للقيام بأمر من الأمور، يقال تَوَكَّلَ فلان بالأمر: "إذا ضمن القيام به، ووَكَّلْتُ أمري إلى فلان أي أَلَجَّأْتُ إليه، واعتمدت فيه عليه، ووَكَّلَ فلانٌ فلانًا إذا استكفاه أمره، ثِقَةً بكفايته، أو عجزا عن القيام بأمر نفسه"¹.

أما في الاصطلاح فالتَّوَكَّلُ هو "اعتماد القلب عليه سبحانه، وثِقَتُهُ به"²، أو هو "عملُ القلب وعبوديته اعتمادًا على الله وثقّةً به والتجاءً إليه وتفويضاً إليه ورضاً بما يقضيه له، لعلمه بكفايته سبحانه وحسن اختياره لعبده إذا فَوَّضَ إليه"³.

¹ - لسان العرب، ج 11، ص 734.

² - معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول: حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، تح: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم، المملكة العربية السعودية، ط 1، 1990 م، ج 2، ص 446.

³ - الروح: ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 254.

ولا يعني الصّدق في التّوكّل تعطيل الأخذ بالأسباب، فقد أمر الله عباده بالسّعي والاحتياط وتوكّل لهم أن يستخرج لهم من حيلتهم ما يصلحهم، فأمرهم بالحرث والبذر والسّعي في طلب الرّزق في ضمان ذلك كما قدره سبحانه ودبره واقتضته حكمته، وأمرهم أن لا تَعْلَق قلوبهم بغيره بل يجعلون رجاءهم له، وخوفهم منه، وثقتهم به وتوكّلهم عليه¹.

وقد جعل الله تعالى التّوكّل شرطاً أساسياً في حصول الإيمان وهو ما يفيد الحصر في التعقيب في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾، فأوجب بذلك صرف القلب عن كلّ ما سوى الله تعالى في كلّ أمر كعلامة على صدق الإيمان، وقد قالها كليم الله موسى ﷺ لقومه: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ (يونس، 84).

أما تكرار التعقيب على هذا النحو فغايته تأكيد الأمر وترسيخ هذه العبادة القلبية وإظهار العناية بها باعتبارها شرطاً أساسياً في حصول الإيمان، وقد عرفنا أن النّفوس "أنفر شيء عن حديث الوعظ والنصيحة، فما لم يكرّر عليها عوداً عن بدء لم يرسخ فيها ولم يعمل عمله"².

وقد عدل الأسلوب القرآني في تعقيبات الأمر بالتّوكّل عن الأمر المباشر للمخاطب إلى صيغة أمر الغائب، وهي صيغة أنسب لمقام وعظ النّفوس وتقويمها، وذلك لإيجاب التّوكّل على المخاطبين بالطريق البرهاني³. كما أسند هذه الصيغة إلى المؤمنين في أكثر المواضع لإظهار ما يدعو إلى

¹ - ينظر: الروح، ص 255.

² - الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، ج 4، ص 123.

³ - تفسير أبي السعود، ج 3، ص 13، 14.

الامتثال¹، ولإيذان بأن ما وُصفوا به عند الخطاب من وصف الإيمان "داعٍ إلى ما أمروا به من التوكل والتقوى، وانزع عن الإخلال بهما"².

كما تصدر لفظ الجلالة نصّ التعقيب مسبقاً بحرف الجرّ وذلك لغرض إفادة الحصر، غير أن تتبع السياقات التي ورد فيها لفظ الجلالة يكشف أنه جاء مكرراً في صدر كلّ تعقيب، وكان الأصل في موضعه الإضمار، لأنه يرد قبل ذلك في الجملة السابقة في موضع قريب³، وذلك بهدف تقوية استقلال جملة التعقيب، فتجري في قوتها واستقلالها مجرى المثل لتكون على اللسان أسهل وألصق، وبالنفس أوكد وأعلق.

ج - النهي القياسي في تعقيبات القرآن الكريم:

تقوم شريعة الله تعالى على أمره ونهيه، غير أن موضع التعقيب في القرآن العظيم موضع يقلّ فيها أسلوب النهي في شكله الصريح، وهو الحاصل بدخول لا الناهية على الفعل المضارع⁴، ذلك

¹ - روح المعاني، ج 3، ص 256.

² - تفسير أبي السعود، ج 3، ص 13، 14.

³ - كما في الآيات التالية:

- «إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ» (آل عمران، 122).

- «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ» (المائدة، 11).

- «إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئاً إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ» (المجادلة، 10).

⁴ - النحو الوافي: عباس حسن، دار المعارف، ط 15، دت، ج 4، ص 367.

أن "الإخبار في معنى النهي أبلغ من صريح النهي لما فيه من إيهام أن المنهي مسارع إلى الانتهاء"¹.

ومن المواضع التي تواتر فيها ورود النهي في موضع التعقيب ما جاء خطاباً للنبي ﷺ في ظاهره نهياً عن الامتراء كما في قوله تعالى: ﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ (البقرة، 147)، أو قوله: ﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ (آل عمران، 60). وحقيقة الامتراء الشك، وأصله في اللغة الجدل²، وهو مما لا يكون من النبي ﷺ ولا يُتوقع منه. ولأجل ذلك حُمِلَ هذا التعقيب بالنهي على غير ظاهره، فذهب بعض المفسرين إلى القول بأنه من باب التهيج لزيادة الثبات والطمأنينة³، أو هو في معنى الحث على اكتساب المعارف المزيلة للشك واستعمالها، لأن الشك لا يكون بقصد ولا باختيار⁴.

كما جَوَّز بعض المفسرين أن يكون التعقيب بالنهي على هذا النحو لغير معين ليعمَّ كل من يحتاج إلى مثل هذا الخطاب⁵، فهو لكل سامع إذا ظهرت الدلالة، فلا ينبغي أن يُمتري فيه⁶. كما يمكن أن يُحمل على معنى التعريض، فهو خطاب للنبي ﷺ والمراد به غيره من أمته، أو من المشركين الممترين⁷.

¹ - الكليات، ص 409.

² - لسان العرب، ج 15، ص 278.

³ - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج 1، ص 368.

⁴ - تفسير الراغب الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، تح: محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب، جامعة طنطا، ط 1، 1999 م، ج 1، ص 338.

ينظر أيضاً: تفسير أبي السعود، ج 1، ص 176.

⁵ - التحرير والتنوير، ص 8، ص 17.

⁶ - البحر المحيط في التفسير، ج 4، ص 628.

⁷ - التحرير والتنوير، ص 8، ص 17.

وتوجيه النهي في موضع التعقيب على هذا النحو من التعريض يحمل من قوة الدلالة ما لا يخفى، فهو وإن كان موجّهاً إلى شخصه الكريم ﷺ إلا أنه يحمل إحياءاً قوياً إلى من وراءه من المسلمين، ممن قد يتأثر بأباطيل اليهود وأحاديثهم¹، ليكون نهيه بمثل ذلك وهو أحبّ الخلق إلى الله تعالى وأولاهم بكرامته "دليلاً على أن من وقع في مثل ذلك من الأمة قد حقّت عليه كلمة العذاب، وليس له من النجاة باب"².

كما يرد النهي صريحاً في موضع التعقيب بما يوجب تبعيد النبي الكريم عن الحرص على ما لا يكون، والجزع في مواطن الصبر³، من ذلك تعقيب قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (الأنعام، 35)، وقد اختلف المفسرون في معنى الجهل المنهي عنه، فذهب بعضهم إلى أنه الذي هو ضد العلم⁴، كما في خطاب نبي الله نوح ﷺ: ﴿فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (هود، 46). وذهب غيرهم إلى أنه الذي هو ضد الحلم⁵ بدليل قوله ﷺ: ﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾.

ومهما يكن مراده ﷺ بالجهل في تعقيب الآية الكريمة إلا أن ذلك النهي يحمل "ما لا يخفى من الدلالة على المبالغة في حرصه ﷺ على إسلام قومه، وتراميه عليه، إلى حيث لو قدر أن يأتيهم بآية من تحت الأرض، أو من فوق السماء، لأتى بها"⁶. وهو شأن الأنبياء مع أقوامهم رجاء

¹ - في ظلال القرآن، ج 1، ص 136.

² - التحرير والتنوير، ج 2، ص 41.

³ - محاسن التأويل، ج 4، ص 349.

⁴ - التحرير والتنوير، ج 7، ص 206.

⁵ - نفسه، ص 206.

⁶ - محاسن التأويل، ج 4، ص 348.

إيمانهم، وشفقة عليهم فجاء النهي عن الأسى والجزع محققاً في موضع التعقيب في كتاب الله تعالى، كما في خطاب النبي ﷺ: ﴿ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (المائدة، 68)، أو في خطاب نوح عليه السلام: ﴿ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (هود، 36)، أو موسى عليه السلام: ﴿ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ (المائدة، 26).

III- الوعد والوعيد:

الوعد في اللغة مصدر الفعل وعد، وهي كلمة صحيحة تدل على ترجية بقول¹، تقول: وعدّه الأمر، ووعد به عدةً، ووعداً، وموعداً وموعدةً، وموعداً، وموعدةً². أما الوعيدُ أو التَّوَعُّدُ فيعني التَّهْدُدُ، تقول: أُوْعِدُهُ وتَوَعَّدَهُ، ففي الْخَيْرِ الْوَعْدُ وَالْعِدَّةُ، وَفِي الشَّرِّ الْإِيعَادُ وَالْوَعِيدُ³.

ويرى الأزهري أن العرب تستعمل في كلامها الوعد والعدة أو الإيعاد والوعيد في الخير والشرّ معاً، وفق شروط معيّنة، يقول: "كلام العرب وعدت الرجل خيراً ووعدته شراً، وأوعدته خيراً وأوعدته شراً، فإذا لم يذكروا الخير قالوا: وعدته فلم يُدْخِلُوا ألفاً، وإذا لم يذكروا الشرّ قالوا: أوعدته فلم يسقطوا الألف. وأنشد:

وإني وإن أوعدته أو وعدته لأخلف إيعادي وأنجز مواعيدي

وإذا أدخلوا الباء لم يكن إلا في الشرّ، كقولك: أوعدته بالضرب¹. وقد ذهب ابن الأعرابي إلى خلاف ذلك، فقال: "أوعدته خيراً"، وهو نادر، وأنشد قول الشاعر:

¹ - معجم مقاييس اللغة، ص ج 6، ص 125.

² - لسان العرب، ج 3، ص 461.

³ - نفسه، ص 463.

يَسْطُونِي مَرَّةً، وَيُوعِدُنِي فَضْلاً طَرِيفاً إِلَى أَيْدِيهِ².

ويبدو أن دلالاتي الوعد والوعيد قد تعرّضتا للتخصيص مع مرور الزمن بفعل المفسرين، فالقرآن يستعمل الوعد في سياقات الخير والشر في مواضع كثيرة دون تخصيص، من ذلك أن يقع الوعد للدلالة على العذاب في الدنيا كعذاب الكفار يوم بدر، أو في الآخرة كعذاب جهنم، في قوله ﷻ: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ (الحج، 47)، أو في قوله تعالى أيضاً: ﴿وَإِذَا تَنَزَّلَتْ عَلَيَّهَا آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ نَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأَنْتُمْ بِشِرِّ مِّنْ ذَلِكَُمُ النَّارِ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ (الحج، 72).

أما في الاصطلاح فإن الوعد في عرف أهل الكلام "هو كلّ خبر يتضمن إيصال نفع إلى الغير أو دفع ضرر عنه في المستقبل"³ أما الوعيد فهو "كلّ خبر يتضمن إيصال ضرر إلى الغير أو تفويت نفع عنه في المستقبل"⁴. أما في اصطلاح أهل السنة فالوعد فضل الله عز وجل ونعمته، أما الوعيد فعدله وعقوبته⁵، وكلاهما حق فالوعد حق العباد على الله، أما الوعيد فهو حقه تعالى على العباد⁶.

¹ - تهذيب اللغة، ج 3، ص 86.

² - لسان العرب، ج 3، ص 464.

³ - شرح الأصول الخمسة: القاضي عبد الجبار بن أحمد، تح: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، ط 3، 1996م، ص 134.

⁴ - نفسه، ص 135.

⁵ - أصول السنة ومعه رياض الجنة بتخريج أصول السنة: أبو عبد الله ابن أبي زَمَنِين المالكي، تح: عبد الله بن محمد عبد الرحيم بن حسين البخاري، مكتبة الغرباء، المملكة العربية السعودية، ط 1، 1415 هـ، ص 256، 257.

⁶ - تفسير القرآن الحكيم المعروف بتفسير المنار: محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990 م، ج 8، ص 83.

وقد ثبت في نص القرآن أن الله تعالى منجز وعده ووعيده يقيناً¹، بدليل قوله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ (النساء، 122)، أو قوله: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةً أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ (الرعد، 31)، فالوعد الإلهي وعد مطلق لا تلحقه أغيار الحياة التي تحول دون إنفاذ البشر لوعدهم ووعيدهم².

وقد جاء الوعد والوعيد في مواضع كثيرة من كتاب الله تعالى فلا تكاد تخلو منهما سورة من سوره، وذلك أنهما من أنجع أساليب الدعوة إلى الله تعالى بما يناسب طبيعة النفس البشرية ويدفعها إلى الطاعات، ويكفها عن المعاصي اعتماداً على عنصري الثواب والعقاب، فيعظم رجاء الناس في فضله تعالى، ويشد خوفهم من عقابه وعذابه "لأن مطامع العقلاء محصورة في جلب النفع ودفع الضرر، فاجتماع الخوف والطمع أدعى للطاعة"³.

¹ - اتفقت أغلب عقائد المسلمين بشأن تحقق نصوص الوعد في القرآن، كما اتفقوا أيضاً حول وعيد الكفار والمشركين المخلدين في النار، غير أنهم اختلفوا بشأن إنجاز وعيده ﷻ في عصاة المؤمنين ممن ماتوا مصرين على ذنوبهم، فذهب المعتزلة والخوارج إلى وجوب ذلك على الله تعالى، وإلا كان ذلك خُلُفاً أو كذباً وهو مما لا يكون من الله سبحانه. للاستزادة ينظر: شرح الأصول الخمسة، ص 136.

وذهب أهل السنة إلى أن الله تعالى المشيئة والخيار، إن شاء عفا وإن شاء عَذَّب، فهو يحكم لا معقَّب لحكمه، وهم لا يوجبون العذاب لكل من توجَّه إليه الوعيد في غير ما يقتضي الكفر، ولم يعدوا ذلك خُلُفاً على عادة العرب التي ترى أن التراجع عن إنجاز الوعيد فضلاً ومكرمة، وفي الحديث عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "مَنْ وَعَدَهُ اللَّهُ عَلَى عَمَلٍ ثَوَابًا فَهُوَ مُنْجَرُّ لَهُ، وَمَنْ وَعَدَهُ عَلَى عَمَلٍ عِقَابًا فَهُوَ فِيهِ بِالْخِيَارِ". للاستزادة ينظر: - تفسير المنار، ج 8، ص 83.

- السنة: أبو بكر أحمد بن عمرو بن الضحاك، تح: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، 1400هـ، ج 2، ص 466.

² - تفسير الشعراوي، ج 12، ص 9349.

³ - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، دار الفكر، بيروت، 1995م، ج 2، ص 223.

1 - أنواع الوعد والوعيد في التعقيبات القرآنية: يقع الوعد في تعقيبات النص القرآني، في

سياق الخطاب الخاص بالمؤمنين لدفع عزائمهم نحو صدّ هوى النفس الميالة إلى الشهوات، أما الوعيد فقد يرد في خطاب المؤمنين، وهو حينئذ أشبه بالتحذير والزجر، غير أنه ألصق بخطاب الكفار والمنافقين وأهل الكتاب.

وقد عُلِمَ أن الله تعالى منجز وعده ووعيده بمشيئته، وهو ما تحقّقه كثير من التعقيبات وفق آجال يمكن تصنيفها إلى ثلاثة أقسام:

أولاً - ما يتحقق عاجلاً في الدنيا: من الوعود العاجلة التمكين والنصرة متى التزم المؤمنون بتحقيق أسباب ذلك من إيمان وصبر، من ذلك ما جاء في تعقيب قوله ﷻ: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّنَّهُمْ الْبَاسُ وَالضَّرَاءُ وَرُلُّوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ (البقرة، 214).

ومما لا شك فيه أن في وعد المؤمنين بالنصر وعيد لأعدائهم بالهزيمة والعذاب الشديد، وهو وعيد كنائي يقع ضمن خطاب المؤمنين. كما يرد الوعيد العاجل مباشراً في خطاب الكفار والمنافقين وأهل الكتاب وهو أمر تؤكد كثير من التعقيبات، من ذلك ما ورد في عقب قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ (هود، 102).

ثانياً - ما يُرجى إنجازُه إلى الآخرة: تتمثل الوعود الآجلة في نعيم الجنات في كنف رضوانه ﷻ، وهو ما يرد وصفه في كثير من التعقيبات بالفوز العظيم تارة، وبالفوز المبين تارة أخرى ﴿ لِيُدْخَلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفَّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (الفتح، 5).

أما وعيد الآخرة فهو الخسران المبين الذي توعد به الله تعالى المشركين في تعقيب الآية الكريمة: ﴿ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ

الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿ (الزمر، 15). فهو وعيد بما لا قدرة للبشر على تحمّله من عذاب في ظلمات جهنم: ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِّي وَلَا تَفْتِنِّي اَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ (التوبة، 49).

ثالثاً - ما يجوز أن يتحقق في الدارين: وهو بذلك وعدٌ أو وعيدٌ مطلق لا يرتبط بزمن معين فمن الوعد تعقيب قوله تعالى: ﴿ اُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْاِيْمَانَ وَاَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ اُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ اَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (المجادلة، 22)، إذ يجوز أن يكون الفلاح في الدنيا، كما يجوز أن يكون في الآخرة.

ومن الوعيد ما جاء في تعقيب قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ (الأنعام، 21). وشبيه بذلك ما جاء في قوله أيضاً: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ (يونس، 17).

2 - الأسلوب القرآني في تعقيبات الوعد والوعيد: ما يلاحظ في كثير من تعقيبات الوعد والوعيد أنها تقع بأسلوب معجز تتكثف فيه كل معاني العظمة من نعيم أو عذاب لتختزل في أوجز عبارة، كما يغلب عليها الإبهام قصد مزيد من التشويق، إذ أن الإدراك البشري أعجز من أن يتصور عظمة ما يعد أو يتوعد به الله تعالى على حقيقته، ولأجل ذلك يكثر في التعقيب الإشارة بـ "ذلك" لأن فيه من الدلالة على البعد مجازاً ومن العلو في الشرف والفخامة والعظمة ما لا يخفى¹، ويمكن ملاحظة ذلك بوضوح في التعقيبات التالية المدرجة على سبيل التمثيل:

﴿ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (النساء، 13)
﴿ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (التوبة، 72)

¹ - ينظر: التحرير والتنوير، ج 25، ص 80 - أو: ج 27، ص 381 - أو: ج 25، ص 320.

﴿وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ (الأنعام، 16)
﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ (الجاثية، 30)
﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ (فاطر، 32)

كما يصبح هذا البعد المستفاد من الإشارة بـ "ذلك" موعلاً في معاني الترهيب حين يتعلّق الأمر بتعقيبات الوعيد:

﴿ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة، 63)
﴿ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ (الحج، 11)
﴿أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ (الزمر، 15)

كما يقع هذا التكنيف لمعاني التعظيم والتهويل من خلال إيهام العبارة وإيقاع الغموض وهو أمر في غاية الضرورة لإثارة خيال المتلقي، من ذلك ما جاء في تعقيب قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ (آل عمران، 145)، ففي إيهام الجزاء من التأكيد والدلالة على فخامة شأنه وكونه بحيث يضيق عنه نطاق البيان¹.

كما يقع هذا التكنيف في معاني الوعد والوعيد من خلال استخدام صيغ المبالغة وأساليب التوكيد المختلفة وذلك زيادة في الترغيب والترهيب، من ذلك:

- استخدام بعض صيغ المبالغة وهو كثير في تعقيبات النص القرآني، من ذلك: استعمال لفظ "فعّال" في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ (هود، 107)، أو لفظي "تواب" و"رحيم" في

¹ - روح المعاني، ج2، ص 292.

قوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ (النساء، 16). أو لفظي "شكور" و"حليم" في قوله: ﴿ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴾ (التغابن، 17).

- تصدير التعقيب ببعض أحرف الزيادة التي تفيد التوكيد، مثل: إن، ولام الابتداء، وحروف الاستفتاح. أو استخدام نون التوكيد، وقد، وضمائر الفصل، وغير ذلك. ويكثر في التعقيب توظيف أكثر من أسلوب زيادة في التوكيد، وهي خاصية أظهر في الوعيد مراعاة لمقام الإنكار في خطاب المشركين، ويمكن تبين ذلك بوضوح من خلال التعقيبات التالية:

﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (العنكبوت، 69)	إن + اللام المزحلقة
﴿ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (المجادلة، 22)	ألا الاستفتاحية + إن + الضمير
﴿ وَلَآجِرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (النحل، 41)	لام الابتداء
﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ (التوبة، 49)	إن + اللام المزحلقة
﴿ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (المجادلة، 19)	ألا الاستفتاحية + إن + الضمير
﴿ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (الزمر، 26)	لام الابتداء
﴿ وَلَتَعْلَمَنَّ آيُنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴾ (طه، 71)	لام الابتداء + نون التوكيد
﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ (الأنعام، 132)	حرف الزيادة (الباء)
﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ (طه، 111)	قد

وقد يجتمع في بعض التعقيبات من أساليب التوكيد ما يتعدى ذلك، من ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ (النصر، 3)، إذ اشتمل التعقيب على أربع مؤكّدات هي: إن، وكان، وصيغة المبالغة في (التواب)، وتكوين التعظيم فيه¹.

¹ - التحرير والتنوير، ج 30، ص 596.

- تصدير الوعد والوعيد بـ "السين" و"سوف"، إذ يتم تجريدهما من كلّ معاني التسويف¹، ويتحولان من معنى التراخي إلى الدلالة على عاجل ما يعد أو يتوعد به الله تعالى في كتابه، وهو ما توضحه التعقيبات التالية المدرجة على سبيل التمثيل:

﴿ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (النساء، 146)
﴿ وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴾ (آل عمران، 145)
﴿ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ (المائدة، 14)
﴿ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ (الزّعد، 42)

3 - علاقة الوعد بالوعيد في التعقيبات القرآنية: تمثل العلاقة بين الوعد والوعيد غاية التكامل في الخطاب القرآني، وهي أظهر في تعقيباته خصوصاً باعتبار القيمة الدلالية التي ينطوي عليها أسلوب التعقيب. ويتجلى هذا التكامل بوضوح من خلال طبيعة العلاقات التي تتعقد بين الغرضين في إطار التعقيب الواحد أو ضمن مجموع التعقيبات المتجاورة في بعض الآيات. وهكذا يمكننا التمييز بين أنواع من تعقيبات الوعد والوعيد على أساس هذه العلاقات مُمَثَّلَةً فيما يلي:

أولاً - تعقيبات يندمج فيها الوعد بالوعيد أو العكس بحيث يتعذر فصلهما شكلياً، فالخطاب يتضمن في هذه الحالة دالتين متحدتين اتحاد وجهي العملة، من ذلك تعقيب قوله ﷻ: ﴿ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسُكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفِ بِأَسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بِأَسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴾ (النساء، 84)، فهو وعد للمؤمنين ووعيد للكفار في الوقت ذاته.

¹ - جمالية الخبر والإنشاء: حسين جمعة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005، ص 89.

من ذلك أيضاً التعقيب في قوله تعالى: ﴿ ائْتِ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (العنكبوت، 45)، فقوله ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ تعقيب يراد به الوعد والوعيد باعتبار ما جاء من أمر في صدر هذه الآيات.

ثانياً - تعقيبات يقع فيها الوعد والوعيد معطوفين ضمن تعقيب واحد: وهي نوع يتحد فيه تعقيبان أحدهما للوعد والثاني للوعيد لبناء تعقيب يذلل الآية الكريمة، ويمكن فصله شكلياً إلى جزئيه الأساسيين، من ذلك تعقيب قوله ﷻ: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (الأنعام، 165)، أو قوله: ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴾ (الرعد، 35).

ثالثاً - أن يقع الوعد والوعيد متواليين ضمن مجموعة من التعقيبات: وهي تعقيبات تقع على عادة القرآن في تعقيب الوعد بالوعيد أو العكس، من ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُمْ وَقَعُ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ (الشورى، 21-22). أو في قوله أيضاً: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (العنكبوت، 68-69).

رابعاً - تعقيبات تتمحّض للوعد أو للوعيد: إذ يُراد بها غرضٌ دون آخر، فهي للوعد أو للوعيد، من ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴾ (آل عمران، 4). أو قوله أيضاً: ﴿ فَأَنْقَلِبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّ لَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ (آل عمران، 174).

IV- المدح والذم:

المدح مصدر الفعل مدح، وهو في اللغة حسن الثناء ¹، تقول: مَدَحَهُ يَمْدُحُهُ مَدْحًا. وهي دلالة لا تخلو من معنى الاتساع في القول بذكر محاسن الممدوح، فنشترك بذلك مع بعض المعاني الحسية للمدح كقول العرب: اُمْتَدَحَتِ الْأَرْضُ أو تَمَدَّحَتْ خَوَاصِرُ الْمَاشِيَةِ بمعنى اتَّسَعَتْ ². ويقع المدح في لغة العرب نقيضاً للهجاء ³، وقد شاع استعماله في الدرس البلاغي بسبب اتساع مدلوله، فهو أعم من معاني الحمد والثناء والإطراء ⁴. أما الذم فيعني اللوم في الإساءة ⁵، وهو نقيض المَدْح ⁶، فالذال والميم في المضاعف أصل واحد يدلّ كلّهُ على خلاف الحمد ⁷، إذ تجتمع فيه معاني التخلف والتأخر، فالذمّة البئر القليلة

¹ - العين، ج 3، ص 188.

² - لسان العرب، ج 2، ص 590.

³ - العين، ج 3، ص 188.

⁴ - ذكر العسكري في كتابه أن الحمد لا يكون إلا على إحسان، وهو مضمن بالفعل. أما المدح فيكون بالفعل والصفة إذ يجوز أن يمتدح الرجل بحسن الوجه وطول القامة ولا يجوز أن يحمد على ذلك. أما الثناء فهو مدح مكرر من قولك تثبت الخيط، ومنه قوله تعالى: "سبعا من المثاني" يعني سورة الحمد لأنها تكرر في كل ركعة. وأما الإطراء فلا يكون إلا مواجهة، ولا يشترط ذلك في المدح. للاستزادة ينظر:

- الفروق اللغوية: أبو هلال العسكري، ص 50، 51.

⁵ - العين، ج 4، ص 32.

⁶ - لسان العرب، ج 12، ص 220.

⁷ - مقاييس اللغة، ج 2، ص 345.

الماء، وَأَذَمَّتْ رِكَابُ الْقَوْمِ إِذْمَاماً أَيِ أَعْيَتْ وَتَخَلَّفَتْ وَتَأَخَّرَتْ ¹. والذميم وصف لكثير مما يُسْتَقْبَح من المعاني في كلام العرب ².

أما في الاصطلاح فقد شاع تعريف المدح بأنه "الثناء باللسان على الجميل الاختياري قصداً" ³، أو هو "الثناء باللسان على الصفات الجميلة، خَلْقِيَّةٌ كانت أو اختياريَّة" ⁴. وهما تعريفان ينطلقان من وجهتي نظر مختلفتين، فيُقصي الأول منهما كلَّ جميل غير اختياري، أما الثاني فيقتصر على الصفات دون الأفعال، وهو نقصٌ تداركه الكَفَوِي في حدِّ المدح بقوله: "هو الثناء باللسان على الجميل مطلقاً سواء كان من الفواضل أم من الفضائل، وسواء كان اختيارياً أم غير اختياري" ⁵.

أما الذمّ فنقيض ذلك كلّهُ، وهو أمر يتعلق بالصفات القبيحة الاختياريَّة، فلا يكون في غير ذلك حقيقةً ⁶، كما لا يتعلّق بالجواهر ¹. ويرى الكفوي أنه لا يُستعمل إلا لإظهار سوء بقصد التعيب، أو بقصد النصّح في بعض الاستعمالات ².

¹ - اللسان، ج 12، ص 220.

² - والذِّمِيمُ شيء كالْبَثْرِ الْأَسْوَدِ أَوِ الْأَحْمَرِ شُبَّةٌ بَبَيَضِ النَّمْلِ، يَغْلُو الْوَجْهَ وَالْأَنْفَ مِنْ حَرٍّ أَوْ جَرَبٍ. وتُطْلَقُ أَيْضاً كناية عن المخاط والبؤل، أو ما يَنْتَضِحُ عَلَى أَفْخَاذِ الْإِبِلِ وَالْغَنَمِ وَضُرُوعِهَا مِنْ أَلْبَانِهَا. ينظر:

- لسان العرب، ج 12، ص 221.

³ - التعريفات، ج 1، ص 207.

⁴ - التوقيف على مهمات التعاريف: زين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين الحدادي، عالم الكتب، القاهرة، ط 1، 1990م، ص 301.

⁵ - الكليات، ص 857.

⁶ - يرى أبو الفرج قدامة بن جعفر أن شأن الفضائل النفسية شأن كل حسن خلقي مما لا يصح فيه مدح أو ذم فالمدح على الكرم أو الشجاعة ليس مدحاً حقيقةً لأنه يتعلّق بطبع في الممدوح يتجاوز الاختيار، كما أن الذمّ على الطبع ليس ذماً على الحقيقة، بل أن ذمّ الجاهل على جهله ليس ذماً على الحقيقة أيضاً لأن الجاهل لا يقدر أن يستفيد عقلاً فوق عقله، كحال قبيح الوجه الذي لا يستطيع أن يستبدل صورة غير صورته. وقد ردّ عليه صاحب المنهاج بأن الإنسان يقدر على اكتساب الفضائل بالتطبّع ومجاهدة النفس ورياضتها، حتى يرتقي من حال إلى حال

وقد حظي أسلوب المدح والذم باهتمام علماء التفسير والدراسات القرآنية باعتبار كثافة حضوره في كتاب الله تعالى وضرورته في الدين، فلا تكاد تخلو منه آية، بدءاً من الاستعاذة والبسملة³، فهو يضمّ بين أوله وآخره وفرة لا تكاد تُعدّ من الأساليب التي قد تدلّ على المدح والذم إلى جانب معناها الخاص⁴.

ويمكن التمييز بين نوعين مختلفين من أساليب المدح والذم في كتاب الله تعالى، وفي سائر كلام العرب: سياقي وقياسي⁵. فأما السياقي، فهو الغالب في التعبير القرآني، وهو يعتمد على مطابقة الكلام لمقتضى الحال الذي يرشّحه السياق⁶. وأما القياسي فهو ما يدخل في باب نعم وبئس وما ألحق بهما من أفعال قصد إنشاء المدح والذم، وهو الأكثر حظوة عند النحاة والبلاغيين.

1 - أسلوب المدح والذم السياقي في التعقيبات القرآنية:

اختلف نصيب الناس من المدح أو الذم في القرآن بحسب أعمالهم، ليختزل أسلوب التعقيب ذلك النصيب ويوثقه في أوجز عبارة وأبلغها، فكان أعظم المدح ما أثنى به الله تعالى نفسه، ثم على الخاصة من عباده، فقال في مدح نبيه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (الشورى،

ويصير الصعب قبل التطبع والارتياض سهلاً بعدها فتترقى بذلك في مراتب الفضل درجاته وتتهدب بعد الجفاء أخلاقه.

أما خلقة الإنسان وصورته فليس في قدرته نقل شيء منها عما وجد عليه، فحمد الإنسان بما يستحسن من هذا القبيل مخادعة له، وذمه بما يستقبح من ذلك تحاملاً عليه. للاستزادة ينظر:

- منهاج البلغاء وسراج الأدباء: أبو الحسن حازم القرطاجني، تح: محمد بن الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 3، 1986، ص 168.

¹ - البرهان في علوم القرآن، ج 2، ص 85.

² - الكليات، ص 454.

³ - المدح والذم في القرآن الكريم دراسة موضوعية: معن توفيق دحام الحياي، رسالة دكتوراه في اللغة العربية، جامعة الموصل، 2004 م، ص 23.

⁴ - نفسه، ص 23.

⁵ - نفسه، ص 23.

⁶ - نفسه، ص 23.

52)، وقال في مدح نوح ﷺ: ﴿ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ (الإسراء، 3) وفي إبراهيم ﷺ: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾ (هود، 75)، وقال في موسى ﷺ: ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ (النساء، 164).

وبالمقابل فقد ورد التعقيب في آيات أخرى لتحقيق دلالة الذم في حق أقوامٍ وُصِفوا بالفسق وهو مما يوجب الذم والعقاب الدائمين¹، كحال قومٍ مردوا على النفاق في زمن النبي ﷺ، فقال القرآن فيهم: ﴿ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ (التوبة، 53)، وهم في ذلك على أثرٍ من قبلهم ممن أعرضوا عن الحق فحق عليهم القول، كقوم نوح ﷺ: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ (الذاريات، 46)، وقوم لوط ﷺ: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ ﴾ (الأنبياء، 74)، وفرعون وقومه: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ (النمل، 12). أما عاد وثمود وأصحاب الأيكة، فقد أغلظ أسلوب التعقيب في ذمهم ولعنهم بما يناسب من توكيد، فقال في قوم هود ﷺ: ﴿ أَلَا بُعْدًا لِعَادِ قَوْمِ هُودٍ ﴾ (هود، 60) وفي قوم صالح: ﴿ أَلَا بُعْدًا لِنَمُودَ ﴾ (هود، 68)، وفي قوم شعيب ﷺ: ﴿ أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعَدَتْ نَمُودُ ﴾ (هود، 95).

كما وظّف القرآن الكريم أسلوب التعقيب لتحقيق دلالة المدح في أمور يحبّها الله تعالى، وهي مما يستوفي فضائل الإنسان على الحقيقة² كالعدل³، والصبر⁴، والتوكل⁵، وتقوى الله⁶، ويبلغ هذا المدح ذروة سنامه حينما يتعلّق الأمر بالإحسان⁷ باعتباره الكمال الذي ينشده المؤمن في

¹ - مفاتيح الغيب، ج 16، ص 96.

² - منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص 166.

³ - قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾، المائدة، 42 - الحجرات، 9 - الممتحنة، 8.

⁴ - من ذلك قوله: ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾. سورة آل عمران، الآية 146.

⁵ - من ذلك: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾. سورة آل عمران، الآية 159.

⁶ - من ذلك: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ (سورة التوبة، الآية 4).

⁷ - من ذلك: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾. البقرة، 195 - المائدة، 13، ومنه أيضاً: ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (آل عمران، 134).

عبادته ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (آل عمران، 134).

ولأجل ذلك كان نصيب الإحسان من المدح أكثر مما كان لغيره، لما فيه من بذل وشجاعة وعفو، وهي أفعال تتجشّم فيها الأنفس الضرر في سبيل غيرها نافلة وفضلاً، وهو أكثر ما يستوجب المدح¹، ولذلك قال المتنبي:

لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يُفقر والإقدام قتال

وعلى النقيض من ذلك فإن أشدّ الذم ما اتّصل بالأثرة والتعدي على الحقوق، ويتعلّق الأمر بجملة من الأخلاق التي أنكرها القرآن، وجاء تحقيق ذلك في كثير من التعقيبات التي تتكرر في أكثر من سياق، مبالغة في التنصيص، ما يدل على مزيد التأكيد²، من ذلك الظلم في قوله ﷻ: ﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ (الشورى، 40)، والاعتداء ﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (الأعراف، 55)، والإفساد ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (القصص، 77)، والكبر ﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ (النحل، 23)، والخيانة ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾ (الأنفال، 58)، والإسراف ﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (الأنعام، 141)، والكفر ﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ (الروم، 45).

غير أن أساليب المدح والذم على هذا النحو السياقي تتعدد وتتنوع، وهي من الوفرة في كلام الله تعالى ما يتجاوز الحصر في هذا المقام، وللعرب طريقة قياسية في إنتاج أسلوب المدح والذم تخرج عن هذا الباب، لتتصل بباب آخر يُعرف عند النحاة والبلاغيين بباب "نعم وبئس وما ألحق بهما من أفعال".

¹ - للاستزادة ينظر: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص 164.

² - مفاتيح الغيب، ج 18، ص 367.

2 - أسلوب المدح والذم القياسي في التعقيبات القرآنية:

تتقّل العرب بعض الأفعال الخاصة عن بابها قصد إنشاء المدح أو الذم، وينشأ عن هذا النقل أفعال جامدة لا مضارع لها ولا أمر¹، وذلك لاستغنائها عن التصرف، ولزومها أسلوباً واحداً في التعبير، كما تتجرّد حينئذٍ من الدلالة على الحدث المتطلّب للزمان، وينتج عن ذلك كلّ جمل إنشائية غير طلبية².

وتتمثّل هذه الأفعال في نعم، حبّ، وحبذا للمدح، أما أفعال الذمّ فهي بئس، ساء، ولا حبّذا³، كما يجري مجرى هذه الأفعال كلّ فعلٍ ثلاثي مجرّد، على وزن (فَعَلَ) شرط أن يكون صالحاً لأنّ يُبنى منه فعلُ التّعجب لأن هذا الوزن يدل على الخصال والغرائز التي تستحق المدح أو الذم⁴.

ويرد المدح في تعقيبات القرآن الكريم عادةً ضمن خطاب النبي ﷺ، أو خطاب المؤمنين، وتُستعمل في ذلك أدواته المختلفة غير "حبّ". ولعلّ أظهر هذه الأدوات "نِعَم" باعتبارها الأداة الرئيسية في إنتاج أسلوب المدح القياسي في كلام العرب، وقد وردت في ثمانية عشر موضعاً في

¹ - الموجز في قواعد اللغة العربية: سعيد بن محمد بن أحمد الأفغاني، دار الفكر، بيروت، 2003م، ص 22.

² - جامع الدروس العربية، ج 1، ص 74.

³ - جامع الدروس العربية، ج 1، ص 74.

⁴ - من ذلك قوله تعالى في المدح: ﴿ وَحَسَنَ أَوْلَئِكَ زَفِيقاً ﴾ (النساء، 69)، وفي الذم قوله عزّ وجل: ﴿ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ (الصف، 3).

أما إذا لم يكن في الأصل على وزن فَعَلَ، حُوّل إليه لإنشاء المدح أو الذم، فنقول في المدح من فهم: فَهُم التلميذ فلان!، ونقول في الذم من جهل: جَهْلُ الفتى فلان! بمعنى صار فيه ذلك ملكة وغريزة ثابتة، للاستزادة ينظر:

- نفسه، ص 85.

القرآن الكريم كلّهُ، تقع كلّها تعقيباً على آيات كريمة، إلا في موضعين اثنين¹، وفي ذلك دليلٌ على قوة العلاقة بين أسلوب المدح وبين التعقيبات القرآنية، وتجسّد لوعي قرآني عميق بقيمة التعقيب في تحقيق دلالاتي المدح أو الذم. ويمكننا تبين ذلك جلياً من خلال الجدول التالي:

﴿ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ (آل عمران، 136)
﴿ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً ﴾ (النساء، 58)
﴿ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ (الأنفال، 40)
﴿ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ (الرعد، 24)
﴿ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴾ (النحل، 30)
﴿ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ (الكهف، 31)
﴿ نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ (العنكبوت، 58)
﴿ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ (الحج، 78)
﴿ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴾ (الصافات، 75)
﴿ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ (ص، 30)
﴿ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ (ص، 44)
﴿ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ (الزمر، 74)
﴿ فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴾ (الذاريات، 48)
﴿ فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴾ (المرسلات، 23)

جدول توضيحي لاستخدام (نعم) لإنشاء المدح في التعقيبات القرآنية

¹ - وهما: (البقرة، 271)، و(آل عمران، 173).

ويمكننا تبين السمة نفسها في خطاب الذم أيضاً، فأسلوب الذم باستخدام (بئس) أو ما ألحق بها من أفعال ك (ساء) يرتبط الارتباط الوثيق نفسه بأسلوب التعقيب، فقد ورد الفعل (بئس) في القرآن الكريم كله أربعين مرة لم يبتعد فيها عن موضع التعقيب إلا في حالات قليلة جداً¹. أما (ساء) فقد وردت في ثلاث وعشرين موضعاً تقع جميعها تعقيباً على آيات كريمة، وهو ما يمكن ملاحظته بوضوح من خلال الجدول التالي:

﴿ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة، 102)
﴿ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ (البقرة، 126)
﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (المائدة، 62)
﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ (المائدة، 63)
﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (المائدة، 79)
﴿ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾ (المائدة، 80)
﴿ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ (الأنفال، 16)
﴿ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ (التوبة، 73)
﴿ بئس الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴾ (هود، 99)
﴿ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ (الرعد، 18)
﴿ وَلَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴾ (إبراهيم، 29)
﴿ فَلَبِئْسَ مَنُوءِ الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ (النحل، 29)
﴿ بئس الشرابُ وساءتْ مُرْتَقَاً ﴾ (الكهف، 29)
﴿ بئسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾ (الكهف، 50)
﴿ لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ ﴾ (الحج، 13)
﴿ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ (الحج، 72)

¹ - من ذلك ما جاء في الآيات: (البقرة، 90) - (البقرة، 93) - (الأعراف، 150).

﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (الحديد، 15)
﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (التغابن، 10)
﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (التحریم، 9)
﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (الملك، 6)
﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (آل عمران، 162)
﴿فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ (آل عمران، 187)
﴿وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (النور، 57)
﴿فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (الزمر، 72)
﴿فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (غافر، 76)
﴿فَبِئْسَ الْفَرِيقُ﴾ (الزخرف، 38)
﴿بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (الحجرات، 11)
﴿فَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (المجادلة، 8)
﴿بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (الجمعة، 5)
﴿وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ (البقرة، 206)
﴿وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ (آل عمران، 12)
﴿وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾ (آل عمران، 151)
﴿وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ (آل عمران، 197)
﴿وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْزُودُ﴾ (هود، 98)
﴿فَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ (ص، 56)
﴿فَبِئْسَ الْفَرَارُ﴾ (ص، 60)
﴿إِنَّهُ كَانَ فَاخِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (النساء، 22)
﴿وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾ (النساء، 38)
﴿وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (النساء، 97)
﴿وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (النساء، 115)

﴿ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾ (المائدة، 66)
﴿ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ (الأنعام، 31)
﴿ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ (الأنعام، 136)
﴿ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا بِظُلْمٍ ﴾ (الأعراف، 177)
﴿ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (التوبة، 9)
﴿ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ (النحل، 25)
﴿ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ (النحل، 59)
﴿ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ (الإسراء، 32)
﴿ بِنَسِ الشَّرَابِ وَسَاعَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ (الكهف، 29)
﴿ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا ﴾ (طه، 101)
﴿ إِنَّهَا سَاعَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ (الفرقان، 66)
﴿ فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ ﴾ (الشعراء، 173)
﴿ فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ ﴾ (النمل، 58)
﴿ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ (العنكبوت، 4)
﴿ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذِرِينَ ﴾ (الصافات، 177)
﴿ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ (الجبّة، 21)
﴿ وَسَاعَتْ مَصِيرًا ﴾ (الفتح، 6)
﴿ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (المجادلة، 15)
﴿ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (المنافقون، 2)

جدول توضيحي لاستخدام (بئس، ساء) لإنشاء الذم في التعقيبات القرآنية

يُظهر الجدول السابق بعض أهم خصائص أسلوب المدح والذم في تعقيبات القرآن الكريم،

والتي يمكن تلخيصها فيما يلي:

أ - يرتبط المدح باستخدام (نعم) بجملة من المواضيع الأساسية التي تتكامل فيما بينها لتوجيه حياة المؤمن:

- مدح لعاقبة المؤمنين، وما يتعلّق بها من نعيم في الجنة باعتبارها دار المقام جزاء الغرس الطيّب في الدنيا، وفي ذلك ما لا يخفى من الحثّ على السّعي لتحصيلها، والثّبات على سبيلها المحفوف بالمكاره.

- مدح يتعلّق بعقيدة المؤمن في الله تعالى باعتباره المولى والنصير والمجيب، وباعتباره أيضاً الخالق الذي مهّد بقدرته الحياة للإنسان على هذه الأرض.

- مدح يتعلّق بالمعاملات من أداء للأمانة وعدل بين الناس.

- مدح يتعلّق ببعض أنبياء الله تعالى كأيوب وسليمان عليهما السلام باعتبارهما نماذج بشرية رائعة جسّدت واقعية تعاليم الدّين.

ب - يرتبط الذّم باستخدام (بئس، ساء) بمواضيع معينة تقع مقابلةً لمضامين المدح السابقة في تكامل وظيفي رائع يُبرز حرص القرآن على توجيه عقيدة المتلقي وسلوكه بما يتناسب من ثواب أو عقاب، ويمكن إيجاز هذه المضامين فيما يلي:

- ذم لعاقبة الكفار والمشركين وأهل الكتاب، وما يتعلّق بذلك من عذاب في النار جزاء الغرس الخبيث في العاجلة.

- ذمّ يتعلّق بضلال عقائد الكافرين والمشركين وأهل الكتاب.

- ذم يتعلّق بأعمال قبيحة اتصف بها الكفار والمشركون وأهل الكتاب.

- ذم يتعلّق بنماذج من الأمم التي أهلكها الله تعالى جزاء مخالفتها لأوامر الله تعالى ونواهيه.

ج - يتَّسم الأسلوب القياسي للمدح والذم في التعقيبات القرآنية بسمية خاصة، إذ لا يظهر المخصوص بالمدح أو الذم لتقدّم ما يدلّ عليه في سائر الآيات قبله، وهو أمر يطرد في كلّ تعقيب، سوى في قوله تعالى: ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ (المائدة، 80) وفي ذكر المخصوص بالذم في مقام الحذف من الدلالة ما لا يخفى على المبالغة في الذم، والإظهار لغضب الله تعالى، وهو غضب خاص¹ يبرّر الطرد من رحمة الله تعالى.

د - يتقرّد المدح القرآني للذات الإلهية بسمية أسلوبية خاصة تتناسب مع عظمة ما ينبغي في الله تعالى من ثناء، وذلك في سياق الحديث عن قدرة الله تعالى باستخدام صيغة المتكلم، حيث تظهر علامة الجمع ممثلة في الواو والنون في آخر المخصوص بالمدح في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ (الصافات، 75) أو قوله: ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾ (الذاريات، 48)، أو في قوله أيضاً: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ (المرسلات، 23)، وهي تدلّ في كلّ ذلك على التعظيم كسابقتها في قوله: (نادانا، فرشنا، قدرنا)².

هـ - تتّصل بالتعقيبات القرآنية بعض أساليب التوكيد لإفادة المبالغة مدحاً أو ذمّاً لبعض المضامين، من ذلك استخدام (إنّ) لتوكيد فُبح بعض الفواحش كالزنا وبعض الأنكحة المحرمة، وفي ذمّ أعمال المنافقين وعاقبتهم. ومن ذلك أيضاً استخدام لام التوكيد التي تتّصل بفعلي المدح والذم (نعم وبئس)، أو حرف الاستفتاح (ألا) التي تتّصل بـ (ساء).

و - تتّصل (ال) الاستغراقية بفاعل المدح أو الذم، أو بما يضاف إليه قصد المبالغة في إثبات المدح أو الذم، فهي مفيدة للإحاطة والشمول حقيقة لا مجازاً، فيكون الجنس كله ممدوحاً أو

¹ - التحرير والتنوير، ج 6، ص 295.

² - ينظر: نفسه، ج 27، ص 17 أو ج 29، ص 432.

مذموماً، والمخصوص مندرج تحت الجنس، فيشملة المدح أو الذم مرتين، مرةً مع غيره، لدخوله في عموم الجنس، ومرة على سبيل التخصيص¹.

ومن المهم أن نشير إلى أن المدح والذم في تعقيبات القرآن الكريم ورد أيضاً عن طريق بعض الأفعال التي ألحقت بـ (نعم، وبئس)، كما في الفعل (حسن)، في التعقيب مدحاً بقوله تعالى: ﴿وَحَسَنَ أَوْلَئِكَ رَفِيقًا﴾ (النساء، 69)، أو قوله: ﴿حَسُنْتَ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ (الفرقان، 76)، أو كما في الفعل (كبر) في التعقيب ذمّاً بقوله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (الصف، 3)، أو قوله أيضاً: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ (الكهف، 5).

3 - علاقة المدح بالذم في الخطاب القرآني: يختلف خطاب المدح عن خطاب الذم في كلام العرب بحسب اختلاف الغاية من إنشائهما، فإذا كان الأول يسمو بمخصوصه إلى أعلى مقامات الثناء فإن الثاني ينزل به إلى مراتب وضعية تتفق مع سائر الدلالات الحسية للذم، وهو الأمر المختلف في القرآن الكريم، إذ ليس في القرآن ذم للجواهر²، ولا بقصد التعقيب، بل هو ذم لبعض ما ألبسه الإنسان لنفسه من صفات قبيحة أو أفعال تهدف تعاليم النص إلى تصحيحها. وهكذا يرتقي إلى خطاب هادف لا يسعى إلى الحط من قيمة الإنسان كمخلوق كرمه الله تعالى، ولأجل ذلك وجدناه يكشف حقيقة الذم الذي تضمنته آيات كثيرة من آياته، فيفسره ويعلّله تحذيراً منه. وإذا كان الذم القرآني مراتب ودرجات فإن أشدها ما كان في أهل الكتاب ممن تجاوزوا كل الحدود التي حدّها الله تعالى لهم، وأوغلوا في الاعتداء والتكيل بأنبيائهم وأظهروا العداوة لكلّ رسالات السماء حتى أصابهم من الذم الشديد ما أصابهم، وهو - رغم شدته - مرفق بما يبرره ويفسره في خطاب يهدف فيه إلى النصيحة والعلاج بالشفة تماماً كالعلاج باللين، فقال تعالى فيهم: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ

¹ - جامع الدروس العربية، ج 1، ص 77، 78

² - البرهان في علوم القرآن، ج 2، ص 85.

الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾

(المائدة، 77-80).

وهكذا يتفرد النصّ القرآني في غاياته السامية، التي توحد بين المدح والذم، في سياق واحد يكون فيه الثواب والعقاب دواءً مركباً يناسب النفس البشرية التي تنفعها الشدة والغلظة مثلما ينفعها الرفق واللين، فقال ﷻ: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٧٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٧٨﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٧٩﴾﴾ (الكهف، 29-31) وقال في سياق آخر: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٧﴾ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٨﴾ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٩﴾﴾ (النحل، 28، 30).

خلاصة

عرفنا من خلال مباحث هذا الفصل أن الخطاب القرآني قد جاء متنوعاً بما يتفق مع طبيعة المضامين ويتناسب مع صفة العالمية التي تسم رسالته. وقد كان هذا التنوع داعياً لتعدد أغراض التعقيبات القرآنية لتذهب في شُعب المعاني إلى كل معنى قد يعرض للنفس. كما عرفنا بعد ذلك أن هذه الأغراض ليست في وضع سواء، باعتبار حضورها في النص القرآني، وهو ما يفضي إلى مجموعة من الأغراض الأساسية المتكاملة فيما بينها بمقتضى الأحكام والتفصيل في كتاب الله تعالى.

1- ويأتي **الثناء على الله** في قمة هذه الأغراض باعتباره أساس المعرفة الصحيحة بحقيقة المعبود ﷻ وذلك قصد بناء عقيدة صحيحة في قلب المؤمن. وهو يتميز بسمتين أساسيتين:

- الحضور المكثف لأسماء الله تعالى وصفاته.

- الحضور المكثف لأساليب التوكيد.

2 - يلي ذلك **أمرٌ ونهيٌ** يقتضيهما إحكام شريعته جلّ وعلا، وهو ما حرص أسلوب التعقيب على تحقيقه وترسيخه بأساليب مختلفة تدرج في فئتين:

- أسلوب سياقي يدل على معنى الأمر أو النهي تلويحاً بمعونة السياق والقرائن، وهو يتأتى للبصيرة بالتدبر. ويكون هذا الضرب من الأمر غالباً في صورة خبرٍ أو استفهام، أما النهي فيرد متلبساً بالنفي.

- أسلوب قياسي يقوم على الأمر أو النهي الصريحين. ويتم إنتاج الأمر في الغالب اعتماداً على صيغة فعل الأمر لترسيخ تقوى الله ﷻ. كما يتم توظيف المضارع المقترن بلام الأمر بوفرة أقل لترسيخ عبادة التوكل على الله. أمّا النهي، وهو الحاصل بدخول لا الناهية على الفعل

المضارع فقد عرفنا أنه يقلّ في موضع التعقيب. من ذلك ما جاء خطاباً للنبي ﷺ في ظاهره نهياً عن الامتراء، أو عن الحرص على ما لا يكون، أو الجزع في مواطن الصبر.

3- يليهما وعدٌ ووعدٌ يقتضيهما تفصيل كتاب ﷻ، وقد عرفنا أنه أسلوب تتكثف فيه معاني التعظيم والتهويل اعتماداً على صيغ المبالغة وأساليب التوكيد المختلفة زيادة في الترغيب وإيغالا في التهيب. كما تعرّضنا لأنواع تعقيبات الوعد والوعد، فمنها ما يتحقق عاجلاً، ومنها ما يُرجى إنجازُه إلى الآخرة، ومنها ما يجوز أن يتحقق في الدارين.

كما تتبّعنا بعد ذلك علاقات الوعد بالوعد في تعقيبات كتاب الله تعالى، ووجدنا أنها لا تخرج عن:

- تعقيبات يندمج فيها الوعد بالوعد أو العكس.
 - تعقيبات يقع فيها الوعد والوعد معطوفين ضمن تعقيب واحد.
 - تعقيبات يقع فيها الوعد والوعد متواليين ضمن مجموعة من التعقيبات.
 - تعقيبات تتمحّض للوعد أو للوعد.
- 4 - يلي ذلك كلّ مدحٍ وذمٍّ بمقتضى الإحسان أو الإساءة، وقد رأينا أنه نوعان:

- فأما الأسلوب السياقي، فهو الغالب في التعبير القرآني. وقد وُظف لتحقيق دلالة المدح في أمور يحبّها الله تعالى مما يستوفي فضائل الإنسان على الحقيقة. أما الذم فيردّ على نقيض ذلك متصلاً بأخلاق الأثرة والتّعدي على الحقوق.

- وأما الأسلوب القياسي، فقد عرفنا أنه يتّصل اتّصلاً وثيقاً بأسلوب التعقيب، وأنه يتّصل بجملة من المضامين التي تتكامل فيما بينها مدحاً وذمّاً. ثم تتبّعنا بعد ذلك بعض أهم خصائصه الأسلوبية كحذف مخصّوصيهما، وتوظيف صيغ المبالغة.

كما عرفنا أن خطاب الذم في القرآن لا يسعى للحطّ من قيمة الإنسان، إذ ليس فيه ذمّ للجواهر ولا بقصد التعيب، بل هو ذمّ لبعض ما ألبسه الإنسان لنفسه من صفات قبيحة أو أفعال تهدف تعاليم النص إلى تصحيحها.

الباب الثاني

الخصائص الإيقاعية والإفرادية والتركيبة

في التعقيبات القرآنية

بعد التأسيس المفهومي للمصطلح ، وبعد التعرف على أشكال التعقيبات القرآنية وأغراضها في كتاب الله تعالى ، ننتقل في الباب الثاني ضمن المباحث التالية إلى وصف أهم الظواهر الأسلوبية التي تتجلى في لغة التعقيب في كتاب الله تعالى بدءاً بالمستوى الصوتي ، حيث تكون الظاهرة التوقيعية محور الدراسة في مباحث الفصل الأول ، ثم ننتقل بعد ذلك إلى مباحث المستوى الإفرادي حيث يتم التركيز على مسألتين أساسيتين من جملة مسائل المفردة القرآنية ، هما : فصاحة الألفاظ ، ودقة توظيفها بما يناسب مقتضى السياق .

بعد ذلك تنتقل مباحث الدراسة إلى وصف البنية التركيبية في موضع التعقيب من خلال التركيز على بعض البنى الأساسية ذات الشروع الواسع ، كما تجتهد في وصف تعقيبات الأسماء والصفات سعياً للكشف عن خصائص تركيبية نمطية مطردة تميّز هذا الضرب من أسلوب التعقيب . ولذلك فإن مباحث هذا الباب ستندرج ضمن ثلاثة فصولٍ على النحو التالي :

- أولاً : الظاهرة الإيقاعية في تعقيبات القرآن الكريم .

- ثانياً : أهم الخصائص الإفرادية في تعقيبات القرآن الكريم .

- ثالثاً : خصائص التركيب النحوي في التعقيبات القرآنية .

الباب الثاني

الفصل الأول

الظاهرة الإيقاعية في تعقيبات القرآن الكريم

- التوقيع في لغة العرب.
- الظاهرة الإيقاعية في القرآن الكريم.
- الظاهرة الإيقاعية في التعقيبات القرآنية.

الظاهرة الإيقاعية في تعقيبات القرآن الكريم

الإيقاع سنّة كونية تميّز الوجود الذي نعيش فيه، ولعلّ شغف الإنسان بالإيقاع كان أول داعٍ للجهود التي أنفقها العلماء في محاولة تفسيره وكشف عناصره. ولعلّ الموسيقى أظهرُ تجليات الإيقاع رغم أن حضوره في حقيقة الأمر يتّصل بالفنون كلّها، ولأجل ذلك كان من السّهل دراسة الإيقاع الموسيقي وكشف قوانينه بسهولة، وكذلك الشأن في التصوير حيث يمكن تمثّل قوانين الإيقاع في توزيع المساحات والأضواء والظلال¹. أما حين يتعلّق الأمر بالفن القولي فإن محاولة وصف الإيقاع والكشف عن قوانينه وعناصره تصبح أمراً بالغ الصعوبة²، خاصة إذا كان قولاً من نوع خاص لا تتقضي عجائبه كما في كتاب الله تعالى.

والواقع أن عنصر الإيقاع في النص القرآني لا يقتصر على موضع التعقيب، بل يميّز كافة آيه وسوره، وإن كان في بعضه أكثر حضوراً من غيره، كما في القرآن المكي وفي قصار السور لما يتطلّب خطاب المشركين من توظيف لطاقة الإيقاع في جدالهم ووعيدهم. غير أن هذا المستوى من الإيقاع يتحول إلى الهدوء والاسترسال في لغة التشريع، وتفصيل أمر الله تعالى ونهيه في الخطاب المدني حيث تتميز الآيات بطولها، وبفواصلها المتقاربة³.

ولعله من المفيد أن نتعرض لماهية الإيقاع في بداية هذا الحديث عن توقيع كلام الله تعالى في موضع التعقيب، وعن غاياته وطرائقه. وبالعودة إلى المادة اللغوية (و ق ع) فإننا لا نكاد نعثر على

¹ - الأسس الجمالية في النقد العربي عرض وتفسير ومقارنة: عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، 1992، ص 187.

² - نفسه، ص 187.

³ - هي الفواصل التي لم تقع على روي واحد وإنما وقعت على حروف متقاربة الصفات، وسنتعرض لهذا المفهوم لاحقاً ضمن المباحث التالية.

علاقة بين لفظ الإيقاع وبين ما تدركه حاسة السمع من أثر للصوت في كلام العرب سوى في وقع الضرب بالشيء، أو وقع المطر، أو وقع حوافر الدابة¹، يقال: " سَمِعْتُ وَقَعَ المطر وهو شدة ضربه الأرض إذا وَبَلَ. ويقال: سمعت لحوافر الدوابِّ وَقَعاً وَوُقُوعاً "². رغم أن صاحب اللسان قد أشار إلى أن هذا اللفظ يستعمل بمعنى إيقاع اللفظ والغناء، كما أشار إلى أن الخليل قد سمى كتاباً من كتبه في ذلك المعنى³، مما يرجح أن يكون هذا المعنى مستحدثاً.

أما في الاصطلاح فيُقصد بالإيقاع " النقلة على النغم في أزمنة محدودة المقادير "⁴، أو هو " رجوع ظاهرة صوتية ما على مسافات زمنية متساوية أو متجاوبة، فأنت إذا نقرت ثلاث نقرات ثم نقرت رابعة أقوى من الثلاث السابقة، وكررت عملك هذا تولد الإيقاع من رجوع النقرة القوية بعد كل ثلاث نقرات، وقد يتولد الإيقاع من مجرد الصمت بعد كل ثلاث نقرات "⁵. وقد وُظِّفَ هذا المصطلح في دراسة اللغة توظيفاً يسمح بفهم بعض الظواهر النغمية في لغة الشعر، وحتى النثر، أو في لغة القرآن الكريم، ويُعرّف الإيقاع في هذا السياق بأنه: " إحساس الأذن والنفس بتناغم الصوت الحاصل في قراءة الآيات "⁶، وقد حاول بعض الباحثين تبين معنى الإيقاع عن طريق شرح المقاطع اللغوية والنبر، ليصل من خلال ذلك إلى أن الإيقاع هو نتيجة التقارب في أعداد المقاطع بين النبرين وانتظام اختلاف

¹ - لسان العرب، ج 2، ص 176.

² - نفسه، ص 402.

³ - نفسه، ج 8، ص 40.

⁴ - مفاتيح العلوم: أبو عبد الله محمد بن أحمد الخوارزمي، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، ط 2، ص 266.

⁵ - في الميزان الجديد: محمد مندور، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 2004، ص 188.

⁶ - فواصل الآيات القرآنية: كمال الدين عبد الغني مرسي، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، مصر، ط 1، 1999، ص 166.

بعضها عن بعض، ويقع ذلك في الشعر في نطاق الوزن، أما في القرآن فيقع في نطاق التوازن، وهما من القيم الصوتية التي تصلح أن تكون مجالاً للفن والجمال¹.

I - التوقيع في لغة العرب:

لعل المتأمل في لغة العرب يدرك ما فيها من عناصر الإيقاع الناتج عن طبيعتها الاشتقاقية التي تهبطها مجالاً واسعاً لتوقيع الكلام، إذ يُشتق من الأصل الواحد صيغٌ كثيرة متقاربة قد تلتقي في النصّ محدثة فيه أشكالاً من الجنس²، وهو لون من الإيقاع الأخاذ في لغة العرب. كما يوفر تكرار الحروف والمقاطع وأنماط الجمل إمكانات أخرى تسمح بتوقيع الكلام بحسب موقعه في النفس. ولعلّ من جميل التوظيف لهذه الطاقات الإيقاعية التي توفرها لغة العرب ما جاء في بعض شعر الخنساء إذ تبكي شقيقها، حتى لكانَّ الشَّكل الذي تَصُبُّ فيه معانيها هو بعضٌ من بكائها حين تذكر محاسنَه، تقول:

حَمَالُ أَلْوِيَةِ، هَبَّاطُ أَوْدِيَةٍ شَهَادُ أُنْدِيَةٍ، لِلْجَيْشِ جَرَّارُ

نَحَارُ رَاغِيَةٍ، مِلْجَاءُ طَاغِيَةٍ فَكَأَكْ عَانِيَةٍ، لِلْعَظَمِ جَبَّارُ³

أو كما في قولها:

طَلَعِ مَرْقَبَةٍ، مَنَاعُ مَغْلَقَةٍ وَرَادُ مَشْرِئَةٍ، قَطَّاعِ أَقْرَانِ

¹ - البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط 1، 1993، ص 270.

² للاستزادة ينظر: فواصل الآيات القرآنية دراسة بلاغية دلالية: السيد خضر، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 2، 2009، ص 21.

³ - ديوان الخنساء، شرح وعناية: حمدو طماس، دار المعرفة بيروت، لبنان، ط 2، 2004، ص 46.

شَهَادُ أُندِيَّةٍ، حَمَالُ أَلْوِيَّةٍ قَطَّاعُ أَوْدِيَّةٍ، سِرْحَانُ قِيَعَانٍ¹.

وقد بلغ الحرص في لغة العرب على هذا الحس الجمالي الناتج عن إمتاع حاسة الأذن عن طريق الجمال اللفظي والتراكيب الموسيقية غايةً عظيمة، حتى ليرتكب لأجلها أمور من مخالفة القياس أو القاعدة النحوية في سننهم، فقد نبّه إلى ذلك أحمد بن فارس في باب المحاذاة، فقال: " أن يُجعل كلامٌ بحذاء كلام، فيؤتى به على وزنه لفظاً، وإن كانا مختلفَيْن، فيقولون: " الغدايا والعشايا "، فقالوا: " الغدايا " لانضمامها إلى " العشايا ". ومثله قولهم: " أعوذ بك من السَّامَّةِ واللامَّة " ²، فالعرب لا تجمع الغداة على الغدايا، وإنما تُجمع على " غدوات "، وإنما جاؤوا به على هذا النحو من مخالفة القياس فجمعوه على هذا الوجه من التَّكسير ليناسب إيقاعه إيقاع العشايا، فإذا أفردوه لم يُكسروه. كما أن " السَّامَّةَ من "سَمَتَ " إذا خَصَّتْ و" اللامَّة " أصلها " ألمت " لكنها حين قُرنت بالسَّامَّةِ جُعِلت في وزنها ³.

كما تخالف العرب القاعدة النحوية حفظاً لتوقيع الكلام بما تشتهيه حاسة الأذن من تجانسٍ وانسجام فتقول: " هذا جحر ضبٌّ خربٍ " بكسر لفظ "خربٍ"، رغم أنها نعتٌ للجحر وليست نعتاً للضبِّ. ومنه أيضاً قول امرئ القيس:

كَأَنَّ ثَبِيرًا فِي عَرَانِينَ وَبَلِيٍّ كَبِيرُ أَنَاسٍ فِي بَجَادٍ مُزْمَلٍ.

فالمزْمَلُ: نعت لـ " كبير "، وليست نعتاً لـ " بجاد " وحقه الرفع وإنما خفضه لذلك.

¹ - ديوان الخنساء ، ص 112.

² - الصاحبى في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها: أبو الحسين أحمد بن فارس، تح: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1997م، ص 174، 175.

³ - للاستزادة ينظر: موسيقى اللغة: رجب عبد الجواد إبراهيم، دار الآفاق، القاهرة، 2003، ص 7.

كما قد تزيد العرب في بناء بعض الجمل التي يكثر جريانها في كلامهم ألفاظاً قد تكون مجردة من الدلالة، حفظاً لمقاطع الكلام، وتوقعاً له بما تستلذه آذانهم، فنقول: شيطانٌ ليطان، وعطشانٌ نطشان، وحسنٌ بسن، ومليحٌ قزيع، وشحيحٌ نحيج...¹ وهي ألفاظ ترد على سبيل الإتيان ومزاوجة الكلام، ولذلك لا ترد مفردة في كلام العرب أبداً لأن غايتها إيقاعية شكلية، فقد ذكر ثعلب في أماليه، قال ابن الأعرابي: سألت العرب أي شيء معنى شيطان ليطان ؟ فقالوا: شيء نتد به كلامنا². كما قد يجيء في كلامهم على هذا النحو شيء من الألفاظ التي يمكن إفرادها، نحو قولهم: غني ملي، وفقير وقير، وجديد قشيب، وخائب هائب، وخبيث نبيث، وخفيف ذفيف، وقسيم وسيم... وغير ذلك³.

وهكذا فإن الإيقاع لا يرد عبثاً في كلام العرب، وإنما يقصد إليه قصداً، إرضاءً لأسماعهم التي تخشع للسجع، وتدين للشعر، وتتناد للإنشاد انقيادها للحداء في بيتها التي لم تزل محافظة على توقيعتها ورتابتها من زمن بعيد.

ويرى كثير من الباحثين أن الظاهرة الإيقاعية في لغة العرب وعشق أهلها للأوزان والقوافي مرتبط بالأمية، " حين كان الأدب أدب الأذن لا أدب العين، وحين اعتمد القوم على مسامعهم في الحكم على النص اللغوي، فاكتمست تلك الأذان المِران والتَّمييز بين الفروق الصَّوتية الدقيقة، وأصبحت مرهفةً تستريح إلى كلامٍ لحسن وقَّعه أو إيقاعه، وتأبى آخر لنُبُوّه، أو لأنه كما يعبر أهل الموسيقى نشاز "⁴. وهكذا جرت الأمور في البيئة العربية التي لم تعرف القراءة ولا الكتابة إلا في نطاق ضيق، فكان ذلك علة تهذيب أسماعهم في حركة بطيئة، خلال ربح من الزمن، بكيفية جعلت من العرب أمة

¹ - الإتيان: جلال الدين السيوطي، تح: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص 90.

² - نفسه، ص 89.

³ - ينظر: - نفسه، ص 90.

- الأمالي: أبو علي القالي، عناية وترتيب: محمد عبد الجواد الأصمعي، دار الكتب المصرية، ط2،

1926، ج 2، ص 210

⁴ - دلالة الألفاظ: إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط 6، 1991، ص 195.

السماع والإنشاد، والأوزان والقوافي. كما أحس هؤلاء بالقدرة على تذكر الكلام الموزن، وترديده دون إرهاق للذاكرة، على خلاف الكلام المرسل، إذ يتم صبُّ المعاني التي يُراد لها البقاء " في قوالب دقيقة ومنظمة تعتمد على السجع في النثر، وعلى الوزن والقافية في الشعر اعتماداً دقيقاً، إضافة إلى صور تكرارية أخرى في بنية البيت الواحد، أو مجموعة أبيات متقاربة، وكل ذلك يسهّل في عملية الحفظ والتذكر لهذه المادة اللغوية المميّزة عن الكلام العادي، ولهذا كان الشعر عندهم أشهر وأسير وأذكر " ¹.

ولعل من أهمّ هذه الصور التكرارية المرتبطة بتحفيز الذاكرة تكرار المقاطع وتواليها وفق نظامٍ معيّن، مما تدركه الأذن في صورة توقيعٍ خاصٍ يسهّل عملية التّوقُّع وبالتالي الحفظ، " ومتى درّبت الأذان على هذا النظام الخاص ألفته وتوقّعته في أثناء سماعها. ومثل الوزن في كلّ هذا مثل كل شيءٍ منظم التركيب منسجم الأجزاء، يدرك المرء بسهولة سرّ توالي أجزائه وتركيبها خيراً مما يمكن أن يدرك المضطرب الأجزاء الخالي من النظام والانسجام " ².

وقد أدرك العرب هذا الأمر قبل الدّراسات الحديثة وإن لم يفسّروه تفسيراً يقوم على النبر وتكرار المقاطع، فلجّؤوا إلى السّجع واتّبَعوا القوافي، وأقاموا الأوزان، قصد حفظ آثارهم، فقد قيل لبعض أهل الفصاحة ³: " لم تؤثر السجع على المنثور، وتلزم نفسك القوافي وإقامة الوزن ؟ قال: إن كلامي لو كنت لا أمل فيه إلاّ سماع الشّاهد لقلّ خلافي عليك، ولكني أريد الغائب والحاضر، والراهن والغابر، فالحفظ إليه أسرع، والآذان لسماعه أنشط، وهو أحق بالتقييد وبقلّة التقلّت. وما تكلمت به العرب من

¹ - فواصل الآيات القرآنية دراسة بلاغية: السيد خضر، ص 18.

² - موسيقى الشعر: إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط 2، 1952، ص 11.

³ - عبد الصّمد بن الفضل بن عيسى الرقاشي، أبو العباس: شاعر مجيد، من أهل البصرة. فارسي الأصل. انتقل إلى بغداد، ومدح الخلفاء. وكانت بينه وبين أبي نواس مهاجاة ومباسة. انقطع إلى البرامكة، ورثاهم بعد نكبتهم. وكان متهتكا خليعاً، قال المبرد: " كان الفضل يظهر الغنى وهو فقير، ويظهر العز وهو ذليل، ويتكثر وهو قليل، فكانت الشعراء تهجوه ". للاستزادة ينظر: الأعلام، ج 5، ص 150.

جيد المنثور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون، فلم يُحفظ من المنثور عشرة، ولا ضاع من الموزون عشرة.¹

II - الظاهرة الإيقاعية في القرآن الكريم:

تُعَدُّ الظاهرة الإيقاعية في النظم القرآني واحدة من أظهر عجائبه التي لا تتقضي، فهو يجمع بين فضائل الشعر والنثر في آن معاً، وي طرح ما يعييهما، مخالفاً بذلك ما ألفته العرب في آدابها حتى قيل إنه سحر.

ولعل هذا الجانب هو أول ما راع العرب من أمر هذا الكلام الإلهي المعجز وهم أهل اللغة وأرباب الفصاحة والبيان، فظنوا أول الأمر أنه شعر، ولكن الأمر لم يستقم، فهم أعرف الناس بالشعر كله، رجزه وهزجه، وقريضه ومقبوضه ومبسوطه، حتى ضاقت عليهم السُّبُل فقالوا إنه سحر بعد أن فُتِنُوا بجماله وأخذوا بروعته، وراح أكابرهم من المشركين يتخذون خلصةً مجالس في الظلام حول بيت النبي ﷺ يستمعون إليه الليل كله، وهو خاشع في صلاته يتلو القرآن، حتى إذا انبلج الصبح عادوا إلى ما كانوا عليه في نهارهم من كبرٍ وعناد، ثم يعقدون بينهم موثيق يُلزمون فيها أنفسهم أن لا يعودوا لما كانوا عليه في ليلتهم، درءاً لفتنة من هم دونهم من سائر الناس.²

هذا التوقيع العجيب هو ميزة قرآنية ناتجة عن تأليف خاص لكلام الله تعالى في شكله وجوهره³، إذ تتألف الحروف فيما بينها داخل الكلمة تألفاً عجيباً، كما تأتلف الألفاظ في تراكيبها بطرائق لم تعهدها

¹ - البيان والتبيين، ج 1، ص 239.

² - ينظر:

السيرة النبوية: ابن هشام، تح: مصطفى السقا وآخرون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط 2، 1955، ج 1، ص 315.

³ - النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم: محمد بن عبد الله دراز، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 2005، ص 133.

مسماع العرب من قبل، لينتج عن ذلك توقيع ساحر يتألف من ضربين ينبغي التمييز بينهما كما نبّه إلى ذلك أهل العلم¹:

- أولهما: جمال توقيعي ناتج عن توزيع حركات القرآن وسكّاته، ومداته وغمّاته، واتصالاته وسكّاته، وتنظيمها على نحو معيّن عبر محور زمن التلاوة، وينتج عن ذلك نمط خاص من الأداء منقول عن النبي ﷺ بالتواتر، يُراد به "أنواع من المنطق وصفات من اللهجة لم تكن على هذا الوجه من كلام العرب، ولكنها ظهرت فيه أول شيء على لسان النبي ﷺ"، فجعلت المسماع لا تتبو عن شيء من القرآن، ولا تلوي من دونه حجاب القلب، حتى لم يكن لمن يسمعه بدّ من الاسترسال إليه، والتوفر على الإصغاء، لا يستمّله أمر من دونه وإن كان أمر العادة، ولا يستنّسّه الشيطان وإن كانت طاعته عندهم عبادة².

ويمكن تبين هذا الضرب من التوقيع بإلقاء السمع للتلاوة القرآنية الصحيحة، بأحكامها وطرق أدائها مجردة من هيكل الحروف والكلمات، كأن يكون السامع بعيدا بحيث يتعذّر سماع حروفه وكلماته، إذ يمكن الملاحظة بوضوح أن التشكيل الناتج عن الترتيل القرآني يؤلف إيقاعاً يسترعي من السمع فوق ما تسترعيه الموسيقى والشعر، ويشعر السامع من نفسه ولو كان أعجميا لا يعرف العربية "بأنه أمام لحن غريب، وتوقيع عجيب يفوق في حسنه وجماله كلّ ما عرف من توقيع الموسيقى وترنيم الشعر، لأن الموسيقى تتشابه أجراسها وتتقارب أنغامها فلا يفتأ السمع أن يملّها، والطبع أن يمجّها، ولأن الشعر تتحد فيه الأوزان، وتتشابه القوافي في القصيدة الواحدة غالباً وإن طالّت على نمط

¹ - ينظر مثلاً: مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط 3، ج 2، ص 309-312.

- النبأ العظيم، ص 133، 134

- فواصل الآيات القرآنية: كمال الدين عبد الغني مرسي، ص 149-151، 153.

² - تاريخ آداب العرب: مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، ج 2، ص 141.

يورث سامعه السّام والملل، بينما سامع لحن القرآن لا يسأم ولا يملّ لأنه يتنقل فيه دائماً بين ألحانٍ متنوعةٍ وأنغامٍ متجددة على أوضاعٍ مختلفة يهزّ كلّ وضع منها أوتار القلوب وأعصاب الأفتدة " ¹.

هذا الضرب من التوقيع هو نتيجة اتساقٍ عجيبٍ يسترعي الأسماع ويستهوِي النفوس، فتجعل الإنسان " يسمع ضرباً خالصاً من الموسيقى اللغوية في انسجامه وإطّراد نسقه واتّزانه على أجزاء النَّفس، مقطعاً مقطّعاً، ونبرةً نبرة، كأنها تُوقَّعه توقيعاً ولا تتلوّه تلاوة " ². وذلك لا يتأتّى في أفضل كلام البلغاء، ودليل ذلك أنّك إذا أنشأت ترتّل بعضاً من كلام فصحاء العرب، من منظومهم أو منثورهم، على طريقة التّلاوة في كتاب الله تعالى، بأحكامها وطرق أدائها، " فإنك لا بدّ ظاهر بنفسك على النقص في كلام البلغاء وانحطاطه في ذلك عن مرتبة القرآن، بل ترى كأنك بهذا التّحسين قد نكّرت الكلام وغيرته، فأخرجته من صفة الفصاحة، وجردته من زينة الأسلوب، وأطفأت رواءه، وأنضبت ماءه، لأنك تزنه على أوزان لم يتّسق عليها في كلّ جهاته، فلا تعدو أن تُظهر من عيبه ما لم يكن يعيبه إذا أنت أرسلته في نهجه وأخذته على جملته " ³.

- أما الثاني، فهو جمال توقيعٍ ناتج عن تنسيق الحروف ورصفها على وجه خاصّ من التّأليف، فتتزل أصوات الحروف منزلة النبرات الموسيقية عند خروجها من مخارجها الصحيحة وفق صفاتها المعلومة ، ويمازج بعضها بعضاً، ويتألف منها شيء مع شيء، وتتداخل خواصها، وتجتمع صفاتها، فينشأ عن ذلك ضرب من التوقيع لم تعهده آذان العرب، ولا يكون ذلك إلا من ترتيب صوتي يثير بعضه بعضاً على نسب معلومة ترجع إلى درجات الصوت ومخارجه وأبعاده ⁴.

¹ - مناهل العرفان في علوم القرآن، ج 2، ص 309، 310.

² - تاريخ آداب العرب، ج 2، ص 141.

³ - نفسه، ص 142.

⁴ - للاستزادة ينظر: نفسه، ص 142.

ويمكن للسامع أن يشعر بهذا الضرب من الإيقاع، إذ يجد لذةً جديدةً ناتجةً عن رصف الحروف بعضها بجانب بعض في كتاب الله تعالى، فهذا ينقر وذاك يصفر وهذا يخفى وذاك يظهر وهذا يهمس وذاك يجهر إلى غير ذلك مما هو مقرر في باب مخارج الحروف وصفاتها في علم التجويد¹. وهكذا يجمع القرآن في تلاوته بين الصفات المتباينة المتناقضة ليصنع من مجموعها تشكيلاً إيقاعياً في غاية التآلف والانسجام، ويضع على نحو دقيق محكم " كلاً من الحروف وصفاتها المتقابلة في موضعه بميزان حتى تألف من المجموع قالب لفظي مدهش وقشرة سطحية أخاذة امتزجت فيها جزالة البداوة في غير خشونة برقة الحضارة من غير ميوعة، وتلاقت عندها أذواق القبائل العربية على اختلافها بكل يسرٍ وسهولة " ². ويصل الإيقاع القرآني إلى مبلغ من الانسجام والتآلف بحيث لو دخل فيه شيء من كلام الناس لاعتل مذاقه في أفواه قارئيه، واختل نظامه في آذان سامعيه³، ولو سقط حرف من حروفه أو أُبدل بغيره " لكان ذلك خللاً بيّناً، أو ضعفاً ظاهراً في نسق الوزن وجرس النغمة، وفي حسّ السمع وذوق اللسان، وفي انسجام العبارة وبراعة المخرج وتساند الحروف، وإفضاء بعضها إلى بعض، ولرأيت هُجْنَةً في السّمع، كالذي تنكره من كلّ مرئي لم تقع أجزاءه على ترتبيها، ولم تتفق على طبقاتها، وخرج بعضها طويلاً وبعضها عرضاً، وذهب ما بقي منها إلى جهات متناكرة " ⁴.

وهكذا يتشكّل الإيقاع القرآني المميّز من طبقتين مختلفتين متآلفتين من التّوقيع تتفاعل عناصرهما على نحوٍ فريد من الدّقة والإتقان حتى تقع الآية في موضعها الذي يقتضيه المقام. وذلك تحقيقاً

¹ - ينظر مناهل العرفان في علوم القرآن، ج 2، ص 313.

ينظر أيضاً: النّبأ العظيم، ص 134.

² - مناهل العرفان في علوم القرآن، ج 2، ص 312، 313.

³ - نفسه، ص 213

⁴ - تاريخ آداب العرب، ج 2، ص 143.

لغايات قدرها الله تعالى، فإنه جلت قدرته قد أجرى سنته في نظام هذا العالم أن يغشي جلائل أسرارهِ بأستار لا تخلو من متعة وجمال¹:

- أولها: ليكون ذلك من عوامل حفظ كتابه العزيز وبقائه، لأنه يجري بحسب توقيعه وفق نظام معلوم تعتاده الأذن بالدربة والمران، مما يساعد على تيسير حفظه دون إرهاق للذاكرة، ولعل في ذلك شيء مما يفسر قوله ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ (القمر، 17). كما يساعد العنصر الإيقاعي بجماله وسحره على إثارة اهتمام المتلقي مما يبعث على الإقبال على كتاب الله تعالى بالتلاوة والسماع والتدبر، وبذلك يبقى أبد الدهر محفوظاً في الصدور، جارياً على الألسنة، فلا يجرؤ أحد على تغييره، وتبديله تحقيقاً لقوله ﷻ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر، 9)².

- الثاني: الإيحاء والتأثير في المتلقي، فمن الملاحظ عادة أن المعنى يعظم شأنه ويرقى إذا ما صاحبه المؤثرات الصوتية الإيقاعية، ولم تكن أسجاع الكهان ولا قوافي الشعراء لتسحر العرب وتخضعهم لسلطانها إلا لما فيها من توقيع³. وقد أحسن القرآن الكريم توظيف هذه القدرة العجيبة، فكان له بها سلطان على الناس، " حتى إن القاسية قلوبهم من أهل الزيف والإلحاد، لتلين قلوبهم وتهتز عند سماع آيات الله تعالى، لأن فيهم طبيعة إنسانية، ولأن تتابع الأصوات على نسب معينة بين مخارج الأحرف المختلفة، هو بلاغة اللغة الطبيعية التي خلقت في نفس الإنسان، فهو متى سمعها لم يصرفه عنها صارف من اختلاف العقل أو اختلاف اللسان "⁴.

¹ - النبأ العظيم، ص 133 وما بعدها.

² - مناهل العرفان في علوم القرآن، ج 2، ص 312، 313.

³ - فواصل الآيات القرآنية: السيد خضر، ص 23.

⁴ - تاريخ آداب العرب، ج 2، ص 143.

- الثالث: مخاطبة العرب بما هو أليق في خطابهم، لأنهم مجبولون على حبّ القوافي والأسجاع لما فيهما من إيقاع جميل مؤثّر، فجاء التوقيع في القرآن الكريم إغناءً لهم بما هو أطيب وألذّ للأسماع والعقول، وأكثر بركة وثواباً¹.

III - الظاهرة الإيقاعية في التعقيبات القرآنية:

لقد أولى الله تعالى موضع التعقيب عناية خاصة في كتابه العزيز حيث يتأكد فيه الحرص على التوقيع بما يناسب سياق الآية الكريمة. رغم ذلك فإن هذه العناية لا تقتصر على الوظيفة الشكلية بل تتجاوز ذلك إلى وظائف أخرى كالتوكيد والإقناع بتفعيل التأثير الجمالي في وجدان المتلقي باعتباره مفتوناً بالإيقاع. وهكذا يصبح التوقيع وسيلة إحياء فعّالة تسعى إلى توجيه السلوك وترسيخ المبادئ ذات الأهمية البالغة في العقيدة كمعرفة الله عز وجل والثناء عليه، والأمر والنهي وغير ذلك مما سبق الحديث عنه.

والحقيقة أن هذه العناية الخاصة بموضع العقب سنّة معروفة في كلام العرب، وهو ما يفسّر عنايتهم بالقوافي وأواخر الأسجاع، وقد عرض ابن جني لهذا الأمر في خصائصه، فقال: " ألا ترى أن العناية في الشعر إنما هي بالقوافي لأنها المقاطع، وفي السجع كمثل ذلك ، وآخر السجعة والقافية أشرف عندهم من أولها، والعناية بها أمسّ، والحشد عليها أوفى وأهم. وكذلك كلما تطرّف الحرف في القافية ازدادوا عنايةً به ومحافظة على حكمه " ². ولأجل ذلك عني القرآن الكريم بفواصل الآيات باعتبارها موضعاً خاصاً تتأكد فيه الرعاية، وقد أشار الزركشي إلى ذلك في برهانه فقال: " اعلم أن من المواضع التي يتأكد فيها إيقاع المناسبة مقاطع الكلام وأواخره وإيقاع الشيء فيها بما يشاكله " ³.

¹ - ينظر: فواصل الآيات القرآنية دراسة بلاغية دلالية: السيد خضر، ص 50.

² - الخصائص، ج 1، ص 85.

³ - البرهان في علوم القرآن، ج 1، ص 78.

وقد يؤدي الحرص على المناسبة في بعض المواضع إلى شيء من مخالفة الأصول، وهو ظاهرة معروفة في مقاطع كلام العرب تجعل " القوافي تحتمل في الزيادة والنقصان ما لا يحتمله سائر الكلام " ¹. ولا يمتنع ذلك في القرآن، فقد عَرَضَ الزركشي شواهد تؤيد ذلك وتؤكد، يقول: " واعلم أن إيقاع المناسبة في مقاطع الفواصل حيث تطرد متأكد جداً ومؤثر في اعتدال نسق الكلام وحسن موقعه من النفس تأثيراً عظيماً، ولذلك خرج عن نظم الكلام لأجلها في مواضع " ²، كما نقل السيوطي عن الشيخ شمس الدين بن الصائغ قوله في كتاب " إحكام الرأي في أحكام الآي ": " اعلم أن المناسبة أمر مطلوب في اللغة العربية يُرتكَب لها أمور من مخالفة الأصول، قال وقد تتبعت الأحكام التي وقعت في آخر الآي مراعاة للمناسبة فعثرت منها على نيفٍ عن الأربعين حكماً " ³، ثم نبّه إلى أن الخروج عن الأصل في هذه المواضع يحتمل أموراً أخرى مع وجه المناسبة، فإن القرآن العظيم كما جاء في الأثر لا تتقضي عجائبه ⁴.

والواقع أننا حين نتأمل التشكيل الإيقاعي في موضع التعقيب فإننا نستشعر تلك الرعاية الخاصة التي وُظِّفت لأجلها جملة من أدوات توقيعية هامة لا تجتمع في موضع آخر من النص القرآني، وذلك لإنتاج إمتاع سمعي هادفٍ ناتجٍ عن ضربين من التوقيع:

- أما الأول فهو الإيقاع الناتج عن رعاية الأسلوب القرآني للفاصلة، وهو محدود النطاق يتصل بآخر التعقيب باعتبارها الموضع الذي تتأكد فيه الرعاية والعناية.

¹ - البرهان في علوم القرآن، ج1، ص 65.

² - نفسه، ص 60.

³ - الإتيان في علوم القرآن، ج 3، ص 339.

⁴ - نفسه، ص 345.

- أما الثاني فهو إيقاعُ التّعقيبة، ويتميز باتّساع نطاقه بالنّظر إلى سابقه، إذ يميّز التعقيبة كلّها، وينتج عن طرائقٍ نظميّة خاصة تميّز موضع التعقيب.

1 - الإيقاع الناتج عن رعاية الأسلوب القرآني للفاصلة:

الفاصلة موضع خاص في كتاب الله تعالى، وهو أولى المواضع بالعناية، ولأجل ذلك تجتمع فيه ضروب من التوقيع لا تجتمع في موضع آخر، فينتج عن ذلك جنسٌ من القول يختلف عن كلّ ما عرفته العرب من كلامٍ مرسلٍ أو موزون، وهو ما راع أرباب الفصاحة والبيان عند سماع آيات الله تعالى تُتلى وفق طرائق في التلاوة لم تعرفها آذانهم من قبل، ولعلّ ذلك مما أوهم بعضهم بأنها ضربٌ من الشعر أو السّحر، وجعل بعضاً ممن نسبوا لأنفسهم وحيّ السماء طلباً لملك أو مالٍ أو شهرة كمسيلة الكذاب يجتهدون في محاكاة ما تبدّى لهم من إيقاع كلام الله تعالى، فلم يكن ما وصلنا من آثارهم سوى ضرباً من سجعٍ ضعيف متكلف.

ولعلّ ذلك ما يؤكّد أن أكثر ما راعهم من أمر هذا التوقيع المعجز هو فواصل الآيات الكريمة باعتبارها أكثر أداة فاعلة في التشكيل الإيقاعي في النص القرآني عموماً، وفي تعقيباته خصوصاً، وهو أيضاً ما يبرّر عناية العلماء بها في كتب البلاغة والتفسير قديماً وحديثاً.

- أدوات التوقيع في الفاصلة القرآنية:

لعلّ أول ما يُلحظ حين ننتبّع ذلك النظام البديع الذي بُنيت عليه فواصل هذا الكتاب المعجز هو ذلك الاتفاق الحاصل بين بعض مكوناتها ممثلةً في الوزن والحرف الأخير (الروي)، ويتكرّر هذا الاتفاق بشكلٍ دوري في نهاية كلّ آية لينتج إيقاعاً خاصاً تتصاعد وتيرته بحسب مقدار الاتفاق الحاصل. وقد جاء الأسلوب القرآني جارياً مجرى سنن العرب في كلامها فلم تأت فواصله على روي واحد، ولا على وزن واحد، يقول الخفاجي: " إن القرآن أنزل بلغة العرب وعلى عُرفهم وعاداتهم وكان

الفصيح من كلامهم لا يكون كله مسجوعاً لما في ذلك من أمارات التكلّف والاستكراه والتصنّع لا سيّما فيما يطول من الكلام، فلم يرد مسجوعاً جرياً به على عُرفهم في الطبقة العالية من كلامهم. ولم يخلُ من السجع لأنه يحسُن في بعض الكلام على الصّفة التي قدّمتها وعليها ورد في فصيح كلامهم، فلم يجز أن يكون عالياً في الفصاحة وقد أخل فيه بشرطٍ من شروطها¹.

ولأجل ذلك يوازن الأسلوب القرآني في تفعيل جملة من أدوات التوقيع في موضع الفاصلة ويوظّفها باعتدالٍ لا تعطيل فيه ولا إسراف لإنتاج ضروب مختلفة من الإيقاع يقتضيها المقام. وهي لا تخرج عما يلي:

أ - التوازي: وهو اتفاق الفواصل في الوزن والروي²، وهو بذلك يمثل أعلى مراتب الاعتدال بين مقاطع الكلام، ولأجل ذلك كانت الفواصل المتوازية أشرف أقسام الفواصل³ لما تحمله من توافق " بإعادة القلب الصوتي الأخير وتكرار حرف الروي، مما يؤدي إلى إثراء التعبير بهذا الرنين الموسيقي المحبّب الذي تنشط له النفس " ⁴.

ويكثر التوازي في فواصل كتاب الله تعالى باعتبار طاقته التوقيعية العالية التي يزداد فعلها حضوراً في الآيات القصيرة، وفي قصار السور، خصوصاً حين يتعلّق الأمر بالقرآن المكي إذ يصبح التوقيع ضرورة يستدعيها المقام في خطاب المشركين. مع ذلك فإن الإمتاع السمعي الناتج عن توازي مقاطع الكلام يكون ذا تأثير واضح أيضاً في المتلقي رغم أسلوب التعقيب وطول القرائن وبُعد الفواصل بعضها عن بعض في آيات التشريع في القرآن المدني حيث يصبح بيان الأحكام وتفصيل الشرائع أهم مقاصد الخطاب. ويمكن تبين ذلك بوضوح في قوله تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُم مِّنْ

¹ - سر الفصاحة، ص 174.

² - ينظر: فواصل الآيات القرآنية: كمال الدين عبد الغني مرسي، ص 186.

³ - البرهان في علوم القرآن، ج 1، ص 75.

⁴ - ينظر: فواصل الآيات القرآنية: كمال الدين عبد الغني مرسي، ص 186.

بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مَّنْ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتَدُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ (البقرة، 109-110)، فإن الاعتدال الحاصل عن اتفاق الروي (الراء)، وعن اتحاد الصيغتين الصرفيتين في الفاصلتين: (قدير) و(بصير) في آخر التعقيبين لا يخفى أثره في النفس. ومن ذلك أيضاً ما جاء في قوله ﷻ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٠٩﴾ لَتَبْلُوَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ (آل عمران، 185-186). ومنه أيضاً قوله ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْطِيكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَىٰ شِئْءٍ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿١٨٦﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرِ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٨٧﴾﴾ (سبا، 46-47).

وهكذا فإن الأسلوب القرآني - كما هو بَيِّن - يعتني رغم المسافات المتباعدة بين فواصل الآيات والتي تتجاوز عشرات الألفاظ، رغم ذلك فإنه يعتني بإيقاع مقاطع الكلام عناية واضحة، بل يضاعف من وتيرة هذا التوقيع في تعقيب بعض الآيات من خلال لزوم ما لا يلزم، فيتجاوز التماثل حرف الروي إلى غيره من حروف الفاصلة مما يُكسب النصَّ جرساً عذباً يستهوي النفس وتستلذه الأسماع، من ذلك قوله ﷻ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿١٨٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٨٩﴾﴾ (الحج، 62-63). ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَّصِيرٍ ﴿١٩٠﴾ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونُ بِالَّذِينَ يَنْتَوُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأَنْتُمْ بَشَرٌ مِّنْ دَلِكُمُ النَّارِ وَعَدَّاهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَسَّ

الْمَصِيرُ ﴿ (الحج، 72-73). ومنه أيضاً قوله عز وجل: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ ذَلِكَ بَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ (لقمان، 29-30).

وقد تتجاوز هذه العناية في بعض المواضع من أسلوب التعقيب لزوم ما لا يلزم، فيمتدّ حيز المشكلة إلى أبعد من الفاصلة، وتتوسّع مساحة الاعتدال والتوافق بين أجزاء القرينتين، ممّا يجعل صيغة التعقيب في إيقاعها أقرب إلى الترصيع¹، وتكتسب مقاطع الكلام من الجمال ما لا يخفى، من ذلك ما جاء في تعقيب قوله تعالى: ﴿ الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُورَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ

¹ - مصطلح بلاغي يطلق في عمومته على اتفاق ألفاظ القرينتين في الوزن والروي في السجع شعراً أو نثراً، وهو مأخوذ من ترصيع العقد، وذلك أن يكون في أحد جانبيه من اللآلئ مثل ما في الجانب الآخر. وهو مما لا يحسن في الكلام إذا تكرر وتوالى لأنه يدل على التكلف وشدة التصنع، وإنما يحسن إذا وقع قليلاً غير نافر.

والواقع أن المتقدمين والمتأخرين من منظري البلاغة على خلاف واضح في تصورهم لمفهوم الترصيع، وهو ما يتّضح من خلال الأمثلة التي تتضارب في بعض الأحيان إلى حدّ كبير، وهو الأمر الذي أثر في أحكامهم حين يتعلّق الأمر بالترصيع في كتاب الله تعالى، إذ يرى فريق من البلاغيين أن الترصيع لم يرد في القرآن لما فيه من التكلف، ويرى آخرون أن منه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾ ﴿ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾ (الانفطار، 13-14). وقوله أيضاً: ﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴾ (الغاشية، 25-26). للاستزادة ينظر:

- نقد الشعر: قدامة بن جعفر، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 80 وما بعدها.

- كتاب الصناعتين، ص 375 وما بعدها.

- سر الفصاحة، ص 190-191.

- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: يحيى بن حمزة العلوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط 1، 1423هـ، ج 2، ص 194 وما بعدها.

بَيَّنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿النساء، 34، 35﴾. منه أيضاً قوله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ (لقمان، 31، 32).

ويصبح هذا الضرب من التوقيع الواضح في تعقيب الآيات الكريمة رغم طول القرينتين أظهر وأكثر تأثيراً في مقامٍ مغاير، حينما يصبح التوقيع ضرورة يستدعيها الذمّ والوعيد عقب قصة فرعون، فتقترب الفواصل بفعل قصر الآيات، ويتسارع الإيقاع ليرد هذا الضرب الخاص من التوازي في أجمل صوره في قوله ﷻ: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمُؤْرَدُونَ﴾ وَأَتَّبَعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴿هود، 98 - 99﴾.

ب - التوازن: ضرب من ضروب الاعتدال بين فواصل الكلام، يُراد به " أن يُراعى في الكلمتين الأخيرتين من القرينتين الوزن مع اختلاف الحرف الأخير منهما " ¹، كما في قوله تعالى: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةً﴾ وَرَزَابِيٍّ مَبْنُوتَةٍ ﴿(الغاشية، 15-16)﴾.

ولأجل ذلك فإن توازن مقاطع الكلام أقل اعتدالاً من التوازي دون شك، غير أن " الاحتفاظ بالوزن، والتخلي عن الروي في بعض الأحيان يكون له من الحسن مثل سابقه إذا حدثت المراوحة بينهما، فاعتیاد الأذن على نهاية صوتية واحدة لكل قرينة قد يفقدها عنصر المفاجأة التي توقظ النفس، وتنبّه الذهن " ². وهكذا فإن القرآن الكريم باعتباره ممثلاً للبيان في أرقى صوره لم يلتزم رويًا واحداً لكل فواصله لما قد يورثه ذلك من رتابة الإيقاع " وإنما يلتزم به حين يكون التزامه أروع وأعجب، ويتخلّى

¹ - نهاية الأرب في فنون الأدب: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط 1، 1423 هـ، ج 7، ص 105.

² - فواصل الآيات القرآنية: كمال الدين عبد الغني مرسي، ص 188 - 189.

عنه حين يكون التخلي عنه ضرورة فنية لازمة لكسر الرتابة، وتحقيق التنوع النغمي" ¹. ويمكن ملاحظة ذلك بوضوح في تعقيب الآيات التالية، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ (الأحزاب، 1-3)، فقد جاء الروي مختلفاً في كل آية، ولكن الأسلوب القرآني حرص على توازن الفواصل بما يحفظ للآيات ذلك القدر الذي ينبغي من التوقيع. ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا يَنْتَحِلُوا فِيكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيٍّ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء، 31-34). وهو من بديع التوازن، حيث يقوم النظم القرآني بتشكيل ثنائيتين من الآيات الكريمة، موازناً بين الفاصلتين في كل ثنائية:

$$\left. \begin{aligned} &[\text{كبيراً (فعيلاً)} = \text{سبيلاً (فعيلاً)}] \\ &[\text{منصوراً (مفعولاً)} = \text{مسؤولاً (مفعولاً)}] \end{aligned} \right\}$$

وإذا كان القرآن قد تخطى في الظاهر عن الروي في هذا الموضع واكتفى بالتوازي من خلال المشاكلة بين الصيغتين الصرفيتين لكل آيتين على التوالي، فإنه أثرى مقاطع الآيات بضرب آخر من التوقيع الناتج عن تكرار الروي على نحو دوري متناوب تتكرر فيه اللام بعد الراء، ثم اللام بعد الراء. وقد زاد المدّ الناتج عن التنوين والوقف على الفواصل ساكنة من قوة المشاكلة والاعتدال بينها.

فالواقع أن الأسلوب القرآني لا يتخطى مطلقاً عن المشاكلة بين حروف الروي في الفواصل القرآنية ولو في حدها الأدنى إدراكاً منه بدورها في توقيع مقاطع الكلام. وقد بين العلماء أن الفواصل القرآنية

¹ - فواصل الآيات القرآنية: كمال الدين عبد الغني مرسي، ص 188-189.

قسمان: متماثلة ومتقاربة، وهي لا تخرج عن ذلك. وبهذا يكون التماثل مصاحباً للفواصل المتوازنة والمطرقة لأن الأسلوب القرآني يحرص فيهما على المشاكلة التامة بين حروف الروي. أما التقارب فهو سمة التوازن وسائر الفواصل في كتاب الله تعالى لأن الأسلوب القرآني يتخلّى عن التماثل بين حروف الروي، ولكنه يحافظ على قدر من المشاكلة بينها من خلال بعض الصفات المشتركة، كأن يكون الروي من حروف الغنة كالميم والنون¹، أو كاستعمال حروف القلقة، وذلك كثير في كتاب الله تعالى.

ج - التطريف: هو أن يُراعَى في قرينتي السجع الحرف الأخير من غير مراعاة الوزن²، بمعنى أن تتفق الفاصلتان في الروي وتختلفان في الوزن³، كقوله ﷻ: ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً ﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً ﴿ (نوح، 13-14).

ويكثر ذلك في فواصل كتاب الله تعالى، كما ينبني عليه الاعتدال في مقاطع كثير من التعقيبات، من ذلك قوله جلّ وعلا: ﴿ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ (الروم، 28-30)، فقد اختار الأسلوب القرآني في هذا الموضع أن يتخلّى عن الوزن في مقاطع الكلام تفادياً لرتابة الإيقاع في تعقيب الآيات الكريمة لكنه حافظ على الروي حفاظاً على الاعتدال " باعتبار مقصداً من مقاصد العقلاء يميل إليه الطبع وتتشوق إليه النفس " ⁴.

¹ - سنتطرق لهذا الموضوع لاحقاً ضمن مباحث هذا الفصل.

² - نهاية الارب في فنون الأدب، ص 104.

³ - البرهان في علوم القرآن، ج 1، ص 76.

⁴ - الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ج 3، ص 13.

ومن ذلك أيضاً قوله: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ (لقمان، 16-19).

ولعلّ المتأمل لهذا الضرب من التوقيع يدرك أنه في مرتبة من الجمال ليست دون سابقه، لأن الأسلوب القرآني يوظف طاقة الإيقاع باعتدال فلا يسرف في تفعيلها تجنباً للرتابة، كما لا يقوم بتعطيلها إدراكاً منه لقيمة التوقيع ودوره الأساسي في جمال النص. ولأجل ذلك يرد التطريف مصاحباً لأدوات توقيعية أخرى كالتوازي والتوازن، " وإنك لتجد البيان القرآني يخرج من الفواصل المتوازنة إلى المتوازنة أو المطرّفة، ثم يعود إلى المتوازنة، ويخلط بين أنغامها المتنوعة وأصواتها المختلفة والمؤتلفة ليقدّم لنا في النهاية لحناً موسيقياً عذباً تتضافر نغماته في إيراد هذا اللون من الجمال الفني " ¹، ويمكننا أن نتبين ذلك بوضوح من خلال الآيات التالية ²:

¹ - فواصل الآيات القرآنية: كمال الدين عبد الغني مرسي، ص 189.

² - الآيات في الجدول من سورة لقمان، 28-34.

فواصل متوازنة	﴿ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾
	﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾
	﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾
تطريف	﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلُوكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾
	﴿ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴾
فواصل متوازنة	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾
	﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾
تطريف	

وقد جاء التطريف في الموضع الأول لكسر الرتبة التي قد تتجَرَّ عن تكرار الصيغة الصرفية

(فَعِيل) في الفواصل الثلاثة الأولى: بصير، خبير، كبير، ليتحول إلى (فَعُول). ثم يعود الأسلوب

القرآني ليتخلَّى عن الوزن ثانية في التطريف التالي لليلة نفسها ويعود إلى (فَعِيل) بعد تكرار (فَعُول)

في الفواصل الثلاثة التالية: شَكُور، كَفُور، غُرُور. وهكذا فإن جمالية التطريف في فواصل التعقيبات

السابقة وفي غيرها من المواضع في كتاب الله تعالى تقوم على مبدأ التّغير باعتباره قانوناً من قوانين الإيقاع كما يرى علماء الجمال¹.

د - الوقف: يُراد به في التّلاوة: " قَطَعَ الصوت عن الكلمة زمناً يُتَنَفَس فيه عادةً بِنِيَّةِ اسْتِنَافِ القراءة لا بِنِيَّةِ الإِعْرَاض " ². وهو فنٌّ جليلٌ، يُعرف به كيفَ أداءِ القرآن ³، ولأجل ذلك أُفِرِدَتْ له مؤلّفات كثيرة ⁴، تتناول أقسامه ومراتبه ومواضعه في كلّ آية من كتاب الله تعالى، فقد نُقِلَ عن عليّ كرم الله وجهه أن المراد بالتّرتيل الذي جاء الأمر به في قوله تعالى: ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴾ (المزمل، 4) إنما " هو تجويد الحروف ومعرفة الوقوف " ⁵. كما حضّ الصحابة والتابعون رضوان الله عليهم جميعاً على وجوب تعلّم هذا الباب ومعرفته، باعتباره ضرورةً تستدعيها الحاجة إلى النّفس والاستراحة أثناء التّلاوة، مع " تحنُّمٍ ألا يكون ذلك مما يُحيل المعني، ولا يُخلّ بالفهم، إذ بذلك يظهر الإعجاز، ويحصل القصد " ⁶.

ورغم الأهمية القصوى التي يتمتّع بها الوقف باعتباره شريكاً فاعلاً في تحديد وتوجيه دلالة النصوص، إلّا أن قيمة الوقف من ناحية ثانية تمتدّ إلى دور جمالي لا يقلّ أهمية عن الوظيفة الدلالية، ذلك أن الوقف في واقع التّلاوة هو ما يهبّ أساليب التوازي والتوازن والتّطريف نجاعتها في تحقيق الاعتدال بين مقاطع الآيات، لأن لغة العرب لغةٌ معرّبة، ولا يتعلّق الأمر بروي الفواصل وصيغها الصّرفية فقط، بل يتعلّق أيضاً بالحركة الإعرابية للزّوي، لأن أذن السامع لا تستسيغ النّقلة

¹ - الأسس الجمالية في النقد العربي، ص 187.

² - الإتيان في علوم القرآن، ج 1، ص 299.

³ - نفسه، ص 282.

⁴ - من ذلك: كتاب " إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل " لابن الأنباري، وكتاب " المكثفي في الوقف والابتداء " لأبي عمرو الداني، وكتاب " القطع والائتناف " لأبي جعفر النحاس.

⁵ - الإتيان في علوم القرآن، ج 1، ص 282.

⁶ - نفسه، ص 283.

بين الفواصل المجرورة والمرفوعة والمنصوبة إلا باستئصال يفسد المتعة ويخلل أيما إخلال باعتدال مقاطع الكلام.

ولأجل ذلك يعدل الأسلوب القرآني - كما في عُرِفَ أهل الفصاحة - إلى ترك الحركات في آخر الفواصل نتيجة الوقف، وهو في اللغة " مأخوذ من قولهم وقفت عن كذا إذا لم تأت به، وإنما كان الأصل فيه السكون لأن الوقف يقتضي السكون والابتداء يقتضي الحركة، فجعل لكل منهما ما يناسبه " ¹. وهو أسلوب معروف في الأسجاع يُراد به المجانسة بين القرائن التي توضع في الأصل على أن تكون ساكنة الأعجاز موقوفاً عليها، " ألا ترى أن قولهم: ما أبعد ما فات، وما أقرب ما هو آت، لو ذهبت تصل فيه، لم يكن بدٌ من إعطاء أواخر القرائن ما يقتضيه حكم الإعراب، فتختلف أواخر القرائن، ويفوت الساجع غرضه " ².

وكذلك شأن الفواصل فهي تُبنى على الوقف، على أن تكون ساكنة الأعجاز، ولهذا " شاع مقابلة المرفوع بالمجرور وبالعكس، وكذا المفتوح والمنصوب غير المنون ³، ومنه قوله تعالى ﴿ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴾ (الصافات، 11) مع تقدم قوله: ﴿ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴾ و﴿ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾ " ⁴. وهو كثير في أسلوب التعقيب، ويمكن أن نتبين ذلك بوضوح بالعودة إلى الآيات السابقة من سورة لقمان في قوله

¹ - شرح طيبة النشر في القراءات العشر، ابن الجزري شهاب الدين أبو بكر أحمد بن محمد، منشورات محمد علي ببيسون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 3، 2000م، ص 141.

² - نهاية الأرب في فنون الأدب، ج 7، ص 103.

- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء: أحمد بن علي بن أحمد القلقشندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 2، ص 302.

³ - لأن المنصوب المنون حالة خاصة سننعرّص لها بالتفصيل لاحقاً أثناء الحديث عن مدّ العوض.

⁴ - البرهان في علوم القرآن، ج 1، ص 69، 70.

﴿ وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾، ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾، ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾، ﴿ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴾، ﴿ وَلَا يَغُرَّتْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾، ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾، فإن الذي يوحد بين مقاطع الآيات في هذه التعقيبات المتتالية، ويهيب التوازي والتطريف في مواضعهما فاعلية التوقيع إنما هو الوقف، ولولا ترك حركات الرفع والجر والتثوين والوقوف على الأعجاز ساكنة لاختل الاعتدال ولذهب رونق الكلام.

والواقع أن للوقف وسائل أخرى في كتاب الله تعالى غير الإسكان كالرؤم، والإشمام، والإبدال، والزيادة، والحذف²، غير أن أكثر ما يكون عليه في أسلوب التعقيب لا يخرج في الأعم الأغلب عن الوقف على السكون، فهو يجري في معظم الفواصل³، ولا يكاد يتجه إلى غيره إلا في حالات قليلة منها:

- أن يقف أسلوب التعقيب على ألف مبدلة من تنوين المنصوب، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ (النساء، 16)، وهو أسلوب شائع في الفواصل التي تقع في موضع النصب. وقد ورد هذا الضرب من الوقف في مائتين وثمانية وأربعين (248) موضعاً في التعقيبات القرآنية، وهي لا

¹ - الآيات من سورة لقمان، 28-34.

² - يُراد بالرؤم إضعاف الصوت بالحركة حتى يذهب معظم صوتها فيُسمع لها صوتاً خفياً يدركه الأعمى بحاسة سمعه، وهو يتصل بسائر الحركات. وأما الإشمام فهو إيماء بالشفيتين يتصل بالضم فقط، ويعني ضم الشفتين بعد السكون الخالص لأواخر الكلم من غير صوت، ولذلك لا يعرفه إلا البصير.

وأما الإبدال فهو إبدال الألف من تنوين المنصوب (رحيماً، غفوراً...) أو كببدال الهاء من تاء التأنيث التي تلحق الأسماء (البينة، القيّمة). وأما الزيادة فهي زيادة هاء السكت بعد الفعل المعتل المحذوف الآخر نحو أعطه وأرجه وعه وقه... وأما الحذف فمناه حذف ياء المنقوص الذي لم تتصل به أَل التعريف (من هاد). للاستزادة ينظر:

- اللغة العربية معناها ومبناها: تمام حسان، عالم الكتب، ط 5، 2006م، ص 271، 272.

- التحديد في الإتقان والتجويد: أبو عمرو الداني، تح: غانم قدوري حمد، مكتبة دار الأنبار، بغداد، ط 1، 1988، ص 171، 172.

³ - الفاصلة في القرآن، ص 135.

تخرج في الأعمّ الأغلب عن السّور الكريمة التالية: النساء، الإسراء، الكهف، مريم، الفرقان، الأحزاب، فاطر، الفتح، والطلاق، والجن، ولا يشدُّ عن هذا الحصر سوى تعقيبات نادرة جداً.

والواقع أن هذا النوع من الوقف هو ما يُشكّل الخصوصية الإيقاعية لهذه السور التي تخالف ما يجري عليه سائر القرآن من وقفٍ على السُّكون، إذ يتحول تنوين المنصوب نتيجة الوقف إلى ألف مدّ تُعرف في القراءة بمدّ العوض¹. ولذلك يحرص الأسلوب القرآني في هذه السّور على التّوطئة للفواصل بما يعمل فيها النصب بُعية تحقيق هذا الضرب من التوقيع المتميّز، مستغلاً إمكانات النصب المتعددة في العربية²، ثم يأتي دور الوقف في إطلاق الحركة ومدّها³. ويمكن العودة إلى فواصل سورة مريم أو الكهف مثلاً لفهم الدور الذي يلعبه الوقف في تحقيق المشاكلة بين مقاطع الآيات وتوقيع السورة الكريمة بما يهبُّ حاسة السمع كثيراً من اللذة والإمتاع.

- كما قد يقف على حذف ياء المنقوص⁴، وذلك في الفواصل غير المعرّفة بالآلف واللام في حالتها الرفع والجر، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِّنَ اللَّهِ مِن وَّاقٍ﴾ (غافر، 21)، لأن العرب تستنقل الضمة والكسرة في الياء المكسور ما قبلها لأنهما تخرجان بتكلفٍ شديد، ولا يستنقلون الفتحة فيها لأنها تخرج مع النّفس بلا مؤونة⁵.

¹ - سنرجئ الحديث عن هذا المفهوم إلى موضع لاحق ضمن مبحث نخصه لأصوات المدّ.

² - ينظر: فواصل الآيات القرآنية دراسة دلالية بلاغية: السيد خصر، ص 137.

³ - الفاصلة في القرآن، ص 135.

⁴ - الاسم المنقوص هو كل اسم وقع في آخره ياء قبلها كسرة نحو القاضي والداعي. ينظر:

- اللمع في العربية: أبو الفتح عثمان بن جني، تح: فائز فارس، دار الكتب الثقافية، الكويت، ص 14.

⁵ - للاستزادة ينظر: كتاب إيضاح الوقف والابتداء: أبو بكر محمد بن القاسم ابن بشار الأنباري، تح: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1971م، ص 236-237.

وقد علّل العلماء حذف هذه الياء وما يماثلها من الياءات ¹ التي تشكّل في الأصل جزءاً من بنية الفاصلة أو القافية، فذهبوا إلى أن الفواصل موضع وقف، والوقف موضع تغيير، وجميع " ما لا يُحذف في الكلام وما يُختار فيه أن لا يُحذف، يُحذف في الفواصل والقوافي " ²، ولعل ذلك لكون هذه الياءات حروف مشابهة للزيادة، يقول الرازي في تفسيره: " فإن قيل: لم كان الاختيار أن تُحذف الياء إذا كان في فاصلة أو قافية، والحرف من نفس الكلمة، فوجب أن يُثبت كما أُثبت سائر الحروف ولم يُحذف ؟ أجاب أبو علي فقال: القول في ذلك أن الفواصل والقوافي موضع وقف، والوقف موضع تغيير، فلما كان الوقف تُغيّر فيه الحروف الصّحيحة بالتّضعيف والإسكان وروم الحركة فيها، غيّرت هذه الحروف المشابهة للزيادة بالحذف " ³.

ولأجل ذلك تسقط ياء المنقوص في فواصل أسلوب التعقيب كما تسقط في سائر الفواصل، ثم يُحذف التنوين الذي تُدرجه العرب في كلامها عوضاً عن الياء في الوصل لاعتبار الوقف، وبذلك يوقف على هذه الألفاظ ساكنة بما يناسب فواصل الآيات قبلها وبعدها. ففي قوله جلّ وعلا: ﴿ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ (الرعد، 33)، يوقف على الدال ساكنة مقلقة، تماماً كما يوقف على القاف في التعقيب بعدها مباشرة في قوله: " ﴿ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴾ (الرعد، 34)، وذلك حرصاً على تقارب الفواصل وإمتاعاً للأذن بما تستوجبه القلقلة من جرس خاص يميّز سائر الفواصل في هذا الموضع: مآب، متاب، ميعاد، عقاب...

1 - كما في الياء المحذوفة في قوله تعالى: ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرَ ﴾ (الفجر، 4)، أو في قوله: ﴿ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ﴾ (الكهف، من الآية 64).

2 - الكتاب: سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 3، 1988م، ج 4، ص 185.

3 - التفسير الكبير، ج 31، ص 151.

وذلك شأن سائر مواضع الوقف على حذف ياء المنقوص في تعقيبات كتاب الله تعالى، وهي مدرجة

في الجدول التالي:

﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ (الرعد، 7)
﴿ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴾ (الرعد، 11)
﴿ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ (الرعد، 33)
﴿ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴾ (الرعد، 34)
﴿ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ (الزمر، 23) - (الزمر، 36)
﴿ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴾ (غافر، 21)
﴿ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ (غافر، 33)

- وقد يقف على حذف ياء المتكلم، أو كما تُعرف تجوُّزاً بياء الإضافة¹، " وهي ضمير يتصل بالاسم والفعل والحرف، فهي مع الاسم مجرورة المحل نحو (نفسى)، ومع الفعل منصوبة نحو (فطرني)، ومع الحرف مجرورة ومنصوبة نحو (إني)، و(لي) " ². وهي تُحذف في كلام العرب رغم أن تركها في الوقف أقيس وأكثر³، من ذلك ما جاء في قول النابغة⁴:

إذا حاولت في أسدٍ فجوراً فإنني لستُ منك ولستُ من

وقوله:

¹ - شرح طيبة النشر في القراءات العشر، ص 148، 149.

² - نفسه، ص 148، 149.

³ - الكتاب، ج 4، ص 185.

⁴ - نفسه، ص 186.

وَهُمْ وَرَدُوا الْجَفَارَ عَلَى تَمِيمٍ وَهُمْ أَصْحَابُ يَوْمٍ عُكَاظٍ إِنَّ¹

ومنه أيضاً قول الأعشى²:

فَهَلْ يَمْنَعُنِي ارْتِيَادِي الْبَلَا دَ مِنْ حَذَرِ الْمَوْتِ أَنْ يَأْتِيَنِي³

وَمِنْ شَانِيءٍ كَاسِفٍ وَجْهُهُ إِذَا مَا انْتَسَبْتُ لَهُ أَنْكَرَنَ⁴

وكذلك يَعدِلُ الأسلوب القرآني إلى حذفها في رؤوس الآي على غير القاعدة للتخفيف، وقد قرأ أبو عمرو: ﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنُ﴾ (الفجر، 15)، و ﴿رَبِّي أَهَانَنُ﴾ (الفجر، 16) على الوقف⁵. كما تُحذف في فواصل كثير من التعقيبات قصد تحقيق المشاكلة بين مقاطع الآيات الكريمة، ففي التعقيب بقوله ﷻ: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونُ﴾ (الأنبياء، 92)، إنما حُذفت الياء للوقف قصد تحقيق المناسبة الإيقاعية بينها وبين سائر الفواصل: راجعون، كاتبون، يرجعون، ينسلون... كما حُذفت للعلّة ذاتها في التعقيب المكرّر في سورة القمر في قوله ﷻ: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾، وذلك بما يناسب إيقاع السورة التي جاءت كلّ فواصلها على الرّاء، ولولا ذلك لاختل الاعتدال بين مقاطع الآيات اختلالاً بيّناً.

وقد تتبعنا مواضع هذا الضرب من الوقف في التعقيبات القرآنية، وهي مدرجة ضمن الجدول التالي:

﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِي﴾ (الرعد، 32)
﴿إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبٍ﴾ (الرعد، 36)

¹ - ورد هذان البيتان في ديوان النابغة دون الوقف على حذف الياء على خلاف ما أورده سيبويه في كتابه، للاستزادة ينظر:

- ديوان النابغة: عناية وشرح حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت، ط 3، 2005م، ص 123، 124.

² - الكتاب، ج 4، ص 187.

³ - ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس، تح: محمد حسين، د ط، 1950م، ص 15.

⁴ - نفسه، ص 19.

⁵ - الكتاب، ج 4، ص 186.

﴿ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾ (إبراهيم، 14)
﴿ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴾ (إبراهيم، 40)
﴿ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾ (النحل، 51)
﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ (الأنبياء، 92)
﴿ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾ (المؤمنون، 52)
﴿ بَلْ لَمَّا يَدُوقُوا عَذَابِ ﴾ (ص، 8)
﴿ إِنَّ كُلَّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴾ (ص، 14)
﴿ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ ﴾ (الزمر، 16)
﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴾ (الزمر، 17)
﴿ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ (غافر، 5)
﴿ كُلُّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴾ (ق، 14)
﴿ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ (ق، 45)
﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِ ﴾ (القمر، 16، 18، 21، 30)
﴿ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرِ ﴾ (القمر، 39)
﴿ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴾ (الملك، 17)
﴿ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ (الملك، 18)

ولعلّ الملاحظ أن هذا النوع من الوقف الذي يعدل فيه الأسلوب القرآني عن القاعدة النحوية حرصاً

على التخفيف، وتوقيعاً لفواصل السورة بما يقتضيه السياق يرد في الأعم الأغلب في الخطاب المكي

الذي يميّزه الحرص على الإيقاع، فكلّ التعقيبات السابقة مكية، ولا يُستثنى منها سوى ما جاء في سورة الرعد، فهي من السور التي اختلفت في نسبتها، وإن كان الخطاب فيها يقيناً لأهل مكة¹.

هـ - تكرار حروف الغنة والمدّ:

يكثّر في القرآن الكريم ختم مقاطع الآيات بحروف الغنة والمدّ، وحكمته وجود التمكن من التّطريب بذلك²، وهو ما جرت عليه سنّة العرب في كلامها من قبل كما نبّه إلى ذلك سيبويه، فقال: "إنهم إذا ترنموا يلحقون الألف والياء والنون لأنهم أرادوا مدّ الصوت، ويتركون ذلك إذا لم يترنموا، وجاء في القرآن على أسهل موقف وأعذب مقطع"³.

ولأجل ذلك تكثّر هذه الحروف في القوافي، فقد صنّف بعض الباحثين حروف الهجاء التي تقع رويّاً في الشعر إلى أربعة أقسام حسب نسبة شيوعها⁴، ويبدو أن كثرة الشبوع أو قلتها لا تُعزى إلى ثقل في الأصوات نفسها بقدر ما ترجع إلى نسبة ورودها في أواخر كلمات اللغة⁵:

¹ - سورة الرّعد من السّور التي اختلفت في نسبتها فقد ذهب ابن عباس وعليّ بن أبي طلحة إلى أنها مكية، على خلاف ما ذهب إليه آخرون ممن يجعلون سورة الرّعد مما نزل بالمدينة وحكمه مكي:

- الموسوعة القرآنية المتخصصة، ج 2، ص 9 - ج 3، ص 176.

² - البرهان في علوم القرآن، ج 1، ص 68.

³ - يبدو أن هذا النص الذي نقله السيوطي عن سيبويه قد تعرض لبعض التحريف نتيجة تصرّف صاحب الإتيقان أثناء نقل النص الوارد في كتاب الزركشي البرهان في علوم القرآن. ويبدو أن السيوطي قد نقل نص سيبويه متداخلاً مع ما أورده الزركشي دون أن يشير إلى ذلك. أما كلام سيبويه فلم يزد عن قوله: "أما إذا ترنموا فإنهم يلحقون الألف والياء والواو، ما ينون وما لا ينون، لأنهم أرادوا مدّ الصوت"، وقد جاء ذلك في باب وجوه القوافي في الإنشاد. للاستزادة ينظر:

- الإتيقان في علوم القرآن، ج 3، ص 359.

- الكتاب، ج 4، ص 204.

- البرهان في علوم القرآن، ج 1، ص 68، 69.

⁴ - موسيقى الشعر، ص 246.

⁵ - نفسه، ص 246.

حروف كثيرة الشيوخ	ر، ل، م، ن، ب، د
حروف متوسطة الشيوخ	ت، س، ق، ك، ء، ع، ح، ف، ي، ج
حروف قليلة الشيوخ	ض، ط، هـ
حروف نادرة	ذ، ث، غ، خ، ش، ص، ز، ظ، و

وتجري الفواصل في كتاب الله تعالى مجرى القوافي في توظيف أو إقصاء هذه الحروف، إذ تردُّ النون رويًا في أكثر من نصف الفواصل القرآنية: 51% تقريباً¹، ثم تليها الميم بنسبة 12,38%، ثم الراء: 11,04%، ثم الدال: 4,62%. بينما لم ترد بعض الحروف إلا في حالات نادرة جداً، لأنها لا تتمتع بالقدر الكافي من الوضوح السمعي عند الوقوف عليها². ولعلَّ "أقلها استعمالاً على التوالي: الحاء (5 مرات)، الضاد (4 مرات)، الشين (3 مرات)، الذال (مرتين)، الغين (مرة واحدة)، أما حرف الخاء فلم يرد فاصلة في القرآن الكريم"³.

ولا يختلف الأمر في أسلوب التعقيب عن غيره مما تجري عليه سائر الفواصل، فقد وردت النون رويًا لنصف عدد التعقيبات القرآنية تقريباً بنسبة: 49,35%، تليها الميم، ثم الراء، فالدال، فالباء، فاللام، ثم سائر الحروف الأخرى على النحو الذي يفصّله الجدول التالي:

الحرف	تكراره رويًا في موضع التعقيب	النسبة المئوية
النون	951	49.35%
الميم	367	19.05%
الراء	309	16.04%
الدال	92	4.77%

¹ - فواصل الآيات القرآنية دراسة دلالية بلاغية: سيد خضر، ص 77.

² - ينظر: نفسه، ص 77.

³ - نفسه، ص 80.

الباء	82	%4.26
اللام	65	%3.37
القاف	10	%0.52
الزاي	9	%0.47
الطاء	8	%0.42
الهاء	7	%0.36
الظاء	6	%0.31
الهمزة	5	%0.26
الجيم	5	%0.26
الفاء	3	%0.16
العين	3	%0.16
التاء	2	%0.10
الصاد	1	%0.05
الثاء	1	%0.05
الذال	1	%0.05

التوظيف القرآني للحروف العربية رويًا في التعقيبات القرآنية

ولعل هذا التوظيف المكثف للنون في كتاب الله تعالى هو ما يفسر عناية العلماء بصفاتها وما يعرض لها من أحوالٍ حتى أُفردت لها مؤلفات كثيرة، أو كان لها فيها أوفر النصيب¹. كما يوضح الجدول أيضاً كثرة تكرار الميم في فواصل التعقيبات، وهو أمر طبيعي باعتبارها نظيرة للنون في

¹ - من ذلك:

- النون في اللغة العربية دراسة لغوية في ضوء القرآن الكريم: مصطفى زكي التوني، حليات كلية الآداب، جامعة الكويت، ع 17، 1996.

- النون وأحوالها في لغة العرب: صبحي عبد الحميد محمد عبد الكريم، مطبعة الأمانة، مصر، ط 1، 1986.

اللغات السامية¹. ويُطْلَقُ على النون والميم في العربية اسم حروف الغنة، وهي حروف يحسن السُّكُوت عليها للغنة التي تحصل في النطق غناءً أم تجويداً أم ترسلاً في القول، ومن أجل ذلك لزمَّتها الفواصل². وقد ذكر الخليل في مقدمة العين أنهما حرفان من جملة حروف خاصة تُعرف بحروف الذلاقة، تخرج من دَلَق اللسان، وهي تكثر في أبنية الكلام العربي، فلا يَغْرَى بناءً رباعي أو خماسي منها أو من بعضها³، وهي شبيهة بحروف المدِّ إذ تُجاور سائر الحروف دون أن ينشأ عن ذلك شيء مما لا تستسيغه الأذن، أو مما يتعسر فيه النطق⁴.

إلى جانب النون والميم يكتفُ الأسلوب القرآني من حضور حروف المدِّ: الياء والواو والألف، قبل روي الفاصلة بشكل عام، ويكثر ذلك قبل النون والميم، وهو أمر أدعى وأنسب للترنم والتطريب. وقد نبّه ابن جنِّي إلى أن في وُزُودِها في هذا الموضع الخاص إيدانٌ بالوقف والسكون، يقول: "إنما جيء بالمدِّ في هذه المواضع لِنَعْمَتِهِ وللين الصوت به. وذلك أن آخر الكلمة موضع الوقف، ومكان الاستراحة والأَوْن، فقدّموا أمام الحرف الموقوف عليه ما يؤذن بسكونه، وما يُخَفِّض من غَلَوَاءِ الناطق واستمراره على سَنَنِ جَرِيه، وتتابع نطقه. ولذلك كثرت حروف المدِّ قبل حرف الروي - كالتأسيس والردف - ليكون ذلك مؤدِّناً بالوقوف ومؤدِّياً إلى الراحة والسكون. وكلما جاور حرف المدِّ الروي كان آنس به وأشدَّ إنعاماً لمستمعه"⁵.

¹ - يعلق إبراهيم السامرائي على ذلك قائلاً: "... والاهتمام بالنون يستدعي الاهتمام بنظيره الميم. أقول بنظيره لأن الميم يؤدي في غير العربية من اللغات السامية ما يؤديه النون في العربية، وذلك من أمر التنوين، فإذا صحَّ أن يكون في العربية تنوين فقد صحَّ أن يكون (تميم) في غير العربية ". ينظر:

- فقه اللغة المقارن: إبراهيم السامرائي، دار العلم للملايين، بيروت، ط 3، 1983، ص 134.

² - نفسه، ص 126.

³ - كتاب العين، ج 1، ص 52.

⁴ - موسيقى الشعر، ص 26.

⁵ - الخصائص، ج 1، ص 234، 235.

وقد تتبّعنا مواضع المدّ قبل حرف الرّوي في التّعقيبات القرآنية في سائر السّور في كتاب الله تعالى،

وقمنا بتسجيل النتائج والملاحظات التالية:

بحرف آخر غير المد	مسبوق	مسبوق بالواو	مسبوق	
0	31	540	380	النون
5	7	0	355	الميم
24	28	78	179	الراء
9	23	7	53	الدال
3	53	6	20	الباء
3	8	12	42	اللام
5	3	1	1	القاف
0	0	0	9	الزاي
0	4	4	0	الطاء
6	0	0	1	الهاء
0	0	0	6	الظاء
0	5	0	0	الهمزة
1	0	2	0	الجيم
0	0	0	3	الفاء
0	2	0	1	العين
0	0	1	1	التاء
0	0	0	1	الصاد
0	0	0	1	الثاء
0	0	1	0	الذال
56	164	652	1053	المجموع
%2.91	%8.51	%33.83	%54.64	النسبة المئوية

التوظيف القرآني لحروف المدّ قبل حرف الرّوي في التّعقيبات القرآنية

- يبدو من خلال الجدول أن هناك حضوراً مكثفاً لحروف المدّ قبل الرّوي وبالأخص حضور الياء والواو، وهو أمر ينطبق على سائر التعقيبات القرآنية، ولا يُستثنى من ذلك سوى حالات قليلة متفرقة في كتاب الله تعالى لا يبلغ حضورها ما يعادل ثلاث تعقيبات في كلّ مائة تعقيب. وقد وجدنا أن أكثر هذه الحالات الاستثنائية لم تخلُ في الواقع من المدّ الذي يستهوي حاسة السّمع والذي يُعدّ ضرورةً في التّشكيل الإيقاعي، لأنّ الرّوي فيها يرد متبوعاً بمدّ العوّض، كما في تعقيبات سورة الطلاق مثلاً (مُخْرَجاً، قَدْراً، يُسْراً، أَجْراً...)، أو سورة الكهف (كُذِّباً، مَرشِداً، مَرْتَقِفاً، مَقْتَدِراً...)، ولا يخالف ذلك سوى ما جاء في سورة القمر (مُسْتَقَر، مُدَكَّر، نُذِر، شَكْر).

- الياء أكثر حروف المدّ حضوراً قبل حرف الرّوي، وقد وردت في ألفٍ وثلاثة وخمسين (1053) موضعاً، أي في أكثر من نصف عدد التّعقيبات كلّها، ويرجع ذلك في أغلب الحالات إلى أمرين: يتمثّل أولهما في الياء الملحقة بجمع المذكر السالم في الفواصل الاسمية المنصوبة والمجرورة. أما الأمر الثاني فيرجع إلى التوظيف المكثّف لصيغة فَعِيل التي ترد في مجموعة هامة من الأسماء الحسنى التي يكثر استخدامها في فواصل التعقيبات.

- يكثر حضور المدّ بالواو قبل الرّوي أيضاً، ويقع ذلك في ستمائة واثنين وخمسين (652) موضعاً، وهو ما يعادل ثلث التعقيبات القرآنية، وهو في أكثر ذلك إنما يسبق النون، نتيجة الفواصل التي ترد جمعاً مذكراً سالماً مرفوعاً، كما يرجع ذلك أيضاً إلى إلحاق الواو والنون بالمضارع المرفوع عند إسناده إلى واو الجماعة (يفعلون، تفعلون)، وكلّ ذلك ممّا يكثر في أسلوب التعقيب.

- يقع المدّ بالألف قبل الرّوي، ولكنه أقل شيوعاً من الياء والواو بكثير، إذ يرد في مائة وأربعة وستين (164) موضعاً، وهو بذلك أقلّ من عُشْر التّعقيبات القرآنية. وأكثر ما يقع قبل الباء نتيجة التوظيف القرآني لمجموعة من الفواصل في التعقيبات القرآنية، مثل: حساب، عقاب، ألباب، مآب، تواب... كما

يرد أيضاً قبل الراء بصفة أقلّ في نهاية بعض الفواصل، مثل: النار، أنصار، أبصار، جبار، مقدار... أو نتيجة تكرار بعض أسماء الله الحسنى فاصلةً في التعقيبات القرآنية، مثل: الغفار، القهار. كما يرد قبل الدال نتيجة توظيف بعض الفواصل المنتهية بألف المدّ قبل الدال، مثل: المهاد، العباد، الفساد، هاد، الميعاد.

- تكثر حروف المدّ قبل حرف النون بشكلٍ خاصّ، وأكثر ما يرد قبلها الواو، في خمسمائة وأربعين (540) موضعاً، أي بنسبة تساوي: 56,8% من مجموع ما جاء قبلها من المدود. أما الياء فهي أقل من ذلك بقليل، إذ وردت في ثلاثمائة وثمانين (380) موضعاً، بنسبة تساوي: 40%. وكلّ ذلك - إلا في القليل النادر - يرجع إلى الواو والنون أو الياء والنون الملحقتين بجمع المذكر السالم في الفواصل الاسمية، أو إلى الواو والنون الملحقتين بالمضارع المرفوع عند إسناده إلى واو الجماعة في الفواصل الفعلية كما سبق الذكر. ولم تخرج عن ذلك سوى فواصل قليلة جاء فيها المدّ والنون جزءاً من بنية الكلمة، وقد اختارها الأسلوب القرآني بعناية حتى تتناسب إيقاعياً مع ما قبلها وما بعدها من فواصل، وهذه الكلمات هي: مهين، مبين، أمين، رهين، اليقين، متين. أما المدّ بالألف قبل النون فلم يرد في موضع التعقيب إلا في سورة الرحمن، في واحدٍ وثلاثين موضعاً، وكلّها تقع في قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

- أما الميم فتترد قبلها الياء في الأعم الأغلب، في ثلاثمائة وخمسة وخمسين (355) موضعاً، أي بنسبة تساوي: 98,1%، ولم ترد مسبقة بالواو مطلقاً في موضع التعقيب، وهي في أكثر ذلك تقع في اسم من أسماء الله الحسنى كالعليم والحليم والرحيم... مما يتكرّر في أسلوب التعقيب كثيراً. كما قد يقع ذلك في آخر بعض الأسماء أو الصفات المشبهة، مثل: أليم، عظيم، مستقيم، كريم... أما المدّ بالألف فقد ورد في خمسة مواضع، لم تخرج عن اسمين اثنين: انتقام، إكرام.

كما يكثر أيضاً في فواصل التعقيبات ضرب آخر من المدّ يقع بعد الرّوي، وهو يُضفي على مقاطع الآيات إيقاعاً خاصاً يميّز الفواصل المنصوبة، ويُعرف عند علماء التجويد بمدّ العوض، ويحصل ذلك في القراءة نتيجة إبدال التّنوين المنصوب¹ ألفاً لدى الوقف²، كما في: ميقاتا، نباتا، ألفافا، فإن القارئ يقف على كلّ منها بألف مدّ، عوضاً عن التّنوين، ولذلك سمّي بمدّ العوّض³.

وقد ميّز هذا الضرب من التّوقييع تعقيبات بعض السّور الخاصّة التي خالفت ما يجري عليه سائر القرآن من توقييع يقوم في الأعمّ الأغلب على المدّ والتّغني بالنون والميم. ويمكن حصر الظاهرة في عشر سور قرآنية، هي: النساء، الإسراء، الكهف، مريم، الفرقان، الأحزاب، فاطر، الفتح، والطلاق، والجن، ولا يشدّ عن هذا الحصر سوى تعقيبات نادرة جداً.

وقد ورد مدّ العوّض في مائتين وثمانية وأربعين (248) موضعاً في أسلوب التّعقيب، وأكثر ما يرد بعد الرّاء والميم، وهو في الميم أكثر اطراداً، إذ يردّ في الغالب نتيجة التوظيف القرآني المكتف لبعض أسماء الله الحسنى التي تنتهي بالميم في موقع خبر كان التي تدلّ على الدوام في هذا الموضع الشريف، مثل: حكيم، عليم، رحيم... كما يختار الأسلوب القرآني بعض الصّفات المشبّهة التي تؤدي نفس الدور الإيقاعي نتيجة وقوعها في بعض مواضع النّصب في أسلوب التّعقيب، كأن تردّ خبراً لكان، أو مفعولاً به، أو نعتاً لمفعول به، أو مفعولاً مطلقاً، أو غير ذلك، مثل: أليما، أثيماً، عظيم... وهو ممّا يدلّ على العناية القرآنية بتوقييع موضع التّعقيب.

¹ - وشرطه أن لا يكون الوقف على تاء التّأنيث المنونة بالفتح، كما في كلمات: رحمة، لاغية، حامية، فإن الوقف على كلّ من هذه التّاءات بهاء ساكنة. ينظر:

- الموسوعة القرآنية المتخصصة، ص 392.

² - صفحات في علوم القراءات: أبو طاهر عبد القيوم عبد الغفور السندي، المكتبة الأمدادية، ط 1، 1415هـ، ص 227.

³ - الموسوعة القرآنية المتخصصة، ص 392.

أما بعد الرّاء فإنه يكثر أيضاً نتيجة التوظيف القرآني لأسماء الله الحسنى المنتهية بالراء فاصلةً في مواقع النّصب، مثل: كبيراً، خبيراً، نصيراً، غفوراً، بصيراً، قديراً... كما يكثر ذلك أيضاً نتيجة توظيف بعض الصّفات المشبّهة، أو أسماء المفاعيل أو صيغ المبالغة، أو سائر الأسماء، مثل: يسيراً، كفوراً، قنّوراً، شكّوراً، مسطوراً، منصوراً، مقدوراً، غفّاراً، سعيراً، مصيراً، غرّوراً، قدراً، يسراً، ذكراً، أجراً...

كما يرد مدّ العوض بصفة أقلّ بعد حرف اللام في التعقيبات القرآنية، في ثلاثة وأربعين (43) موضعاً، ويقل مع باقي حروف الرّوي على نحو متفاوتٍ يفصله الجدول التالي:

ر	م	ل	د	ي	ب	ن	ق	ف	ت	ط	ث	ج	ز	ص	ع	هـ
81	65	43	18	14	9	9	6	3	2	2	1	1	1	1	1	1

التوظيف القرآني لمدّ العوض في التعقيبات القرآنية حسب حروف المعجم رويّاً

ولعل هذا كلّهُ مما يؤكّد حرص الأسلوب القرآني على توظيف الطاقات التوقيعية الهامة التي تتوفّر عليها حروف الغنة واللين في هذا الموضع الذي تتأكد فيه الرعاية، ويلزمنا في الوقت ذاته بالسّعي من أجل الكشف عن خصائصها التوقيعية قصد استكناه سرّها الذي وظفه القرآن إلى أبعد الحدود.

- الخصائص التوقيعية لحروف الغنة والمدّ:

في البداية ينبغي أن ننبّه إلى أن فهم الخصائص التوقيعية لهذه الحروف مرتبط بمعرفة الطريقة الخاصة التي تنشأ بها في الجهاز النطقي، وإن كنّا في هذا المقام لا نريد الخوض في تفاصيل المخارج والصّفات باعتبار أنها مفصلة تفصيلاً في كتب علم التجويد والتلاوة وكتب علم الأصوات.

ولأجل ذلك سنتعرض لهذه النقطة بشيء من الإيجاز، وسيقتصر اهتمامنا على الكشف عن الخصائص المشتركة بين هذه الأصوات والتي تجعل منها أصواتاً موسيقية بامتياز.

أما صوت النون فهو صوت بيني¹ مجهور يحدث نتيجة اهتزاز الوترين الصوتيين تحت تأثير الضغط المصاحب لمرور الزفير عبر التجويف الأنفي بعد انخفاض الحنك اللين. في الوقت الذي يتم فيه حبس الهواء في منطقة التجويف الفموي نتيجة ارتكاز طرف اللسان على أصول الثنايا العليا مع اللثة².

وكذلك صوت الميم، فهو صوت بيني مجهور أيضاً، ينشأ نتيجة اهتزاز الوترين الصوتيين بفعل الضغط المصاحب لدفعة الهواء من الرئة، ومرورها عبر التجويف الأنفي بعد انخفاض الحنك اللين، في الوقت الذي يتم فيه حبس الهواء في منطقة التجويف الفموي نتيجة التصاق الشفتين³. وهكذا فإن الميم والنون بهذا الوصف متشابهتان إلى حد كبير، ولا يفرق بينهما سوى أن طرف اللسان مع النون يلتقي باللثة، فيمتنع مرور الهواء عن طريق الفم، على خلاف الميم، فإن الذي يمنع مرور الهواء من الفم هو الشفتان⁴.

أما أصوات المدّ فهي أصوات مجهورة يخرج الهواء عند النطق بها على شكل مستمر من الحلق والفم، دون أن يتعرض لتدخل الأعضاء الصوتية تدخلاً يمنع خروجه أو يسبب فيه احتكاكاً

¹ - أي بين الشدة والرخاوة، وذلك أنه حرف شديد بالنظر إلى حبس الصوت ومنعه من المرور عبر مجرى الفم، وهو رخوا بالنظر إلى جريان الصوت وامتداده عبر المجرى الأنفي وهو ما يُعرف بالغنة، للاستزادة ينظر:

- النون في اللغة العربية دراسة لغوية في ضوء القرآن الكريم، ص 16.

² - ينظر: فونولوجيا القرآن دراسة لأحكام التجويد في ضوء علم الأصوات الحديث: أحمد راغب أحمد، أطروحة ماجستير، جامعة عين شمس، جمهورية مصر العربية، ص 244.

³ - ينظر: نفسه، ص 269.

⁴ - ينظر: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 3، 1997م، ص 49.

مسموعاً¹، وقد ذهب بلومفيلد إلى أنها عبارة عن تعديلات: " للصوت المنطوق لا تتضمن غلقاً ولا احتكاكاً ولا اتّصالاً من اللسان والشفَتين " ².

وهكذا فإن تيار الهواء لا يواجه عند النطق بهذه الحروف سوى قدر ضئيل من التضييق والتوتر والاحتكاك في أثناء خروجه من الرئتين ماراً بالأعضاء النطقية، فهي تنتج دون إعاقة من أي نوع تقريباً، وكلّ ما يحدث في الواقع لا يتجاوز مجرّد تعديلات لمجرى الهواء في التجويف الفموي أساساً³. ولذلك فإن هذه الأصوات تحافظ على قدر كبير من طاقتها، وهو ما جعلها أكثر الأصوات وضوحاً³.
بين مجموعة الأصوات اللغوية كلّها.

ويُعرّف الوضوح السمعي في ضوء علم الأصوات الحديث بأنه وصول صوت الحرف واضحاً إلى السمع⁴. أو بمعنى أدق هو طاقة الصوت النطقية التي تجعله واضحاً للسامع، غير متلبّسٍ بغيره من الأصوات. وتتأثر هذه الطاقة إيجاباً وسلباً بمجموعة من العوامل منها احتكاك الهواء بجدران القنوات

¹ - ينظر: في الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المد العربية: غالب فاضل المطلبي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، دائرة الشؤون الثقافية والنشر، العراق، 1984م، ص 24.

² - نفسه، ص 24.

³ - يتمثل هذا التعديل في الوضع الذي تتّخذه عضلة اللسان أثناء المرور الحرّ للهواء مما يشكّل تغييراً في حجرة الرنين يؤدي إلى اختلاف في أصوات المدّ الصادرة عنها تبعاً لتلك التغيرات. وقد تبين من خلال استعمال أشعة إكس في تصوير أوضاع اللسان أثناء تأدية أصوات المدّ أن اللسان يتّخذ أثناء أداء كلّ صوت من أصوات المدّ وضعاً بعينه من حيث ارتفاعه في داخل جوف الفم، ثم من حيث موضع الارتفاع منه إذا كان يقع في الجزء الأمامي من عضلة اللسان، أو في الجزء الخلفي منها. ثم تبين أن ارتفاع الجزء الأمامي من اللسان نحو الجزء الأمامي من الحنك (الطبق الصّلب) مرتبط بأداء مجموعة الكسرات، وأن ارتفاع الجزء الخلفي من اللسان نحو الجزء الخلفي من الحنك (الطبق اللين) مرتبط بأداء مجموعة الضمّات. أما انخفاض اللسان في قاع الفم فيؤدي إلى تكوّن الفتحات. للاستزادة يُنظر:

- نفسه، ص 27-29.

يُضاف إلى ذلك تعديل آخر يحدث في أوضاع الشفتين أثناء تأدية أصوات المدّ، وهو أمر ثانوي بالنظر إلى سابقه لأن حركة الشفتين في الواقع مرتبطة إلى حدّ كبير بحركة عضلة اللسان. للاستزادة ينظر:

- في الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المد العربية، ص 34.

⁴ - فواصل الآيات القرآنية دراسة دلالية بلاغية: السيد خضر، ص 79.

الصوتية، وتوقف تيار الهواء لبعض الوقت، وحجم حجرة الرنين، وتضييق هذه الحجرة أو توسيعها. يمكن تمثيل طاقة الصوت على الإسماع بالمعادلة الرياضية التالية¹:

$$\text{طاقة الإسماعية للصوت} = \text{طاقة الصوت الأصلية} - \text{الطاقة الضائعة في الاحتكاك}$$

ويبدو واضحاً من خلال هذه المعادلة أنه كلما كانت الطاقة التي يستهلكها الاحتكاك أقل كلما كانت طاقة الإسماع قريبة من مقدار الطاقة الأصلية وكان الصوت بذلك أكثر وضوحاً للسمع، كما هو الحال في أصوات المدّ. وقد قام العلماء بقياس الوضوح السمعي لأصوات اللغة وترتيب الحروف بناء على نتائج تلك القياسات²، فكانت حروف المدّ أكثر حروف اللغة وضوحاً للسمع، وتتصدّر الميم والنون والراء في ذلك سائر الصوامت. وهو الأمر الذي وظّفه الأسلوب القرآني أروع توظيف في توقيع التعقيبات القرآنية وسائر الفواصل، وليس ذلك إلا وجهاً مشرقاً من وجوه إعجازه.

ولعل مما يزيد من وضوح هذه الأصوات لحاسة السمع أنها جميعاً أصوات مجهورة، فقد أثبتت الدراسات المخبرية أن أثر الجهر في الوضوح السمعي هو أثر إيجابي، على خلاف الهمس³، ودليل ذلك " أن معدّل سرعة الهواء في الأصوات المجهورة يبلغ من 200 - 700 سم³/ث، بينما يتراوح معدّل سرعة الهواء عند إنتاج الأصوات المهموسة غير المتبوعة بدفقة هوائية ما بين 200 -

¹ - كما في الأصوات الانفجارية، إذ يتم إنتاجها على مرحلتين، فيتوقف تيار الهواء أولاً لوقت قصير، ثم تتم عملية الانفجار متمثلة في إرسال تيار الهواء، ونتيجة لهذا التوقف فإن الصوت يفقد شيئاً من طاقته. للاستزادة ينظر: - للاستزادة ينظر:

الأصوات اللغوية رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية: سمير شريف إستيتية، دار وائل للنشر، عمان، 2002م، ص 169-172.

² - كالمقاييس التي قام بها أوتو يسبرسون Otto Jespersen أو تلك التي قام بها Heffner على أصوات اللغة، للاستزادة ينظر:

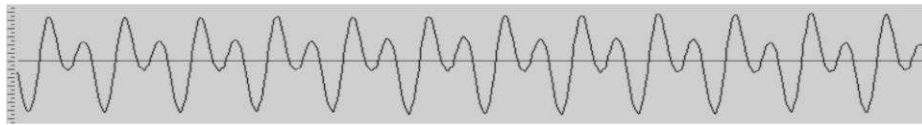
- الأصوات اللغوية رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية، ص 178.

- علم الأصوات: كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000م، ص 218.

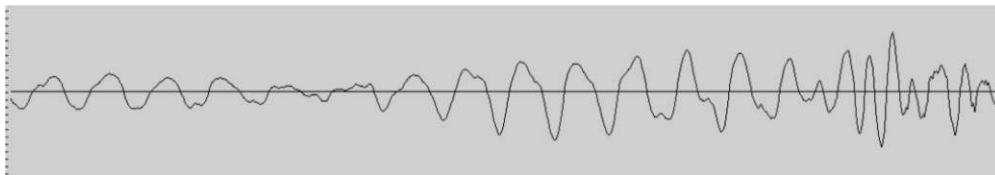
³ - ينظر: الأصوات اللغوية رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية، ص 173.

300 سم³/ث. وهذا وحده كافٍ للدلالة على أن الأصوات المجهورة أقوى من نظائرها المهموسة من ناحية الوضوح السمعي " ¹.

إلى جانب الوضوح السمعي فإن هذه الأصوات تتميز بخاصية أخرى تجعلها مادة موسيقية بامتياز، وهي خلوها من الضوضاء الناتجة عن الحبس والتضييق في مجرى الهواء. فقد وجد العلماء أن أصوات المدّ هي أصوات " منتظمة قابلة للقياس، خالية من الضوضاء، لها القدرة على الاستمرار، وهي بذلك تختلف عن الصوامت التي هي في العموم ضوضاء ناتجة عن احتكاك، ولعله لهذه الصفات السمعية عدّها بعض الباحثين أصواتاً يمكن الغناء بها " ². وذهب بعض الدارسين إلى تقسيم المادة الصوتية اللغوية إلى قسمين: أصوات موسيقية، وهي تلك الأصوات التي تحتوي على ذبذبات منتظمة، وأصوات ضوضائية، أو غير موسيقية، وهي تلك التي لا تمتلك ذبذبة منتظمة ³.



(مقطع من صوت لغوي موسيقي قليل الضوضاء يتشكل من ذبذبة منتظمة)



(مقطع من صوت لغوي ضوضائي غير موسيقي يتشكل من ذبذبة غير منتظمة)

¹ - الأصوات اللغوية رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية ، ص 173.

² - في الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المدّ العربية، ص 25.

³ - دراسة الصوت اللغوي: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، 1997م، ص 38.

كما نبّه العلماء إلى أن بعض الصوامت في الواقع كحروف الغنة تشبه في تركيبها حروف المد¹، ولأجل ذلك فهي أصوات موسيقية منتظمة تخلو من الضوضاء أيضاً بسبب قلة احتكاك الهواء وخروجه حرّاً من الخيشوم.

كما تتميز حروف المد والغنة بطول مدتها وهي سمة أساسية في الموسيقى والغناء، فبإمكان صوت المد " أن يستمر أية مدة ممكنة لكونه يحدث في حقيقة أمره من اتخاذ اللسان والشفيتين وضعاً خاصاً... في الوقت الذي يستمر فيه الهواء بالخروج من الفم خروجاً حرّاً، وقد لاحظ العلماء العرب هذه الميزة في هذه الحروف، واطلقوا عليها اسم حروف المد " ². أما في أصوات الغنة فيُحبس الصوت عن الخروج من الفم، لكنه يستمر في الخروج حرّاً من الأنف، وبأقل قدر من الاحتكاك ليستمر أطول زمن ممكن، ولأجل ذلك كانت أصوات الغنة أطول الصوامت العربية على الإطلاق ³.

وهكذا ينكشف لنا بعض السرّ الذي كانت لأجله أصوات الغنة والمدّ أكثر أصوات اللغة حضوراً في فواصل التعقيب القرآني وفي سائر الفواصل كتاب الله تعالى، فهذه الحروف هي حروف الموسيقى نفسها، وهي أقدرها على التمكين من التطريب والغناء. أما إذا خالفت الفاصلة ذلك، ولم تنته بشيء من الغنة والمدّ " كان ذلك متابعاً لصوت الجملة، وتقطيع كلماته، ومناسبةً للون المنطق، بما هو أشبه به، وأليق بموضعه، وعلى أن ذلك لا يكون أكثر ما أنت واجده إلا في الجمل القصار، ولا يكون

¹ - دراسة الصوت اللغوي، ص 38.

² - في الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المد العربية، ص 37.

³ - نعيم اليافي: حروف القرآن دراسة دلالية في علمي الأصوات والنغمات، مجلة الفيصل، الرياض، العدد 102، سبتمبر، 1985، ص 104.

ذلك إلا بحرف قوي يستتبع القلقة أو الصّفير أو نحوهما مما هو من ضروب أخرى من النظم الموسيقي " ¹.

2 - إيقاع التعقيب:

هو ضربٌ من التّوقيع المختلف عن إيقاع الفواصل، إذ تتجاوز مساحته مقاطع الآيات ممتدةً عبر التعقبة كلّها، ويتألف من:

أ - الإيقاع الناتج عن توازي الجمل في أسلوب التعقيب: وينتج ذلك عن تشكيل الجمل تشكيلاً منتظماً وفق هندسة معيّنة يقوم من خلالها الأسلوب القرآني في هذا الموضع بتقطيع عناصر الجملة تقطيعاً متساوياً وفق قوالب تركيبية خاصة بأسلوب التعقيب.

ويمثّل التوازي في عرف علماء الجمال واحداً من قوانين الإيقاع السبعة ²، وهو ظاهرة معروفة في التراث البلاغي يُصطلح عليها في الشعر بحسن التقسيم ³، كما في قول المتنبي:

وصالكم هجر، وحكم قلى وعطفكم صدّ، وسلمكم حرب

أو في قوله أيضاً:

فلم يخلُ من نصرٍ له من له يد ولم يخلُ من شكرٍ له من له فم

كما تُعرف في النثر بالازدواج ¹، وهو ممّا ينبني عليه حسن الكلام ورونقه ولأجل ذلك يكثر في كلام الفصحاء، كما يكثر في القرآن، يقول صاحب الصناعتين في باب السجع والازدواج: " لا يحسن

¹ - فواصل الآيات القرآنية: كمال الدين عبد الغني مرسي، ص 83.

² - الأسس الجمالية في النقد العربي، ص 187.

³ - موسيقى اللغة، ص 70.

منثور الكلام ولا يحلو حتى يكون مزدوجاً، ولا تكاد تجد لبلوغ كلاما يخلو من الازدواج، ولو استغنى كلام عن الازدواج لكان القرآن، لأنه في نظمه خارج من كلام الخلق، وقد كثر الازدواج فيه حتى حصل في أوساط الآيات فضلاً عما تزوج في الفواصل منه " ².

وقد شكّل التوازي بهذا الحضور في النص القرآني ظاهرة جمالية ينبني عليها الكثير من حسن بعض قصار السور ³. ويمكننا أن نتأمل الدور الكبير الذي لعبه هذا الضرب الخاص من النظم في توقيع سورة التكويد مثلاً بما يناسب هؤل المشاهد وعظمة الأحداث، ويتفق فيها مع طبيعة الخطاب الموجّه إلى المشركين: ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴾ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴾ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴾ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴾ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴾ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أُخْضِرَتْ ﴾ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ﴾ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ ﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ (التكويد، 1-19).

ولعلّ موضع التعقيب أكثر المواضع التي يطرد فيها توظيف التوازي في القرآن كلّهُ، ذلك أن نظم عناصر الجملة في أسلوب التعقيب يتم غالباً وفق أنساق خاصة، تتكرّر بالطريقة نفسها في أعقاب الآيات الكريمة، وذلك أظهر في تعقيبات أسماء الله تعالى وصفاته، إذ يتم إنتاجها في الغالب اعتماداً على قوالب تركيبية ثابتة، دون تغيير يُذكر، سوى ما يجري على محور الاستبدال من انتقاء للأسماء والصفات بحسب ما يناسب مضمون الآية قبلها، ويمكن تبين هذا الأمر بوضوح من خلال الأمثلة التالية:

1 - موسيقى اللغة، ص 70.

2 - كتاب الصناعتين، ص 260.

3 - كالنازعات والتكويد والانفطار والشمس والليل والضحي والعاديات.

عَزِيزٌ	حَلِيمٌ
غَنِيٌّ	حَمِيدٌ
سَمِيعٌ	عَلِيمٌ
عَلِيمٌ	حَكِيمٌ
غَفُورٌ	رَحِيمٌ

والله + اسم أول من الأسماء الحسنی + اسم ثانٍ من الأسماء الحسنی

قَوِيًّا	عَزِيزًا
غَنِيًّا	حَمِيدًا
غَفُورًا	رَحِيمًا
عَلِيمًا	حَلِيمًا
عَفْوًا	غَفُورًا
عَزِيزًا	حَكِيمًا
شَاكِرًا	عَلِيمًا
سَمِيعًا	بَصِيرًا

وكان الله + اسم أول من الأسماء الحسنی + اسم ثانٍ من الأسماء الحسنی

الولي	الحميد
الواحد	القهار
اللطيف	الخبير
الفتاح	الكبير
العلي	العظيم
العزیز	الحكيم
السميع	البصير
الرحيم	الغفور
الحكيم	العليم
وهو + اسم أول من الأسماء الحسنی + اسم ثانٍ من الأسماء الحسنی	

ومن المهم أن نشير إلى أننا في مفهومنا للتوازي في تعقيبات كتاب الله تعالى قد أسقطنا شرط التوالي¹، وذلك لاستحالة وقوعه بين تعقيبين دون فاصل بينهما، مع الحاجة إلى استعارة هذا المصطلح الذي استحسنته بعض الباحثين ووظّفه لدراسة هذا الضرب من النظم². وفي هذا السياق يمكننا التمييز بين مظهرين مختلفين من مظاهر التوازي في أسلوب التعقيب: عام وخاص.

¹ - يُشترط في التوازي في الدراسات النقدية عنصر التوالي، فإذا توازت جملتان غير متواليتين فلا يدخل ذلك في نطاق التوازي، وذلك لوجود فاصل شكلي بين الجمل المتوازية. للاستزادة ينظر:

- الجمل المتوازية في ديوان أبي القاسم الشابي دراسة نحوية دلالية: محمود محمد سليمان علي الجعدي، مقال منشور على موقع الدكتور سالم الخماش، على الرابط:

<http://www.angelfire.com/tx4/lisan/tawazun.htm>

² - كما فعل محمد الحسناوي، في كتابه الفاصلة القرآنية، للاستزادة ينظر:

- الفاصلة القرآنية، ص 239 وما بعدها.

أما التوازي في شكله العام فهو أكثر الضربين حضوراً في أسلوب التعقيب، وقد وُصف بالعموم في هذا التصنيف لأنه الحاصل بين تعقيبات غير مقيدة بشرط التوالي، إذ يحصل بين مجموعة من القرائن الواردة في مواضع متفرقة من كتاب الله تعالى. ويمكننا أن نمثل لذلك بالتوازي الحاصل بين قوله تعالى في سورة يونس: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (يونس، 81)، وبين قوله في سورة التوبة: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (التوبة، 120).

ويكثر هذا الضرب خصوصاً في تعقيبات أسماء الله تعالى وصفاته في مقام التشريع، وهو من الكثرة بحيث يتعذر حصره وإحصاؤه في هذا المقام، وسنكتفي بالتعقيبات التالية المدرجة على سبيل التمثيل:

- ﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (النور، 22)

- ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (النساء، 26)

- ﴿ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (التوبة، 98)

- ﴿ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (المائدة، 54)

- ﴿ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (الأنفال، 67)

- ﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ (البقرة، 225)

وأما التوازي في شكله الخاص فهو الحاصل بين تعقيبات يلي بعضها بعضاً في السياق نفسه، وهو ضرب من التوازي يضيف على الآيات إيقاعاً في غاية الحسن والجمال. ويبلغ هذا الأسلوب منتهى روعته إذا تحقق بين أكثر من قرينتين، وهو بهذه الكيفية من دُرر الأسلوب الربّاني المعجز الذي يستوقف القارئ ويدفعه إلى كثير من الإعجاب والتأمل. ولعل من بدیع ذلك ما جاء في قوله ﷻ:

﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَنُؤْلِ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِبَائَهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (الأنعام، 151-153).

ولعل من بديع هذا الضرب أيضا ما جاء في سورة المائدة، في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوُا اللَّهَ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (المائدة، الآيات: 44-47).

ومنه أيضاً ما جاء في سورتي النحل والروم، وفي مواضع أخرى من كتاب الله تعالى، وقد أدرجنا بعضها على سبيل التمثيل ضمن الجدول التالي:

﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (يونس، 26) ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (يونس، 27)
﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصَّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾ (يونس، 42) ﴿أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ﴾ (يونس، 43)
﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل، 11) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (النحل، 12) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ (النحل، 13)
﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ (النحل، 65) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (النحل، 67) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل، 69)
﴿فلبئس مثوى المتكبرين﴾ (النحل، 29) ﴿ولنعم دار المنقين﴾ (النحل، 30)
﴿ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ (الحج، 11) ﴿ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ (الحج، 12)
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ (القصص، 76) ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص، 77)
﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم، 21) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الروم، 22) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ (الروم، 23)

- ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (الروم، 24)
- ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (غافر، 57)
- ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (غافر، 59)
- ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (غافر، 61)

ولعلّه من الواضح أن هذا الضرب من النظم الخاص يُفضي إلى زيادة في التوقيع الذي ترتفع حدّته وتزداد مساحته بازدياد عدد التعقيبات المتوالية، وتبلغ هذه الظاهرة ذروتها في سورتي النحل والرّوم، فقد وردت في سورة النحل في ستّة مواضع يمكن تقسيمها اعتماداً على معيار التوالي إلى مجموعتين تضم كلّ منهما ثلاث تعقيبات، وقد قام الأسلوب القرآني المعجز - كما هو ظاهر - بكسر بسيط للإيقاع من خلال تغيير البنية التركيبية للتعقيب تغييراً طفيفاً في الآية الثانية عشر. كما وردت هذه الظاهرة أيضاً في سورة الرّوم من خلال مجموعة مشكّلة من أربع تعقيبات متوالية، وقد وقع الكسر نفسه للإيقاع في الآية الثانية والعشرين، وذلك لغايتين:

- أما الأولى فتتعلّق بغاية جمالية هامّة أقرّها الأسلوب القرآني قبل الكشوفات التي حقّقها العلم الحديث من خلال مقولات علماء الجمال الذين يقرّون بأن التّغيّر واحدٌ من أهمّ قوانين الإيقاع¹.

- أما الغاية الثانية فتتعلّق بإحكام الدّلالة بين التعقيب وبين سياق الآية قبله.

¹ - الأسس الجمالية في النقد العربي، ص 101، 187.

ب - الإيقاع الناتج عن تكرار التعقيبات القرآنية: يمثل التكرار في عُرف علماء الجمال أهم قوانين الإيقاع على الإطلاق، وهو في رأي بعض الدارسين قسيم تلك القوانين كلّها باعتبار " أن عنصر الجمال يدور على الانسجام، وأن الانسجام كلّ مداره على التنويع والتكرار " ¹.

وقد شكّل التكرار في تعقيبات كتاب الله تعالى مظهراً أسلوبياً هادفاً يسعى من الناحية الدينية إلى تحقيق جملة من المقاصد الأساسية كتوجيه سلوك المتلقّي وترسيخ المبادئ ذات الأهمية البالغة في العقيدة. كما يهدف أيضاً من ناحية جمالية إلى تشكيل إيقاع خاصّ متساوٍ مع المعاني التي تجسّدّها السورة الكريمة، وهو بهذا الحضور الفاعل والهادف ينتزّه عن أن يكون مجرد تكرار نغميّ ينتمي إلى طراز من التأليف المندرس من النظم العربي ².

وتجدر الإشارة في هذا المقام إلى أننا سنختزل الحديث عن التكرار في أسلوب التعقيب باعتبار أننا تناولنا هذا الموضوع باستفاضة في موضع سابق، وسنكتفي بالكشف عن الدور الذي يلعبه التكرار في توقيع واحدة من أهم سور القرآن احتفالاً بهذه الظاهرة، ونعني بذلك سورة الرحمن. ولعلّ ذلك ما يفسّر وصفها بعروس القرآن، إذ تكرر فيها التعقيب بقوله تعالى: ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ في واحد

¹ - الفاصلة القرآنية، ص 259.

ينظر أيضاً:

- المرشد في فهم أشعار العرب: عبد الله الطيب، دار الآثار الإسلامية، الكويت، ط 3، 1989م، ج 2، ص 58.

² - هذا الوصف غير مناسب، وقد جاء في غير محلّه أثناء حديث صاحب كتاب " المرشد في فهم أشعار العرب " عن التكرار المراد به تقوية النغم، يقول: " ويبدو أن اللغة العربية قد عرفت هذا النوع من الإعادة في دهرها الأول حين لم تكن أوزانها وقوافيها قد بلغت النضج والقوة والاستواء الذي بلغته في العصر الجاهلي. والذي يدلّنا أن العربية قد عرفت هذا النوع من التكرار أمران: أولهما أننا نجد نحواً منه في القرآن في بعض السور المكيّة، مثل " فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ " في سورة الرحمن، ومثّل " ولقد يسرّنا القرآن للذكر فهل من مدّكر " في سورة القمر ... "، للاستزادة ينظر:

- نفسه، ص 60، 88.

وثلاثين موضعاً، وهو ما يشكّل نسبة أربعين في المائة من مجموع آياتها، مما يهب هذه السورة الفريدة خصوصية ليست لسائر السور في كتاب الله تعالى، ويجعل من إيقاعها أثرياً من إيقاع الشعر.

ولعلنا في سعيينا إلى الكشف عن الدور الذي لعبه التكرار في توقيع السورة الكريمة أحوج إلى بيان حقيقة هامة هي من أوليات علم الجمال، وهي أن الإيقاع لا يقتصر على ما تدرّكه حاسة السمع فقط، بل يخصّ أيضاً ما تدرّكه العين من مرئيات، وقد شاع الحديث عن الإيقاع في المسموعات باعتبار تعلّقها بالزمان، وهو "أعلق بالذهن الواعي، وبالنفس المحسّنة من المكان، لأنّه أشبه بطبيعة الحياة، التي هي زمان يمرّ، وأنفاس تتعاقب، فلذلك كان التعبير عن طريقه أقوى وأشدّ " ¹، ولعل ذلك ما يفسّر ارتفاع الشعر والموسيقى عن الرسم والنحت والبناء ².

ولعلنا أيضاً في حاجة لتأكيد حقيقة أخرى لا تقل أهمية عما سبق، وهي أن "المكان أوضح للذهن الواعي من الزمان لتحيزه، وظهوره بمظهر الاستقرار والجمود، بحيث يمكن المرء من اختبار دقائقه وتفصيلاته اختباراً كاملاً، ولذلك كان استعمال المرئيات في معرض التوضيح والتبيين شائعاً عند العلماء والنقاد والوصّافين، ولذلك أيضاً كثر تشبيه كثير من المدركات المسموعة بالمدركات المرئية بغرض التوضيح والإظهار" ³.

ولتحقيق ذلك سنقوم بتحويل التعقيبات المكررة في سورة الرحمن من بعدها الزماني المتحرك إلى بعدٍ مكانيٍّ قارّ، بحيث يمكننا عقل تفاصيلها وأبعادها ووصف الكيفية التي يتحقّق بها الإيقاع:

¹ - المرشد في فهم أشعار العرب، ج 2، ص 50.

² - نفسه، ص 51.

³ - نفسه، ص 50.

بداية التعقيبات المكررة في سورة الرحمن

13
14
15

المجموعة الثانية من التعقيبات المكررة

16
17
18
19
20

المجموعة الثالثة من التعقيبات المكررة

21
22
23
24
25
26
27

المجموعة الرابعة من التعقيبات المكررة

28
29
30
31
32
33
34
35
36
37
38
39
40
41
42
43
44

المجموعة الأخيرة من التعقيبات المكررة

45
46
47
48
49
50
51
52
53
54
55
56
57
58
59
60
61
62
63
64
65
66
67
68
69
70
71
72
73
74
75
76
77
78

من خلال هذه الخطاطة التي تمثل آيات السورة ومواقع التكرار فيها وكيفياته، نستنتج أن إيقاع السورة يتشكل بشكل أساسي من تضافر عنصرين يتكاملان في رسم البنية الإيقاعية للسورة بكاملها:

- أولهما: أن تكرار التعقيب يتم بكيفية في غاية الإحكام والتنظيم، إذ يظهر بشكل متناوب دقيق، وذلك - كما هو معلوم - هو أصل فكرة الإيقاع، الذي يُطلق في معناه العام على اتّصاف الحركات والعمليات بالنظام الدوري، كما هو الحال في تعاقب الليل والنهار، والنشاط والسكون، واليقظة والنوم، وغير ذلك¹.

- أما الثاني: فهو مبدأ التّغير متمثلاً في كسر رتابة الإيقاع في مواقع من السّورة، إذ يقوم الأسلوب القرآني بتعطيل نظام التناوب، من خلال نقلة نغمية تثير انتباه المتلقي وتعيده إلى حالته الواعية، باعتبار أن الرّتابة تورث السأم والملل. كما يُلاحظ أيضاً أن توظيف تلك النّقلات لا يقع بشكل عبثي، بل يتمّ بشكل منظمّ يظهر في آيتين متواليتين في أربع مواقع من السورة عقب كل مجموعة نغمية رتيبة، ثم يعود الإيقاع بعد ذلك إلى مساره السابق.

وهكذا فإن الأسلوب القرآني يوظف التكرار أداة لتوقيع موضع التعقيب في كتاب الله تعالى كما يوظف التوازي أيضاً من خلال تقطيع الجمل تقطيعاً متساوياً يفضي إلى توقيع ذي نطاقٍ واسعٍ يشمل التعقبة كلّها. ويتحدّد ذلك مع جملة من الأدوات التوقيعية التي تختصّ بها الفواصل باعتبارها مقاطع الكلام وأولى المواقع بالرعاية، لينتج عن ذلك كلّ جنسٍ من القول المعجز الذي تفرّد في خصائصه فكان أجمل وأبدع وأعذب من كلّ شعرٍ أو نثر.

¹ - ينظر: المعجم الفلسفي، ج 1، ص 185.

خلاصة

عرفنا من خلال مباحث هذا الفصل أن التوقيع مظهرٌ بارزٌ في لغة العرب، وهو أمرٌ يرتبط بالأمية التي ميزت البيئة العربية في البدايات الأولى، كما عرفنا أيضاً أنّ الظاهرة الإيقاعية في النظم القرآني تشكّل واحدةً من أظهر عجائبه التي لا تنقضي، وهي في ذلك تتألف من طبقتين متآلفتين من التوقيع الهادف إلى تحقيق غايات هامة.

انتقلنا بعد ذلك إلى الحديث عن الظاهرة الإيقاعية في أسلوب التعقيب، وقد رأينا أن الإيقاع القرآني في هذا الموضوع الخاص يتألف من ضربين مختلفين من الإيقاع:

أولهما: إيقاعٌ ناتجٌ عن رعاية الأسلوب القرآني للفاصلة. وهو ضربٌ من التوقيع يتصل بآخر التعقيب فقط. وينتج من خلال تضافر جملة من الأدوات التوقيعية ممثلة في:

- **التوازي:** ويعني اتفاق الفواصل في الوزن والروي.
- **التوازن:** ويرادُ به اتفاقها في الوزن دون الرّوي.
- **التطريف:** ويقصد به اتفاقها في الرّوي دون الوزن.
- **الوقف:** وهو العامل الذي يُوحّد حركات الفواصل رغم اختلاف مواقعها الإعرابية.
- **توظيف حروف الغنة واللين** توظيفاً مكثفاً باعتباره حروفاً موسيقية بامتياز.

أما **الضرب الثاني من التوقيع** فتتعدّى مساحته موضع الفاصلة، لتشمل التعقيب كلّها، وهو مؤلفٌ من أمرين: أما **أولهما فهو الإيقاع الناتج عن توازي الجمل في أسلوب التعقيب** ، وأما **الثاني فهو الإيقاع الناتج عن تكرار التعقيبات القرآنية**.

البَابُ الثَّانِي

الفصل الثاني

أَهَمُّ الْخَصَائِصِ الْإِفْرَادِيَّةِ فِي تَعْقِيَّاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

- فصاحة الألفاظ القرآنية:
- مسألة التَّنَافُرِ والتَّلَاوُمِ بين حروف الكلمة.
- مسألة الطول في بعض الألفاظ القرآنية.
- أَلْفَاظُ التَّعْقِيَّاتِ الْقُرْآنِيَّةِ فِي مَوَازِينِ الْفَصَاحَةِ.
- دَقَّةُ الْأَلْفَاظِ فِي التَّعْقِيَّاتِ الْقُرْآنِيَّةِ بِاعْتِبَارِ أَحْوَالِهَا مِنْ:
 - الْجَمْعِ وَالْإِفْرَادِ.
 - الْإِظْهَارِ وَالْإِضْمَارِ.
 - التَّعْرِيفِ وَالتَّنْكِيرِ.
 - الْإِثْبَاتِ وَالنَّفْيِ.
 - الْإِسْمِيَّةِ أَوْ الْفِعْلِيَّةِ.
- دَقَّةُ الْكَلِمَةِ عَمُومًا فِي دَلَالَتِهَا عَلَى الْمَعْنَى الَّتِي يَقْتَضِيهِ السِّيَاقُ.

أهم الخصائص الفردية في تعقبات القرآن الكريم

تشكّل مفردات اللغة في حياة الإنسان ركيزة أساسية ينبني عليها وجوده المتميّز كمخلوق ناطق، وهو الجانب الأظهر في الوجود الإنساني كلّ، ولذلك أجمع كلّ المفكرين على تعريفه بكونه حيواناً ناطقاً. كما تشكّل هذه المفردات نفسها أساس وجوده المتميّز ككائن اجتماعي مطبوع على التواصل مع أبناء جنسه، فكانت الأداة الأرقى على الإطلاق لتحقيق مقتضيات المشاركة والمجاورة. كما شكّلت هذه المفردات أيضاً أساس وجوده ككائن مبدع يعشق الفن بكافة أشكاله، فكانت " الوسيلة الجمالية في صياغة النتاج الأدبي، كما كانت الألوان وسيلة الرّسم، والنّغمات وسيلة الموسيقى، والحجر وسيلة النّحت " ¹.

وقد اقتضت حكمة الله تعالى أن تكون هذه الكلمات أيضاً لبنة أساسية في تشكيل القرآن باعتباره أعظم معجزة خالدة في تاريخ الوجود البشري كلّ، وشاء لها أن تتلقاها في البدء أمةٌ تعشق الكلم، فكان ذلك أولّ تمكين لها في القلوب. ولعلّ ذلك سرّ إعجاب الناس بها وبإشعاعها الثّوراني العجيب الذي يخترق القلوب حتى أن " كلّ كلمة فيه لو أفردت كانت في الجمال غاية، وفي الدلالة آية، فكيف إذا قارنتها أخواتها، وضامّتها ذواتها مما تجري في الحسن مجراها، وتأخذ في معناها " ².

وقد أجمع علماء الأمة على أن القرآن الكريم قد نزل بلغة العرب، بألفاظها وأساليبها، بدليل قوله تعالى: ﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (فصّلت، 3)، ولذلك فإن الله تعالى قد اختار من ألفاظ العرب أعذبها في السّمع، وأقربها من القلب، وأعلقها بالخاطر فجعلها مادّة كتابه العظيم، يقول الأصفهاني: " فألفاظ القرآن هي لبّ كلام العرب وزيدته، وواسطته وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم، وإليها مفرع حُذّاق الشّعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم، وما عداها وعدا

¹ - جماليات المفردة القرآنية: أحمد ياسوف، دار المكتبي، دمشق، ط 2، 1999، ص 35.

² - إعجاز القرآن: أبو بكر الباقلاني، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ط 5، 1997، ص 190.

الألفاظ المتفرعات عنها والمشتقات منها هو بالإضافة إليها كالقشور والنوى بالإضافة إلى أطايب الثمر، وكالحثالة والتبن بالإضافة إلى لبوب الحنطة " ¹.

ولعلّ هذا الرأي لا يستقيم مع ما ذهب إليه الجرجاني الذي جرد الألفاظ مفردةً من كلّ مزبّة وذهب إلى أن التفاضل لا يكون إلا بانتظامها، فكان في ذلك غلو ظاهر، يقول: " وهل يقع في وهم وإن جهد، أن تتفاضل الكلمتان المفردتان، من غير أن يُنظر إلى مكانٍ تقعان فيه من التأليف والنظم بأكثر من أن تكون هذه مألوفة مستعملة، وتلك غريبة وحشيّة، أو أن تكون حروف هذه أخفّ، وامتزاجها أحسن، ومما يكذّب اللسان أبعد ؟ وهل تجد أحداً يقول: " هذه اللفظة فصيحة "، إلا وهو يعتبر مكانها من النظم وحسن ملائمة معناها لمعاني جاراتها، وفضل مؤانستها لأخواتها ؟ " ²، وفي ذلك يقول بعض المعاصرين: "... ولكنه أغفل إغفالاً تاماً مكانة اللفظ، ومكان المقطع والفاصلة، مدّعياً أن شيئاً من ذلك لا قيمة له، ما لم يراعِ النظام النحوي في تركيبه، وفي ذلك بعض الغلو الذي ندفعه بما نملك من رأي " ³، ثم يواصل ردّه على توصيف الجرجاني لإعجاز قوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ أَقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (هود، 44)، يقول: " جعل مبدأ العظمة في أن نوديت الأرض ب (يا)، ثم بإضافة الكاف إلى الماء، ثم ببناء السماء وأمرها... وعلى قياسه نستطيع أن نقول: " وقيل يا أرض اشربي ماءك، وبيا سماء امنعي، وأزيل الماء، ونفّذ الأمر، واستقرّت على الجودي، وقيل هلاكاً للقوم الظالمين"، فيتحقق بذلك ما جعله الجرجاني مبدأ العظمة وحده، ويوازي القول بالقول دون نقص، ولكن مهلاً، فإن اختيار لفظ البلع دون الشرب، وكلمة (أقلعي) دون (امنعي)، وفعل (قُضي) المبني للمجهول دون (نُفّذ) المبني للمجهول

¹ - المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الراغب الأصفهاني، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط 1، 1412 هـ، ص 55.

² - دلائل الإعجاز في علم المعاني: عبد القاهر الجرجاني، تح: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني، القاهرة، دار المدني، جدة، ط 3، 1992، ص 40.

³ - جماليات المفردة القرآنية، ص 50.

أيضاً، واستوت على الجودي، دون استقوت، كل ذلك مما يرتفع بالآية إلى الإعجاز، وهو في صميمه راجعٌ فيما يرجع إليه إلى اللفظ دون الإسناد " ¹.

ولعل الغريب في ما ذهب إليه الجرجاني من غلوٍ وتناقضٍ مع نفسه في كلامه السابق أنه يسلّم بأن الكلمات منها الغريب الوحشي، ومنها الذي يكّد اللسان، ثم ينفي مع هذا كله أن تكون الكلمات متفاضلةً غير متساوية قبل أن يشملها النظم، كما يُنكر أن يكون لهذه السلبية في بعض الكلمات مقابلٌ إيجابي حريٌّ بالدراسة ². وقد برّر بعضُ الدارسين هذا الغلوَ والتمسوا الأعذار لصاحبها " لأن نظرية الألفاظ وبلاغتها قد أعلنت الحرب شعواء على المعاني وبلاغتها، لذلك نجده قد جند نفسه لنصرة المعاني وبيان قيمتها في نظم الكلام " ³.

ومهما يكن من خلافٍ فإن الكثير من علماء البلاغة والإعجاز قد ذهبوا إلى تثمين الدور الذي تقوم به الألفاظ المفردة إلى جانب النظم في تشكيل جمالية النص، فهذا أبو عثمان الجاحظ أول من كتب في النظم، وإليه يُنسب هذا المصطلح، رغم ذلك لم يُنكر دور المفردة ولم يُجرّدها من مزاياها كما فعل الجرجاني، بل جعلها خيرَ عونٍ للتأليف، يقول: " فإن المعنى إذا اكتسى لفظاً حسناً، وأعاره البليغ مخرجاً سهلاً، ومنحه المتكلم قولاً متعشّقاً، صار في قلبك أحلى ولصدرك أملاً. والمعاني إذا كُسيَت الألفاظ الكريمة وألبست الأوصاف الرفيعة تحوّلت في العيون عن مقادير صورها، وأرُيت على حقائق أقدارها بقدر ما زُيّنت وعلى حسب ما زُخرفت، فقد صارت الألفاظ في معنى المعارض، وصارت المعاني في معنى الجوّاري.. " ⁴.

1 - جماليات المفردة القرآنية، ص 50.

2 - نفسه، ص 51.

3 - نفسه، ص 50.

4 - البيان والتبيين، ج 1، ص 212، 213.

وعلى هذا التهج سار الكثير من علماء البلاغة والإعجاز ممن لم يُنكروا فضل الكلمات المفردة، بل ذهبوا إلى أن الأمر تفاعلٌ وثيقٌ بين جمالها وجمال النظم، " وإذا كانت نسبة تأكيدهم على النظم أكبر من عنايتهم بالمفردة، فهذا لأن الوسائل متوفرة في دراسة النظم، لأن النحو يحيط بهم أكثر من فنّ نعم الكلمات " ¹. وهذه عقيدتنا في ألفاظ القرآن لأن الله تعالى إذا كان " قد اختار للقرآن ترتيباً يبدو فيه نغمه ومدّه، ورنين ألفاظه، فلا بُدَّ أن تكون ألفاظه قد اختيرت لمزية في كلّ كلمة لا في مجموعها فقط " ²، ولعل هذا الأمر العظيم أوضح في موضع التعقيب لأن العناية بمقاطع الكلام أوجب في سنن العرب في كلامها، في الصوت، وفي المفردة والجملة.

وقد ارتأينا في دراستنا للمفردة القرآنية في أسلوب التعقيب أن نركّز جلّ اهتمامنا على ظاهرتين أساسيتين لأن الإحاطة بسائر الظواهر المتعلقة بألفاظ القرآن أحوج إلى دراسات مستقلة لا تُقيدها حدود المكان والزمان:

- أما الأولى فتخصّ الجانب الشكلي، وتتعلّق بفصاحة المفردة في كتاب الله تعالى عموماً وفي تعقيباته خصوصاً، وذلك أمرٌ أساسي تترتب عليه سهولة في النطق والتلاوة، كما يترتب على ذلك أيضاً إمتاع المتلقي، وهو ما يتناسب مع الأمر بالسّمع في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الأعراف، 204).

- وأما الثانية فتتعلّق بدقّة المفردات القرآنية وإحكام دلالتها في موضع التعقيب، وهو أمرٌ ظاهرٌ في كثير من المواضع التي يتم فيها التعبير بألفاظ تبدو متشابهة في الظاهر، ولكن التصريف الرباني للكلم في هذا الموضع الشريف يُظهر مطابقة عجيبة بين هذه الألفاظ المنتقاة بمنتهى العناية وبين المعاني الدقيقة التي يقتضيها سياق الآية الكريمة، وفي ذلك تحقيق قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (النساء، 82).

¹ - جمالية المفردة القرآنية، ص 55.

² - المعجزة الكبرى القرآن: أبو زهرة محمد بن أحمد بن مصطفى، دار الفكر العربي، د ت، ص 76.

ولعلّ مما ينبغي التذكير به في هذا المقام أن الإحاطة بجمال الكلم في كتاب الله تعالى أمرٌ دونه طاقة البشرِ فرادى أو مجتمعين، ولذلك فإنني أقول ما قاله بعض الدارسين ممن خاضوا في هذا الأمر من قبل: "ولسنا نستطيع إحصاء تلك النواحي في جمال ألفاظ القرآن إحصاءً، ولكننا نضرب من الأمثال على مقدار طاقتنا، ومن غير أن نصل إلى أقصى الغاية، وإنّما نُسدّد ونقارب، بل المقاربة فوق طاقتنا، وقد سبقنا إلى تلك المحاولة فحول البيان " ¹.

1 - فصاحة الألفاظ القرآنية:

لا تخرج الدلالة العامة للفظ الفصاحة في لغة العرب عن الوضوح والبيان، تقول: " أفصح الصبي في منطقهِ إفصاحاً إذا فهمت ما يقول في أول ما يتكلم، وأفصح الأغتم ² إذا فهمت كلامه بعد غنمته، وأفصح عن الشيء إفصاحاً إذا بيّنه وكشفه " ³. وأفصح الصُّبح إذا بدا ضوءه واستبان، وفصح اللبن وأفصح إذا أخذ اللبأ عنه، أو إذا انجلت رغوته، وربما سمّي لذلك فصحاً وفصيحا. والفصح: فطر النصارى، وهو عيدٌ لهم، يُقال: أفصحوا، إذا جاء فصحهم ⁴، ويجوز أن يكون ذلك لاعتقادهم أن عيسى عليه السلام ظهر فيه ⁵.

وأما الكلام الفصيح فهو ما أعرب عما عبّر به عنه، وأظهره إظهاراً جلياً، ولذلك سمّوه بياناً ⁶. والفصيح في كلام العامة المعرب، ورجلٌ فصيح أي منطلق اللسان في القول، يعرف جيّد الكلام من

¹ - المعجزة الكبرى القرآن، ص 79.

² - الغتمة: عجمة في المنطق. ورجل أغتم، أي لا يفصح شيئاً. للاستزادة ينظر:

- لسان العرب، ج 12، ص 433.

³ - نفسه، ج 2، ص 544.

⁴ - للاستزادة ينظر:

- نفسه، ص 545.

⁵ - سر الفصاحة، ج 1، ص 58.

⁶ - نفسه، ج 1، ص 59.

رَدِيئُهُ¹، ومنه قوله ﷺ: "أنا أفصح العرب بيد أني من قريش"². وقد يُطلق الفصيح في كلام العرب ويُراد به الإنسان الناطق، في مقابل البهيمة العجماء، من ذلك ما جاء في حديثه ﷺ: "ذاكر الله في الغافلين يغفر الله له بعدد كل فصيح وأعجم"³.

أما في الاصطلاح فقد أجمع علماء البلاغة والبيان على أن الفصاحة وصفٌ يُطلق على الملفوظ مفرداً كان أو مركباً إذ توفرت فيه شروط خاصّة. وقد أفرّد لذلك ابن سنان الخفاجي كتاباً سماه "سرّ الفصاحة"، يقول في تعريفها: "إن الفصاحة على ما قدّمنا نعتٌ للألفاظ إذا وُجدت على شروط عدّة، ومتى تكاملت تلك الشّروط فلا مزيد على فصاحة تلك الألفاظ. وبحسب الموجود منها تأخذ القسط من الوصف، وبوجود أضعافها تستحق الإطراح والذم"⁴. وفي سياق ذلك يقسّم ابن سنان تلك الشروط إلى قسمين مختلفين، أولهما: باعتبار فصاحة الألفاظ المفردة، وأما الثاني: فباعتبار فصاحة التراكيب، يقول: "وتلك الشروط تنقسم إلى قسمين فالأول منها يوجد في اللفظة الواحدة على انفرادها من غير أن ينضمّ إليها شيء من الألفاظ، وتؤلّف معه. والقسم الثاني يوجد في الألفاظ المنظومة بعضها مع بعض"⁵.

والواقع أن ما يعنينا من هذا الموضوع في سياق حديثنا عن الألفاظ القرآنية يقتصر على القسم الأول، رغم الأهمية البالغة التي يكتسبها القسم الثاني أيضاً، بل إننا لا نجاوز الصّواب إذا قلنا أن القسمين لا ينفصلان في واقع الممارسة الكلامية، وما الفصل بينهما سوى فصل منهجي تستدعيه الدراسة والتحليل.

¹ - لسان العرب، ج 2، ص 544.

² - إعراب القرآن وبيانه: محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، دار الإرشاد للشؤون الجامعية، حمص، دار اليمامة/ دار ابن كثير، دمشق، ط 4، 1415 هـ، ج 2، ص 512.

³ - جزء الحسن بن عرفة العبدي: أبو علي الحسن بن عرفة، تح: عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائي، دار الأقصى، الكويت، ط 1، 1985، ص 66.

⁴ - سرّ الفصاحة، ص 63.

⁵ - نفسه، ص 63.

ويرى ابن سنان أن شروط فصاحة اللفظ المفرد لا تخرج عن ثمانية شروط نختزلها فيما يلي:

- أن يكون تأليف تلك اللفظة من حروف متباعدة المخارج.
- أن تجد لتأليف اللفظة في السمع حسناً ومزية على غيرها وإن تساوبا في التأليف من الحروف المتباعدة.
- أن تكون الكلمة غير متوعدة وحشية.
- أن تكون الكلمة غير ساقطة عامية.
- أن تكون الكلمة جارية على العرف العربي الصحيح غير شاذة.
- أن لا يُعبر بالكلمة على أمر آخر مما يُكره ذكره.
- أن تكون الكلمة معتدلة غير كثيرة الحروف.
- أن تكون الكلمة مصغرة في موضع عُبر بها فيه عن شيء لطيف أو خفي أو قليل أو ما يجري مجرى ذلك.

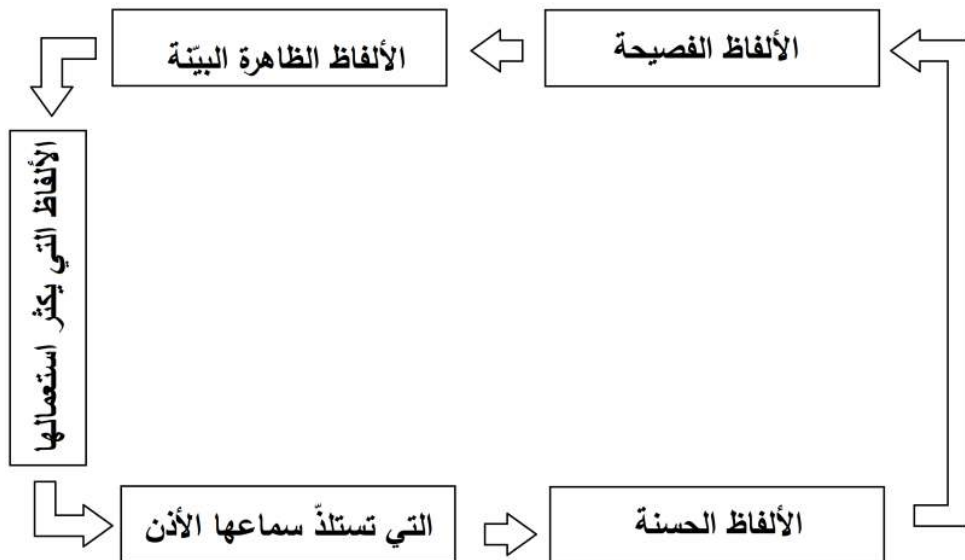
ولعل بعض هذه الشروط في حاجة إلى تفصيل نرجئه إلى حينه، بعد استعراض مزيد من الجهود التي بذلها العلماء في سعيهم لتحديد مفهوم الفصاحة، من ذلك ما قدمه ابن الأثير في كتابه "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر". وهو في تأسيسه لهذا المفهوم ينطلق من انتقاد سابقه ومعاصريه ممن أكثروا القول في الفصاحة وخاضوا في تفاصيلها دون أن يصلوا إلى شيء يمكن التّحويل عليه، بل إن غاية ما وصلوا إليه لم يتجاوز الدلالة اللغوية للمصطلح القائمة على الظهور والبيان، وهو تصوّر قاصر لا يمكن اعتماده كحدّ للفصاحة¹.

ثم يجتهد ابن الأثير في تحديد هذا المفهوم المستعصي، وهو في ذلك يطرح سلسلة من الأسئلة التي تتوالى على أساس مبدأ السببية والتي تنطلق من الدلالة اللغوية كأساس للتّحديد، فالألفاظ

¹ - المثل السائر: ضياء الدين بن الأثير، تح: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة، ج 1، ص 90.

الفصيحة هي الظاهرة البيّنة، وهي الألفاظ التي " لا يُحتاج في فهمها إلى استخراج من كتاب لغة، وإنما كانت بهذه الصفة لأنها تكون مألوفة الاستعمال بين أرباب النظم والنثر دائرة في كلامهم " ¹. أما علة استعمالها ودورانها في كلامهم فترجع إلى حُسْنٍ في هذه الألفاظ دون غيرها، " وذلك أن أرباب النظم والنثر غرّبوا اللغة باعتبار ألفاظها، وسبروا وقسموا، فاختاروا الحسن من الألفاظ فاستعملوه، ونفوا القبيح منها فلم يستعملوه " ².

بعد ذلك يرجع بنا ابن الأثير نقطة البداية في آخر حلقة من تعريفه للفصاحة حينما يجتهد في تحليل الحُسْن في الألفاظ الفصيحة بالإحساس الذي تجده الأذن وما يستدعيه ذلك من لذة أو نفور، " فما استلذه السمع منه فهو الحسن، وما كرهه فهو القبيح، والحسن هو الموصوف بالفصاحة، والقبيح غير موصوف بفصاحة، لأنه ضدها لمكان قبحه " ³، وفي سياق ذلك يقدم ابن الأثير مجموعة من الأمثلة محاولاً من خلالها توضيح ما ذهب إليه في تعريفه من مفاهيم تتسم بنسبيتها وغموضها، كاللذة والكراهة.



¹ - المثل السائر، ص 91.

² - نفسه، ص 91.

³ - نفسه، ص 91.

ولم يخرج العلوي في الطراز عن فلك سابقه، وهو يعرف الفصاحة في عرف علماء البيان بأنها " خلوص اللفظ عن التعقيد في تركيب الأحرف والألفاظ جميعاً " ¹، ثم يفسر التعقيد في تركيب الحروف بالوقوع في التنافر، مما يؤدي بالمتكلم إلى عثار في اللسان، وتوَعَّر في المخارج ²، " فالألفاظ في سهولة تركيبها وعثورتها وسلاسته ووعورته بمنزلة الأصوات في طينيتها ولذة سماعها، ولهذا فإنه يُسْتَلَذَّ بصوت " القُمرى "، ويكره صوت " الغراب "، ويُستظرف صهيل " الفرس "، ويُستتكر نهيق " الحمار " ³.

ثم يضع العلوي جملة من الخصائص التي تقتضي وصف الألفاظ بالفصاحة كما فعل الخفاجي من قبل، وهو يختزلها فيما يلي ⁴:

- أن تكون اللفظة عربية قد تواضع عليها أهل اللغة، لأن الفصاحة والبلاغة مخصوصان بهذا اللسان العربي دون سائر اللغات.

- أن تكون جارية على العادة المألوفة، فلا تكون شاذة عن الاستعمال المطرد في معناها، وبنائها، وإعرابها، وتصريفها.

- أن تكون خفيفة على الألسنة لذيدة على الأسماع حلوة في الدوق.

- أن تكون مألوفة غير وحشية، فيقرب معناها ولا يبعد تناولها.

- أن يكون اللفظ مختصاً بالجزالة والرفقة.

¹ - الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ج 1، ص 57.

² - كما في: عقجق، أو " الهعخع "، للاستزادة ينظر:

- نفسه، ص 57.

³ - نفسه، ص 57.

⁴ - نفسه، ص 61 - 63.

ويبدو واضحاً أن العلوي لم يقدم جديداً يُذكر من خلال هذه الشروط التي تستوجب الفصاحة، باعتبار أنها تجري على سائر كلام العرب ولا يُستثنى من ذلك سوى قلة قليلة من الألفاظ، ولعل ما يتصل من هذه الشروط اتصالاً مباشراً بمفهوم الفصاحة هو ما ورد في الشرط الثالث من خلال مفاهيم الخفة واللذة والحلاوة وهي مفاهيم تبدو في نظرية العلوي شديدة الغموض.

وقد أثارت بعض المسائل التي نبّه إليها هؤلاء وغيرهم من علماء البيان جدلاً واسعاً بينهم في سياق حديثهم عن الفصاحة القرآنية باعتبارها وجهاً بارزاً من وجوه الإعجاز اللغوي في كتاب الله تعالى والذي لا يميّز - في الواقع - أسلوب التعقيب دون غيره من المواضع، بل ينسحب على الألفاظ القرآنية كلّها. ولعلّ استعراض الخط الزمني لهذه المسائل عبر أهمّ الدراسات، بدءاً من جهود الجاحظ وصولاً إلى ما قدّم في العصر الحديث يكشف تفاوتاً في العناية التي حظيت بها بعض المسائل، وهو ما يعكس في الحقيقة تفاوتاً كبيراً في أهميتها. ونحن في هذا المقام في حاجة إلى استعراض مسألتين أساسيتين تتعلّقان تعلقاً مباشراً ووثيقاً بصفاء الألفاظ القرآنية وحسنها في أذن السامع:

أما الأولى فهي قضية التلاؤم أو التنافر بين حروف الكلمة باعتبارها أكثر شرائط الفصاحة أهمية وحضوراً وإثارة للجدل في الدراسات المتعلقة بالمفردات القرآنية، وأما الثانية فتتعلق باعتدال عدد حروف اللفظ في كتاب الله تعالى، وهو الشرط التكميلي المهم لتحقيق الفصاحة ضمن ذوق عام لا يميل إلى توظيف الألفاظ الطويلة.

وإننا نسعى من خلال تتبع هاتين المسألتين للوصول إلى السرّ في فصاحة الألفاظ في كتاب الله تعالى بشكل عام، وهو ما ينسحب بشكل أخصّ على سائر الألفاظ في التّعقيبات القرآنية باعتبار العناية التي تحظى بها مقاطع الكلام.

أ - مسألة التناثر والتلاؤم بين حروف الكلمة: النَّفَر في اللغة التفرق¹، ونقيضه التلاؤم²، وهما مصطلحان يُطلقان في البلاغة العربية وصفاً لطبيعة التشكيل الصوتي الناتج عن نظم الحروف داخل الألفاظ والتراكيب. ولأجل ذلك كانت الألفاظ في السَّمع جارية مجرى النغمات والطَّعوم، ولعلَّ " مَنْ له أدنى بصيرة يعلم أن للألفاظ في الأذن نغمةً لذيدةً كنغمة أوتار، وصوتاً منكراً كصوت حمار، وأنَّ لها في الفم أيضاً حلاوةً كحلاوة العسل، ومرارةً كمرارة الحنظل " ³.

وقد نبّه القدماء إلى خطورة الدور الذي يؤديه الصَّوت باعتباره الجوهر الذي يقوم به التقطيع، والذي به يوجد التأليف، والذي لا تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً موزوناً ولا منشوراً إلاّ بظهوره⁴، فكان للجاحظ فضلُ السَّبْق في هذا المجال، إذ قام بتتبُّع الأصوات التي تولِّف لغة العرب، ورصد العلاقات التي تجري بينها ضمن الملفوظ في محاولةٍ للوصول إلى سرِّ الفصاحة من خلال ما ينشأ بينها من تلاؤمٍ أو تناثر، فلاحظ أن هناك أصواتاً لا تتجاوز مطلقاً، لما يوقعه ذلك من أذى في أذن السامع، يقول: " فأما افتراق الحروف فإن الجيم لا تقارن الظَّاء ولا القاف ولا الطَّاء ولا الغين بتقديم ولا تأخير، والرَّاي لا تقارن الظَّاء ولا السين ولا الضَّاد ولا الدَّال بتقديم ولا تأخير، وهذا باب كثير وقد يُكتفى بذكر القليل حتى يُستدلَّ به على الغاية التي إليها يجري " ⁵.

وقد كانت هذه المحاولة من الجاحظ واحدةً من أهم البواكير في البلاغة العربية ضمن هذا المسعى الصَّعب الذي ظلَّ حتى وقتنا المعاصر حبيسَ مسألة الذوق بناءً على معايير الاستحسان والاستهجان

¹ - لسان العرب، ج 5، ص 224.

² - ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، رسالة النكت في القرآن: أبو الحسن علي بن عيسى الرماني، تح: محمد خلف الله أحمد، محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط 3، 1976، ص 94.

³ - المثل السائر، ج 1، ص 171.

⁴ - ينظر: البيان والتبيين، ج 1، ص 58.

⁵ - نفسه، ص 52.

واللذة والتفور¹. ولعلّ من بين المساعي الجليّة التي قدّمها البلاغيون في هذا السياق ما جاء به ابن سنان الخفاجي في سرّ الفصاحة، وهو ينتقد بشدّة رأي الرّماني الذي علّل تلاؤم الحروف وتناظرها بالتّعديل في تأليفها من غير بُعدٍ شديد أو قُربٍ شديد² مستنداً إلى رأي الخليل بن أحمد، فقد جاء في النُّكت في إعجاز القرآن قول الرّماني: " التّلاؤم تعديل الحروف في التّأليف، فكّما كان أعدلَ كان أشدّ تلاؤماً. وأما التّناظر فالسّبب فيه ما ذكره الخليل من البُعد الشّديد أو القُرب الشّديد، وذلك أنّه إذا بُعد البُعد الشّديد كان بمنزلة الطّفّر، وإذا قُرب القرب الشّديد كان بمنزلة مشي المقيد، لأنّه بمنزلة رفع اللسان وردّه إلى مكانه، وكلاهما صعبٌ على اللسان، والسهولة من ذلك في الاعتدال " ³.

ويذهب ابن سنان إلى أن التّناظر لا يكون في البُعد ما بين مخارج الحروف، وإنما هو في القُرب، ويستدلّ على صحّة ذلك ببعض الأمثلة ككلمة (ألم) لأنها مؤلّفة من حروف متباعدة، وكان ينبغي بناءً على ما ذهب إليه الرّماني " أن يكون هذا التّأليف متناظراً لأنّه على غاية ما يمكن من البعد، وكذلك (أم) و(أو) لأن الواو من أبعد الحروف من الهمزة. وليس هذان المثالان مثل (عج) ولا (سز) لما يوجد فيهما من التّناظر لقرب ما بين الحرفين في كلّ كلمة " ⁴.

وهكذا ينفي ابن سنان أن يكون بُعدُ المخارج سبباً في وقوع التّناظر في الألفاظ، بل يجعله أول سرّ من أسرار الفصاحة الثمانية، مستندلاً بحجج يؤيّد بها العقل من خلال تشبيه الأصوات بالألوان، يقول: " إنّ الحروف التي هي أصوات تجرى من السمع مجرى الألوان من البصر، ولا شك في أن الألوان المتباينة إذا جُمعت كانت في المنظر أحسن من الألوان المتقاربة، ولهذا كان البياض مع السّود أحسن منه مع الصّفرة ولقرب ما بينه وبين الأصفر وبُعد ما بينه وبين الأسود، وإذا كان هذا موجوداً على

¹ - ينظر مثلاً: من أسرار التعبير القرآني صفاء الكلمة: عبد الفتاح لاشين، دار المريخ للنشر، الرياض، 1983م، ص 2-3، 5.

² - ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص 96.

³ - نفسه، ص 96.

⁴ - سرّ الفصاحة، ص 101، 102.

هذه الصّفة لا يحسُن النزاع فيه كانت العلّة في حُسْن اللفظة المؤلّفة من الحروف المتباعدة هي العلّة في حُسْن النقوش إذا مُرِجت من الألوان المتباعدة " ¹.

كما يرى - نقلاً عن الخليل بن أحمد - أنّ تأليف الحروف في كلام العرب ينقسم إلى ثلاثة أقسام تتدرّج من المتلائم إلى المتنافر على النحو التالي ²:

- تأليف الحروف المتباعدة.

- تضعيف الحرف نفسه.

- تأليف الحروف المتجاورة.

فأما القسم الأول فهو أحسن أقسام التأليف، وهو الشائع في كلام الفصحاء، ثم يليه في الحسن تضعيف الحرف نفسه. أما القسم الثالث فهو قليل في كلامهم، أو منبوذٌ رأساً، ويؤيد ذلك الحسّ " فإنّ الكلفة في تأليف المتجاور ظاهرةٌ يجدها الإنسان من نفسه حال التلقّظ " ³. كما يؤيد ذلك أيضاً ما رواه نقلاً عن الخليل، يقول: " وقد روي أن الخليل ابن أحمد قال: سمعنا كلمةً شنعاء، وهي الهُجُجُجُ، وأنكرنا تأليفها. وقيل إن إعرابياً سئل عن ناقتة فقال: تركتها ترعى الهُجُجُجُ، فلما كشف عن ذلك وسئل الثقات من العلماء عنه أنكروه ودفعوه، وقالوا: نعرف الهُجُجُجُ، وهذا أقرب إلى تأليفهم، لأنّ الذي فيه حرفان فحسب. وحروف الحلق خاصّة ممّا قلّ تأليفهم لها من غير فصلٍ يقع بينها، كلّ ذلك اعتماداً للخفة، وتجنّباً للتّقل في النّطق " ⁴.

غير أنّ الخفاجي يبدو غير مقتنع بقدرة الشّروط الأولى منفرداً على تفسير السرّ في حُسْن بعض الألفاظ دون غيرها حين تتساوى جميعاً في بُعد المخارج، وهو الواقع في أكثر ألفاظ اللغة، ممّا حمّله

¹ - سر الفصاحة، ص 64.

² - ينظر: نفسه، ص 58.

³ - نفسه، ص 58.

⁴ - نفسه، ص 57.

على القول بفكرة التّأليف المخصوص، وهي فكرة تتّسم بكثير من الغموض من الناحية العملية، لأنها تقوم على الذّوق أساساً، وهي بذلك غير قابلة للتفسير، يقول: " والثاني أن تجد لتأليف اللفظة في السّمع حسناً ومزيّة على غيرها وإن تساويا في التّأليف من الحروف المتباعدة، كما أنك تجد لبعض النغم والألوان حسناً يُتصوّر في النّفس، ويُدرك بالبصر والسمع دون غيره ممّا هو من جنسه، كلّ ذلك لوجه يقع التّأليف عليه " ¹. ثم يستدلّ بجملة من الأمثلة التي استحسناها من كلام العرب، نكتفي منها في هذا المقام بما يُستق من حروف (ع ذ ب)، يقول: " إن السّامع يجد لقولهم العذّيب اسم موضع، وعذّيب اسم امرأة، وعذّب وعذابّ وعذبّ وعذباتّ ما لا يجده فيما يقارب هذه الألفاظ في التّأليف، وليس سبب ذلك بُعد الحروف في المخارج فقط، ولكنّه تأليفٌ مخصوصٌ مع البعد، ولو قدّمت الدّال أو الباء لم تجد الحُسْن على الصّفة الأولى في تقديم العين على الدّال لضربٍ من التّأليف في النّغم يُفسّده التّقديم والتّأخير " ².

ولعل ذلك ممّا حمل ابن الأثير في المثل السائر على انتقاد نظرية ابن سنان ونقض أركانها، ومن ثم أعاد بناء تصوّرٍ خاصّ لا يقوم على شيء مما سبق من مفاهيم البعد والقرب، بل يقوم على الذّوق وحده باعتباره عمود النظرية كلّها فالألفاظ داخلةٌ في حيّز الأصوات، وما استلذه السّمع منها فهو الحسن، وما كرهه ونبا عنه فهو القبيح " وإذا ثبت ذلك فلا حاجة إلى ما ذُكر من تلك الخصائص والهيآت التي أوردها علماء البيان في كتبهم " ³.

وقد رفض ابن الأثير ما ذكره ابن سنان من القول بتباعد الحروف وذلك باعتبار أن أكثر ألفاظ اللغة تقوم على مخارج متباعدة ولا يشذّ عن ذلك إلّا القليل النّادر، وذلك أمرٌ ظاهر، فإذا كان الواضع قد اهتم في تحسين اللغة بأمور جزئية جعلها في غاية الإحكام فإنّه من غير المعقول أن يُخلّ بمثل

¹ - سر الفصاحة، ص 64، 65.

² - نفسه، ص 64، 65.

³ - المثل السائر، ج 1، ص 169، 170.

هذا الأصل الكلّي¹. كما أن هذا الأمر لا يطرد في كلّ الأحوال وقد يَشُدُّ عنه الكثير، فقد يجيئ مما تقاربت مخارجه على نحو حسن كالذي يتراكب من الجيم والشين والياء: جيش، شجي، أو كالذي يتراكب من الفاء والباء والميم في قولك: ذقته بقمي فكلّ ذلك حسن لا عيب فيه².

وبخلاف ذلك يرى أنه قد يجيء ممّا تباعدت حروفه شيء قبيح، كقولك (ملع) فإنّها لفظة مكروهة الاستعمال، ينبو عنها الذوق السليم، ولو عُكست حروفها صارت (علم)، وهي حينئذٍ حسنة رغم أنه لم يتغيّر من مخارجها شيء³. ولأجل ذلك كلّ لا يرى ابن الأثير حاجة للقول بتباعد الحروف في تفسير الفصاحة إذ "لو كان التّباعد سبباً للحسن لما كان سبباً للقبح، إذ هما ضِدّان لا يجتمعان"⁴. وقد كانت هذه المأخذ التي سجّلها ابن الأثير أساس التّصور الذي قدّمه العلوي من بعده في الطراز لتفسير الحسّن والقبيح من الألفاظ، إذ رفض ما ذهب إليه ابن سنان مؤسساً نقده على أدلّة ابن الأثير ذاتها⁵، ولأجل ذلك لم يخرج عمّا ذهب إليه في شيء من أن مُستند الإعجاب في حُسْن تأليف اللفظة إنما هو الذّوق السليم والطّبع المستقيم⁶.

غير أن ما يميّز مقولات العلوي هو سعيه لتجاوز الغموض الذي يكتنف فكرة الذّوق، وهو ما يعود به إلى بعض شرائط ابن سنان في شأن الفصاحة من أجل إعادة إنتاج فكرة التّأليف المخصوص بعد دمجها بآراء ابن الأثير، يقول: "...ويؤيّد ما قلناه من ذلك وهو أن مستند الحُسْن والقبح والإعجاب والنفور في تأليف الكلام إنّما هو سلامة الطّبع وتحكيم الذّوق، هو أن الكلمة الواحدة إذا أُلّفت تأليفاً مخصوصاً كانت في غاية الرّكّة على اللّسان يزدريها كلّ من سمّعها، فإذا عُكست صارت أرقّ ما

¹ - المثل السائر، ج 1، ص 172.

² - نفسه، ص 173.

³ - نفسه، ص 174.

⁴ - نفسه، ص 174.

⁵ - ينظر: الطراز في علوم البلاغة والإعجاز، ج 1، ص 59.

⁶ - نفسه، ص 59.

يكون على الألسنة والطف وأعجب " ¹، وذلك ممّا يدلّ أيضاً " على أن المعوّل عليه في أمر الفصاحة هو ما يجده الإنسان عند التّأليف من الذّوق والرّقة، ولهذا فإنك ترى الكلمات المستعملة في كلام الله تعالى والسّنّة النّبوية مؤلّفةً تأليفاً معجباً على نهاية اللّطافة والرّشاقة والرّقة " ².

وفي سياق ذلك يشترط العلوي جملة من الشّروط الخاصّة التي تفسّر المراد بالتّأليف المخصوص المّعجب حتّى تكون فصيحاً يستحسنها الذّوق، وأولها أن تتألّف من حروفٍ غير متنافرة في مخارجها، كما يشترط فيها اعتدال الوزن، أي أن تكون ثلاثية وهو الأصل الذي تجري عليه أكثر الألفاظ في كلام العرب وذلك لخفّته، وأما أبعد الأوزان في الاستعمال فهو الخماسي لأجل كثرة حروفه، وأما الرباعي فهو أوسط الأوزان وذلك لحصوله بين الأمرين. كما نبّه إلى أن التّعويل في كلّ ذلك على الذّوق، فقد تكثر حروف الكلمة وهي رغم ذلك خفيفة على اللسان لذيدة على المسامع كما في بعض المواضع في كتاب الله تعالى ³.

كما يشترط العلوي توالي الحركات في الكلمة على نحو معيّن، فإذا حصل سُكون وسطها كان عدل ما يكون وأرق، وإن توالى ثلاث فتحاتٍ كان ذلك أخفّ من حصول الضّم في الوسط. غير أن هذا الكلام يبدو في غاية الاضطراب باعتبار أنّه لا يطرد في كلّ أحواله، وهو ما حمل العلوي على التّنبيه - كما في السّابق - على أن التّعويل في الأمر كلّهُ إنّما هو على الذّوق ⁴، وهو ما يطرح سؤالاً كبيراً يتعلّق بجدوى هذه الشّرائط التي لا تسري على كلام ما إلّا بتحكيم الذّوق.

ولعلّ هذا الكلام كلّهُ ممّا يفسّر صعوبة الخوض في موضوع الفصاحة حين يتعلّق الأمر - خصوصاً - بالألفاظ القرآنية وإن كانت في الظّاهر تسري مسرى سائر كلام العرب باعتبار أنها تنتمي

¹ - الطراز في علوم البلاغة والإعجاز، ج 1، ص 59.

² - نفسه، ص 60.

³ - ينظر: نفسه، ص 60.

⁴ - ينظر: نفسه، ص 60.

إلى المعجم نفسه. غير أن الكلمة في القرآن لا ترد إلا عذبةً سهلةً تسري وفق تأليفٍ هو غاية الكمال في تلاؤمه وبُعده عن أسباب التتافر، وإن كان أعظم أرياب الفصاحة والبيان لا يسلمون من الوقوع في ذلك في بعض شعرهم أو نثرهم، كلفظ مستشزرات في قول امرئ القيس:

عَدَائِرُهُ مُسْتَشْزَرَاتٌ إِلَى الْعَلَا تَضِلُّ الْعِقَاصُ فِي مُنْتَى وَمُرْسَلٍ¹

أو كقول أبي الطيّب المتنبي:

مبارك الاسم أغرّ اللقب... كريم الجرشي شريف النسب

أو كقول زهير بن أبي سلمى:

تَقِي نَقِيٍّ لَمْ يَكْثُرْ غَنِيمَةً... بِنَهْكَ ذِي قَرْبَى وَلَا بِحَقْلَدٍ

فإن القارئ يجد - كما قال ابن سنان - في لفظ " الجرشي " تأليفاً يكرهه السمع وينبو عنه، وكذلك ما يجده في " حقلد " فإنه يوفي على قبح لفظ الجرشي ويزيد عليه².

ولعلّ استشعار هؤلاء لهذه الصعوبة هو الأمر الذي حمل هؤلاء رغم غزارة علمهم بمجاهل اللغة وقربهم من زمن الفصاحة نسبياً على التصريح في أكثر من موضع بوعورة هذا المرتقى الصعب الذي وصفه ابن الأثير بأنه " بابٌ متعذّر على الوالج، ومسلكٌ متوعّر على النّاهج " ³، أو كما قال ابن سنان: " إنني لم أر أقلّ من العارفين بهذه الصّناعة والمطبوعين على فهمها ونقدها، مع كثرة من يدّعي ذلك ويتحلّى به وينتسب إلى أهله ويماري أصحابه في المجالس ويجاري أريابه في المحافل. وقد كنت أظنّ أنّ هذا شيءٌ مقصورٌ على زماننا اليوم ومعروفٌ في بلادنا هذه حتى وجدت هذا الدّاء قد

¹ - ديوان امرئ القيس: عناية وشرح: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، ط 2، 2004، ص 43.

² - سرّ الفصاحة، ص 66.

³ - المثل السائر، ج 1، ص 90.

أعيا أبا القاسم الحسن بن بشر الآمدي وأبا عثمان عمرو بن بحر الجاحظ قبله وأشكاهما حتى ذكراه في كتبهما، فعلمت أن العادة به جارية والرزية فيه قديمة " ¹.

وقد ظلت هذه الصعوبة هي ما يميّز هذا النوع من الدراسات التي سعت إلى تفسير السرّ في صفاء الكلمة القرآنية وجمالها، كما ظلت ألفاظ القرآن فوق كلّ الشرائط التي وضعها منظّرو الفصاحة في تراثنا البلاغي، متأبّيةً على كلّ مساعي التفسير المُقنع إلّا استناداً على قاعدة الذوق باعتبارها المعيار القارّ الوحيد الذي استطاع الصّمود منذ البواكير الأولى وحتى العصر الحديث رغم التّراكم المعرفي ورغم الإمكانات المخبرية الحديثة. وهي القناعة التي انتهت إليها بعض المعاصرين، ولذلك فإنّ استحسان الألفاظ واستهجانها في نظر هؤلاء " يعود إلى الحسّ، ويرجع إلى الذّوق " ²، وإنّ الأمر كلّه لا يعدو أن يكون " فطرةً في النفوس، يشعر به كلّ صاحب ذوق سليم، ونظرٍ مستقيم، وهو عملٌ يميل إليه السّمع، ويألفه الطّبع " ³، وما تلك الشّروط التي وضعها البلاغيون والنّقاد إلّا عوامل مساعدة لمن وهبه الله فقه اللغة وسرّ العربية ⁴.

وهكذا فإنّ أغلب الجهود التي بُذلت حديثاً لم تستطع - في الواقع - الابتعاد عن فلك هذه القناعة أو التّحرّر منها رغم المساعي الكبيرة التي بذلها هؤلاء في سبيل تفسيرٍ قطعي لبعض المسائل المتعلّقة بفصاحة المفردة القرآنية، كما فعل أحمد ياسوف في كتابه " جماليات المفردة القرآنية "، أو كما فعل الرّافعي في " إعجاز القرآن ". ولعله من المهمّ أن نشير في هذا السياق إلى أن ما قدّمه إبراهيم أنيس قد شكّل استثناءً معقولاً في هذا المجال رغم أنه لم يتّصل اتصالاً مباشراً بالكلمة القرآنية بل جاء في سياق البحث عن ضوابط جديدة لجرس الألفاظ في الشعر العربي.

1 - سر الفصاحة، ص 63.

2 - صفاء الكلمة، ص 5.

3 - نفسه، ص 2.

4 - ينظر: نفسه، ص 2.

وقد سعى إبراهيم أنيس إلى إعادة إنتاج شرائط جديدة كالتى أورها الخفاجي والعلوي مستفيداً مما حققه علم الأصوات حديثاً ومن خبرته ببعض اللغات الأجنبية، مخالفاً ما ذهب إليه هؤلاء من أن ما يعكّر صفو الكلمة متعلقٌ بالفُرب أو حتّى بالبعد في مخارجها، بل أرجع ذلك كلّ إلى صعوبة النطق وذلك لسببين أساسيين:

- يتعلّق أولهما بالجُهد العضلي اللازم للعملية النطقية، ذلك أن بعض الحروف تتطلب جهداً أكثر من غيرها، وهي بذلك حروفٌ رديئةٌ الموسيقى تأباها الآذن ولا تستسيغها، وتصبح الكلمة شاقّةً على اللسان مؤذيةً للآذن إذا اجتمع فيها حرفان من هذا الضرب وإن لم يتجاوزا¹. وقد بيّن أنّ الهمزة هي أشقّ الحروف العربية وأعسرُها على النطق، ولذلك شاع التخلّص منها في كلام العرب، وكذلك القاف، وأحرف الإطباق: الصّاد والضّاد، والطّاء والظّاء، وهو ما يفسّر تطوّر هذه الحروف في اللهجات الحديثة².

- أمّا السبب الثاني فيتعلّق بقلّة الشّيع³، ويعني بذلك أن تكون مجاورّة بعض الحروف إلى جانب بعضها نادرة الوقوع في ألفاظ اللغة. وينتج عن هذا التّأليف الشّاذ المهجور ضربٌ من الألفاظ المؤذية للسمع والنّطق على السّواء نتيجة خروجها عن العادات اللغوية، أما ما يجري وفّق أعراف اللغة من تأليف بين الأصوات فإنه يُصبح مع الزّمن عادةً مستقرّة نتيجة الألفة التي يجدها الناطقون في كلامهم. كما بيّن أن الطريقة المتّبعة في نظم الحروف في ألفاظ لغة العرب قائمة على مبدأين، أما أولهما فإنّ أصوات الحلق لا تتنظّم مع بعضها متجاوزةً في نسقٍ واحدٍ إلّا في القليل النّادر ممّا قد يقع بين

¹ - ينظر: موسيقى الشّعر، ص 26، 27.

² - ينظر: نفسه، ص 26.

³ - ينظر: نفسه، ص 27.

العين والهاء، حيث يُلاحظ أن العين تسبق الهاء دائماً كما في " يعهد "، فإذا اتّصل بالكلمة ضمير الغائب أمكنه أن يُجاور حروف الحلق كما في: يمدّحه، يبلغه، يسلّخه¹.

أما المبدأ الثاني فإن الحروف القريبة في المخرج أو الصّفة لا تتجاور في كلمة واحدة إلا نادراً، إذ لا تلتقي اللّام والرّاء والنّون، ولا الميم والفاء والباء، ولا أصوات الصّفير. كما يندّر أن تلتقي أحرف الإطباق، أو أن يلتقي أحدها مع نظيره غير المطبّق، أو أن تلتقي أصوات أقصى الحنك كالقاف والكاف، أو أصوات وسط اللسان².

ولعلّ من أبرز ما جاء به أيضاً انتقاده لبعض مساعي القدماء الذين أغفلوا دور الحركات في الفصل بين الحروف، فقد رفض أن تكون العين والهاء في " الهُعُحُ " قد التقتا النقاء مباشرةً لأن الضمّة قد فصلت بينهما في الواقع، وقد أرجع ثقل هذه الكلمة الشّنعاء - كما وصفها الخليل - إلى مجاورة العين للحاء مجاورة مباشرة، وهما من حروف الحلق التي لا يُجاور بعضها بعضاً في الكلمة الواحدة إلا نادراً³. كما رفض تعليل القدماء للقبّح في لفظ " مستشزرات " وإرجاعه إلى تنافر الحروف، " وكان الواجب أن يُعزى هذا إلى مجاورة السين للنّاء مع مجاورة الشّين للزّاي في الكلمة الواحدة، وهو ما ندّر في اللغة العربية " ⁴.

كما ربط إبراهيم أنيس ربطاً وثيقاً بين مسألة التّلاؤم أو التنافر وبين مسألة الاعتدال في عدد حروف الكلمة باعتبارها جميعاً مسائل فاعلة تتدخل بشكل مباشر في مقدار الجهد اللازم لعملية النطق، وهو ما يفسر سرّ استئثار بعض الألفاظ دون غيرها، وهو الأمر الذي يفرض علينا الخوض في بحث المسألة الثانية.

¹ - للاستزادة ينظر: موسيقى الشّعر، ص 28.

² - للاستزادة ينظر: نفسه، ص 28.

³ - ينظر: نفسه، ص 24.

⁴ - نفسه، ص 24.

ب - مسألة الطول في بعض الألفاظ القرآنية: هي واحدة من أهم مسائل الفصاحة في الكلمة القرآنية، وهي بشكل عام لا تتفصل عن قضية التلاؤم أو التنافر إلا فصلاً منهجياً يُراد به عزل عناصر الظاهرة قصد فهمها والكشف عما يجري بين أجزائها من تفاعل.

وقد جعل ابن سنان مسألة الطول في اللفظة العربية سابع الشرائط في سرّ الفصاحة، يقول: " والسابع: مما قدمناه أن تكون الكلمة معتدلة غير كثيرة الحروف، فإنها متى زادت على الأمثلة المعتادة المعروفة قُبُحت وخرجت عن وجه من وجوه الفصاحة " ¹. وقد أنكر ابن الأثير إيراد الأمر على هذا الوجه من الإطلاق، فإن الكلمة ترد في كتاب الله تعالى مؤلفة من حروف كثيرة، وهي - رغم ذلك - تقع في غاية الحسن والجمال وهو ما أهمله ابن سنان في سرّ الفصاحة إذ أن كلّ الأمثلة التي أوردها لم تخرج عن بعض أشعار أبي تمام والمتنبي وأبي نصر بن نباته ممّا شانتته بعض الألفاظ التي خرجت عن الاعتدال في عدد الحروف ².

وقد مثل ابن الأثير لذلك بلفظتين من أطول ما جاء في كتاب الله تعالى من كلم في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ (البقرة، 137)، وأما الثانية فقد وردت في قوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ (النور، 55)، فإن الأولى مؤلفة من تسعة أحرف، وأما الثانية فإنّها تزيد عليها لأنها مؤلفة من عشرة، " وكلتاها حسنة رائعة، ولو كان الطول ممّا يوجب قُبْحاً لقُبُحت هاتان اللفظتان، وليس كذلك " ³.

وقد أرجع ابن الأثير مسألة الحُسْن أو القبح في الكلمة الطويلة إلى أصلها الذي تُشتقّ منه، يقول: " والأصل في هذا الباب ما أذكره: وهو أنّ الأصول من الألفاظ لا تحسُن إلا في الثلاثي ، وفي بعض الرباعي، كقولنا: "عذب" و"عسجد". فإن هاتين اللفظتين إحداها ثلاثية والأخرى رباعية، وأما

¹ - سر الفصاحة، ص 87، 88.

² - ينظر: نفسه، ص 87، 88.

³ - المثل السائر، ج 1، ص 204.

الخماسي من الأصول فإنه قبيح، لا يكاد يوجد منه شيء حسن، كقولنا: "جمرش"، و"صهلق"، وما جرى مجراهما " ¹. وهكذا فإن المسألة لا تتعلق بطول أو قصر، لأنه " لا يوجد في القرآن من الخماسي الأصول شيء، إلا ما كان من اسم نبيٍّ عُرِبَ اسمه ولم يكن في الأصل عربياً، نحو: " إبراهيم " و" إسماعيل " ²، وإنما يتعلق الأمر بتأليف الحروف بعضها مع بعض وأن تُجتنَب الألفاظ المؤلفة من حروفٍ يثقل النطق بها، سواء كانت طويلة أو قصيرة ³.

ولم يخرج العلوي في الطراز عن رأي ابن الأثير في إرجاع الألفاظ إلى أصولها، ولكنّه قيّد المسألة بالاحتكام إلى الذوق ⁴، وهو المعيار الذي اجتهد الزّافعي في تجاوزه، معتمداً تفسيراً قائماً على فكرة التنوع في مخارج الحروف وفي نظم الحركات، وهو ما جعل الكلمة القرآنية الموصوفة بالطول في واقع التلاوة مؤلفة من عددٍ من المقاطع القصيرة المنسجمة التي تسهل في نطقها كما تحسن في أذن السامع، فكانت بذلك من أحضر الألفاظ حلاوةً، وأعذبها منطقاً، وأخفها تركيباً ⁵:

- لَيْسَتْخُلِفَنَّهُمْ: لَيْسَ / تَخْ / لِفَنَ / نَّهُمْ — أربعة مقاطع كأنها أربع كلمات.

- فَسَيَكْفِيكَهُمُ: فَسَيَكْ / فَيَ / كَهُمْ — ثلاثة مقاطع كأنها ثلاث كلمات.

كما نبّه الزّافعي إلى الدور الخطير الذي يقوم به المدّ في تقطيع الألفاظ الطويلة وتشكيل جماليّتها، وجعله أهم أسرار الفصاحة فيها، يقول: " وقوله: ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ ﴾ فإنها كلمة من تسعة أحرف، وهي ثلاثة مقاطع، وقد تكرّرت فيها الياء والكاف، وتوسّط بين الكافين هذا المدّ الذي هو سرّ الفصاحة

¹ - المثل السائر، ج 1، ص 205.

² - نفسه، ص 205.

³ - ينظر: نفسه، ص 205.

⁴ - ينظر: الطراز، ج 1، ص 60.

⁵ - ينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 8، 2005، ج 2، ص 151.

في الكلمة كلّها " ¹. وهو السرّ في حسن بعض المعرّب من ألفاظ القرآن الطويلة التي جاءت على الخماسي أو ما زاد عليه، كإبراهيم، وإسماعيل، وطالوت، وجالوت، ونحوها ².

وقد رفض بعض المعاصرين كأحمد ياسوف ³ فكرة إرجاع الألفاظ إلى أصولها كما فعل ابن الأثير والرافعي، متسائلاً في استغراب عن علاقة القارئ أو السامع بكون الجذر الأصلي للكلمة ثلاثياً أو رباعياً أو غير ذلك، كما انتقد أصلاً فكرة التعلّق بالشكل والتركيز على الكمّ والاهتمام بإحصاء حروف الكلمة، وعدّه ضرباً من الترفّ الذهني ⁴. وفي سياق ذلك نبّه على ضرورة الالتفات إلى جانب مغاير يجسّد الجمال الفريد لهذا النوع من الألفاظ في كتاب الله تعالى وهو الكامن في دلالتها الصرفية، وفي قدرتها المذهلة على اختزان المعاني الكثيرة، وفي طاقتها على تجسيم المعنى المبتغى اعتماداً على الشكل، وهكذا فإن لفظة (سنستدرجهم)، في قوله تعالى: ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف، 182) " توحى بطول المدّة، مدّة عدم انصياحهم، وخصوصاً في صيغة (استفعل) ففيها تصوير لهم، وحركة جعلية متمهّلة، وهذا ما يوحي به توالي المقاطع وتعدّدها مما يجسّم طول فترة الغفلة التي يكون فيها الكافرون " ⁵.

ولعل قيمة العمل الذي قدّمه أحمد ياسوف في هذا المجال تكمن في الالتفاتة نفسها وفي التنبية على ضرورة العناية بهذا الجانب المهم الذي يميّز هذا الضرب من الألفاظ القرآنية، لأن

¹ - ينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص 151.

² - ينظر: نفسه، ص 152.

³ - باحث سوري معاصر، مهتم بقضايا المفردة القرآنية، من مؤلفاته:

- جماليات المفردة القرآنية.

- جماليات المفردة القرآنية في كتب الإعجاز والتفسير.

- الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف.

⁴ - ينظر: جماليات المفردة القرآنية، ص 80، 81، 184، 188.

⁵ - ينظر: نفسه، ص 185.

تحليله - للأسف - اتسم في كلّ الأمثلة بإيجازٍ مخلٍّ وعجلةٍ ظاهرة لا يبرّرهما سوى وعورة المسلك وضعف الحجة، وهي الأعدار نفسها التي تلمّسها أحمد ياسوف للقدامى والمحدثين ممن خاضوا في هذا الأمر قبله.

ولعلّ التحليل الأكثر دقة في هذا الاتجاه هو ما قدّمه إبراهيم أنيس في سياق حديثه عن موسيقى الشعر، وعن بعض المفردات الطويلة في بعض الآداب المروية القديمة، حيث انطلق من حقيقة أن مسألة الصّعوبة في نطق بعض الألفاظ أمرٌ نسبي باعتبار أننا لا نستطيع أن نضع حدّاً فاصلاً بين الكلمات الصّعبة والسهلة، كما أن الألفاظ سهلةً أو صعبة ليست في مرتبة واحدة¹. كما سعى إلى وضع معايير أكثر دقة تتحو إلى توصيف حالة كثير من الألفاظ التي تقع في منزلة بين المتلائم والمتنافر لأن أغلب ما أورده العلماء من ضوابط لا يتعلّق في الأعمّ الأغلب سوى بعددٍ قليلٍ من الألفاظ المجسّدة لأقصى مراتب التّنافر، وهي في الواقع جملة من الألفاظ القليلة الشاذة المهجورة.

وفي هذا السيّاق وضع إبراهيم أنيس معايير تفصيلية تتعلّق بنطق الألفاظ الطويلة، وهي معايير تتفاعل - دون شكّ - مع ضوابط التّلاؤم والتّنافر، وقد بيّن أن:

- جميع الكلمات الكثيرة الحروف يمكن أن تُعدّ بوجهٍ عامٍّ من الكلمات الصّعبة، وذلك لما يتطلّبها نطقها من جهد.

- تتضاعف هذه الصّعوبة إذا تضمّنت هذه الكلمات حرفاً أو حرفين من تلك التي تتطلّب جهداً أكثر من غيرها كالكاف وأحرف الإطباق وبعض حروف الحلق والرّاء.

- تعد الكلمات الطويلة صعبةً إذا تضمّنت أحرفاً رخوةً متعدّدة وإن لم تكن هذه الأحرف متجاورة، وذلك لأنّ الأحرف الرّخوة أصعب في نطقها من نظائرها الانفجارية أو الشديدة.

¹ - موسيقى الشعر، ص 29.

- أحرف أقصى الحنك أشقّ من نظائرها التي مخرجها طرف اللسان، كالكاف إذا قورنت بالتاء، وهكذا فإن الكلمات الطويلة التي تتضمن كافين غير متجاورين أشقّ من تلك التي تتضمن تاعين.

- إذا اشتملت الكلمات الطويلة على عدد من الحروف المهموسة عُدت من الكلمات المجهدّة الثقيلة إلى حدّ ما، وذلك لأن الحروف المهموسة تحتاج في نطقها إلى قدر أكبر من هواء الرئتين.

وقد توصّل إبراهيم أنيس إلى حقيقة أن أكثر كلمات اللّغة سهولةً في نطقها هي تلك المؤلّفة من الحروف التالية: اللام، الميم، النون، الدال، التاء والباء وأحرف المدّ.

- ألفاظ التعقيبات القرآنية في موازين الفصاحة:

عرفنا من قبل أن العناية بمقاطع الكلام من أظهر سنن العرب في كلامها، وهو ما يبرّر العناية بالأسجاع والقوافي، وذلك ما يجري عليه أسلوب القرآن الكريم في تعقيباته وفواصله، رغم أن سائر القرآن يجري على نمط من البلاغة العالية يكون فيها كلّ موضع منه موضع عناية ورعاية، وإنما اختص الله تعالى مقاطع آياته بشيء لم يختص به سائر المواضع حتى يجري مجرى العادة في كلام العرب فيكون أقرب إلى القلوب وأعلق بالأذهان.

وقد اجتهدنا ضمن هذا المبحث في الكشف عن سرّ ذلك الصّفاء الذي يميّز الكلمة في تعقيبات القرآن، وعن سرّ سهولتها في النّطق، وحلاوتها في السّمع، وقد وجدنا أن هذا الموضع الشريف أنفى لكلّ ما يعيب فصاحة الألفاظ وأبعد عن كلّ ما يكدر صفوها. ولعلّ الملاحظة الوحيدة التي ينبغي تسجيلها في هذا السياق في كتاب الله تعالى كلّها تتعلّق ببعض تعقيبات سورة القمر، في قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِ﴾ (القمر، 16، 18، 21، 30)، أو في قوله: ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرِ﴾ (القمر، 37، 39).

فقد اشترط بعض أرباب هذا العلم كابن الأثير والعلوي في فصاحة الألفاظ وسهولتها في النّطق وحُسْنُها في السّمع أن تتوالى الحركات على نحو معيّن، " فإذا حصل سكون الوسط كان أعدل ما

يكون وأرق، وإن تَوَالِ ثلاث فتحاتٍ فهو أخفّ من حصول الضمّ في وسطه، فلهذا فإن فَرَساً، أخفّ من عَضُد " ¹. ولعلّ العلوي في ذلك يوجز ما ذكره ابن الأثير مفصّلاً في قوله: " ومن أوصاف الكلمة أن تكون مبنية من حركات خفيفة، ليخفّ النطق بها، وهذا الوصف يترتّب على ما قبله من تأليف الكلمة، ولهذا إذا توالى حركتان خفيفتان في كلمة واحدة لم تُسْتَقَل، وبخلاف ذلك الحركات الثّقيلة، فإنه إذا توالى منها حركتان في كلمة واحدة اسْتُقِلّت. ومن أجل ذلك اسْتُقِلّت الضّمة على الواو، والكسرة على الياء، لأن الضّمة من جنس الواو، والكسرة من جنس الياء، فتكون عند ذلك كأنها حركتان ثقيلتان " ².

ثم يقدّم ابن الأثير مثالا للقارئ كي يهتدي به في هذا الموضع، يقول: " إذا أتينا بلفظة مؤلّفة من ثلاثة أحرف، وهي (ج، ز، ع)، فإذا جعلنا الجيم مفتوحة قلنا: "الجَزَع"، أو مكسورة قلنا: "الجَزَع"، كان ذلك أحسن من أن لو جعلنا الجيم مضمومةً فقلنا: "الجُزَع"، وكذلك إذا والينا حركة الفتح قلنا: "الجَزَع" كان ذلك أحسن من موالة حركة الضم عند قولنا: الجُزَع، ومن المعلوم أن هذه اللفظة لم يكن اختلاف حركاتها مغيّراً لمخارج حروفها، حتى يُنسب ذلك إلى اختلاف تأليف المخارج، بل وجدناها تارةً تُكسى حسناً، وتارةً يُسلب ذلك الحسن عنها، فعلمنا أن ذلك حادثٌ عن اختلاف تأليف حركاتها " ³.

وقد ورد هذا الضرب من التّوالي لحركة الضّم الثّقيلة، وفي غير أسلوب التعقيب أيضاً، في مواضع

كثيرة من هذه السّورة الكريمة وذلك ما يوضّحه الجدول التالي:

﴿ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ﴾ (القمر، 5)
﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكْرٍ ﴾ (القمر، 6)
﴿ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴾ (القمر، 13)

¹ - الطراز في علوم البلاغة والإعجاز، ج 1، ص 60.

² - المثل السائر، ج 1، ص 206، 207.

³ - نفسه، ص 206، 207.

﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴾ (القمر، 16)
﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴾ (القمر، 18)
﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴾ (القمر، 21)
﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴾ (القمر، 23)
﴿ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ وَسُعْرٍ ﴾ (القمر، 24)
﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴾ (القمر، 30)
﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ﴾ (القمر، 33)
﴿ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ﴾ (القمر، 36)
﴿ وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴾ (القمر، 37)
﴿ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴾ (القمر، 39)
﴿ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ﴾ (القمر، 41)
﴿ أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَئِكَ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴾ (القمر، 43)
﴿ سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ ﴾ (القمر، 45)
﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ ﴾ (القمر، 47)
﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴾ (القمر، 52)

ولعلَّ قارئ القرآن يدرك أنَّ ضوابط ابن الأثير والعلوي تعجز عن تفسير هذا الوضع الاستثنائي لمثل

هذه النصوص التي تَرِدُ في كتاب الله تعالى في غاية التلاؤم والانسجام والسهولة والحسن، وهو ما

لاحظه ابن الأثير نفسه، وجعله يُعلي مكانة الدُّوق كضابطٍ لمثل هذه الظواهر القرآنية.

وقد اجتهد بعض الباحثين في العصر الحديث في تعليل ذلك، كما فعل أسامة عبد العزيز جاب الله الذي رفض إسناد هذه المسألة لقانون الإتياع، أي إتياع الضم بالضم، والكسرة بالكسرة، والفتحة بالفتحة، وهو ما يسميه ابن جني بهجوم الحركات على الحركات، لأن هذه الكلمات التي وردت على صيغة الجمع لم تتفق مع مفرداتها في الابتداء بنفس حركته مثلما نجد في كلمة (خُطُوات) التي اتبع فيها وزن الجمع الابتداء بحركة مفرداتها (خُطوة). وقد نسب جمالية هذه الألفاظ الاستثنائية في بعض المواضع إلى الإدغام الذي يسبقها ليكسبها ضرباً من الموسيقى، كما في قوله تعالى: ﴿فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ (القمر، 47). ولعلَّ حيرته في تفسير هذا الاستثناء هو الأمر الذي جعله ينسب الأمر إجمالاً إلى الذوق، يقول: "ونخلص مما سبق أن ما عدّه الذوق السليم ثقیلاً متعسراً في الأداء فهو كذلك، والعكس صحيح" ¹.

ولعلنا نضيف في هذا السياق بعض الملاحظات المتعلقة بالتوظيف القرآني لأساليب خاصة تقوم بدورٍ أساسي في قلب موازين الخفة والنقل، وجعل ما يصعب نطقه عادةً خفيفاً على اللسان، لذيذاً في الأسماع، وهو ما قد يساهم بقدرٍ ما في تفسير هذا الوضع المتفرد:

- ما يتعلّق بقيمة الإيقاع الذي يضيفه الوقف على حذف الياء ونطق الراء ساكنة في تعقيبات السورة، ممّا يجعل الجهد المبذول في نطق الكلمة المبنية على حركة الضم الثقيلة أقلّ بكثير مما كان يُفترض أن يكون عليه، ولنا أن نجرب قراءتها " ونُذري " لنذكر الفرق.

- ما يتعلّق بدور الصيغة الصرفية في أكثر أحوالها إيجازاً واقتصاداً في تخفيف ثقل حركات الضم المتوالية، ولو أن هذا التوالي ترافق مع صيغة صرفية أطول بحرف أو حرفين فقط لاختلف الأمر،

¹ - للاستزادة ينظر: جماليات التلاؤم والتنافر بين البلاغيين واللغويين: أسامة عبد العزيز جاب الله، مقال منشور على موقع ديوان العرب، على الرابط:

ولكان الأمر في غاية الثقل والإجهاد، ولعلّ ذلك ما أدركه أبو تمام ووظّفه في بعض شعره فكان آيةً في الجمال أيضاً، يقول:

نَفْسٌ يَحْنُتُهُ نَفْسٌ ودموع ليس تحتبس
ومغانٍ للكرى دُثْرٌ عَطْلٌ من عهده دُرُسٌ
شَهَرَتْ ما كنت أكتمه ناطقاتٌ بالهوى خُرُسٌ

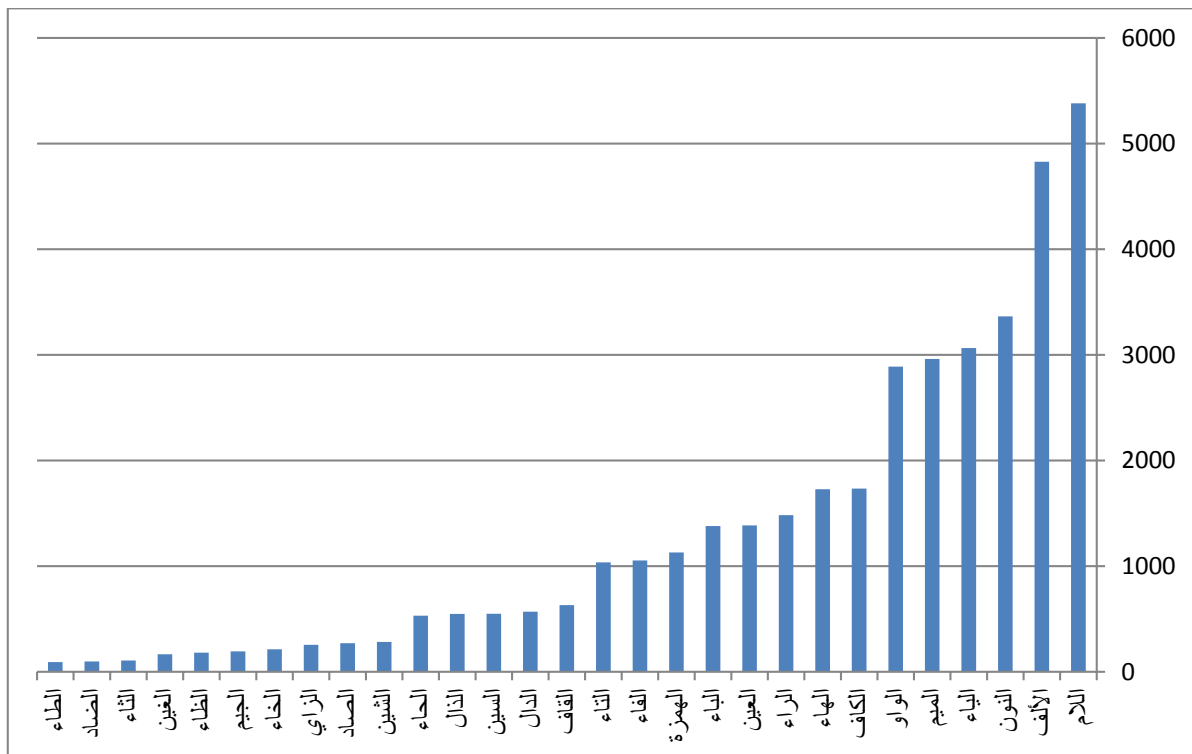
- ما يتعلّق بقيمة الاختزان الدلالي التي تُطَبِّقُه مثل هذه الألفاظ القرآنية القصيرة، فهي رغم قصرها تجمع في دلالتها إلى جانب دلالتها الأساسية دلالة الجمع التي جاءت وفق صيغةٍ هي أقصر من صيغة المفرد، فضلاً عن الاستغناء بها عن الملحقات الإضافية التي يقتضيها الجمع في لغة العرب كالواو والنون أو الياء والنون، ولعلّ ذلك كان أكثر اقتصاداً وملاءمةً للمتكلّم والسامع على السواء. كما يمكن أن نسجّل أن هذه الألفاظ تختزن في دلالتها جانباً مهماً من دلالة القصة القرآنية، فلفظ نُذِر في السّورة الكريمة يختصر حديثاً مطوّلاً في السّورة عن عددٍ من أنبياء الله تعالى ومعاناتهم مع أقوامهم، كما يختزل لفظ زُبُر أخبار كل الرّسالات السابقة.

كما نسجّل ملاحظةً أخرى ضمن هذا المبحث تتعلّق بطبيعة الحروف التي وظّفها الأسلوب القرآني في بناء الألفاظ في موضع التعقيب، فقد عرفنا أن خلاصة ما انتهى إليه العلماء في اتجاه البحث عن تفسير لمفاهيم الفصاحة والسهولة والحسن في القديم والحديث يصبّ في حقيقة أن أكثر كلمات اللّغة سهولةً في نطقها هي تلك المؤلّفة من حروف المدّ واللام والميم والنون والdal والتاء والباء. ولعلّ من عجائب كلام الله تعالى - وهو الذي لا تتقضي عجائبه - أن هذه الحروف في الواقع هي أكثر الحروف التي وظّفها الأسلوب القرآني في نظم ألفاظ تعقيباته، وهو ما تكشف عنه نتائج الإحصاء المدوّنة في الجدول التالي:

النسبة المئوية	تكراره	حرف الهجاء
%14.13	5382	اللام
%12.67	4829	الألف
%8.83	3364	النون
%8.04	3064	الياء
%7.77	2962	الميم
%7.58	2888	الواو
%4.55	1734	الكاف
%4.54	1728	الهاء
%3.89	1482	الراء
%3.64	1386	العين
%3.62	1379	الباء
%2.96	1129	الهمزة
%2.77	1054	الفاء
%2.72	1035	التاء
%1.66	631	القاف
%1.49	569	الدال
%1.44	549	السين
%1.44	548	الذال
%1.39	531	الحاء

0.74%	283	الشين
0.71%	270	الصاد
0.67%	255	الزاي
0.56%	213	الخاء
0.51%	193	الجيم
0.48%	181	الظاء
0.44%	166	الغين
0.28%	106	الثاء
0.26%	98	الضاد
0.24%	91	الطاء

وهي النتائج نفسها ممثلة في الرسم البياني التوضيحي التالي:



ويمكننا بناءً على نتائج الرسم البياني تصنيف حروف اللغة من حيث استعمالها في موضع التعقيب إلى أربع مجموعات على النحو التالي:

اللام، الألف النون، الياء، الميم، الواو	مجموعة الحروف ذات الحضور العالي
الكاف، الهاء، الراء، العين، الباء، الهمزة، الفاء، التاء	مجموعة الحروف ذات الحضور المتوسط
القاف، الدال، السين، الدال، الحاء	مجموعة الحروف ذات الحضور الضعيف
السين، الصاد، الزاي، الخاء، الجيم، الظاء، الغين، الناء، الضاد، الطاء	مجموعة الحروف النادرة

وهكذا فإنه من الواضح من خلال التصنيف أن أبعد الحروف عن الاستعمال في التعقيبات القرآنية هي تلك التي يُقرّر علماء الأصوات أنها تحتاج إلى قدر كبير من الجهد عند نطقها كالجيم والطاء والضاد والشاء، وهي أكثر الحروف التي تعرّضت في اللهجات العربية الحديثة إلى قدر كبير من التغيير في خصائصها.

2 - دقة الألفاظ في التعقيبات القرآنية:

يحرص الأسلوب القرآني على تحرّي الدقة في اختيار ألفاظه ووضعها في مكانها الصحيح من الآية الكريمة، ولعلّ في توظيف هذه الدقة المتناهية ما يُثبت وجهاً بديعاً من وجوه إعجازه، " وذلك في الألفاظ التي نمّر بها على القرون والأجيال منذ نزل القرآن إلى اليوم، فإذا بعض الأجيال يفهم منها ما يناسب تفكيره، ويلائم ذوقه، ويوائم معارفه، وإذا أجيال أخرى تفهم من هذه الألفاظ عينها غير ما

فهتمته تلك الأجيال، ولو استبدلت هذه الألفاظ بغيرها لم يصلح القرآن لخطاب الناس كافة، وكان ذلك قدحاً في أنه كتاب الدين العام الخالد ودستور البشرية في كل عصر ومصر " ¹.

ورغم عظمة هذا الباب إلا أن ما نريده في هذا المقام من دقة الألفاظ في كتاب الله تعالى هو إحكام دلالتها غاية الإحكام، حتى كأن الكلمة لم تُخلق إلا لهذا الموضع البديع من كتاب الله تعالى، وصارت بهذا التوظيف الإلهي المعجز بمنزلة الفريدة من حبّ العقد لا يقع مثلها لمخلوق، ولو أنها سقطت لعزّ على الفصحاء سقوطها، ولو أن البليغ رفعها وأدار لسان العرب كله على أن يأتي بأخرى تسدّ مسدّها لأعجزه ذلك.

وفرائد القرآن على هذا النحو أكثر من أن تُحصى ²، ويمكننا أن نتفكر في قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ (غافر، 19)، ثم نتساءل: هل في كلام العرب كلمة هي أليق بهذا الموضع وأدقّ تعبيراً عنه من لفظ " خائنة "؟! رغم أنها ليست كلمة مستحدثة، وهي كثيرة الجريان على ألسن الناس " لكن على انفرادها، فلما أضيفت إلى " الأعين " حصل لها من غرابة التركيب ما جعل لها في النفوس هذا الموقع العظيم، بحيث لا يُستطاع الإتيان بمثلها، ولا يكاد يقع في شيء من فصيح الكلام شبهها " ³. ولنا أن نعجب من قوله تعالى وصفاً لحال إخوة يوسف يتخبّطون في حيرتهم بعد أن ضاقت بهم السبل في أرض مصر: ﴿فَلَمَّا اسْتِئْذِنُوا مِنْهُ خَالَصُوا نَجِيًّا﴾ (يوسف، 80) فإن

¹ - مناهل العرفان في علوم القرآن ج 2، ص 308.

² - تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن: عبد العظيم بن الواحد بن أبي الإصبع، تح: الدكتور حفني محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ص 577.

³ - تحرير التعبير، ص 577.

" ألفاظ هذه الجملة كلّها فرائد معدومة النظائر " ¹، وقد رُوي أن رجلاً سمع هذا الأسلوب الإلهي المعجز فقال: " أشهد أن مخلوقاً لا يقدر على مثل هذا الكلام " ².

وقد حرص الأسلوب القرآني على الأمر بتحرّي الدقة في توظيف الألفاظ في كلام الناس حتّى لا تضلّ المعاني بين الاحتمالات وتتوه الأغراض والمقاصد في ضلال الشكّ والتمويه ³، فقال ﷺ: ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ (الحجرات، 14)، كما دعا إلى ذلك أيضاً حين نهى المؤمنين عن استعمال لفظ " راعنا " فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (البقرة، 104)، وهي كلمة مشتقة من الرعونة في رأي بعض المفسرين ⁴، أو هي كلمة سريانية أو عبرانية كان اليهود يردّدونها في سبّ رسول الله ﷺ ليّاً بالسنتهم وطعناً في الدين، وقد كان المسلمون يقولون للنبي إذا ألقى عليهم شيئاً من العلم: " راعنا يا رسول الله "، أي راقبنا وانتظرنا، وتأنّ بنا حتى نفهمه ونحفظه، ثم سمع اليهود ذلك فافترصوه وخاطبوا به الرسول ﷺ وهم يعنون به تلك المسبة العبرانية، فنهي المؤمنون عنها، وأمروا بما هو في معناها، وهو انظُرْنَا من نَظَرَه إذا انتظره ⁵.

ولعلّ المتأمل في دقة الألفاظ القرآنية يدرك يقيناً أنّه لا ترادف في القرآن، وأن كلّ كلمة فيه تحمل معنىً مختلفاً عن المعنى الذي يؤدّيه غيرها، وقد نبّه إلى ذلك الجاحظ، فقال: " ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الجوع إلا في موضع العقاب، أو في موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر. والناس لا يذكرون السَّعْب، ويذكرون الجوع في حال القدرة والسلامة. وكذلك ذكّر المطر، لأنك لا تجد القرآن يلفظ به إلا في موضع الانتقام، والعامّة وأكثر الخاصّة لا يفصلون بين ذكر المطر وبين ذكر

1 - تحرير التحرير، ص 577.

2 - نهاية الأرب في فنون الأدب، ج 7، ص 6.

3 - ينظر: صفاء الكلمة، ص 8.

4 - للاستزادة ينظر: تفسير الكشاف، ج 1، ص 174.

5 - للاستزادة ينظر: نفسه، ص 174.

الغيث " ¹. كما نبّه أيضاً إلى أن أسلوب القرآن يختار كلماته وفق أوضاع مخصوصة لا مجال للصدفة فيها، فقال: " ولفظ القرآن الذي عليه نزل أنه إذا ذكر الأبصار لم يقل الأسماع، وإذا ذكر سبع سموات لم يقل الأرضين. ألا تراه لا يجمع الأرض أرضين، ولا السمع أسماعاً، والجاري على أفواه العامة غير ذلك، لا يتفقون من الألفاظ ما هو أحق بالذكر وأولى بالاستعمال " ². وهكذا فإن الكلمة في القرآن قد ترد في مواضع كثيرة جداً يصعب عدّها كلفظ " الأرض " - كما أشار إلى ذلك الجاحظ -، وهي لا ترد في كلّ ذلك إلا مفردة، رغم الحاجة إلى جمعها في بعض المواضع كهذا الموضع من سورة الطلاق، يقول ﷻ: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ (الطلاق، 12). وفي مقابل ذلك فإن كلمات أخرى لا ترد في كتاب الله تعالى إلا مجموعة كأكواب وألباب، وكلّ ذلك لغايات عظيمة وأسرار مكنونة يقتضيها الإحكام من وجوه كثيرة، " فإذا اختار اللفظ معرفة كان ذلك لسبب، وإذا انتقاه نكرة كان ذلك لغرض، وكذلك إذا كان اللفظ مفرداً كان ذلك لمقتضى يطلبه، وإذا كان مجموعاً كان لحال يناسبه، وقد يختار الكلمة ويُهمل مرادفها الذي يشترك معها في الدلالة، وقد يُفضّل كلمة على أخرى والكلمتان بمعنى واحد، وربما ينحط في التعبير المحسن اللفظي والجمال البديعي - على قدره وحسنه - لغرض أسمى وهو المحسن المعنوي، وكلّ ذلك لغرض يرمي إليه، وهكذا دائماً: لكل مقام مقال في التعبير القرآني " ³.

ولعلّ هذه الدقة العجيبة أظهر في موضع التعقيب، " ومن يتتبع ما قيل فيه بالتّرادف في بعض فواصل القرآن الكريم فإنه إذا دقّق النظر، وأجال الفكر مستهدياً بما أرساه أئمة اللغة وكبار المفسرين فلن يعدم فروقاً دقيقة بين هذه المترادفات، كالفرق في الفواصل بين أولي الألباب وأولي النهى، أو

¹ - البيان والتبيين، ج 1، ص 41.

² - نفسه، ص 41.

³ - صفاء الكلمة، ص 15، 16.

الفرق في التعبير عن جهتم بألفاظ متعددة في الفاصلة، مثل: لظى، الحطمة، سقر، هاوية، أو عن يوم القيامة بيوم الخروج... وما إلى ذلك " ¹.

وقد عني بعض العلماء بدقة الألفاظ القرآنية واجتهدوا في الكشف عن أسرارها في سياق حديثهم عن إحكام النصّ القرآني بشكلٍ عام، وقد كان ذلك نتاج بعض الردود على شبهاتٍ ومطاعنٍ أثارها بعض أهل الفتنة والإلحاد حول التكرار في كتاب الله العزيز، ثم تمخّض عنها علم خاصّ عرف بعلم المتشابه اللفظي في القرآن الكريم ². ولعلّ من أجلّ هذه الأعمال ما قدّمه الخطيب الإسكافي في " درة التنزيل وغرة التأويل "، وبرهان الدين الكرمانى في " أسرار التكرار في القرآن "، وابن الزبير الغرناطي في " ملاك التأويل ". كما اهتم بعض العلماء بهذا الباب أيضاً في موضع التعقيب في سياق العناية بدقة الفاصلة وتمكينها وانتلافها مع ما يدلّ عليه الكلام، كما فعل الزركشي في برهانه ³ والسيوطي في الإتيان ⁴.

وقد اجتهدنا ضمن هذا المبحث في الكشف عن بعض مظاهر الدقة في كلمات القرآن في موضع التعقيب من خلال بعض النماذج، وذلك لاستحالة تتبع هذا الأمر الجليل في القرآن كلّ، وقد قمنا بترتيب ذلك كلّ وفق أحوال الكلمة:

¹ - دراسة بلاغية في السجع والفاصلة القرآنية، ص 243.

² - هو علم نتعرف به على أسلوب القرآن الكريم في تكرير بعض الآيات بالكلمات المتفقة أو المختلفة، وحروفها المتشابهة، بأن تذكر الآية الواحدة ذات الموضوع الواحد في أكثر من موقع، مع اختلاف في جوانب التناول بين موقع وآخر، تقديمًا وتأخيرًا، أو تعريفاً وتذكيراً، أو جمعاً وإفراداً، أو إبدال كلمة بأخرى، أو حرف بآخر، إلى غير ذلك من أنواع التشابه "، للاستزادة ينظر:

- درة التنزيل وغرة التأويل: الخطيب الإسكافي أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني، تح: محمد مصطفى آيدين، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط 1، 2001م، مقدمة المحقق، ص 11.

³ - للاستزادة ينظر: البرهان في علوم القرآن، ج 1، ص 78 وما بعدها.

⁴ - للاستزادة ينظر: الإتيان في علوم القرآن، ج 3، ص 345 وما بعدها.

أ- دقة الكلمة إفراداً وجمعاً:

عرفنا من قبل أن أسلوب القرآن يوظف كلماته وفق أوضاعٍ مخصوصة يقتضيها الإحكام، ولأجل ذلك قد يستعمل الكلمة مجموعةً فلا تُفرد أبداً كأكواب وألباب، وفي مقابل ذلك فإن كلماتٍ أخرى لا ترد إلا مفردة كالأرض والسمّ. غير أن ما يميّز سائر الكلمات أنها تُستحسن في جميع أحوالها، مفردة أو مجموعة، مثل: جنة أو سماء أو مؤمن أو كافر أو غير ذلك مما يصعب حصره. ويمكننا أن نتأمل لفظاً كلفظ " آية " فإنها ترد في أسلوب التعقيب مفردةً في بعض المواضع كما في سورة النمل: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (النمل، 52)، وقد ترد جمعاً في مواضع أخرى كما في سورة يونس: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ (يونس، 67)، وذلك في سياق الحثّ على التدبّر والنظر في آيات الله في بعض السور المكية، وهو أمرٌ تكرر في تعقيبات سورة الشعراء في ثمانية مواضع جاءت كلّها بصيغة المفرد. وفي مقابل ذلك جاء الأمر بالتدبر بصيغة الجمع " آيات " في تعقيبات سورة الروم في خمسة مواضع، غير أن ذلك كلّه لم يستدع أسئلة تُذكر بخصوص هذا التوظيف، ولم يلتبس بشيء بالنظر إلى السياق الذي يقتضي صيغة تناسبه.

غير أن الأمر اختلف كثيراً في تعقيبات سورة النحل، لأن الأسلوب القرآني جمع بين الصيغتين في سياقات تبدو متشابهة وهو ما قد يُشكّل في بعض المواضع، يقول تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾ (النحل، 10-13).

ولعلّ أهم سؤال يطرح في هذا السياق يتعلّق بالسّر في جمع لفظ " آية " في الآية الثانية رغم إفراده في الآيتين الأولى والأخيرة.

والجواب عن ذلك أن الإشارة بقوله ﷻ: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ ﴾ في الآية الأولى يُراد بها الماء باعتباره سبباً في كل ما يكون من نبات، ولأجل ذلك قال: ﴿ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ ﴾، أي " أي ينبت لكم بالماء المنزل من السماء - مع وحدته في الصفة - ضروب الأقوات والفواكه وأنواع الثمرات فقيل: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً ﴾ بالإفراد، لأن الإشارة إلى الماء أو إلى إنبات أنواع الثمرات المختلفة في الطعم والألوان مع وحدة المادة من الماء، وهو واحد " ¹. ولا يختلف الأمر في الآية الأخيرة لأن " الإشارة فيها إلى الجنس الواحد الواقع عليه لفظ " ما " من قوله: ﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ﴾، وهو ما يفسر إفراد الضمير أيضاً في " ألوانه "، فاقتضى ذلك إفراد آية ².

وأما الآية المتوسطة فالإشارة فيها إلى خمسة أشياء مختلفة ليست من جنس واحد، وهي الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم، وكل واحد من هذه الآيات تتسع جهات النظر فيه والاعتبار بعجائبه ³، وفي ذلك أيضاً إشارة إلى بعض آيات القرآن التي جاء فيها تفصيل هذه الأمور العظيمة، وقد أشير إليها بلفظ الجمع في كل موضع رغم تفرقها، فكيف بها إذا اجتمعت في موضع واحد، يقول تعالى في آيتي الليل والنهار: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ (يونس، 67)، وقال في آيتي الشمس والقمر: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (يونس، 5)، وقال في النجوم: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (الأنعام، 97).

كما قد يُشكل على القارئ موضع آخر من السورة نفسها، في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴾ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ

¹ - ملاك التأويل، ج 2، ص 294.

² - ينظر: نفسه، ص 294.

³ - ينظر: نفسه، ص 294.

وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿ (النحل، 66 - 67). وهو موضع ذكر فيه القرآن آيتي الأنعام والنخيل، وهما مما لا يمكن إدراجه ضمن جنس واحد، رغم ذلك فقد أورد الأسلوب القرآني لفظ " آية " مفرداً في التعقيب رغم تعدُّ الآيات.

والواقع أن دقة المعنى تقتضي إفراد لفظ آية في هذا الموضع، لأنه لا يتعلّق سوى بآية النّمر وما يُتخذ منه من سَكْرٍ وريزق، وهو نوع واحد، ولذلك أُفرد أيضاً في قوله: ﴿ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ ﴾¹. أما آية الأنعام فقد جاءت الإشارة إلى عظمتها في صدر الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ﴾، وذلك مما يُغني عن تكرار هذا التّعظيم في موضع التعقيب.

ب - دقة الكلمة إظهاراً وإضماراً: من مظاهر الدقة في الكلمة القرآنية إظهارها في الموضع الذي يقتضي الإظهار، أو إضمارها في مواضع الإضمار، غير أن الأسلوب القرآني قد يعدل في بعض المواضع عمّا يقتضيه الظاهر ليخالف هذه القاعدة في الظاهر، وفي ذلك من الحُسن ما لا يخفى بسبب انزياحه عن مألوف الكلام وكسره لأفق انتظار القارئ. كما أن تدبّر الكلام وتقليبه من جوانبه سيثبت يقيناً أن الكلمة لم ترد على هيئتها تلك إلا لتكون في وضعها الأنسب جمالاً ودقّة، ويمكننا أن ننأمل قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ (غافر، 61)، فإنه موضع إضمارٍ كما يقتضي ظاهر الكلام، لأن لفظ الناس ذُكر في موضع قريب جداً، غير أن الأسلوب القرآني ارتضى الإظهار لغايات تقتضيها الدقة والإحكام، منها:

- تعظيم الأمر، وذكر أخصّ الأسماء المقصود بالتقريع والتنفيد².

- مناسبة ما قبلها من الآي، ومشكلة الإظهار الجاري في التعقيبات التي سبقت هذا الموضع، فقد قال عزّ وجل: ﴿ لَخَلَقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (غافر،

¹ - للاستزادة ينظر: ملاك التأويل، ج 2، ص 301.

² - ينظر: درة التنزيل، ج 1، ص 1128.

(57)، وقال بعده: ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (غافر، 59)، ثم جاء: ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ (غافر، 61)، فأظهر ذكر الناس كما أظهر في الآيتين قبلها للمشاكلة والملائمة¹.

- مناسبة الغاية التي جاء من أجلها الكلام، وهو " تحريك الخلق للاعتبار والتذكير بما نصب سبحانه من الدلائل والآيات، فاقترض ذلك تكرار الظاهر كما في آية التذكير والتنبيه، ثم جئ بعد هذا بقوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ ﴾ فنوسب بين هذا وبين ما تقدم، لتجئ هذه الآي على منهاج واحد من التذكير فاقترضت الثانية تكرير الظاهر " ².

- واقع أن الإظهار أنسب لموضع التعقيب لأنه يقوي استقلال جملة التعقيب، فتجري في قوتها واستقلالها مجرى المثل لتكون أسهل على اللسان وألصق، وبالنفس أوكد وأعلق.

وفي مقابل ذلك نجد قوله تعالى: ﴿ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ (يونس، 60)، وهو موضع يجوز فيه الإظهار كما ذكرنا للاعتبارات السابقة، إلا أن الأسلوب القرآني اختار الإضمار لقرب الذكر، وهو ما يناسب أيضاً ما تقدم هذا الموضع من آيات، " ألا ترى أنه قال تعالى مخبراً عمّن يدخل من الظالمين النار: ﴿ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ (يونس، 52)، فانقضى هذا الكلام، واستؤنف خبر عن القوم الذين بعث الله رسوله ﷺ إليهم، فقال: ﴿ وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلُّ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ (يونس، 53)، فأضمر ذكره في قوله: ﴿ وَيَسْتَنْبِئُونَكَ ﴾، ثم قال بعده: ﴿ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (يونس، 55)، فأضمر ما أضاف إليه أكثر، ثم انتهى إلى قوله تعالى بعده: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ (يونس، 60)،

¹ - ينظر: درة التنزيل، ج 1، ص 1129.

² - ملاك التأويل، ج 1، ص 246.

فاقتضى ما بُني عليه الكلام في هذه الآيات أن يكون ما بعد الشرط بلفظ الإضمار كما كان ما تقدمه " ¹.

ج - دقة الكلمة تعريفاً وتنكيراً: من مظاهر الدقة في الكلمة القرآنية تعريفها أو تنكيرها في الموضع الأليق بها تعريفاً أو تنكيراً، ولذلك أورد القرآن لفظ " حياة " على هيئة التنكير في قوله ﷻ: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ (البقرة، 179) لما في ذلك من تعظيم لشريعة القصاص، لأن المرء " إذا علم أنه إذا قُتِلَ، فإنه لا محالة يرتدع عن القتل، فيسَلِّم هو وصاحبه، فتصير حياة كل واحدٍ منهما في المستقبل مستفادةً من جهة القصاص، مضمومةً إلى الحياة الأصلية، ولا يحصل هذا إلا مع التنكير، لأنه يفيد التجدد، والتعريف لا يعطيه، وهكذا قوله تعالى: ﴿ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ﴾ (النحل، 69)، وقوله تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ ﴾ (الإسراء، 82) إلى غير ذلك من الآيات التي يكون فيها التنكير أبلغ من التعريف في تقرير المقاصد المعنوية " ².

وعلى النقيض من ذلك، قد ترد الكلمة على هيئة التنكير لغاية التحقير حين يُراد وصف بعض المعاني الموعلة في الضعة فيصبح تنكيرها أجلى من التعريف، من ذلك قوله ﷻ: ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ ﴾ (البقرة، 96)، وفي ذلك ما يوحى " بحرص هؤلاء اليهود على أن يضيفوا إلى حياتهم - ولو عاشوا ما عاشوا - حياة زائدة، ولو كان الزائد أقل ما يصدق عليه اسم الحياة " ³.

وهكذا يكون في التنكير من البلاغة ما لا يخفى في بعض مواضعه، إذ يصبح للإبهام القدرة على تعظيم المعاني وتحقيرها إلى درجة " يقصر عن إفادتها العلم، ولا يبلغ كُنْهَهَا رسمُ القلم " ⁴. ولذلك قال بعض البلاغيين " اعلم أن المعنى المقصود إذا ورد في الكلام مبهماً فإنه يفيد بلاغةً، ويكسبه إعجاباً

¹ - ينظر: درة التنزيل، ج 1، ص 1130.

² - الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ج 2، ص 8.

³ - صفاء الكلمة، ص 18.

⁴ - الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ج 2، ص 9.

وفخامةً، وذلك لأنه إذا قرع السمع على جهة الإبهام، فإن السامع له يذهب في إبهامه كل مذهب " ¹، ومن ذلك ما يجده السامع في قول القائل: " لو رأيت علياً بين الصّفين "، " فإنه لو وصفه مهما وصف من نجدة وشجاعة وثبات وإقدام وأطال القول في ذلك لم يكن بمثابة ما يترامى إليه الوهم مع الإبهام، وهذا للعارف برموز هذه الصناعة وأسرارها " ².

ولعلّ أظهر النماذج المتعلقة بتعريف الكلمة وتنكيرها في موضع التّعقيب ما جاء في تعقيب قوله تعالى: ﴿ فَانْقَلِبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّ لَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ (آل عمران، 174)، وهو موضع أليق بالتذكير، إذ ترتبط فيه كلمة فضل بحقائق لا يحتويها عقل، ولا تخطر على قلب بشر، لأنها وردت في سياق الحديث عن الجهاد وفضل الشهادة وما اختص به الله تعالى منازل الشهداء من الرضا والقبول، ولعلّ مما يؤكد هذا التعظيم ما ورد في سياق هذا التّعقيب من تكرار لكلمة فضل: ﴿ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ (آل عمران، 170)، ﴿ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ (آل عمران، 170)، ﴿ فَانْقَلِبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ ﴾ (آل عمران، 174). وقد ورد هذا التّعقيب في موضع سابق من السورة نفسها في قوله تعالى: ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (آل عمران، 74). كما ورد في مواضع أخرى من كتاب الله تعالى، وقد التزم الأسلوب القرآني في جميعها تعريف كلمة فضل. ولعلّ المتأمل في السياقات التي وردت فيها أكثر الآيات السابقة يدرك أن المراد بكلمة فضل هو اختصاصه ﷺ بالنبوة من دون أهل الكتاب الذين زعموا أنهم أبناء الله وأحباؤه وأنهم أحق الخلق بالنبوة والفضل، ولذلك فإن الفضل المشار إليه في هذه المواضع هو فضل مخصوص فجاءت الكلمة على هيئة التعريف لأنها لواحد بعينه، يثبت الذهن عنده، ويسكن إليه.

¹ - الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، ص 44.

² - المثل السائر، ج 2، ص 163.

وقد يُراد بذلك معنى الفضل على حقيقته في بعض المواضع، ولكنّه فضل مشروط، ولذلك لم تقم الحاجة في هذا السياق لتعظيم المعنى مما يستوجب التّكثير، وذلك في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (الأنفال، 29)، وهو فضل مشروط بالتقوى ورد في سياق التّحذير وليس في سياق الوعد الذي يقتضي التعظيم.

كما قد يُراد به معنى الفضل على حقيقته أيضاً، وهو مما لا يدركه الخيال دون شك، ولكن الأسلوب القرآني يختار طرائق أخرى لإيهام المعنى قصد تعظيمه، وذلك في قوله تعالى: ﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (الحديد، 21). وقد ورد هذا النصّ في سياق الوعد، ولذلك ورد الفضل قبل التعقيب نكرةً مشاراً إليه بـ " ذلك "، لأن فيه من الدلالة على البعد مجازاً، ومن العلو في الشرف والفخامة والعظمة ما لا يخفى¹، ولعلّ في ذلك ما أغنى عن التّكثير.

د - دقة الكلمة إثباتاً ونفيّاً: من مظاهر الدقة في الكلمة القرآنية إثباتها في مواضع الإثبات، ونفيها في المواضع التي تقتضي النفي، وهو مما يحرص عليه أسلوب التعقيب غاية الحرص. ويمكننا أن ننبين ذلك بوضوح بالتأمل في تعقيب قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لَيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾ (الأنعام، 111)، وذلك باعتباره الموضع الوحيد الذي ورد فيه هذا المعنى من خلال إثبات الجهل في حق هؤلاء، رغم أن الأسلوب المطّرد في موضع التعقيب يُنتج في العادة معنىً مشابهاً من خلال نفي العلم عن جمع الغائبين (هم)، أو عن الناس (ولكن أكثر الناس)، من ذلك ما ورد في قوله ﷻ: ﴿ فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

¹ - ينظر: التحرير والتتوير، ج 25، ص 80، أو: ج 27، ص 381، أو: ج 25، ص 320.

(الزمر، 49)، ومنه أيضاً قوله: ﴿قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الجاثية، 26).

وهو موضع فريد لا تتضح فيه الحكمة من هذا التوظيف إلا بتبيين الفرق الدقيق بين إثبات الجهل ونفي العلم، وذلك مما يقتضي العودة إلى كل السياقات التي تواتر فيها النفي، وهو ما يكشف أن المراد بالعلم في كل ذلك لا يخرج عن أمور، منها:

- علم يُراد به ما يتعلق بحقائق الساعة والبعث والحساب: من ذلك قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجْلِيهَا لَوْفَتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف، 187)، ومنه أيضاً: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (يونس، 55).

- علم يراد به ما يتعلق بالحقائق المرتبطة بذات الله تعالى من علم وتدبير وحكمة وقدره وابتلاء وغير ذلك: من ذلك ما جاء في تعقيب قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الأنعام، 37). ومنه أيضاً: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (غافر، 57).

- علم يرتبط بحقيقة الدين وهو ما لا يدركه الكافرون بسبب إعراضهم: من ذلك ما جاء في تعقيب قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم، 30)، ومنه أيضاً: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف، 40).

- علم يراد بنفيه عدم قدرة الكافرين على إدراك واقعهم ككفار: من ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَمَا لَهُمْ إِلَّا أَنْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أُولِيَاؤُهُ إِلَّا الْاُمْتَقُونَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الأنفال، 34)، ومنه أيضاً: ﴿ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَاباً دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الطور، 47).

أما المراد بإثبات الجهل في قوله ﷺ: ﴿ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾ فإنه بعيد عن ذلك كله لأنه يختلف عن نفي العلم، ولذلك تقرّد الأسلوب القرآني في هذا الموضع باللجوء إلى إثبات الجهل، باعتبار أن هؤلاء الذين ورد في حقهم هذا الكلام بصيغة الإضممار تحقيراً لشأنهم " لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية، فليس هناك حاجة إلى دليل فوق ما تقدم من أدلة، فإنه لا ينقصهم الدليل، ولكن ينقصهم القلب المؤمن الذي يُدْعَن، وقد كتب الله تعالى عليهم الجحود، لأنهم لا يؤمنون، ولو أننا أجبناهم إلى كل ما طلبوا إلى أقصى مداه، ما أجابوا إلى الإيمان إلا أن يشاء الله " ¹.

وقد ذكر ابن عباس أن هؤلاء هم المستهزون الخمسة: الوليد بن المغيرة المخزومي، والعاصي بن وائل السهمي، والأسود بن عبد يغوث الزهري، والأسود بن المطلب، والحارث بن حنظلة، كانوا أجهل القوم بهذه الهداية وأشدّهم جهلاً على الرسول ﷺ ²، ولذلك ورد في حقهم هذا الوصف بصيغة المضارع (بجهلون) مما يفيد " استمرار جهلهم، وتجددّه آناً بعد آن " ³ بعد أن فقدوا الاستعداد للإيمان والنظر الصحيح في الآيات والدلائل الموصلة إليه وأوغلوا في إيذاء النبي ﷺ. وهكذا فإن المراد بجهل هؤلاء يخالف نفي العلم الذي أورده الأسلوب القرآني في غير هذا الموضع، بل إنّ المراد به علم المخالف ⁴، كما يجوز أن يُراد به ضدّ الحلم ¹، كما في قول عمرو بن كلثوم في معلقته:

¹ - زهرة التفاسير: أبو زهرة محمد بن أحمد بن مصطفى، دار الفكر العربي، د ت، ج 5، ص 2631.

² - ينظر: تفسير المنار، ج 8، ص 5.

³ - زهرة التفاسير، ج 5، ص 2633.

⁴ - ينظر: تفسير الشعراوي، ج 7، ص 3974.

ألا لا يجهلن أحدٌ علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

ولعلّ مما يؤيّد تأويل الجهل بعلم المخالف وهو علم هؤلاء المستهزئين ممن اختاروا الوقوف في وجه الحقّ ما نستقرئه من توظيفٍ لكلمة " يجهلون " في النصّ القرآني، إذ يرتبط هذا التعبير عادةً بأفهام ممن حقّت عليهم الضلالة، كشأن كثير من بني إسرائيل ممن أوغلوا في إيذاء نبي الله موسى ﷺ حتى قال في حقّهم: ﴿ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ (الأعراف، 138)، وكقوم نوح: ﴿ وَلَكِنِّي أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴾ (هود، 29)، وقوم لوط: ﴿ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ (النمل، 55)، وقوم هود: ﴿ وَلَكِنِّي أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴾ (الأحقاف، 23).

هـ - دقة الكلمة بين الاسمية والفعلية: من مظاهر دقة الكلمة في الأسلوب القرآني توظيف الاسم في مواضع الاسمية، وهي تلك التي يُراد فيها إثبات المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجددّه شيئاً بعد شيء، وعلى خلاف ذلك فإن مواضع الفعل هي المواضع التي تقتضي التجدّد في المعنى². ولذلك فإنك إذا قلت: "زيد منطلق"، فقد أثبت الانطلاق فعلاً له، من غير أن تجعله يتجدد ويحدث منه شيئاً فشيئاً، بل يكون المعنى فيه كالمعنى في قولك: "زيد طويل"، و " عمرو قصير": فكما لا تقصد ههنا إلى أن تجعل الطول أو القصر يتجدد ويحدث، بل توجبهما وتثبتهما فقط، وتقتضي بوجودهما على الإطلاق، كذلك لا تتعرّض في قولك: "زيد منطلق" لأكثر من إثباته لزيد. وأما الفعل، فإنّه يُقصد فيه إلى ذلك، فإذا قلت: "زيد ها هو ذا ينطلق"، فقد زعمت أن الانطلاق يقع منه جزءاً فجزءاً، وجعلته يزاوله ويزجيه³.

¹ - التحرير والتنوير، ج 8، القسم الأول، ص 7.

² - ينظر: دلائل الإعجاز في علم المعاني: عبد القاهر الجرجاني، تح: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني، القاهرة، دار المدني، جدة، ص 174.

³ - نفسه، ص 174.

وهو الفرق ذاته بين قوله تعالى: ﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ (الكهف، 18)، وبين أن يُقال: "وكلبهم يبسط ذراعيه"، ولذلك فإن فساد المعنى الثاني واضح بيّن لأنه لا يؤدي الغرض، وما ذلك إلا لأن الفعل يقتضي تجدد الصفة في الوقت ومعنى يحدث شيئاً فشيئاً، وهو ما لا يحصل في الاسم لأنه يقتضي ثبوت الصفة من غير مزاولة وترجية فعل¹.

ولعل ذلك ما يفسر عدول الأسلوب القرآني عن توظيف الفعل في موضع التعقيب واللجوء إلى التعبير الاسمي في قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل، 125)، وهو مما ورد على خلاف الأصل لأنه خالف بين القسمين وأورد إحدى جملتي التعقيب مخالفة لنظيرتها من حيث الاسمية والفعلية، وكان الأصل يقتضي المساواة بينهما كما في قوله ﷻ: ﴿ذَلِكَ مَبْلُغُهُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى﴾ (النجم، 30)، فهو مما ورد على أصله، وفيه من المناسبة ورعاية الفاصلة ما لا يخفى.

وقد وقع هذا العدول في مواضع أخرى اختار فيها الأسلوب القرآني التعبير بالاسم بدلاً من الفعل رغم مخالفة الأصل لما في معنى الاسمية من ثبات على الحق، وتأكيذاً للهداية، من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (القلم، 7)، ومنه أيضاً: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (الأنعام، 117). وقد اختار الأسلوب القرآني في سورة الأنعام التعبير بصيغة الفعل المضارع بدلاً عن الماضي في قوله: ﴿مَن يَضِلُّ﴾ لما في ذلك من دلالة على تجدد الضلال واستمراره هؤلاء في حرصهم عليه رغم تجدد الآيات.

و - دقة الكلمة عموماً في دلالتها على المعنى الذي يقتضيه السياق: قد لا يتعلّق الأمر بدقة الكلمات بالنظر إلى وضعها من جهة البلاغة أو النحو، واعتبارات الجمع والإفراد، والإظهار

¹ - دلائل الإعجاز ، ص 174.

والإضمار، والتعريف والتكثير وما يتصل بذلك من مفاهيم، وإنما يتصل بالمعنى المعجمي الذي يقصده الأسلوب القرآني بمعزل عن الدلالة النحوية، وذلك أكثر من أن يُحصى في كتاب الله تعالى لأن كل كلمة في كلام الله ﷻ هي أنسب الكلم في محيطها النصي، ولذلك سنكتفي بموضعين متقاربين من سورة المائدة، لأن فيهما ما يغني عن استقصاء سائر المواضع في كتاب الله تعالى:

وأول هذين الموضعين ما جاء في تعقيب آيتين كريمتين متواليتين يجمع بينهما كثير من الشبه وكثير من الاختلاف في الوقت ذاته، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (المائدة، 62 - 63).

وهو موضع رهيب قال فيه ابن عباس ؓ: " هي أشد آية في القرآن "، وقال الضحاك: " ما في القرآن آية أخوف عندي منها " ¹، وذلك لما فيها من الوعيد للخاصة من أهل الدين أو العلم ممن لم ينفعهم دينهم ولا علمهم في الالتزام بمنهج الله في حياتهم، بل جعلوا ذلك صنعة كسائر الصناعات يبتغون من خلالها متاعاً زائلاً من متاع الدنيا، وقد جاء في الحديث قوله ﷺ: " لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه ما فعل به، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيما أنفقه، وعن جسمه فيما أبلاه " ².

ومن المذهل أن كل ذلك الزجر والوعيد القرآني في هذه الآية لم ينتج إلا عن إشارة لطيفة ناتجة عن توظيف عجيب لكلمتين متشابهين في تعقيبين جاء فيهما التمييز في الدّم بين عامّة الناس وخاصّتهم، فقال تعالى في العامّة ﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾، وقال في الخاصّة ﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ لأن الصنع أخص من العمل، وذلك من ثلاثة أوجه:

¹ - الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، ج 1، ص 654.

² - مسند الدارمي المعروف بسنن الدارمي: أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تح: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط 1، 2000م، ج 1، ص 452.

- أما الأول فإن الصُّنْعَ يتضمَّن العلم وليس ذلك في العمل، ولذلك قال صاحب الفروق: " الصُّنْع ترتيب العمل وإحكامه على ما تقدَّم علمٌ به، وبما يوصل إلى المُراد منه، ولذلك قيل للتَّجَارِ صانع، ولا يُقال للتَّاجِرِ صانع، لأنَّ النَّجَارَ قد سبق علمه بما يريد عمله من سريرٍ أو بابٍ وبِالأسباب التي تُوصَل إلى المِراد من ذلك، والتَّاجِر لا يعلم إذا اتَّجَرَ أنه يصل إلى ما يريده من الرِّيح أو لا، فالعمل لا يقتضي العلم بما يعلم له. ألا ترى أن المستخرجين والضُمَّاء والعشارين من أصحاب السلطان يسمُّون عمالاً، ولا يسمُّون صُنَّاعاً، إذ لا علم لهم بوجوه ما يعملون من منافعِ عملهم كعلم التَّجَارِ أو الصَّائِغ بوجوه ما يصنعه من الحليِّ والآلات " ¹. ولذلك كان الذَّم في حقِّ الرِّبَّانِيِّين والأخبار وعامة من يُنسبون إلى الدِّين أو العلم في كلِّ مكانٍ وزمانٍ أبلغ وأشدَّ من ذَمِّ العامة فجاء التعبير عنه منسوباً إلى الصُّنْع، لأنه ذنب راسخٌ ومستقرٌّ لم يَنْزَجِرْ بالعلم الذي هو علاج الرُّوح، ولذلك قال الرازي في تفسيره الكبير: " فإذا حصل هذا العلم، وما زالت المعصية، كان مثل المرض الذي شرب صاحبه الدَّواء فما زال، فكما أن هناك يحصل العلم بأن المرض صعبٌ شديد لا يكاد يزول، فكذلك العالم إذا أقدم على المعصية دلَّ على أن مرض القلب في غاية القوة والشدة " ².

- أما الوجه الثاني، فإن (تصنعون) أخصَّ من (تعملون) لأنها تتضمَّن الدُّربة والمهارة وليس ذلك في العمل، " لأن العمل لا يبلغ درجة الصُّنْع ما لم يتدرب فيه صاحبه ولم يحصل فيه مهارة تامة " ³، وذلك في كلِّ صناعة فإن الصانع فيها هو صاحب الحرفة الذي يأخذ وصفها لأنه يجيدها، أما الذي يمارسها لمرة واحدة فلا يأخذ من الصُّنْعَة إلا بقدر ما يدل على أنه لم يتقنها ⁴. وذلك كله ممَّا يدلُّ على أن هذا الأمر أصبح في هؤلاء ملكةً يجيدونها وتلذَّ بها أنفسهم لما في ذلك من موافقةٍ لأهوائهم

¹ - الفروق اللغوية، ص 136.

² - مفاتيح الغيب، ج 12، ص 393.

³ - تفسير أبي السعود، ج 3، ص 57.

⁴ - ينظر: تفسير الشعراوي، ج 6، ص 3260.

وتثبيت لمصالحهم، ولذلك استحقوا هذا الدّم الشديد، " وكأن المعنى في ذلك أن مواقع المعصية معه الشهوة التي تدعوه إليها وتحمله على ارتكابها، وأما الذي ينهيه فلا شهوة معه في فعل غيره، فإذا فرط في الإنكار كان أشدّ حالاً من المواقع " ¹.

- أما الثالث فإن (يصنعون) في تعقيب الآية الكريمة تحمل معنى التّكّاف أو التّصنّع، وبذلك يكون جُرم الخاصة أشنع وأشدّ لتكلفتهم وإيثارهم لرضا الناس على رضوان الله تعالى، وهو مذهب صاحب تفسير المنار، يقول: " والذي أفهمه أن معاصي العوام من قبيل ما يحصل بالطبع، لأنه اندفاع مع الشهوة بلا بصيرة، ومعصية العلماء بترك النهي عن المنكر والأمر بالمعروف من قبيل الصناعة المتكلفة، لفائدة للصانع فيها يلتبسها ممن يصنع له، وما ترك العلماء النهي عن المنكر، وهم يعلمون ما أخذ الله عليهم من الميثاق، إلا تكلفاً لإرضاء الناس، وتحامياً لتفجيرهم منهم، فهو إيثار لرضاهم على رضوان الله وثوابه، والأقرب أن يكون من الصنّع، لا من الصنّاعة، وهو العمل الذي يقدمه المرء لغيره يرضيه به " ².

ولعل هذا كلّه مما يثبت أن تعقيب الآية الأولى أليقُ بقوله تعالى: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾، وهو مما لا يناسب الآية التي تليها لما فيها من حديث عن عمل الخاصة من الربانيين والأخبار وما تتضمنه أفعالهم الشنيعة من علم ودربة وتكلف لإرضاء غير الله تعالى، وذلك مما يناسبه الصنّع فجاء تعقيب الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾.

أما الموضع الثاني فهو ما جاء فيه هذا الضرب من التشابه والاختلاف قائماً بين ثلاث آيات متوالية في غاية الإحكام، وقد كان حقّ هذه الآيات الكريمة تقديمها عن الآيات السابقة من السّورة نفسها لتقدّمها في كتاب الله تعالى، ولكنّه أخر في هذا الموضع من البحث قصد الإشارة إلى التّركي في عدد الآيات المتناسبة.

¹ - الكشف، ج 1، ص 654.

² - تفسير المنار، ج 6، ص 373.

يقول تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾ وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾ (المائدة، 44 - 47).

ولعلّ هذا الموضع في سورة المائدة من أشهر المواضع وأظهرها في كتاب الله تعالى كلّهُ، ذلك أنه جمع بين ثلاث تعقيبات على هذا النحو العجيب من الشّبه والاختلاف، وهو ما يُشعر القارئ أن التوظيف القرآني لهذه الألفاظ بهذه الكيفية يرمي إلى دلالة مقصودة وأنه يسعى من خلال هذا التنويع إلى تفعيل التدبّر الذي جاء الأمر به في كثير من الآيات. ولعلّ أهم سؤال يُطرح في هذا السياق هو ما يتعلق بالحكمة في اختصاص الموضع الأول بالكفر، و الثاني بالظلم والثالث بالفسق، وهل يجوز استعمال إحدى هذه الفواصل لموضع الثانية دون أن يُصيب المعنى اختلال أو فساد ؟

وقبل الإجابة عن هذا السؤال المهم ينبغي الوقوف على الفروق الدقيقة بين دلالات هذه الكلمات في العرف اللغوي، وفي ذلك يقول ابن فارس: " الكاف والفاء والراء أصل يدل على معنى واحد، وهو السّتر والتغطية، ولذلك يقال لمن غطى درعه بثوب: قد كفر درعه " ¹. أما الظلم فالمراد به وضع

¹ - ينظر: معجم مقاييس اللغة، ج 5، ص 191.

الشيء في غير موضعه، ومنه قولهم: " من أشبه أباه فما ظلم " ¹. وأما المراد بالفسق فهو الخروج عن الطاعة، وقد يراد بها مطلق الخروج، ولذلك يقال: " فسقت الرُّطبة عن قشرها ": إذا خرجت ². ويبدو واضحاً أن محاولة الجمع بين هذه الدلالات المتباعدة في موضع واحد أمر في غاية الصعوبة، ذلك أن ما توفره الدلالات اللغوية من إشارات في هذا الموضع العجيب لا يوفّر معالم كافية لحل مسألة كهذه، وهو ما يحمل عدداً غير قليل من أهل التفسير على اجتناب الخوض في تأويل هذا الضرب من متشابه الكتاب فراراً مما قد يستصعبه من التّكلف وإحساساً منهم بوعورة هذا المرتقى الصّعب. ولذلك يذهب أكثر هؤلاء إلى أن المراد بالكفر والظلم والفسق في هذا الموضع شيء واحد، وهو الكفر، وهو ما يؤكّده قوله ﷺ: " في الكافرين كلّها " ³، وقد يكون المراد بذلك أهل الكتاب كما ذهب إلى ذلك حبر الأمة ابن عباس ⁴، وقد اختار الأسلوب القرآني التعبير عن الشيء الواحد في هذا الموضع بألفاظ مختلفة لزيادة الفائدة واجتناب صورة التكرار ⁵.

غير أن هذه الآراء التي توحد دلالة الفواصل السابقة على هذا النحو وتجعل هذا التنويع اللفظي في موضعٍ مهمٍّ كموضع التعقيب ضرباً من فضول الكلام لا تبدو مقنعةً بالنظر إلى طريقة القرآن في الحرص على الدقّة في توظيف ألفاظه، وهو ما دفع بعض المفسرين إلى مزيد من البحث والتدبر في دقائق الفروق بين الدلالات، فذهب الشعبي إلى أن الأولى نزلت في حكام المسلمين، والثانية في اليهود، والثالثة في النصارى ⁶. كما نقل بعض المفسرين عن ابن عباس تمييزه بين الكفر والظلم والفسوق أيضاً فقالوا إن المراد بالكفر جحود ما أنزل الله وإنكاره، وأما الظلم والفسوق فهو في من

¹ - ينظر: معجم مقاييس اللغة، ج 3، ص 468.

² - نفسه، ج 5، ص 402.

³ - تفسير الطبري، ج 10، ص 346.

⁴ - الكشف، ج 1، ص 736.

⁵ - ينظر: أسرار التكرار في القرآن، ص 103.

⁶ - ينظر: تفسير الطبري، ج 10، ص 354.

أَقَرَّ به ولم يحكم¹ وذهب غيرهم إلى معانٍ قريبة من ذلك أيضاً، فقالوا: " ومن لم يحكم بما أنزل الله إنكاراً له فهو كافر، ومن لم يحكم بالحق مع اعتقاده حقاً وَحَكَمَ بضدّه فهو ظالم، ومن لم يحكم بالحقّ جهلاً وَحَكَمَ بضدّه فهو فاسق " ².

ولعل أكثر الأقوال إقناعاً وأقدرها على الكشف عن بعض أسرار التوظيف القرآني لهذه الفواصل المتشابهة في هذا الموضع الشريف ما ذهب إليه ابن الزبير الغرناطي في ملاك التأويل، إذ اجتهد في بيان مدى الإحكام والدقة في توظيف هذه الألفاظ، وهو في ذلك ينطلق من مبدئين:

- أولهما: مبدأ التّرقّي من الأخف إلى الأثقل في آيات الوعيد، وهو الأمر المطّرد في كتاب الله تعالى.

- الثاني: حقيقة أن الموصوفين بالكفر والظلم والفسوق هم اليهود، وهو ما ذهب إليه خبر الأئمة وترجمان قرآنها ابن عباس.

ويبدو أن ابن الزبير قد استحسن إشارة الزمخشري إلى الحكمة في ترتيب التعقيبات السابقة وجعل منها مفتاحاً لتفسير هذا الموضع، إذ إن الله تعالى أورد هذا الوصف لهم بالعُتُوّ في كفرهم حين ظلموا آيات الله بالاستهانة، وتمردوا بأن حكموا بغيرها³. كما استحسن أيضاً ما ذهب إليه الخطيب الإسكافي من القول بالتّرقّي من الكفر إلى الظلم، رغم أنه وقف عند ذلك ولم يصل به إلى الفسق، وجعل الآية الثالثة منقطعة عن الآيتين السابقتين⁴، ولأجل ذلك أورد بعض كلامه في ملاك التأويل، يقول: " وحاصل كلامه بالجملة أن ما تقدم من الوصف بالكفر والظلم خاصّ بيهود لتقدم ذكرهم قبل

¹ - ينظر: تفسير الطبري، ج 10، ص 357.

- تفسير الكشاف، ج 1، ص 637، 638.

² - أسرار التكرار في القرآن، ص 103.

³ - ينظر: تفسير الكشاف، ج 1، ص 637.

⁴ - ملاك التأويل، ج 1، ص 131.

هذه الآيات، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ... ﴾ إلى قوله نهياً لهم ﴿ فَلَا تَخْشَوْا النَّاسَ وَآخِشُوا وَلَا تَسْتَرْوُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا.. ﴾ إلى قوله ﴿ وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾، ولم يتقدم ذكرهم بغير كفرهم وتحريفهم من غير النفقات إلى ذكر ظلمهم غيرهم، إنما مجرد كفرهم ظلم لأنفسهم فأعقب هذا بقوله ﴿ هم الكافرون ﴾. ثم لما اجتمع في الآية الثانية ظلمهم لأنفسهم ولغيرهم بما ذكر من مخالفتهم في القصاص المشار إليه بقوله: ﴿ وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ﴾ إلى آخره، أعقب هذا بقوله تعالى: ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ لظلمهم أنفسهم بالكفر وزيادة ظلمهم غيرهم فكان أشد من وصف الكفر إذ هو كفر وزيادة ¹.

وفي هذا السياق يؤكد ابن الزبير الغرناطي ما ذهب إليه الإسكافي من أن وصف اليهود بالظلم أعظم من وصفهم بالكفر ²، ويستدل على ذلك بقول المفسرين في الآية الكريمة ﴿ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴾ (العنكبوت، 49): "إنهم المتوغلون في الظلم المكابرون" وذلك مما لا شك فيه كفر وزيادة ³.

أما وصفهم بالفسق فهو أعظم من وصفهم بالظلم، ويدل على ذلك ما ذكره المفسرون نقلاً عن الحسن قوله: "إذا استعمل الفسق في نوع من المعاصي وقع على أعظم ذلك النوع من كفر وغيره" ⁴، وهو ما يفسر ما ذهب إليه الزمخشري في تفسيره للفاسقين بأنهم المتمردون من الكفرة ⁵. وهو رأي تُعززه آيات كثيرة في القرآن، منها ما جاء في تعقيب آيات من سورة البقرة يصف فيها القرآن أفعالاً شنيعة ارتكبتها بنو إسرائيل منها استكبارهم وتكذيبهم وقولهم قلوبنا غلف، ليختم ذلك كله بقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴾ (البقرة، 99). وفي ذلك يقول ابن الزبير: "فورد مفصلاً في أي البقرة ما

¹ - ملاك التأويل ، ج1، ص 131.

² - نفسه، ص 135.

³ - نفسه، ص 135.

⁴ - تفسير الكشاف، ج 1، ص 171.

⁵ - نفسه، ص 171.

ورد مجملاً في المائدة، وختمت آيات البقرة بقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴾ وآيات المائدة بقوله: ﴿ وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ فالإلى مجموع ما في آيات البقرة أشارت آية المائدة، وخُتِمت هذه من وصفهم بالفسق بما ختمت تلك، وحصل من وصفهم به أنه أعظم من وصفهم بالكفر والظلم، لأنه كفرٌ جامعٌ لكل شنيع من مرتكباتهم. ولذلك اختير التعبير به عن مرتكب إبليس في إبايته عن السجود واستكباره فقل: ﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾ فلم تقع هنا عبارة بكفره ولا ظلمه لأن الفسق بما يعتضد به من القرائن أعظم من الكفر والظلم " ¹. كما تُعرِّض ذلك آيات أخرى كثيرة تواتر فيها الوصف بالفسق لأقوام بعد عُنُوهم وتمزدهم على أوامر الله تعالى كقوم فرعون: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ (النمل، 12)، وقوم نوح عليه السلام: ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ (الذاريات، 46)، وقوم لوط عليه السلام: ﴿ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ (العنكبوت: 34).

وهكذا يثبت ابن الزبير بالقرآن ما ذهب إليه الرّمخسري في كشّافه من أن الوصف بالفسق لا يقع في كتاب الله إلا على ذوى التّمرد من شرار الكفرة ². كما يثبت أن أوصاف الكفر والظلم والفسق وإن تكرّرت في تعقيبات متوالية فهي أكبر من أن تكون مجرد تنويع لفظي يُراد لذاته، وهي تنتزّه عن أن تكون مجرد فضول كلام، بل هي معانٍ تترقى عبر كلّ آية في سياق الوعيد الإلهي لأهل الكتاب ومن نَهَجَ نهجهم من إفساد في الأرض وحكم بغير ما أنزل الله. فالوصف بالفسق أعظم وأشدّ وعيداً من الوصف بالظلم كما أن الوصف بالظلم أعظم من الوصف بالكفر، ولا يمكن بحال من الأحوال إجراء شيء من الاستبدال بين هذه الألفاظ في سياق الوعيد، لأن كلّ كلمة في القرآن - كما سبق الذكر - في دقّتها وملاءمتها للموضع الذي ترد فيه هي أشبه بالفريدة التي لم يُخلق غيرها لذلك الموضع.

ولعل في استعراض هذه النماذج من تعقيبات كتاب الله تعالى ما يكفي لإثبات مدى الإحكام الذي يميّز التوظيف القرآني لكلّ مفردة في كتاب الله تعالى عامّة، وفي موضع التّعقيب خاصّة باعتباره

¹ - ملاك التأويل، ج 1، ص 132، 133.

² - ينظر: نفسه، ص 135.

موضع عناية، وهو ما يجعلها بحق بمنزلة الفريدة في حبّ العقد فلا يقوم غيرها بما تقوم به من إظهار للمعنى على وجهه المقصود.

خلاصة

عرفنا خلال مباحث هذا الفصل أن القرآن الكريم نزل بلغة العرب، بألفاظها وأساليبها وأن الله تعالى قد اختار من ألفاظ العرب أحسنها وأعذبها فجعلها مادة كتابه العظيم، ولذلك كانت ألفاظ القرآن لبّ كلام العرب وزيدته. كما عرفنا أن هذا التّصور لا يستقيم مع ما ذهب إليه الجرجاني الذي جرّد الألفاظ مفردةً من كلّ مزيّة وذهب إلى أن التّفاضل لا يكون إلّا بانتظامها، وهو مذهب ينطوي على غلوّ ظاهرٍ لأنّ منها الوحشي ومنها الغريب ومنها ما يكدّ اللسان بتعبير الجرجاني نفسه.

وقد ارتأينا في دراستنا للجانب الإفرادي في التّعقيبات القرآنية أن نركّز جل اهتمامنا على خاصيتين أساسيتين:

- أما الخاصية الأولى فهي شكلية تتعلّق بفصاحة الألفاظ، وفي سياق ذلك اجتهدنا في استقصاء هذا المفهوم عند مجموعة من أرباب هذا الفنّ، كما استعرضنا أيضاً مسألتين أساسيتين من مسائل الفصاحة:

- مسألة التّلاؤم والتّنافر، وهي مسألة خاض فيها علماء البلاغة فنظروا في بعد المخارج وفي قربها كما نظروا في توالي حركاتها، ولكن المسألة بقيت حبيسة الاحتكام إلى الذوق في الأعمّ الأغلب كأساس للاستحسان أو الاستهجان. وفي هذا السياق أشرنا إلى قيمة العمل الذي قدّمه إبراهيم أنيس الذي اجتهد في إنتاج شرائط جديدة كالتّي أوردتها القدماء من علماء البلاغة مستفيداً ممّا حقّقه علم الأصوات ومن خبرته ببعض اللغات الأجنبية، وقد أرجع صعوبة النطق في بعض الألفاظ إلى مقدار الجهد العضلي اللازم للعملية النّطقية، كما أرجع ذلك أيضاً إلى ندرة مجاوزة بعض الحروف إلى جانب بعضها في ألفاظ اللغة، وهو ما ينتج عنه ضرب من التّأليف الشّاذ المهجور المؤذي للسمع والنّطق. كما بيّن أن الطريقة المتّبعة في نظم الحروف في ألفاظ لغة العرب قائمة على مبدئين، أما أولهما فإنّ

أصوات الحلق لا تتنظم مع بعضها متجاورةً في نسقٍ واحدٍ إلا في القليل النادر، وأما الثاني فإن الحروف القريبة في المخرج أو الصفة لا تتجاور في كلمةٍ واحدةٍ إلا نادراً.

- أما المسألة الثانية فتتعلق بطول بعض الألفاظ القرآنية، وقد اشترط ابن سنان اعتدال عدد الحروف كشرطٍ للفصاحة، وهو الأمر الذي رفضه ابن الأثير وأرجع الألفاظ إلى أصولها الثلاثية أو الرباعية. وقد ذهب العلوي إلى ذلك أيضاً، ولكنه قيد المسألة بالاحتكام إلى الذوق، وهو المعيار الذي اجتهد الرافعي في تجاوزه، معتمداً تفسيراً قائماً على فكرة التنوع في مخارج الحروف وفي نظم الحركات، وهو ما يجعل الكلمة القرآنية الموصوفة بالطول في واقع التلاوة مؤلفةً من عددٍ من المقاطع القصيرة. كما استعرضنا أيضاً ما قدمه إبراهيم أنيس الذي اجتهد في وضع معايير تفصيلية تتعلق بنطق الألفاظ الطويلة. كما توصل إلى حقيقة أن أكثر كلمات اللغة سهولةً في نطقها هي تلك المؤلفة من الحروف التالية: اللام، الميم، النون، الدال، التاء والباء وأحرف المدّ.

أما بالنظر إلى هذه المواصفات في موضع التعقيب فقد وجدنا أن هذا الموضع الشريف أنفى لكل ما يعيب فصاحة الألفاظ وأبعد عن كل ما يكدر صفوها. ولعلّ الملاحظة الوحيدة التي تمّ تسجيلها في كتاب الله تعالى كلّها تتعلق ببعض تعقيبات سورة القمر، وقد وجدنا أن توالي حركات الضم في هذه التعقيبات قد شكّلت استثناء بالنظر إلى المعايير التي وضعها البلاغيون ولذلك فقد جاءت هذه الألفاظ كأجمل ما تكون الألفاظ نطقاً وسمعاً وقد اجتهدنا في تفسير ذلك.

- أما الخاصية الثانية فتتعلق بدقة التوظيف القرآني للمفردة القرآنية ووضعتها في مكانها الملائم لها، وهي بذلك تخصّ الشّكل والمضمون معاً. وفي هذا السياق قمنا باستقصاء بعض مظاهر الدقة في المفردة القرآنية بالنظر إليها من جوانب الجمع والإفراد، والإظهار والإضمار، والتعريف والتكثير، والإثبات والنفي، والاسمية والفعلية، كما تتبعنا دقة الكلمة أيضاً بالنظر في دلالتها عموماً على المعنى الذي يقتضيه السياق من خلال مجموعة من التعقيبات القرآنية.

البَابُ الثَّانِي

الفصل الثالث

خصائص التركيب النحوي في التعقيبات القرآنية

- جملة التعقيب وعلاقتها بما قبلها.
- البنى النحوية الأساسية في التعقيبات القرآنية.
- الظاهرة التركيبية في تعقيبات الأسماء والصفات.

خصائص التركيب النحوي في التعقيبات القرآنية

يتّصل الكلام في الجملة القرآنية بما سبق من حديث حول خصائص الإيقاع والمفردات في كتاب الله تعالى، وليس الفصل بين هذه العناصر المتكاملة على هذا النحو سوى شيئاً من مقتضيات المنهج ومطلباً من مطالب الدراسة والتحليل، ذلك أن تركيب مكونات الجملة في واقع الممارسة الكلامية يتفاعل مع باقي مستويات اللغة تفاعلاً خاضعاً للمعنى الذي يريده المتكلّم.

وقد أبدع أسلوب القرآن في التّوليف بين هذه العناصر كلّها بقدرٍ شكّل حالة إعجاز مستديمة في أمة تعشق البيان، فقد أبدع في تأليف الأصوات في ألفاظه كما أبدع في تأليف ألفاظه في جُملة على ذلك النحو المخصوص الذي هو مناط الإعجاز، ولذلك يدرك النّاظر في نظم القرآن أنّ الجُمْل فيه " إنما صبّت من الكلمات والحروف والحركات في مقدار، وأن ذلك إنما قُدِّر تقديرًا بعلم اللطيف الخبير " ¹.

ولذلك كان الشّعور بالفرق، والعجز أمام روعة النّظام أوّل انطباع أهل الفصاحة حينما سمعوا كلام الله تعالى، فقد روى أبو ذرّ الغفاري رضي الله عنه ما كان من أخيه أنيسٍ حينما سمع القرآن أوّل مرّة، وكان شاعراً في قومه، قال: " لقد سمعت قول الكهنة، فما هو بقولهم ولقد وضعت قوله على أفراء الشعر ²، فما يلتئم على لسان أحدٍ بعدي أنّه شعر، والله إنه لصادق، وإنهم لكاذِبون " ³.

إن الكلام في الجملة القرآنية في هذا الموضع من الدراسة هو جزء من مسعى عامّ يهدف إلى وصف القدر الممكن من جوانب حالة إعجازية، وقد عرفنا أن الجملة هي مجال التّعقيب باعتبار أنه

¹ - من روائع القرآن تأملات علمية وأدبية في كتاب الله ﷻ: محمّد سعيد رمضان البوطي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1999 م، ص 145.

² - أي طرقه وأنواعه.

³ - المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ المعروف بصحيح مسلم: مسلم بن الحجاج النيسابوري، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج 4، ص 1919، الحديث رقم 2473.

جزء مستقل من الآية الكريمة، ولذلك فإن الحديث عن التعقيبات في كتاب الله تعالى لا يكتمل إلا بالخوض في دراسة تركيبية نحوية تكون فيها جملة التعقيب موضوعاً للدراسة الهادفة إلى استخلاص الخصائص العامة التي يقوم عليها التركيب النحوي في هذا الموضع القرآني الخاص.

ولعلنا قبل ذلك في حاجة إلى دراسة بعض المفاهيم التي تتصل بشكل وثيق بالدراسة التركيبية للجملة، وذلك سعياً منا لفهم طبيعة العلاقة القائمة بين جملة التعقيب وسياق الآية قبلها.

1 - جملة التعقيب وعلاقتها بما قبلها:

عني البلاغيون بوصل الجمل وفصلها في سياق الكلام، حتى جعل بعضهم ذلك عمود البلاغة كلها¹، وقد جعله الجرجاني سرّاً عظيماً من أسرارها لا يكمل لإحراز الفضيلة فيه أحدٌ إلا كمل لسائر معاني البلاغة، يقول: " اعلم أن العلم بما ينبغي أن يُصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض، أو ترك العطف فيها والمجيء بها منثورة، تُستأنف واحدة منها بعد أخرى من أسرار البلاغة، ومما لا يتأتى لتمام الصواب فيه إلا الأعراب الخلص، وإلا قوم طُبِعوا على البلاغة، وأوتوا فتناً من المعرفة في ذوق الكلام هم بها أفراد " ².

وقد كان هذا الوعي انعكاساً لما كان عليه أرباب البلاغة والبيان من حرصٍ وعنايةٍ بهذا الباب باعتباره حليّة البلاغة كلها، وعقيدةً منهم بأن البلاغة متى اعتزلتها معرفة الفصل والوصل كانت كاللّلىء بلا نظام³، وكان ذلك ممّا يعيبها أكثر مما يفعل اللّحن⁴، ولذلك كان بعضهم يوصي

¹ - البيان والتبيين، ج 1، ص 92.

² - دلائل الإعجاز، ص 222.

³ - ينظر: كتاب الصناعتين، ص 438.

⁴ - نفسه، ص 440.

فيقول: " افصلوا بين كل معنى منقضي، وصلوا إذا كان الكلام معجوناً ببعضه ببعض " ¹، وكان غيره يقول لكاتبه: " إذا نزع بك الكلام إلى الابتداء بمعنى غير ما أنت فيه، فافصل بينه وبين تبيعه من الألفاظ، فإنك إن مدقت ² ألفاظك بغير ما يحسن أن تُمدّق به نفرت القلوب عن وعيها، وملّته الأسماع، واستثقلته الرواة " ³.

وقد جاء الأسلوب القرآني جرياً على عادة أرباب البلاغة في عنايتهم بمواضع الوصل والفصل، وهو ما حرص عليه النبي ﷺ على بيانه وعلى العناية به وتعليمه لأصحابه، حتى أنه كان يفعل ذلك في سائر كلامه، فقد روي أنه أملى على علي بن أبي طالب عليه السلام كتاباً، فكان يتفقد مقاطع الكلام كتفقد المصرم صريمته ⁴، كما صحّ في الخبر عنه ﷺ أنه نهر رجلاً خطب في حضرته، فجعل موضع الفصل وصلاً، وقال له: " بنس الخطيب أنت " ⁵.

وبمثل هذا الحرص المؤيد بحفظ الله تعالى وعنايته نُقل إلينا القرآن الكريم بالتواتر، كما حرص العلماء على تتبع كلّ موضع في كتاب الله تعالى وكالوه بموازين الفصل والوصل لينشأ عن ذلك علم خاصّ بمواضع الوقف والابتداء، وهو ما يفسّر النشأة المبكرة لمصطلح الوصل والفصل في أحضان علم القراءات ⁶ قبل أن يُستعار في ميادين البلاغة والنحو.

1 - كتاب الصنائع، ص 440.

2 - المذق هو المزج والخلط، للاستزادة ينظر: لسان العرب، ج 10، ص 340.

3 - كتاب الصنائع، ص 440.

4 - نفسه، ص 439.

5 - ينظر: سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ج 1، ص 288.

6 - الفصل والوصل في القرآن الكريم: منير سلطان، منشأة المعارف، الاسكندرية، ط 2، ص 16.

وإذا تأملنا موضع التعقيب في علاقته بالآية الكريمة قبله، وجدناه موضعاً يتأكد فيه الفصل باعتباره جزءاً أو مقطعاً مستقلاً منها في بنيته ودلالته. وقد ذكر أرياب البلاغة أن القول إذا استكمل آتته واستتم معناه فالفصل عنده¹، ولأجل ذلك يحسن الوقف بين التعقيب وبين الآية الكريمة كما يصح الابتداء بالتعقيب، وهكذا فإن طبيعة الوقف² في هذا الموضع الخاص لا تخرج عن أمرين:

- أن يكون تاماً في الأعم الأغلب، وهو في عُرف علماء القراءات ما يحسن القطع عليه والابتداء بما بعده، لأنه لا تعلق بينهما، كما في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولاً﴾ (الفرقان، 29)، فقد جاء المقطع الأول من الآية الكريمة حكايةً لكلام الظالم، وهو أبي

¹ - كتاب الصناعتين، ص 440.

² - اختلف العلماء في تصنيف الوقف في القرآن الكريم، فذهب بعضهم إلى أن الوقف قسمان: تام وقبيح، وذهب غيرهم إلى أنه ثلاثة أقسام: مختار وهو التام، وجائز وهو الكافي، وقبيح وهو ما ليس بتام ولا كافٍ. غير أن التصنيف المستحسن هو تصنيف الوقوف إلى أربعة أقسام:

- وقف تام: وهو الذي يحسن القطع عليه والابتداء بما بعده، لأنه لا يتعلق بشيء مما بعده. وذلك عند تمام القصص وانقضائهن، وأكثر ما يكون موجوداً في الفواصل ورؤوس الآي كقوله: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (البقرة، 5) والابتداء بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (البقرة، 6).

- وقف كافٍ: وهو الذي يحسن الوقف عليه أيضاً والابتداء بما بعده، غير أن الذي بعده متعلق به من جهة المعنى دون اللفظ، وذلك نحو الوقف على قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ (النساء، 23) والابتداء بما بعد ذلك في الآية كلها.

- وقف حسن: وهو الذي يحسن الوقف عليه، ولا يحسن الابتداء بما بعده لتعلقه به من جهة اللفظ والمعنى جميعاً، وذلك نحو قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الفاتحة، من الآية 2) فإن الوقف على ذلك وشبهه حسن لأن المراد مفهوم، أما الابتداء بقوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فإنه لا يحسن، لأنه مجرور، والابتداء بالمجرور قبيح لأنه تابع لما قبله. ويسمى هذا الضرب من الوقف صالحاً إذ لا يتمكن القارئ أن يقف في كل موضع على تام، ولا كافٍ، لأن نفسه ينقطع دون ذلك.

- وقف قبيح: هو الذي لا يعرف المراد منه، وذلك نحو الوقف على قوله: ﴿بسم﴾ أو ﴿ملك﴾ والابتداء بقوله: ﴿الله﴾ أو ﴿يوم الدين﴾ لأنه إذا وقف على ذلك لم يعلم إلى أي شيء أضيف. وهذا يسمى وقف الضرورة، لتمكن انقطاع النفس عنده. والجلّة من القراء وأهل الأداء يتهون عن الوقف على هذا الضرب وينكرونه ويستحبون لمن انقطع نفسه عليه أن يرجع إلى ما قبله حتى يصله بما بعده. للاستزادة ينظر:

- المكتفي في الوقف والابتداء: أبو عمرو الداني، تح: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، دار عمار، ط 1، 2001 م، ص 7 وما بعدها.

بن خلف¹، ثم يلي ذلك التّعقيب ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾، وهو من كلامه ﷺ وبينهما تمام الانفصال، ولذلك فإن الواو في هذا الموضع للاستئناف، ولا يصح أن تكون للعطف وذلك لفساد المعنى، كما يكون الوقف تاماً² يجوز عنده قطع التلاوة، لأنه لا تعلق بينه وبين كلامه ﷺ. ومن هذا الضرب أيضاً قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ (النمل، 34)، فإن المقطع الأول من الآية الكريمة جاء حكاية لكلام بلقيس، وأما التّعقيب ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ فهو من كلامه ﷺ، ولا تعلق بينهما، ولذلك كان الوقف في هذا الموضع تاماً³.

- وقد يكون الوقف كافياً قبل بعض التّعقيبات، وهو ما يحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده، غير أن الذي بعده متعلق به من جهة المعنى دون اللفظ، وكذلك كل كلام قائم بنفسه يفيد معنى يُكتفى به، فالقطع عليه كافٍ، وتفاضله في الكفاية كتفاضل التام سواء⁴. ومنه في موضع التّعقيب ما جاء في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَبَنَى بَنَاتُكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (المؤمنون، 14)⁵، فقد وصف الخالق ﷻ في الآية الكريمة وصفاً دقيقاً للأطوار المتعاقبة التي يمر بها الإنسان خلقاً بعد خلق، ثم أعقب ذلك بما يليق على نفسه من ثناء في جملة مستأنفة مستقلة عما قبلها. ومنه أيضاً قوله جلّ وعلا: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (يونس، 35)⁶.

¹ - ينظر: التحرير والتنوير، ج 19، ص 12.

² - ينظر: المكتفي في الوقف والابتداء، ص 148.

³ - ينظر: نفسه، ص 154.

⁴ - نفسه، ص 10.

⁵ - نفسه، ص 141.

⁶ - نفسه، ص 95.

ولعل طبيعة الوقف التي لا تخرج عن التّمام أو الكفاية بدرجة أقلّ ممّا يُثبت علاقة الفصل بين جملة التعقيب وبين ما يسبقها من الآية الكريمة، ولذلك فإنّ النصّ القرآني يوظّف أساليب معينة للفصل في هذا الموضع الخاصّ:

- **أولها:** أن يردّ التعقيب عارياً من كلّ ما يدلّ على العطف أو حتى الاستئناف، وذلك أكثر أساليب القرآن توظيفاً في هذا الموضع، من ذلك قوله تعالى: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة، 20)، فإنّ تعقيب الآية الكريمة منفصل عمّا قبله في لفظه ومعناه، ومنه أيضاً: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِينَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٍ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة، 72).

- **الثاني:** أن يفصل بين التعقيب وبين الآية الكريمة قبله بواو الاستئناف، وتكون جملة التعقيب على هذا النحو مستأنفةً منقطعةً عمّا قبلها، وذلك شائع جداً. وتُعرف هذه الواو أيضاً بواو الابتداء، وهي الواو التي يكون بعدها جملة غير متعلّقة بما قبلها في المعنى، ولا مشاركة له في الإعراب. وقد سمّيت واو الاستئناف حتى لا يُتوهم أن ما بعدها معطوف على ما قبلها¹. من ذلك قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (المائدة، 38). ومنه أيضاً: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (القصص، 14).

- **الثالث:** أن يفصل بين التعقيب وبين الآية الكريمة قبله بفاء الاستئناف، وهي أقلّ الأساليب استعمالاً في فصل جملة التعقيب عمّا قبلها، من ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ (القصص، 40). ومنه أيضاً: ﴿فَادْخُلُوا أَبْوََابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَيْسَ

¹ - ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني: أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم المرادي، تح: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1992 م، ص 163.

مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿ (النحل، 29)، ومنه أيضاً ما جاء مكرراً في سورة الرحمن في قوله تعالى: ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾.

- كما قد يوظف الأسلوب القرآني بعض الأدوات الأخرى في حالات معدودة ويُسخر دلالتها للفصل بأسلوب بديع، كاستعمال بل، وهي " حرف يفيد الإضراب عن المعنى الأول وإثبات المعنى الثاني، فهو يقطع ويفصل، ولأن إثبات الثاني لم يجيء إلا بإبطال الأول، فهو مرتبط به موصول بوجوده، أي أنه فصل موصول، أو قطع مربوط " ¹، من ذلك قوله تعالى: ﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (لقمان، 11). ومنه أيضاً قوله: ﴿ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرّاً أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعاً بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبيراً ﴾ (الفتح، 11). كما يستعمل الأسلوب القرآني " بلى " في بعض المواضع القليلة، وهي حرف جواب لا تقع إلا بعد نفي فتكون رداً له، سواء اقترنت به أداة استفهام أو لا ²، من ذلك قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْزِبْ عَنْهُمْ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (الأحقاف، 33).

ومما ينبغي إدراكه في هذا المقام أن التعقيب القرآني في علاقته مع الآية الكريمة قبله، وإن كان قائماً على الفصل في كل أحواله السابقة لأن دلالة التعقيب مستقلة كما سبق الذكر، إلا أن ذلك لا يعني أن نظم القرآن في هذا الموضع الخاص يفتقر إلى الانسجام وحسن النسق بين أجزائه بل هو غاية التناسب والتلاؤم، حتى أن القرآن كله ليبدو للمتأمل كالسورة الواحدة وكالآية الواحدة ³. ولذلك فإن أسلوب الفصل في موضع التعقيب يُبدع في توظيف الحروف السابقة في مواضعها المناسبة قصد إفادة الاستئناف والربط بين الجمل ربطاً نحوياً أو بيانياً. أما إذا تجرّدت جملة التعقيب من كل ذلك فإن

¹ - الفصل والوصل في القرآن الكريم، ص 178.

² - ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني، ص 420، 421.

³ - مفاتيح الغيب، ج 32، ص 295.

الأسلوب القرآني يستعمل " إن " للربط بينها وبين ما يسبقها ربطاً عجبياً، وقد نبّه إلى ذلك الجرجاني، فقال: " واعلم أن من شأن " إن " إذا جاءت على هذا الوجه، أن تغني غناء " الفاء " العاطفة مثلاً، وأن تفيد من ربط الجملة بما قبلها أمراً عجبياً. فأنت ترى الكلام بها مستأنفاً غير مستأنف، ومقطوعاً موصولاً معاً. أفلا ترى أنك لو أسقطت " إن " من قوله: " إنّ ذاك النجاح في التذكير "، لم تر الكلام يلتئم، ولرايت الجملة الثانية لا تتصل بالأولى ولا تكون منها بسبيلٍ حتى تجيء بالفاء فتقول: " بكرة صاحبي قبل الهجير، فذاك النجاح في التذكير " ¹. كما يُبرز الجرجاني دورها الخطير الذي تقوم به في ربط الجمل ربطاً فيه من التلاؤم والأنس والألفة بين أجزاء الكلام ما لا يتحقق برابط آخر، يقول معلقاً على قول الشاعر:

فغنّها وهي لك الفداء إنّ غناء الإبل الحداء

" فانظر إلى قوله: " إن غناء الإبل الحداء "، وإلى ملاءمته الكلام قبله، وحسن تشبّثه به، وإلى حسن تعطف الكلام الأول عليه. ثم انظر إذا تركت " إنّ " فقلت: " فغنّها وهي لك الفداء، غناء الإبل الحداء "، كيف تكون الصورة؟ وكيف ينبو أحد الكلامين عن الآخر؟ وكيف يُشتم هذا ويعرق ذلك؟ حتى لا تجد حيلةً في ائتلافهما حتى تجتلب لهما " الفاء " فتقول: " فغنّها وهي لك الفداء، فغنّها الإبل الحداء "، ثم تعلم أن ليست الألفة بينهما من جنس ما كان، وأن قد ذهب الألفة التي كنت تجد، والحسن الذي كنت ترى " ².

ولأجل ذلك الأنس وتلك الألفة بين أجزاء الكلام يوظف الأسلوب القرآني " إن " أكثر من أي أسلوب آخر في تعقيباته، كما أن طبيعة التعقيب ومقاصده الدينية والبلاغية لا تستغني عن توكيد المضمون بسائر الأساليب، وذلك مما يناسبه استخدام " إن " مدعومةً بلام التوكيد وصيغ المبالغة وضمير

¹ - دلائل الإعجاز، ص 273.

² - نفسه، ص 273، 274.

الفصل وغير ذلك. كما قد يجمع أسلوب التعقيب بينها وبين الواو وذلك كثير شائع، إذ يحصل من اجتماعهما من حسن النسق والتوكيد ما لا يخفى، من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (الأنفال، 42). ومنه أيضاً: ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاَعْلَمُ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴾ (المائدة، 49). وقد يجمع بينها وبين " أَلَا " الاستفتاحية، قصد توجيه الذهن وتنبيهه إلى طبيعة المضمون المهم¹ الذي يحتويه التعقيب، من ذلك: ﴿ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (الشورى، 5)، ومنه أيضاً: ﴿ وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴾ (الشورى، 45).

2 - البنى النحوية الأساسية في التعقيبات القرآنية:

إذا تأملنا أسلوب التعقيب في القرآن الكريم من منظور نحوي بالنظر إلى طبيعة الجملة وعلاقاتها التركيبية فإن أشكاله تخرج عن نطاق الحصر، ذلك أن بنية التعقيب تسلك في القرآن كل مسالك العرب في كلامها لتتلبس بكل أشكال الجملة المعروفة، فقد يكون التعقيب جملة اسمية بسيطة تقوم في هيكلها على مبتدأ يسند إليه خبر مفرد كما في تعقيب قوله تعالى: ﴿ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (الزمر، 34)، وقد يسند إلى المبتدأ خبر في شكل جملة اسمية: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (البقرة، 254)، أو فعلية: ﴿ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾

¹ - ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: جمال الدين بن هشام الأنصاري، تح: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ج 2، ص 25.

إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿البقرة، 213﴾، أو شبه جملة ظرفية: ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ (يوسف، 76)، أو جار ومجرور: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (الحج، 41).

وقد يكون التعقيب جملة فعلية فعلها لازم كما في تعقيب قوله تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (المؤمنون، 14)، وقد يكون متعدياً إلى مفعول واحد: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (يونس، 5)، أو إلى مفعولين: ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُمْ عُدتْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ (الإسراء، 8). وقد يكون فعلها مبنياً للمجهول: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ (النساء، 28).

وقد تخرج طبيعة التعقيب في كثير من الأحيان عن نمط الجملة البسيطة إلى شيء من التركيب الذي يتعاضد في بعض المواضع كما في تعقيبات القصص حيث يعدل الأسلوب القرآني عن وظيفة التعقيب الأساسية المتمثلة في تحقيق بعض المضامين الأساسية في العقيدة وترسيخها في قلب المؤمن وعقله إلى وظيفة أخرى تتمثل في تفصيل غايات القص وربطها بواقع المتلقي. ولذلك فإن هندسة التعقيب في مثل هذه المواضع تتزاح عن طبيعتها بشكل واضح وتخرج عما هي عليه في العادة من أطراد حيث تصبح الجمل أطول وأميل إلى التركيب.

ولذلك فإن الخوض في دراسة تسعى لوصف البنية التركيبية لكافة أشكال التعقيب تبدو - دون شك - أمراً بالغ الصعوبة، إن لم نقل مستحيلاً حين يتعلّق الأمر بجهد فردي تقيدّه حدود الزمان والمكان.

غير أن التأمل في طبيعة الهندسة التي تقوم بنية التعقيب النحوية ومحاولة فرزها حاسوبياً أفضى إلى قناعة تفرض ضرورة التمييز بين نوعين من البنى:

- يتعلّق النوع الأول بعدد كبير من التعقيبات ذات التنوّع غير المحدود، وهي في الغالب تنتظم نسبياً ضمن مجموعات كتعقيبات الاستفهام أو الشرط أو غير ذلك. ويمكن التمييز بين هذه المجموعات المختلفة حاسوبياً اعتماداً على الأداة التي تصدر جملة التعقيب. وقد وجدنا أن هذه المجموعات من التعقيبات تتباين من الناحية الكميّة بشكل كبير جداً، حيث إن بعض المجموعات لا يزيد حضورها عن بضع تعقيبات، وهي بذلك لا تشكّل سوى نسبة ضئيلة جداً، في حين أن هنالك مجموعات أخرى أساسية تشكّل نسب حضور عالية، ولذلك فإننا سنقتصر في حديثنا ضمن هذا الموضوع من البحث على مجموعات الأشكال النحوية الأساسية دون غيرها.

- أما النوع الثاني، فإنه يتعلّق بنوع نمطيّ من التعقيبات التي تخضع لقواعد شديدة الاطراد، وقد نتج عن ذلك تنوّع منتظم ومحدود من البنى التركيبية التي تنتظم ضمن مجموعة واحدة كبيرة تمثّل من الناحية الكميّة نسبة حضور عالية جداً بالنظر إلى فئات النوع السابق. ويضم هذا النوع ما يمكن الاصطلاح عليه بتعقيبات الأسماء والصفات.

ولذلك فإننا سنشرع بدايةً في دراسة النوع الأول ووصف ما أمكن من البنى التركيبية النحوية الأساسية في تعقيبات كتاب الله تعالى¹:

أ- تعقيبات الاستفتاح بـ " ألا ":

الواقع أن الكلام عن " ألا " الاستفتاحية في هذا الموضوع من البحث لا ينفصل عمّا سبق من حديث حول العلاقة القائمة بين جملة التعقيب وما قبلها من سياق الآية الكريمة، وهو أمرٌ مهمٌّ أشرنا

¹ - ينظر: ملاحق البحث، الملحق رقم (1)، ص 371 - 380.

إليه في موضع سابق، وقد كان حقٌ " ألا " أن تكون مبسوطَةً في ذلك الموضع، ولكننا أرجأنا الحديث عنها قناعةً منا بأن تعقيبات " ألا " الاستفتاحية تتضمن من خصائص التركيب ما يجعلها جديرةً بأن يُفرد لها جانبٌ مستقلٌّ من الدراسة بعيداً عن سياق الفصل والوصل رغم العلاقة الوثيقة بينهما.

ويمكن القول بوجه عامٍّ أن الخطاب القرآني يوظف أسلوب الاستفتاح بـ " ألا " في تعقيب الآية الكريمة قصد توجيه الذهن وتنبيهه إلى طبيعة المضمون المهم¹ الذي تحتويه الجملة، كما يُراد به أيضاً ربطها بما يسبقها من الآية الكريمة ربطاً يجمع بين الحُسْن والإحكام.

ويرى الزّمخشري أن " ألا " تُفيد تحقيق ما بعدها باعتبار أنها مركّبة من همزة الاستفهام ولا النافية قصد إفادة معنى التنبيه، والاستفهام إذا دخل على النفي أفاد تحقيقاً². أما في رأي ابن هشام فهي غير مركّبة³، ويقتصر دورها على تنبيه المخاطب إلى شيء هامٍّ يجيء بعدها مؤكّد الوقوع عند المتكلم⁴. وقد اعترض على ما ذهب إليه الزّمخشري من القول بالتركيب بأن الأصل عدمه بدليل أنها قد وقعت قبل إن وربّ وليت والنداء، ولا يصلح النفي قبل شيءٍ من ذلك⁵.

وقد وقعت " ألا " في صدر جملة من التعقيبات أغلبها مكّية، ويُستثنى من ذلك ما جاء في البقرة والزّرد والمجادلة. وهي تتّصل بأغراض الثناء على الله تعالى، والوعد وبشارة المؤمنين، وذمّ الكافرين

¹ - ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ج 2، ص 25.

² - الكشف، ج 1، ص 62.

³ - توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك: أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم المرادي، تح: عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، ط 1، 2008م، ج 1، ص 553.

⁴ - أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ج 2، ص 25.

⁵ - ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني، ص 381، 382.

ووعيدهم، وهي أغراض تستوجب التحقيق¹، كما تستدعي خطورتها تنبيه السامع إلى ما يجيء في التعقيب من مضامين. وهي تدخل في موضع التعقيب على الجملتين الاسمية والفعلية:

- فأما دخولها على الاسمية فمنه ما جاء في تعقيب قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (هود، 18). وقد أفاد الأسلوب القرآني بدخولها على صدر جملة التعقيب جملة من المعاني:

- أولها: إفادة تحقيق الوعيد بالطرد من رحمته تعالى في حقّ الظالمين، وفي ذلك تهويلٌ عظيمٌ لما يحقّق بهم من عاقبة ظلمهم².

- الثاني: تحقيق هذا المعنى في مقام التشهير، باعتبار رأي من ذهب من المفسرين إلى أن هذا التعقيب من بقية قول الأشهاد، وذلك مما يناسبه الافتتاح بـ "ألا"³.

- الثالث: التنبيه ولفت انتباه السامع إلى خطورة الافتراء على الله كذباً وما يوجب من طرد من رحمته سبحانه، وذلك مما يُتعوّذ منه بالاستماع والإنصات للوعيد أولاً، ثم بالبُعد عن هذا الظلم بكافة أشكاله.

- الرابع: إفادة الرّبط بين جملة التعقيب وما يسبقها من الآية الكريمة ربطاً بديعاً من خلال توظيف ألا في صدارة الجملة، والدليل على ذلك أن تعرية التعقيب من ألا الاستفتاحية يبتتر الكلام بترّاً ويقطعه قطعاً لا يُصلحه إلا الرّبط بها أو بقاء الاستئناف كما في سورة البقرة¹.

¹ - ينظر: البرهان في علوم القرآن، ج 2، ص 416.

- الكشف، ج 1، ص 62.

² - ينظر: إرشاد العقل السليم، ج 4، ص 196.

³ - للاستزادة ينظر: التحرير والتنوير، ج 12، ص 33.

وقد يجمع الأسلوب القرآني بين " ألا " و " إن " المشبهة بالفعل في صدارة الكلام، فيحصل عن ذلك اجتماع بين التنبيه والتحقق والتوكيد، وذلك مما يُناسب مقام الثناء على الله تعالى في قوله: ﴿ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَنْقَطِرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (الشورى: 5).

كما يناسب هذا الجمع أو التوليف مقام الذم والوعيد في حق الكافرين، والوعد والبشارة في حق المؤمنين، ولذلك اختاره أسلوب التعقيب في سورة المجادلة حيث تم توظيف هذا الأسلوب في ثلاث تعقيبات متوالية تقريباً، وذلك مما لم يقع في القرآن كله بهذه الصورة، يقول ﷻ: ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ استحوذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ إِلَّا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (المجادلة، 18-19). ثم يتبع الأسلوب القرآني هذه الآيات المُنقلة بمعاني الذم والوعيد بآية تَخْتِمُ السُّورَةَ الكريمة متضمنة صورةً مغايرةً تتقاطر منها معاني الرضا والتأييد والفلاح، وذلك التكتيف في المعاني مما يستوجب الجمع بين التنبيه والتحقق والتوكيد، يقول تعالى: ﴿ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (المجادلة، 22).

وقد حرص الأسلوب القرآني في هذا الموضع من سورة المجادلة على تكتيف معاني المبالغة زيادة في التحذير من الاندماج في المنافقين والتلبس بمثل أحوالهم والانخداع بظاهر إسلامهم وتصديق أيمانهم الكاذبة، ولذلك يضيف أسلوب التعقيب إلى دلالات التنبيه والتوكيد والتحقق دلالة القصر المستفاد من ضمير الفصل في التعقيبات الثلاثة، وقد أفادت دلالة القصر في الموضع الأول أن كذب

1 - في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة، 89).

هؤلاء المنافقين على المؤمنين لا يماثله كذب، يقول محمد الطاهر بن عاشور: " فالمراد أن كذبهم عليكم لا يماثله كذب حتى قُصرت صفة الكاذب عليهم بضمير الفصل في قوله: ﴿ إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾، وهو قصر ادعائي للمبالغة لعدم الاعتداد بكذب غيرهم. وأكد ذلك بحرف التوكيد تأكيداً لمفاد الحصر الادعائي، وهو أن كذب غيرهم كلا كذبٍ في جانب كذبهم، وبأداة الاستفتاح المقتضية استمالة السَّمع لخبرهم لتحقيق تمكّن صفة الكذب منهم حتى أنهم يلزمهم يوم البعث " ¹.

أما في التعقيب الثاني في قوله تعالى ﴿ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ فقد أفاد القصر المبالغة في مقدار خسرانهم، وأنه لا خسران أشد منه، فكأن كلَّ خسرانٍ غيره عدمٌ ². وقد جاء مصدراً بحرفي الاستفتاح والتوكيد تنبيهاً على أهمية المضمون، وأنه مما يحقّ العناية باستحضاره في الأذهان، مبالغةً في التحذير من الانخداع بظاهر المنافقين والاندماج فيهم ³.

أما في الموضع الأخير فقد أفاد الجمع بين " ألا " و " إن " حصول تنبيه المسلمين إلى عظيم فضلهم بعد التشريف المستفاد من الإضافة إلى اسم الجلالة، كما أفاد في الوقت ذاته تنبيه المنافقين إلى ما حبا الله به المسلمين من خيرى الدنيا والآخرة، وفي ذلك دفع لهم وتحفيز على الصدق والإخلاص في إسلامهم ⁴. وأما استعمال ضمير الفصل فقد أريد به قصر الفلاح على المؤمنين وأن ما سوى ذلك لا يعدو أن يكون مظهراً خادعاً من متاع الدنيا القليل.

ولم يكتف أسلوب التعقيب في هذا الموضع الخطير باجتماع الأساليب السابقة من تنبيه وتحقيق وتوكيد وقصر فأظهر في موضع الإضمار قصد إفادة مزيد من المبالغة، وحتى تكون جملة التعقيب

¹ - التحرير والتتوير، ج28، ص53.

² - ينظر: نفسه، ص55.

³ - ينظر: نفسه، ص55.

⁴ - ينظر: نفسه، ص61.

صالحة للتمثّل بها مستقلةً بدلالاتها¹، فقال ﷺ: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾، وقال في الآية الأخيرة: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

- وأما دخول " ألا " الاستفتاحية على الجملة الفعلية في موضع التعقيب، فإنها تدخل على الفعل الماضي " ساء " لإنشاء الدّم، وقد حصل ذلك في ثلاثة مواضع متشابهة، أولها ما جاء في تعقيب الآية الكريمة في سورة الأنعام في قوله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ (الأنعام، 31). وهو شبيه بما جاء في سورة النحل في قوله أيضاً: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ (النحل، 25).

وقد ذمّ الله تعالى في الآيات الكريمة السابقة أوزار² هؤلاء المكذّبين. وقد ذهب أهل التفسير في توجيه دلالة الفعل ساء في تعقيب الآية الكريمة إلى ثلاثة مذاهب³:

- أولها: أن تكون متعدية متصرفة، ووزنها فَعَلَ بفتح العين، ويكون معنى التّعقيب: " ألا ساءهم ما يزرّون ". وتحتل " ما " على هذا الوجه أن تكون بمعنى " الذي "، وهي بهذا التقدير في محل رفع فاعل.

ويحتل أيضاً أن تكون " ما " مصدرية، ويكون المصدر هو الفاعل، ويكون تقدير جملة التّعقيب: " ألا ساءهم وزرهم ".

¹ - ينظر: التحرير والتنوير، ج28، ص 55.

² - مفردها وِرْزٌ، وهو الحمل الثقيل، ومنه الوزير، وهو الذي يستوزره الملك فيستعين برأيه ويحمل عنه أعباء ملكه، ومنه أوزار الحرب، وهي أثقالها من السلاح للاستزادة ينظر:

- العين، ج 7، ص 380.

- البحر المحيط، ج 4، ص 451.

³ - تفسير البحر المحيط، ج 4، ص 483

الثاني: أنها حُوِّلَتْ إلى فَعَلَ بضمّ العين، وأُشْرِيت معنى التّعَجّب، ويكون المعنى باعتبار " ما " موصولة: " ألا ما أسوأ الذي يزرّونه "، أو " ما أسوأ وزرهم " على اعتبار أنها مصدرية.

الثالث: أنها أيضا حُوِّلَتْ إلى فَعَلَ بضمّ العين، وأريد بها المبالغة في الدّم، فتكون بمعنى " بئس "، وهو الوجه الذي اختاره الزمخشري، فقال في تفسير الآية الكريمة: " ساءَ ما يَزِرُونَ بئس شيئاً يزرّون وزرهم " ¹.

وقد وصف الله تعالى موقف هؤلاء المكذّبين في أسوأ أحوالهم بما يحملون من أوزارٍ على ظهورهم، وهم يُنادون متحسّرين على ما فرطوا في دنياهم قائلين: ﴿ يَا حَسْرَتًا عَلَى مَا فَرَطْنَا فِيهَا ﴾. كما بيّن سوء تلك الحال التي تُلابسهم في موقف حسرتهم فقال في تعقيب الآية الكريمة: ﴿ ألا ساء ما يزرّون ﴾ ²، فافتتح جملة التّعقيب بـ " ألا " قصد إظهار العناية بما بعدها، وتوجيه ذهن السامع إليه، والمبالغة في تقريره، وتأكيد مضمونه، ووجوب الاهتمام بالاعتبار به ³.

وشبيه بهذا الدّم الشديد قوله تعالى: ﴿ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ (النحل، 59). وهو ذمّ في حقّ هؤلاء الذين تجرّدوا من غريزة الأبوة، وكفروا بنعمة الله وعطائه، فكان الرجل منهم إذا أصاب امرأته الطّلق توارى حتى يُخبر بأحد الأمرين، فإذا أُخبر بما يسره خرج، وإن أُخبر بسوء بقي على تواريه، ولم يحتج إلى إحداثه ⁴. وقد ذكر البغوي في تفسيره " أن مُضر وخُزاعة وتميماً كانوا يدفنون البنات أحياء، خوفاً عليهم من الفقر، وطمع غير الأكفاء فيهنّ، وكان الرجل من العرب إذا وُلدت له بنتٌ وأراد أن يستحييها: ألبسها جُبّةً من صوف أو شعر، وتركها ترعى له الإبل والغنم في البادية، وإذا أراد أن يقتلها: تركها حتى إذا صارت

¹ - تفسر الكشاف، ج 2، ص 14.

² - ينظر: تفسير المنار، ج 7، ص 302.

³ - ينظر: نفسه، ج 7، ص 302.

⁴ - ينظر تفسير ابن عطية، ج 3، ص 402.

سداسية، قال لأمرها: زينها حتى أذهب بها إلى أحمائها، وقد حفر لها بئراً في الصحراء، فإذا بلغ بها البئر قال لها: " انظري إلى هذه البئر "، فيدفعها من خلفها في البئر، ثم يهيل على رأسها التراب حتى يستوي البئر بالأرض " ¹.

وقد ورد هذا الدّم لبعض الأحكام الجائرة التي تصدر عن بعض أهل الضلالة في ثلاثة مواضع أخرى في القرآن الكريم ²، ولكنه تفرّد في هذا الموضع عما سواه فجاء مقترباً بحرف الاستفتاح، وذلك لأنه جورٌ عظيم قد تواطؤا عليه، وقد سمّاه الله تعالى حكماً لأنهم كانوا يحسبونه حقاً للأب، فلا تُكره الجماعة على ذلك، وقد أسند الحكم في التعقيب إلى ضمير الجماعة مع أن الكلام كان جارياً على فعلٍ واحدٍ غير معيّن قضاءً لحق هذه النكته ³.

كما تدخل " ألا " الاستفتاحية على الفعل المضارع في موضع التعقيب، وقد ورد ذلك في آيتين: أما أولاهما ففي قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (الرعد، 28). وقد اختار الأسلوب القرآني في هذه الآية الكريمة العدول إلى صيغة الفعل المضارع لإفادة دوام الاطمئنان وتجده حسب تجدد الآيات وتعددها ⁴، وقد قدّم المجرور لإفادة الاختصاص، فبذكر الله تعالى وحده دون سائر المتاع تكون الطمأنينة. ولعلّ في ذلك أيضاً " إثارة الباقيين على

¹ - معالم التنزيل في تفسير القرآن المعروف بتفسير البغوي: أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تح: محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط 4، 1997م، ج 5، ص 25.

² - وذلك في الآيات التالية:

- ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيباً فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرْغَمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ (الأنعام، 136).

- ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْفُتُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ (العنكبوت، 4).

- ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءَ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ (الجاثية، 21).

³ - ينظر: التحرير والتنوير، ج 14، ص 185.

⁴ - إرشاد العقل السليم، ج 5، ص 20.

الكفر على أن يتَّسموا بِسِمة المؤمنين من التدبير في القرآن لتطمئن قلوبهم، كأنه يقول: " إذا علمتم راحة بال المؤمنين فماذا يمنعكم بأن تكونوا مثلهم فإن تلك في متناولكم لأن ذكر الله بمسامعكم " ¹.

وأما الآية الثانية التي دخلت فيها " ألا " على الفعل المضارع فهي قوله تعالى: ﴿ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴾ (الشورى، 53). والمراد بالأمور في الآية الكريمة كلّ الشؤون والأحوال والحقائق وكلّ موجودٍ من الدّوات والمعاني ²، وفي توظيف صيغة المضارع إفادة معنى الديمومة، وإثبات حقيقة معيّنة غير مرتبطة بزمن معيّن، وذلك كقول القائل: " زيد يعطي ويمنع "، أي من شأنه ذلك، ولا يُراد به حقيقة الاستقبال، فكلّ أمور الخلق تُردّ إليه تعالى يوم القيامة فيقضي بين الناس بالعدل، وقد ذكر الفراء أن المراد بذلك يوم القيامة لأنه لا يمكن لأحد أن يدعي فيه لنفسه شيئاً ³.

وقد استُفتح التعقيب بـ " ألا " مبالغة وتحقيقاً وتثبيتاً لهذه الحقيقة التي أقرّها القرآن في مواضع كثيرة، فقال: ﴿ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ (البقرة، 210)، وقال أيضاً: ﴿ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ (الحج، 41)، وقال: ﴿ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ (لقمان، 22). كما قدّم المجرور لإفادة الاختصاص.

ب- تعقبات همزة الاستفهام:

الاستفهام في اللغة طلب الفهم، وأصل ذلك أن الهمزة والسين والتاء زوائد تُردّ قبل أصول الفعل للدلالة على طلبه والتماسه ⁴. أما في الاصطلاح فإن الاستفهام هو " طلب المراد من الغير على جهة

¹ - التحرير والتنوير، ج 13، ص 138.

² - نفسه، ج 25، ص 156.

³ - ينظر: البحر المحيط، ج 9، ص 352.

⁴ - للاستزادة ينظر: الخصائص، ج 2، ص 155، 156.

- المفصل في صناعة الإعراب: جار الله محمود بن عمرو الزمخشري، تح: علي بو ملحم، مكتبة

الهلل، بيروت، ط 1، 1993، ص 374.

الاستعلام " ¹، أو هو " طلب العلم بشيءٍ بواسطة أداة من أدواته ، وهي إحدى عشرة: الهمزة، هل ، ما، من ، متى، أيان، أين، كيف، أنى، كم، أي " ².

ويمكن تقسيم هذه الأدوات إلى فئتين بالنظر إلى اعتبار أقسام الكلم، وينتج عن ذلك أن سائر هذه الأدوات أسماء، سوى الهمزة وهل فإنهما حرفان ³. كما يمكن تصنيفها باعتبار ما يُستفهم عنه إلى فئات ثلاث، أولها ما يختصّ بطلب حصول التصديق وذلك شأن " هل "، أما الفئة الثانية فتختصّ بطلب حصول التّصوّر، وهي تضمّ سائر أسماء الاستفهام. أما الثالثة فتشمل ما لا يختصّ، وينطبق ذلك على الهمزة دون سواها ⁴.

وهكذا فإن الهمزة تمتاز بكونها أعمّ تصرفاً في بابها على الإطلاق لأنها لا تختصّ، ولأجل ذلك كانت أصل كلّ أدوات الاستفهام ⁵، كما تمتاز بكونها لا تتقيّد بنوع محدّد من الجُمْل، فهي تدخل على الجملتين الاسمية والفعلية، في حالتي الإثبات والنفي، ولعلّ ذلك ما يفسّر كثافة حضورها في موضع التعقيب في كتاب الله تعالى دون سائر أساليب الاستفهام.

¹ - الطراز، ج 3، ص 158.

² - المنهاج الواضح للبلاغة، ج 2، ص 95-105.

³ - الطراز، ج 3، ص 158.

⁴ - المراد بالتصديق طلب تعين الثبوت أو الانتفاء في مقام التردد، أي أنّ المُستفهم يسأل عن الجملة التي بعد كلمة الاستفهام: أصادقة هي أم غير صادقة، ولذلك يجاب عنها بـ " نعم " أو " لا "، أو بسائر أحرف الجواب. أما التّصوّر فهو الماهية الحاصلة في الذهن من غير أن يُضاف إليها حكم من الأحكام، ولذلك لا يجاب عن التّصوّر بحرف من حروف الجواب، بل يُجاب بتحديد ماهية الشيء المستفهم عنه، للاستزادة ينظر:

- مفتاح العلوم: يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي، ضبط وتعليق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1987، ص 308.

- الطراز، ج 3، ص 158.

- المنهاج الواضح للبلاغة، ص 101، 102.

⁵ - الجنى الدّاني في حروف المعاني، ص 31.

غير أن ما يثير التساؤل في توظيف هذا الأسلوب أن أكثر هذه المواضع تتصل بسور معينة دون سواها، وذلك أظهر في: يونس، والأنبياء، والنمل. وينطبق ذلك على سور أخرى بدرجات متفاوتة كما في: هود، والنحل، والأعراف، ويس، والزمر، والمؤمنون، والفصص. ولعل ما يؤكد قصدية هذا التوظيف في هذه السور بعينها هو ارتباطه الوثيق بالقرآن المكي، حيث ورد في اثنين وستين موضعاً كلّها مكّية سوى ما ورد في سورة البقرة في موضعين، وفي آل عمران في موضع واحد.

وتفسير ذلك أن القرآن المكي أحوج لهذا الضرب من الاستفهام الذي تستدعيه مجادلة المشركين وزجرهم ووعيدهم ودعوتهم إلى النظر في بديع الخلق والاعتبار بمصائر الأمم السابقة، وهي الأغراض التي يرمي إليها الاستفهام بالهمزة في موضع التعقيب، حيث يخرج عما يقتضيه الظاهر ويعدل عن وظيفته الأصلية المتمثلة في طلب حصول التصديق أو التّصور، وذلك سعياً إلى تحقيق أغراضه الأساسية من أمرٍ ونهي، أو وعدٍ ووعيد أو إنكارٍ وزجر.

- دخول همزة الاستفهام على لا النافية:

ولعل المتأمل في التوظيف القرآني لهمزة الاستفهام في موضع التعقيب يلحظ علاقتها الوثيقة أيضاً بـ " لا " النافية، وذلك ما يفسره مقام الإنكار والزجر حيث يرد التعقيب على نحو تتقدّم فيه الهمزة وتتأخّر عنها الفاء، وذلك مما يدلّ على أصالة الهمزة التي تستأثر بتمام التصدير، وكان الأصل في ذلك تقديم حرف العطف على الهمزة، لأنها من الجملة المعطوفة، وليس ذلك إلا للهمزة دون سائر الأدوات¹.

وقد تكرر هذا النمط من التعقيب في ثلاثة وثلاثين (33) موضعاً التزم فيها الأسلوب القرآني

صيغة واحدة على النحو التالي:

¹ - ينظر: الجني الداني، ج1، ص 31

همزة الاستفهام + حرف العطف + حرف النفي + الفعل المضارع + واو الجماعة

أ	ف	لا	تَعْقَلُ	ون
			يَعْقُلُ	
			تَذَكَّرُ	
			تَتَذَكَّرُ	
			تَسْمَعُ	
			تَنَقُّ	
			تُبْصِرُ	
			يَشْكُرُ	
			يُؤْمِنُ	
			يَنَقُّ	

وقد أنكر الله تعالى على المشركين في هذا الضرب من التعقيب تعطيل جملة من المواهب التي بثها فيهم لغاية إدراك الغاية من وجودهم، فقال في موهبة العقل: ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾، وهو تعقيب تكرر في ثلاثة عشر موضعاً، لم يخرج فيها الخطاب القرآني عن مجادلة أهل العناد والعنوّ ممن أصرّوا على ضلالهم وإنكار بعض أفعالهم المهيئة للعقل، وهي في الغالب لا تخرج عن بعض المضامين:

أولهما إنكار بعض الأفعال التي يتمّ فيها إلغاء العقل إلغاءً تاماً، كما في فعل بعض أهل الكتاب مما أوجزه الله تعالى في قوله: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة، 44)، وهؤلاء مثّلهم كما ذكر صاحب تفسير النار " كمثل رجل أمامه طريق مضيءٌ نُصِبت فيه الأعلام والصُّوَى¹، بحيث لا يضلّ سالكه، ثم هو يسلك طريقاً آخر مظلماً طامس الأعلام، وكلّما لقي في طريقه شخصاً نصّح له ألاّ يمشي معه، وأن يرجع إلى طريق الهدى الذي تركه، أو مثل

¹ - الصُّوَى: الحجارة المجموعة، وأحدثها صُوَّةٌ، للاستزادة ينظر:

- لسان العرب، ج1، ص 525.

ساعِبٍ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْمَائِدَةِ الشَّهِيَّةِ، وَيَبِيتُ عَلَى الْجُوعِ وَالطَّوَى، أَوْ صَادٍ¹ يَدُلُّ الْعَطَاشَ عَلَى مَوْرِدِ الْمَاءِ وَلَا يَرِدُ مَعَهُمْ². وذلك مما لا يقع من صحيح العقل دون شك.

أما الثاني فهو إنكار تعطيل العقل وعدم القدرة على التمييز بين الأمور الواضحة، كعدم القدرة على الاختيار الصحيح بين متاع قليل زائل وبين نعيم مقيم لا يحول ولا يزول، من ذلك ما جاء في تعقيب قوله ﷺ: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَمَتَّاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (القصص، 60)، ومنه أيضاً: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (الأنعام، 32).

وأما الثالث فهو إنكار عدم القدرة على التَّبَصُّرِ في آيات الله تعالى العظيمة، كالإحياء والإماتة، واختلاف الليل والنهار في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (المؤمنون، 80)، ومن ذلك أيضاً عدم القدرة على التَّبَصُّرِ والاعتبار بمصائر الأمم السابقة في قوله ﷺ: ﴿وَأَنكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ﴾ وبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (الصفافات، 137).

كما قد يُنكَرُ أسلوب التعقيب تعطيل موهبة العقل بألفاظ مشابهة كلفظ التَّذَكُّرِ في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِّنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ (السجدة، 4)، وقد ورد ذلك في سبعة مواضع أُبْدِلَتِ النَّاءُ في أكثرها ذالاً، ثُمَّ أُدْغِمَتْ فِي الذَّالِ الثَّانِيَةِ، من ذلك ما جاء في تعقيب قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (يونس، 3). وقد يستعمل أسلوب التعقيب لفظ التَّفَكُّرِ بدلاً من العقل والتَّذَكُّرِ،

¹ - الصدى هو العطش الشديد، ولا يكون ذلك حتى يجف الدماغ ويببس. للاستزادة ينظر:

- العين، ج 7، ص 140.

² - تفسير المنار، ج 1، ص 247.

كما في تعقيب قوله ﷺ: ﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الأنعام، 50).

والواقع أن التتويع القرآني لهذه الأفعال في تعقيباته ليس من قبيل الترف، فألفاظ " يعقلون " و " يتفكرون " و " يتذكرون " تلقي دلالتها ضمن نطاق مشترك، ولكنها تختلف في الوقت ذاته بقدر الفروق التي يقتضيها السياق في الآيات الكريمة. ولذلك فإن أسلوب التعقيب يستعمل الهمزة لإنكار وزجر المعاندين عن تعطيل العقل باعتباره العلم الأول الذي يزجر عن كل قبيح ¹. أما الفكر فهو جنس من النظر الذي هو سبب في حصول العلم ². وأما التذكّر فالمراد به التأمل ويطلق في مواضعه " للإشارة إلى أن الاستدلال على وحدانية الله تعالى أمر قد تقرّر في النفوس بالفطرة، وبما تقدم لهم من الدعوة والأدلة فيكفي في الاستدلال مجرد إخطار هذه الأدلة في البال " ³.

كما حرص الأسلوب القرآني على سائر المواهب مما هو سبيل إلى العقل أيضاً، فأنكر تعطيل موهبة السمع في قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بَضِيَاءَ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴾ (القصص، 71)، كما أنكر تعطيل موهبة البصر: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بَلِيلٍ تُسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (القصص، 72). كما حرص أيضاً على زجر أهل العناد وإنكار جحودهم وكفرانهم لبعض الثمرات التي توجبها هذه المواهب، كالشكر، فقال: ﴿ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾ (يس، 35)، والتقوى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (المؤمنون، 32)، والإيمان: ﴿ أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأنبياء، 30).

¹ - ينظر: الفروق اللغوية، ص 83.

² - ينظر: نفسه، ص 77.

³ - للاستزادة ينظر: التحرير والتؤيّر، ج 11، ص 89.

ويبدو أن الحرص القرآني على إنكار تعطيل هذه المواهب التي تتصل بالعقل له ما يبرره يقيناً باعتبار أن هذه الأمور هي السبيل الوحيد لتحقيق قيم الإنسانية الحقّة، والتي بها ينماز بها الإنسان عن سائر الأنعام، ولذلك قال في هؤلاء الذين اختاروا الكفر على الهداية: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (البقرة، 171)، وقال أيضاً: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (الفرقان، 44)، وقال في عاقبتهم: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (الأعراف، 179).

- دخول همزة الاستفهام على ليس:

كما تتصل همزة الاستفهام بـ " ليس " في موضع التعقيب لإفادة معنى التقرير، وإنما يحصل هذا المعنى نتيجة إنكار النفي، ونفي النفي إثبات، وهو مستعمل في التقرير على وجه الكناية¹. وهو ضربٌ من النظم البديع الذي استحسّنه الذوق العربي وله في ذلك أخبارٌ تروىها كتب الآداب والسّير، فقد مدح جرير عبد الملك بن مروان بقوله:

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكَبَ الْمَطَايَا... وَأُنْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونُ رَاحِ؟

¹ - للاستزادة ينظر:

- مغني اللبيب، ص 25.

- التحرير والتنوير، ج 21، ص 36.

ويُروى أنّه كان متكئاً فجلس، وقال: " من مدحنا منكم فليمدحنا بمثل هذا أو ليسكت " ¹ وصار هذا البيت بذلك في تاريخ الشعر أمدح ما قالت العرب ².

وقد أورد أسلوب التعقيب هذا الضرب من النظم في ثمانية مواضع، يُراد في أربعة منها الإقرار ببعض الحقائق المتعلقة بذات الله تعالى، من ذلك علمه ﷻ في قوله: ﴿ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِّنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴾ (الأنعام، 53). ومنه عزّته وانتقامه في تعقيب الآية الكريمة: ﴿ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ﴾ (الزمر، 37)، وهو مما حمله صاحب الكشف على معنى الوعيد لقريش والوعد للمؤمنين بأنه ينتقم لهم منهم، وينصرهم عليهم ³. وقد التزم أسلوب التعقيب في تقرير هذه المضامين زيادة الباء في خبر " ليس " لإفادة معنى التوكيد ⁴ إذا كان الخبر مفرداً، وهو توكيد للتقرير المستفاد من نفي النفي، وذلك رأي أكثر النحاة والبلاغيين. ومن المعاصرين من أنكر فكرة الزيادة، وذهب إلى أن الغاية من الباء في الاستفهام عن منفيّ بـ " ليس " في الأسلوب القرآني تحديداً هي تمحيض دلالة التقرير والإثبات، فينتفي معها أن يكون المراد بهذا الاستفهام استفهاماً على حقيقته يُقصد به طلب الفهم، كما ينتفي معها أن يُراد به سائر الأغراض من توبيخ أو تنبيه أو سخرية وتهكّم وغير ذلك ⁵.

¹ - العقد الفريد: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1404هـ، ج 1، ص 331.

² - جمهرة أشعار العرب: أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، تح: علي محمد البجادي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، جمهورية مصر العربية، ص 104.

³ - الكشف، ج 4، ص 129.

⁴ - اللمع في اللغة العربية، ص 39.

⁵ - ينظر: الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق: عائشة عبد الرحمن بينت الشاطي، دار المعارف، ط 3، ص 189، 190.

وقد يرد هذا الأسلوب لغاية تقرير بعض المضامين الأخرى في سياق الوعيد، من ذلك ما جاء في وعيد قوم لوط عليهم السلام في تعقيب الآية الكريمة: ﴿قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَقِ مِنكُم أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتُكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ (هود، 81)، وقد روي أن نبي الله قد استتباً موعد الصبح وطلب تعجيل العذاب لقومه وذلك لما أَلَمَ به من كربٍ شديد، فقالت الملائكة: " أليس الصبح بقريب " ¹. كما يرد هذا الأسلوب في سياق وعيد الكافرين والمتكبرين ممن كذبوا دعوة الحق، أو ممن كذبوا على الله تعالى، من ذلك: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ (العنكبوت، 68)، وقوله: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (الزمر، 60).

- وقد تدخل همزة الاستفهام على جملة التعقيب المثبتة في بعض الآيات الكريمة لتحقيق بعض المقاصد، من ذلك ما جاء في سورة النمل حيث تميّزت بعض تعقيباتها بأسلوب فريد تصدرت فيه همزة الاستفهام الجملة الاسمية المثبتة لإفادة معنى الإنكار في مواضع متتالية عدّد فيها الله جلّ وعلا من الخيرات والمنافع ما يدلّ على سعة رحمته وجلال قدرته، فقال: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَبَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَعِلَّةٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعِدُونَ﴾ ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَعِلَّةٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَعِلَّةٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ

¹ - تفسير الطبري، ج 15، ص 424، 425.

أَعْلَهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
أَعْلَهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٠﴾ (النمل، 59 - 64).

ويهدف أسلوب التعقيب في هذا الموضع من السورة إلى تكثيف دلالات الإنكار والتبكيك اعتماداً على تصدير الجملة بهمزة الاستفهام في مواضع متوالية، وقد دخلت الهمزة على لفظ الجلالة في التعقيب الأول فحصل عن اجتماعها بالألف في (أد) التعريف ذلك المدّ الظاهر في صدر قوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، وهو استفهام مشوبّ بمعاني الإنكار والتبكيك والتوبيخ والتهكم بحال المشركين¹، كما يتضمّن معنى التنبيه على موضع التباين بين الله تعالى وبين الأوثان في سياق المحاجة، وذلك لغاية " بيان فساد ما عليه الخصم، وتنبيهه على خطئه، وإلزامه الإقرار بحصر التفضيل في جانب واحد، وانتقائه عن الآخر " ²، وهو أسلوب تَرَدّ فيه صيغة التفضيل على هذا النحو " حيث يُعلم ويُتَحَقَّق أنه لا شركة فيها، وإنما يُذكر على سبيل إلزام الخصم وتنبيهه على خطأ مرتكبه " ³.

أما في المواضع التالية فقد ورد الاستفهام بالهمزة في قوله تعالى: ﴿أَأَنُلَّهُ مَعَ اللَّهِ﴾ وهو استفهام إنكاري تكرر في خمس آيات كريمة جاء فيها التذكير ببعض آيات الله العظيمة، المتعلقة بالكون، وبخلق الإنسان، وبما يكون به قوام معيشته في إقامته وفي سفره، في أحواله الخاصة والعامة. وفي ذلك كلّ تبكيك وتوبيخ لهؤلاء المشركين، فأَيُّ إِلَهٍ يقدر على ما سبق من الآيات العظيمة حتى تحقّق له العبادة كما حقّت لله، " وهذا تبكيك لهم بنفي الألوهية عما يشركونه به تعالى في ضمن النفي الكلي على الطريقة البرهانية بعد تبكيكهم بنفي الخبرية عنه بما ذكر من التّردّد، فإن أحداً ممّن له تمييز في

¹ - ينظر: البحر المحيط في التفسير، ج 8، ص 256.

² - نفسه، ص 256.

³ - نفسه، ص 256.

الجملة كما لا يقدر على إنكار انتفاء الخيرية عنه بالمرّة لا يكاد يقدر على إنكار انتفاء الألوهية عنه رأساً لا سيما بعد ملاحظة انتفاء أحكامها عما سواه تعالى " ¹.

- كما تدخل همزة الاستفهام على الجملة الاسمية المثبتة في بعض المواضع التي يكون فيها الخطاب موجّهاً إلى شخص النبي ﷺ فتتصدّر الجملة وتتأخّر عنها الفاء العاطفة، ثم يليها ضمير المخاطب، وهو أسلوب تكرر في بعض المواضع في سورة يونس، في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴾ ² وَمِنْهُمْ مَّن يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴾ (يونس، 42-43)، وفي قوله أيضاً: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ (يونس، 99). كما ورد هذا الأسلوب في بعض المواضع المتفرقة، من ذلك ما جاء في سورة الزمر في تعقيب قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَن فِي النَّارِ ﴾ (الزمر، 19)، وفي سورة الفرقان: ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾ (الفرقان، 43).

وقد حمل بعض المفسرين دلالة الاستفهام بالهمزة في هذه المواضع على معنى الإنكار ² باعتبار ما أصاب النبي ﷺ من همٍّ وجزعٍ نتيجة إصرار قومه على شركهم وضلالهم. وقد صور الأسلوب القرآني ذلك أروع تصوير، فقال: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ (الكهف، 6)، وقال أيضاً: ﴿ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ (الشعراء، 3)، وقال: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ (فاطر، 8).

¹ - إرشاد العقل السليم، ج6، ص 294-297.

² - ينظر مثلاً: - نفسه، ج 4، ص 148.

- تفسير المنار، ج 11، ص 314.

غير أن معنى الإنكار قد لا يستقيم مع مقام المخاطب في هذه الآيات، ولعلّ في ذلك ما يفسّر الاختلاف في توجيه دلالة الاستفهام في هذه المواضع، فقد رفض صاحب التحرير والتنوير أن يكون المراد بالهمزة معنى الإنكار¹، وذهب إلى أنها تفيد معنى التعجب من وضع هؤلاء الذين فطرت نفوسهم على المكابرة والعناد والبُغض، فكانت هذه الخصال حوائل بينهم وبين التأثر بالمسموعات والمُبصرات². كما ذهب بعض المفسرين إلى أنه استفهام يُراد به النقي³، وذهب آخرون إلى معنى التنبّه أي تنبيه النبي ﷺ إلى ضلال هؤلاء⁴، وأنهم عُمي فلا يقدر على هدايتهم، لأنهم فقدوا كلّ سبب يُهتدى به إلى رؤية الدلائل، وفي ذلك تسليّة لقلبه، وأمر له بأن لا يكثرث بعدم قبولهم لأن الهداية من الله وحده⁵.

ج - تعقيبات " من " الشرطية:

المراد بالشرط تعليق شيء بشيء، بحيث إذا وجد الأول وجد الثاني⁶، وهو في عرف النحاة أخصّ لأنّه " تعليق حصول مضمون جملة بحصول مضمون جملة أخرى " ⁷. ولذلك فإن الشرط ينعقد بين جملتين، تُعرف أولاهما بجملة الشرط، وهي جملة فعلية باعتبار أن فكرة الشرط تستند في الأساس إلى اشتراط وجود حدث يؤدي إلى نتيجة معينة⁸، وأما الثانية فقد تكون فعلية أو أسمية وهي تُعرف بجملة الجواب أو الجزاء. ويوحّد الشرط بين الجملتين فتصبحان بمنزلة الواحدة من حيث دخل في

¹ - ينظر: تفسير التحرير والتنوير، ج 11، ص 178

² - ينظر: نفسه، ص 178

³ - تفسير القرطبي، ج 8، ص 346.

⁴ - زهرة التفاسير، ج 10، ص 5286.

⁵ - البحر المحيط، ج 6، ص 62. ينظر أيضاً: في ظلال القرآن، ج 3، ص 1795.

⁶ - التعريفات، ص 125

⁷ - الكليات، ص 155

⁸ - ينظر: التطبيق النحوي: عبده الراجحي، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط 1، 1420هـ 1999م، ص

الكلام معنًى يربطهما ببعض، حتى تصير إحداهما لذلك بمنزلة الاسم المفرد في امتناع أن تحصل به الفائدة¹، وإنما يتحقق ذلك في كلام العرب بأداة تُعرف بأداة الشرط.

وتتقسم أدوات الشرط باعتبار عملها إلى قسمين، يضم أولهما ما يجزم فعلين، وهي²: إن، وإِذَا، وَمَنْ، وما، ومهما، ومتى، وأَيَّانَ، وأَيْنَ، وأَنْتَى، وَحَيْثَمَا، وكيفما، وأَيُّ. أما القسم الثاني فيضم أدوات الشرط غير الجازمة: لَوْ، وَلَوْلا، وَلَوْما، وإِذَا، وأَمَّا³. كما يمكن تقسيم هذه الأدوات بالنظر إلى اعتبارات أخرى كاعتبار موقعها من فئات الكلم الثلاثة، أو كاعتبار تضمّنها معنى الظرفية أو تجرّدها منه⁴، فبالنظر إلى التقسيم الأول فإن النحاة يُجمعون على أن "إن" حرف شرط، أما "إِذَا" فهي موضع خلاف والأرجح أنها حرف، وأما ما بقي من الأدوات الجازمة فهي أسماء بالإجماع سوى "مهما" فإنها موضع خلاف والأرجح أنها اسم⁵. أما غير الجازمة فإن "إذا" تنفرد عن غيرها باعتبارها اسماً خلافاً لسائر الأدوات الحروف: لو، ولولا، ولوما، وأما. وأما بالنظر إلى تضمّن معنى الظرفية فإن: متى، وأَيَّانَ، وأَيْنَ، وأَنْتَى، وَحَيْثَمَا، وإِذَا، جميعها ظروف، على خلاف ما بقي من الأدوات.

¹ - ينظر: أسرار البلاغة، ج 1، ص 111

² - ينظر: شرح قطر الندى وبل الصدى: جمال الدين بن هشام، ص 85.

- فتح رب البرية في شرح نظم الأجرومية، ص 292.

³ - من النحاة من يرى أن "لَمَّا" و"كَلَمَّا" من أدوات الشرط غير الجازمة أيضاً، وهو موضع خلاف باعتبار أن طبيعة العلاقة التي تربط جزئي الجملة في قول القائل: "لما حضر زيد سافر عمرو". أو في قوله "كلما حضر زيد سافر عمرو" ليست علاقة عليّة وهو ما ينقض مفهوم الشرط، بل هي مجرد علاقة زمانية، لأن حضور زيد لم يكن سبباً في سفر عمرو. للاستزادة ينظر:

- التّطبيق النّحوي: عبده الراجحي، ج 1، ص 321.

⁴ - للاستزادة ينظر:

- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب: جمال الدين بن هشام، ص 434.

⁵ - ينظر: فتح رب البرية في شرح نظم الأجرومية، ص 292

وثُعدَّ " إن " في عرف النّحاة أم باب الشّرط وأصل أدواته كلّها ¹، وهو حكم لا يؤيّدُه واقع التوظيف القرآني في أسلوب التّعقيب، فقد وردت " مَنْ " في سبعين (70) موضعاً متفرّقاً من كتاب الله تعالى، ولم تتجاوز " إن " خمسَ ذلك، إذ لم ترد إلّا في ثلاثة عشر موضعاً. أما " ما " فقد وردت في خمسة (5) مواضع فقط، وأما سائر الأدوات غير الجازمة فلم يرد منها سوى " لو " في ثلاثة مواضع، و " لولا " في موضعين اثنين، وفي ذلك تفسير لتقديم " من " الشرطية على أمّ الجزاء في مباحث هذا الفصل.

- " مَنْ " في التّعقيات القرآنية:

تختصّ " مَنْ " دون سائر أدوات الشّرط بالعقل، بصرفِ النّظر عن جنسه أو عدده، ولذلك كانت أنسب الأدوات لموضع التّعقيب، حيث يعرض الأسلوب القرآني على وعي المتلقي قانوناً من القوانين الإلهية في هيئة جملة شرطية تتضمّن الفعل والجزاء، وفي ذلك دعوة كنائية لوجوب الالتزام بتقوى الله تعالى والحذر من عقابه.

ويرد هذا الضرب من أسلوب التّعقيب عادةً لتحقيق أغراض الوعد أو الوعيد، أو التّحذير، أو التنبيه، أو الذّم في سياق بعض الأحكام المتعلقة بالعبادات أو المعاملات. ولذلك اختير لتحقيق الوعد في سياق بعض أحكام الحج في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة، 158)، أو بعض الأحكام المتعلقة بالإنفاق: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنِفِقُوا خَيْرًا لَّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (التغابن: 16)، أو بعض أحكام الأسرة: ﴿ فَإِذَا بَلَغَ أَجْلُهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِّنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ (الطلاق، 2).

¹ - سنفضّل الحديث في هذه النقطة لاحقاً.

كما اختير أيضاً لتحقيق الوعيد والتحذير والذم في سياق بعض الأحكام المتعلقة بالصِّد: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصِّدِّ تَتَّالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (المائدة، 94)، أو القتال: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (الأنفال، 13)، أو المعاملات بين المؤمنين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (الحجرات، 11)، أو بين المؤمنين وبين أعدائهم: ﴿إِنَّمَا يَنهَأُكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (المتحنة، 9).

- **خصائص الفعل وجوابه في تعقيبات " من " الشرطية:** يتميز فعل الشرط وجوابه في هذا الضرب من التعقيبات بجملة من الخصائص العامة نُفَصِّلُها فيما يلي:

- **ترد التعقيبات الشرطية ضمن بعض السياقات لتحقيق جملة من الأغراض** كما سبق الذكر، إلا أن طبيعة هذه الجمل التي تستعرض الفعل والجزاء جاءت في الخطاب القرآني في صيغة قانون عام تنطبق دلالاته على حالات أخرى كثيرة قد تخرج عن الحصر، وتفسير ذلك يرجع إلى طبيعة فعل الشرط، ذلك أن الخطاب القرآني يُقَدِّم عادةً فعل الشرط في هيئة لفظ عام يقتصر في تكوينه الدلالي على الملامح التمييزية الأهم، مما هو متضمَّن في الكثير من الأفعال، فحينما يقول الله تعالى في سورة النساء: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (النساء، 110)، فإن مظاهر عمل السوء أو ظلم النفس تخرج عن الحصر، فكل أشكال المعصية ومخالفة الشرع هي

من عمل السوء وفيها ظلم ظاهرٌ للنفس، ولا يقتصر الأمر على سرقة درع أو تهمة يُقذف بها برئ¹.
 وحينما يقول جلّ وعلا: ﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (البقرة، 229) فإن مظاهر
 التّعدي لحدود الله تعالى تخرج عن الحصر، وجميعها تستوجب الجزاء.

- يتعلّق الشرط وجوابه بالمستقبل، ولذلك فإن الأصل في فعليهما أن يردا على هيئة الاستقبال، وقد
 جاء ذلك في عدد من التعقيبات، منها قوله تعالى في سورة الطلاق: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ
 مَخْرَجًا ﴾ (الطلاق، 2)، وقوله في سورة الحج: ﴿ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴾ (الحج،
 25). وقد يورد الأسلوب القرآني فعلي الشرط والجواب في صيغة الماضي، ولكن المراد بهما
 الاستقبال، من ذلك قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴾ (الإنسان، 29)، فإن المراد به
 الاستقبال، ودليل ذلك قوله تعالى بعد ذلك: ﴿ وَمَا تَشَاوُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ (الإنسان، 30)، أي: "
 من كان يريد أن يتخذ إلى ربه سبيلاً فقد تهيأ له اتخاذ السبيل إلى الله بهذه التذكرة فلم تبق للمتغافل
 معذرة " ²، وهو تعقيب تكرر أيضاً في سورة المزمل³. ومثله ما جاء في سورة النبأ في قوله تعالى:
 ﴿ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا ﴾ (النبأ، 39).

وتصريف دلالة الماضي إلى الاستقبال من الأساليب المعروفة في كلام العرب، من ذلك قول
 الحُطَيْبَةُ:

شَهِدَ الحُطَيْبَةُ يَوْمَ يَلْقَى رَبَّهُ أَنَّ الْوَلِيدَ أَحَقَّ بِالْعَذْرِ⁴

¹ - نزلت هذه الآية الكريمة في رجل من الأنصار يقال له طعمة بن أبيرق سرق درعاً من جاره، واتهم بذلك شخصاً
 من اليهود، وأقسم على ذلك. وقد شهد أناس من اليهود على براءة صاحبهم، فذهب قوم طعمة إلى النبي ﷺ كي يجادل
 عن صاحبهم ويبرئه، للاستزادة ينظر:

أسباب النزول: أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري، تح: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح،
 الدمام، ط 2، 1992 م، ص 181.

² - التحرير والتنوير، ج 29، ص 278.

³ - في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴾ (المزمل، 19).

⁴ - العقد الفريد، ج 5، ص 58 - ج 8، ص 61.

ونكتة ذلك أن " أن الفعل الماضي إذا أُخبر به عن الفعل المضارع إذا لم يوجد بعد، كان أبلغ وأكد، وأعظم موقفاً وأفخر شأنًا، لأن الفعل الماضي يعطي من المعنى أنه قد كان وُجد وصار من الأمور المقطوع بها، المحكوم بكونها وحدثها " ¹، ولذلك قال تعالى في وصف نعيم الأبرار يوم القيامة: ﴿ وَحَلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ (الإنسان، 21)، فإنه من باب تنزيل غير المحقق منزلة المحقق وجعل غير الحاصل في منزلة الحاصل ².

- ورد فعل الشرط في صيغة المضارع في ثمانية وأربعين (48) موضعاً، بنسبة 68.57 % ، وأما في صيغة الماضي فقد ورد في اثنين وعشرين (22) موضعاً بنسبة 31.42 %، منها خمس تعقيبات جاء فيها فعل الشرط مضارعاً مسبقاً بـ " لم ". أما فعل الجواب فقد ورد مضارعاً في خمسة عشر (15) موضعاً أي بنسبة 21.43 %، وماضياً في اثني عشر (12) موضعاً بنسبة 17.14 %، وأما فيما بقي من تعقيبات، أي في ثلاثة وأربعين (43) تعقيباً وهي نسبة أعلى بكثير من سابقتها 61.43 % فقد ورد جواب الشرط جملة اسمية.

- يرد جواب الشرط في أسلوب التعقيب متصلاً بالفاء في الأعم الأغلب، ولم يتجرّد منها سوى في اثني عشر موضعاً أي بنسبة: 17.14 %. وتعدّ هذه الفاء وسيلة من وسائل الرّبط الوثيق بين الشرط وجوابه إذا كان الجواب مما يجوز الابتداء به ³، أو ممّا لا يجوز أن يقع في الشرط وذلك إذا كان جملة اسمية، أو فعلية فعلها طلبی أو جامد أو منفي، أو كان مقروناً بـ " قد " أو بحرف تنفيس ⁴.

¹ - الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور: ضياء الدين بن الأثير، تح: مصطفى جواد، مطبعة المجمع العلمي، 1375هـ، ص 103-104.

² - ينظر: البرهان في علوم القرآن، ج 2، ص 358.

³ - ينظر: الخصائص، ج 1، ص 267.

⁴ - للاستزادة ينظر:

- التّطبيق النحوي، ص 321، 322

وقد فسّر العلماء علّة اللجوء إلى الفاء دون سائر حروف العطف بأن الأصل في الشرط والجواب أنهما لا يصحّان إلاّ بالأفعال، فأما الشرط فلأنه علّة الجواب ولا تكون الأسباب والعلل بالجوامد، بل بالأعراض والأفعال، وكذلك الجواب فإنه شيء موقوف دخوله في الوجود على دخول شرطه والأفعال هي التي تحدث وتتقضي ويتوقّف وجود بعضها على وجود بعض. وربما أوهمّ الجواب إذا كان ممّا يصلح الابتداء به بأنه غير مرتبط بما قبله فجاءوا بالفاء مؤذنةً بارتباطه بالشرط، يقول ابن يعيش: "وأما إذا كان الجزء بشيء يصلح الابتداء به كالأمر والنهي والابتداء والخبر فكأنه لا يرتبط بما قبله، وربما آذن بأنه كلام مستأنف غير جزاء لما قبله، فإنه حينئذ يفترق إلى ما يربطه بما قبله، فأتوا بالفاء لأنها تفيد الإتيان وتؤذن بأن ما بعدها مسبّب عما قبلها، إذ ليس في حروف العطف حرفٌ يوجد فيه هذا المعنى سوى الفاء فلذلك خصّوها من بين حروف العطف، ولم يقولوا: إن تحسن إليّ والله يُجازيك، ولا ثم الله يُجازيك" ¹.

- ترد جملة الجواب في التعقيبات القرآنية في الأعم الأغلب جملة اسمية كما سبق الذكر، وهي لا تخرج عن أن تكون مثبتة أو منفية، فإذا كانت مثبتة - وهي أكثر أحوالها - فإنها ترد في صورتين:

- الأولى: أن ترد مصدرّة بحرف التوكيد "إن"، ويكون اسمها في الأعم الأغلب لفظ الجلالة أو ما يقوم مقامه ²، ويُسند إليه غالباً اسم من الأسماء الحسنى أو صفة من صفاته أو خبر عن الله ﷻ. وتكون جملة الجواب في هذا الضرب من التعقيبات ممّا يصحّ أن يرد في سائر القرآن تعقيباً قائماً بذاته من تعقيبات الأسماء والصفات. وقد ورد هذا الضرب من جملة الجواب في سبعة عشر (17) موضعاً، منها ما جاء في تعقيب قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ

¹ - شرح المفصل: ابن علي بن يعيش النحوي، إدارة الطباعة المنيرية، جمهورية مصر العربية، ج 9، ص 2.

² - كلفظ الربوبية في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الأنعام، 145)، أو الضمير في قوله: ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (إبراهيم، 36).

دِيَهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿ (الأنفال، 49) ¹، ومثله قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ (المتحنة، 6) ².

ولعله من الجدير بالذكر أن نشير إلى أمرين: أولهما أن الخبر في هذا الضرب من جملة الجواب يتعدد إلى خبرين كما في الآيتين السابقتين ﴿ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ ﴿ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ وذلك إذا لم يكن مضافاً ولا شبيهاً بالمضاف. أما الثاني فهو توسط ضمير الفصل بين اسم إن وجوابها في عدد من التّعقيبات قصد إفادة معنى الحصر.

- **الثانية:** أن لا ترد جملة الجواب مسبوقة بـ " إن "، وترد في هذه الحالة غالباً في شكل جملة اسمية يُسند فيها الخبر معرفةً إلى اسم الإشارة " أولئك "، ويتوسطهما ضمير الفصل " هم " قصد إفادة معنى الحصر في المسند إليه، ويغلب على هذا الضرب من جملة الجواب أيضاً أنها تكون مما يصحّ أن يرد في سائر القرآن تعقيباً قائماً بذاته، من ذلك قوله تعالى: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (التغابن، 16) ³، إذ " لما كان ذلك فلاحاً عظيماً جيء في جانبه بصيغة الحصر بطريقة تعريف المسند، وهو قصر جنس المفلحين على

¹ - وردت جملة الجواب قبل ذلك في السورة نفسها في تعقيب قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (الأنفال، 10).

² - وردت جملة الجواب تعقيباً في قوله تعالى: ﴿ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ (لقمان، 26).

³ - وردت جملة الجواب في تعقيب في عدد من الآيات الكريمة، منها قوله تعالى: ﴿ وَلَتَكُنْ مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (آل عمران 104)، ومنها أيضاً: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (النور، 51).

جنس الذين وقوا شح أنفسهم، وهو قصر ادعائي للمبالغة في تحقيق وصف المفلحين الذين وقوا شح أنفسهم نزل الآن فلاح غيرهم بمنزلة العدم " ¹.

أما إذا كانت جملة الجواب منفية فإنها ترد على نحو يتقدم فيه الخبر (شبه جملة) على المبتدأ المجرور لفظاً بمن الزائدة، من ذلك ما جاء في تعقيب قوله تعالى: ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْذِبْ رَاهَا وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴾ (النور، 40). ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ (الزمر، 36)، وهو تعقيب تكرر في أربعة مواضع ² تقدم فيها الخبر " له " على المبتدأ " للاهتمام بالضمير في مقام نفي الهادي لهؤلاء لأن ضلالهم المحكي هنا بالغ في الشناعة " ³، وأما إضافة حرف الجر " من " فالمراد به التخصيص على نفي جنس الهادي عن هؤلاء الضالين الذين يخوفون رسول الله بأصنامهم وذلك في معنى قوله تعالى: ﴿ مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ ﴾ (الأعراف، 186) " ⁴.

ولم تخرج جملة الجواب الاسمية عن هذه الأضرب الثلاثة إلا في القليل النادر، ولعل في استعراض هذه الخصائص العامة كفاية تُغني عن تفصيل سائر المسائل المتعلقة بأسلوب الشرط مما هو مفصل في كتب النحو والبلاغة.

¹ - التحرير والتنوير، ج 28، ص 289.

² - الرد، 33 - الزمر، 23، 36 - غافر، 33.

³ - يُنظر: التحرير والتنوير، ج 24، ص 14.

⁴ - يُنظر: نفسه، ص 14.

د- تعقيبات " إن " الشرطية:

تُعدّ " إن " في عرف النّحاة أمّ باب الجزاء وأصل أدواته كلّها ¹، ويعلّلون ذلك بشيء من التوسّع فيها ممّا لا يجوز في غيرها، يقول المبرّد: " وإنما قلنا إنّ " إنّ " أصلُ الجزاء لأنك تجازي بها في كلّ ضربٍ منه، تقول: إنّ تأتني آتكَ، وإن تركب حماراً أركبُه، ثم تصرّفها منه في كلّ شيء وليس هكذا سائرُها " ²، كما يجعلها في باب الجزاء بمنزلة الهمزة في باب الاستفهام، يقول: " فأما " إنّ " فإنّها ليست باسم ولا فعل إنما هي حرف تقع على كلّ ما وصلّته به زماناً كان أو مكاناً أو آدمياً أو غير ذلك، تقول: إنّ يأتني زيد آتَه، وإن يقيم في مكان كذا وكذا أقم فيه، وإن تأتني يوم الجمعة آتكَ فيه، وكذلك الألف في الاستفهام تدخل على كلّ ضرب منه " ³.

وقد وردت " إنّ " في تعقيب الآيات الكريمة في ثلاثة عشر موضعاً جاءت كلّها في سياق التشريع المدني باستثناء موضع مكّيّ وحيد في سورة الكهف جاء في سياق الحديث عن العذاب والوعيد في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴾ (الكهف، 57)، وهو موضعٌ فريدٌ لم يجئ فيه معنى الشرط على حقيقته باعتبار أن أسلوب الشرط يستوجب علاقة عليّة بين الشرط والجزاء، وهو ممّا لا يستقيم في هذا الموضع، بل جاء للدلالة على مجرّد اقتران أحدهما بالآخر دون معنى السببية، إذ لا يجوز أن تكون الدّعوة سبباً للضلال ومفضية إليه، ولا أن يكون

¹ - ينظر: الكتاب: سيبويه، ج 1، ص 134.

- الأصول في النحو: أبو بكر محمد بن السراج، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت،

ج 2، ص 158.

- شرح المفصل، ج 8، ص 156.

² - المقتضب: أبو العباس محمد بن يزيد المبرّد، تح: محمد عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب، بيروت، ج 2، ص 50.

³ - نفسه، ص 53.

الضلال مفضياً إلى الدعوة¹. وقد نبّه الرّمخشري إلى تفرّد هذا الوضع العجيب من التّعنت والضلال حيث أصبح فيه ما يجب أن يكون سبب وجود الاهتداء سبباً في انتفائه²، وقد أكّد القرآن شدة هذا الحرص على الضلال في جملة الجواب بـ " لن " التي دخلت على الفعل لتوكيد نفي الهداية، ولم يكتفِ القرآن بذلك فجاء بلفظ (أبداً) زيادة في التوكيد.

أما سائر المواضع فقد جاءت في القرآن المدني في سياق بعض الأحكام المتعلقة بالقتال، كما في تعقيب قوله تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ انتهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ (البقرة، 193)، أو الأسرة: ﴿ وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ (النساء، 128)، أو القضاء: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوْا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ (النساء: 135)، أو بعض أحكام أهل الذمة: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران، 64)، أو في سياق الأمر بالتزام طاعة النبي الكريم: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ (آل عمران: 32)، أو بآداب صحبته ﷺ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (المجادلة، 12).

¹ - ينظر: البرهان في علوم القرآن، ج 2، ص 256.

² - ينظر: الكشف، ج 2، ص 370.

أما بالنظر إلى زمن الفعل وجوابه في تعقيبات " إن " الشرطية، فقد ورد فعل الشرط في الزمن الماضي في سبعة مواضع ¹ ليكون ذلك أبلغ وأكد في سياق الأحكام السابقة، أما في صيغة المضارع فقد ورد في خمسة مواضع، وهو ما يعكس قوة العلاقة بين " إن " الشرطية وبين الزمن الماضي في فعل الشرط ².

أما الجواب فقد ورد في الأعم الأغلب جملة اسمية، ولم يرد جملة فعلية سوى في موضعين، أما أولهما ففي قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴾ (الكهف، 57)، وقد جاء فعل الجواب مضارعاً مسبوقاً بنفي، وأما الثاني ففي قوله: ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَا مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران، 64)، وقد جاء فعل الجواب طلبياً، ولذلك فإن الفاء قد اتصّلت بجملة الجواب في جميع التّعقيبات بلا استثناء.

وقد دخلت " إن " على جملة الجواب لتوكيد إسناد الخبر إلى لفظ الجلالة في أغلب التّعقيبات، كما يُلاحظ وجود اتفاقٍ بقدر الاختلاف القائم بين صور الخبر في هذا الضرب من جملة الجواب:

- أما التشابه فيتمثل في أن الخبر لا يخرج عن أن يكون اسماً من أسماء الله تعالى أو صفةً من صفاته، أو خبراً عنه وغيره.

¹ - منها موضع وحيد جاء فيه فعل الشرط مضارعاً مجزوماً بـ " لم " وهو ما يصرفه إلى الماضي في قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (المجادلة، 12).

² - رغم دلالة الشرط على الاستقبال، إلا أن أكثر أحوال فعل الشرط بعد " إن " أن يرد في الزمن الماضي، وهي حقيقة قرآنية تخالف ما يذهب إليه النحاة من أن " إن " تدخل على المستقبل والماضي على حدّ سواء، على خلاف " إذا " التي تختص بالدخول على الماضي، كما يخالف ما يذهبون إليه من أن أحسن أحوال فعلي الشرط والجزاء أن يكونا مضارعين، ودليل ذلك واقع أفعال الشرط في الاستعمال القرآني باعتباره المعيار الذي ينبغي أن تحتكم إليه القاعدة النحوية. ولإثبات ذلك قام بعض الباحثين بتتبّع أحوال فعل الشرط في السبع الطوال وقد انتهى إلى أن " إن " تدخل على الماضي في الأعم الأغلب، بدليل أنها دخلت على الماضي في مائة وخمسة وأربعين موضعاً، في حين أنها لم تدخل على المضارع إلا في خمسة وثلاثين موضعاً فقط. للاستزادة ينظر:

- الشرط في القرآن الكريم: عبد العزيز علي الصالح المعبيد، ماجستير، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، 1976م، ص 73.

- وأما الاختلاف فيتمثل في أن صورة الخبر تتنوع بشكل ملحوظ ولا يكاد يستقرّ على نحو معيّن، فقد يرد مفرداً: ﴿ فَإِنْ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (الأنفال، 39)، وقد يتعدد: ﴿ وَإِنْ تَعَفُّوا وَتَصَفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (التغابن، 14)، وقد يكون جملة اسمية منسوخة بـ " كان " : ﴿ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ (النساء، 128)، وقد يكون جملة فعلية ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ (آل عمران، 32).

كما وردت جملة الخبر منفية في موضعٍ وحيدٍ في قوله تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ (البقرة، 193)، ولذلك لم يناسبها دخول " إنّ " فجاء بـ " لا النافية للجنس " المشابهة لها لتوكيد النفي، إذ من المعلوم أنّهما في عرف النحاة نظيرتان، ولكن " لا " تختص بتوكيد النفي كما تختصّ إنّ بتوكيد الإثبات¹.

هـ- تعقيبات الإضراب بـ " بل " :

" بل " حرف يفيد الإضراب²، وأصله في اللغة الكفّ، فقد جاء في اللسان: " ضربت فلاناً عن فلانٍ أي كففته عنه، فأضرب عنه إضراباً إذا كفّ. وأضرب فلانٌ عن الأمر فهو مُضْرِبٌ إذا كفّ " ³. ومنه قول الشاعر:

أصبحت عن طلب المعيشة مضرباً لَمَّا وثقتُ بأنَّ مالَكَ مالي⁴

¹ - ينظر: شرح الأشموني على ألفية ابن مالك: أبو الحسن علي بن محمد الأشموني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1998، ج 1، ص 329.

² - مغني اللبيب عن كتب الأعراب: جمال الدين بن هشام، تح: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ط 6، 1985، ص 151.

³ - لسان العرب، ج 1، ص 547.

⁴ - نفسه، ص 547.

وهي تفيد العطف إذا أُفرد معطوفها وسُبقت بإيجابٍ أو أمرٍ أو نفيٍ أو نهيٍ¹، أما إذا كان ما بعدها جملةً لم تكن عاطفة بل هي حينئذٍ حرف ابتداء دالٌّ على الإضراب². وهي في رأي ابن مالك لا ترد في القرآن إلا على وجهٍ واحدٍ يُراد فيه بالإضراب معنى التَّرك والانتقال من غرض إلى غيره، يقول: " فإن كان الواقع بعدها جملة فهي للتنبيه على انتهاء غرض واستئناف غيره، ولا تكون في القرآن إلا على هذا الوجه "³.

وقد انتقد ابن هشام هذا الرأي⁴، لأن الأسلوب القرآني قد يوظف (بل) لإفادة معنى الإضراب عما قبلها لا على سبيل التَّرك والانتقال فحسب بل على سبيل الإبطال أيضاً، كما في قوله ﷻ: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾ (الأنبياء، 26)، وقد ذكر المفسرون أن هذه الآية الكريمة نزلت في خُرَاعَةٍ حيث قالوا: " إِنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللَّهِ "، فأبطل القرآن هذا الافتراء العظيم ونزّه ذاته عنه، ثم أخبر عنهم بأنهم عباد مُكْرَمُونَ مفضلون على سائر الخلق لما هم عليه من أحوالٍ وصفاتٍ ليست لغيرهم⁵.

¹ - إذا سُبقت " بل " بإيجاب أو أمر، كان المعنى سلب الحكم عما قبلها وجعله لما بعدها، كقول القائل: " قام زيد بل عمرو "، أو كقوله: " ليقم زيد بل عمرو ". أما إذا سبقها نفي أو نهي كان المعنى تقرير حكم ما قبلها وجعل ضده لما بعدها، كقولنا: ما قام زيد بل عمرو، ولا يقم زيد بل عمرو. للاستزادة ينظر:

- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: يوسف الشيخ محمد البقاعي، ج 3، ص 374.

² - ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ج 3، ص 374، هامش الصفحة.

ولعلّه من الجدير بالذِّكر في هذا الموضع أن بعض النحاة يخالفون هذا الرأي ويذهبون إلى أنها قد تكون عاطفة قبل الجملة في بعض الحالات التي لا سبيل لعرضها في هذا المقام، للاستزادة ينظر:

- الجنى الداني في حروف المعاني، ص 236.

³ - شرح الكافية الشافية: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الطائي الجبائي،، تح: عبد المنعم أحمد هريدي، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط 1، ج 3، ص 1233.

⁴ - للاستزادة ينظر: مغني اللبيب، ص 152.

⁵ - ينظر: الكشف، ج 3، ص 112.

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُم لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴾ (المؤمنون، 70)، حيث أبطل الله تعالى بُهْتَ الكافرين وما عوّلوا عليه من كذبٍ حين رَمَوْا رسولَ الله ﷺ بالجنون والسّحر والشّعْر، وهم يعلمون أنه بريء من كلّ تلك الأوصاف، وأنه أرجح النَّاس عقلاً، وأكثرهم صدقاً، ولكنه جاءهم بما خالف شهواتهم وأهواءهم، ولم يوافق ما كانوا عليه من الضلالة والشرك، فأخذوا إلى البُهْت وعوّلوا على الكذب من النسبة إلى الجنون والسّحر والشّعْر¹.

وقد ورد ذلك في موضع التّعقيب أيضاً، حيث أريد بالإضراب معنى الإبطال في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزَلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (النحل، 101)، حيث أبطل الله تعالى مزاعم أهل الكفر والضلالة ورفع عن نبيّه ما تُسبب إليه من تهمة الافتراء حين جُعِل المنسوخ من القرآن شاهداً على الاضطراب في القول. وقد بيّن الله تعالى أن سلوك هؤلاء " ناشئٌ عن قصور مداركهم عن إدراك مرامي القرآن وسموّ معانيه، وبعضه ناشئٌ عن تعمّد للتجاهل تعلّقاً بظواهر الكلام يُلبسون بذلك على ضعفاء الإدراك من أتباعهم، ولذلك قال تعالى: ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾، أي ومنهم من يعلمون ولكنهم يكابرون " ².

ومنه أيضاً ما جاء تعقيباً على ما قاله بعض المتخلّفين عن الحُدَيْبِيَّة والرّاعِبين في اتّباع المسلمين إلى خيبر طمعاً في الغنيمة فقال ﷺ: ﴿ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يُفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (الفتح، 15). وقد سبق قضاء الله تعالى في هؤلاء بحرمانهم من غنائم خيبر عقاباً لهم وجعلها لأهل الحديبية. وقد أخبر القرآن بأنهم سيفسّرون ذلك بالحسد لجهالتهم وسوء نظرهم في

¹ - ينظر: الكشاف، ج 3، ص 195.

² - التحرير والتنوير، 14، ص 281.

حقيقة الأمور، بل تجاوزوا ذلك فقالوا: ﴿بَلْ تَحَسُدُونَنَا﴾ للإضراب عن قول الرسول ﷺ " لن تتبعونا "، وذلك أبعدُ غايات الجهالة، أي ليس بكم الحفاظ على أمر الله، بل بكم أن لا تُقاسمكم في المغام حسدًا لنا على ما نُصيب منها ¹. ولذلك جاء في تعقيب الآية الكريمة إضرابٌ إبطاليٌّ عن إضرابهم، فقال تعالى فيهم: ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾، وقد نفى عنهم الفهم دون الإيمان لأنهم لم يتجردوا من إيمانهم، وإنما كانوا جاهلين بشرائع الإسلام ونظمه، كما جاء الاستثناء بقوله: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي إلاّ فهماً قليلاً للدلالة على أن فهم هؤلاء الأعراب مقتصرٌ على الأمور السطحية الواضحة لا ينفذ إلى المهمّات ودقائق المعاني ².

ورغم توظيف الأسلوب القرآني للإضراب الإبطالي في تعقيباته إلاّ أن أكثر الذي عليه الإضراب في هذا الموضع الشّريف أنه يرد على سبيل التّرك والانتقال للدّلالة على انتهاء غرضٍ واستئناف غيره، وقد ذهب بعض النّحاة إلى أن حرف الإضراب عاطفة في هذه الحالة وليست حرف ابتداء ³. من ذلك ما جاء في تعقيب قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنْ رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (النحل، 75)، فقد شبّه القرآن حال الأوثان في عجزها بحال العبد المملوك الذي لا يملك حريّة التّصرّف في شيء، وفي مقابل ذلك شبّه شأن الله ﷻ في رزقه لعباده بحال الغنيّ المالك أمر نفسه بما شاء من إنفاقٍ وغيره، وقد وُصف العبد بالمملوك في الآية الكريمة تأكيداً لمعنى العبودية المقتضية لعدم القدرة على التّصرف

¹ - للاستزادة ينظر: التحرير والتنوير، ج 26، ص 169.

² - ينظر: نفسه، ص 170.

³ - أشار صاحب الجنى الداني إلى هذا الخلاف قائلاً: " فإن قلت: هل هي قبل الجملة عاطفة أو لا، قلت: ظاهر كلام ابن مالك أنها عاطفة. وصرح به ولده في شرح الألفية، وصاحب رصف المباني. وغيرهم يقول: إنها قبل الجملة، حرف ابتداء، وليست بعاطفة ". وإلى هذا ذهب الزركشي في برهانه ولم يشر إلى شيء من هذا الخلاف الدائر بين العلماء. للاستزادة ينظر:

- الجنى الداني في حروف المعاني، ص 236.

- البرهان في علوم القرآن، ج 4، ص 258.

في النَّفس والمال. والمراد بذلك كُله نفي المماثلة بين الحالتين، فكيف يزعمون مماثلة أصنامهم لله تعالى في الإلهية مع ظهور عجزها وهوانها¹، وقد جاء تعقيب الآية الكريمة مصدراً بحرف الإضراب مراداً به الانتقال من الاستدلال على هؤلاء المعاندين عن طريق التمثيل إلى الحديث عن تجهيلهم في عقيدتهم وإظهار حقيقة أن أكثرهم لا يعلمون بحذف المفعول زيادة في تجهيلهم، ولا يُتصور في هذا الموضع معنى الإبطال لفساد المعنى.

وقد اجتهدنا في إحصاء المواضع التي وظّف فيها الأسلوب القرآني الإضراب بـ " بل " في موضع التعقيب، وذلك سعياً منا للكشف عن الملامح العامة التي تميّز هذا التوظيف، والتي نوجزها فيما يلي:

- يرتبط الإضراب بنوعيه بالخطاب المكّي ولا يُستثنى منه إلا ما جاء في بعض السور المدنية القليلة، وهي: البقرة، والنور، والفتح، حيث يرد التعقيب من الله تعالى رداً على بعض المكذّبين، إذ يُسند غالباً إلى المبتدئ أو إلى اسم كان خبراً يتضمّن الذمّ والتوبيخ (لا يؤمنون، لا يعلمون، لا يعقلون، مجرمين، قوم طاغون، قوم خَصِمون...). أو قد تُسند بعض الأفعال إلى واو الجماعة متضمنةً نفس الأغراض، وفي الغالب فإن الخبر المسند إلى المبتدئ للدلالة على مضامين التوبيخ والذمّ يكون في شكل جملة فعلية للدلالة على معاني التجدد والتلبّس بهذه الصفات في الأزمنة المختلفة، وذلك من اللطائف التي أودعها الله تعالى في كتابه، فإن الأصل في وضع الاسم الدلالة على ثبات المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدد شيء بعد شيء، وعلى خلاف ذلك فإن الفعل يُقصد به التجدد فإذا قلت: " زيدٌ ها هو ذا ينطلق "، فقد زعمت أن الانطلاق يقع منه جزءاً فجزءاً، وجعلته يزاوله ويزجيه².

- يكثر في التعقيبات المصدرة بـ " بل " الإسناد إلى (أكثرهم) ويتعلّق الأمر غالباً بنفي العلم ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾، كما يتعلّق ببعض الصفات التي تشترك مع العلم في بعض الملامح التمييزية

¹ - للاستزادة ينظر: التحرير والتنوير، ج 14، ص 223.

² - ينظر: دلائل الإعجاز، ص 174.

كالعقل ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾، أو الإيمان ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾، وهو أسلوب اختص به موضع التعقيب دون سائر القرآن. أما العلة في إسناد نفي العلم إلى أكثرهم فهي الحرص على ذم وتوبيخ هؤلاء المخاطبين بالتصريح وتوجيه المعاني ذاتها لغيرهم على سبيل الكناية، " لأن منهم من يعلم الحق ويكابر استبقاءً للسيادة واستجلاباً لطاعة دهمائهم، فهذا ذم لأكثرهم بالصراحة، وهو ذم لأقلهم بوصمة المكابرة والعناد بطريق التعريض " ¹.

- بالعودة إلى السياقات المختلفة التي وردت فيها تعقيبات الإضراب بـ " بل " فإن أكثرها جاءت مسبقةً باستفهام إنكاري أو تعجبي من حال بعض المعاندين ² في سياق الجدل الدائر بين القرآن الكريم وخصومه، وتأتي جملة التعقيب عادةً جواباً عن سؤال مقدّر هو نتيجة حتمية للاستفهام السابق أو لمجموعة الاستفهامات السابقة وهو ما يصطلح عليه بالاستئناف البياني ³، ففي قوله تعالى: ﴿ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (النور، 50)، تتوالى ثلاث استفهامات، أولها الهمزة في قوله تعالى: ﴿ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾، ثم الاستفهام المقدّر

¹ - التحرير والتنوير، ج 14، ص 226.

² - لا يستثنى من هذه القاعدة العامة سوى ثلاث تعقيبات. أما الموضع الأول ففي قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (النحل، 101)، وأما الثاني: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضاً مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (الأحقاف، 24)، وأما الموضع الثالث ففي قوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَائِمٍ لِتَأْخُذُوا دَرُونا نَنْبَغِعَكُمْ يَرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ نَحْسُدُونَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ (الفتح، 15).

³ - الاستئناف البياني هو ما كان واقعاً في جواب سؤال مقدّر، كقول تعالى: ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (البقرة، 15) بعد قوله: ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾ (البقرة، 14)، فإن الحكاية عن هؤلاء المنافقين بأنهم قالوا كذا وكذا تحرك السامعين وتوقع في أنفسهم التمني لأن يعلموا مصيرهم وما يصنع بهم من عذاب أو إهمال. وإذا كان الأمر كذلك، كان قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ جواباً عن هذا السؤال المقدّر.

وهذا الأسلوب جارٍ في كلام الفصحاء، إذ يُنزلون كلامهم إذا جاء يعقب ما يقتضي سؤالاً منزلته إذا صرّح بذلك السؤال، للاستزادة ينظر:

- دلائل الإعجاز، ص 237.

بعد " أم " في الموضعين التاليين في الآية الكريمة باعتبار أن " أم " في الموضعين ليست للتعيين بل هي للإضراب الانتقالي، حيث تدرج الأسلوب القرآني في عدّ أخلاق هؤلاء المنافقين، ثم أتبع ذلك كله بجملة التعقيب متمثلة في قوله تعالى: ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾، وهي جملة " مستأنفة استئنافاً بيانياً لأن السامع بعد أن طنت بأذنه تلك الاستفهامات الثلاثة، ثم أعقبت بحرف الإضراب يترقب ماذا سيُرسی عليه تحقيق حالهم فكان قوله: ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ بياناً لما يترقبه السامع " ¹.

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴾ (الملك، 21)، حيث يرد الإضراب بـ " بل " بعد مجموعة من الآيات المصدرة باستفهام، وقد أدغمت ميم " أم " مع ميم " من " لتكتب الكلمتان ككلمة واحدة في بداية هذه الآية. والاستفهام في هذا الموضع مستعمل في التعجيز عن التعيين فيؤول إلى انتفاء أن يكون في هذا الوجود رازق غير الله تعالى. ولذلك ترد جملة التعقيب جواباً عن سؤال مقدر بعد كل البراهين السابقة، وهو بذلك - كما يقول صاحب التحرير والتنوير: " استئناف بياني وقع جواباً عن سؤال ناشئ عن الدلائل والقوارع والزواجر والعظات والعبر المتقدمة ابتداءً من قوله: ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ ﴾ (الملك، 2) إلى هنا، فيتجه للسائل أن يقول: " لعلهم نفعت عندهم الآيات والنذر، واعتبروا بالآيات والعبر "، فأجيب بإبطال ظنه بأنهم لجؤا في عتوٍّ ونفور " ².

¹ - التحرير والتنوير، ج 18، ص 272.

² - نفسه، ج 29، ص 43.

و- تعقيبات الاستدراك بـ " لكن ":

الاستدراك في اللغة من طلب تدارك السامع¹، والمراد به في الاصطلاح " رفع توهم تولّد من كلام سابق " ²، أو هو " دفع توهم يتولد من الكلام المتقدم دفعاً شبيهاً بالاستثناء " ³.

وقد وظّف أسلوب التّعقيب " لكن " لإفادة معنى الاستدراك في اثنين وثلاثين (32) موضعاً تتدرج في الأعم الأغلب ضمن القرآن المكيّ، وذلك في ستّة وعشرين (26) موضعاً. ولم تتّصل بالقرآن المدنيّ سوى في المواضع القليلة الباقية. كما يرتبط هذا الضّرب من التعقيبات بسور معيّنة كالآعراف والأنعام وغافر، فقد وُظّف في كلّ منها في ثلاثة مواضع، وهو يرتبط بسور أخرى بدرجة أقل كالروم والقصص وسبأ ويونس وغير ذلك من السور المكيّة غالباً. ولعلّ ما يفسر هذا الارتباط بين هذا الأسلوب وبين القرآن المكيّ أنّه يرد في الغالب تعقيباً على إنكار بعض الحقائق العظيمة كحقيقة البعث بعد الموت في قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (يونس، 55)، أو في سياق الجحود وكفران فضل الله تعالى وآلائه العظيمة: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (النمل، 73)، أو في سياق الإعراض عن البراهين الواضحة الجليّة: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿٦٥﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الدخان، 39)، وهي مضامين ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالقرآن المكيّ.

ولعل أهم ما يميّز هذا الضّرب من التعقيبات أنها نتاج هندسة تركيبية واحدة في الغالب، ولا يتمّ التغيير إلّا في المستوى الاستبدالي، حيث يقوم أسلوب التّعقيب بإسناد خبر في شكل جملة فعلية إلى اسم " لكن "، ويمكننا تحديد بعض الخصائص التي تميّز عنصري الإسناد على النحو

التالي:

¹ - التعريفات، ص 21.

² - نفسه، ص 21.

³ - الكلّيات، ص 115.

- بالنظر إلى اسم " لكن " فإنه لا يخرج عن صورتين:

- أما الصورة الأولى فقد وردت في أحد عشر موضعاً، جاء فيها اسم " لكن " اسم التفضيل " أكثر "، مضافاً إلى اسم ظاهر " الناس "، كما في قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (يوسف، 40).

- وأما الصورة الثانية فقد وردت في اثني عشر موضعاً جاء فيها اسم " لكن " اسم التفضيل " أكثر " مضافاً إلى ضمير جماعة الغائبين " هم "، كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ (النمل، 73).

وقد يستغني القرآن عن هذا الأسلوب الكنائي في حالات قليلة يتم فيها إسناد الخبر بشكل مباشر إلى لفظ " المنافقين ". وقد ورد هذا التعبير المباشر في موضعين متواليين من سورة " المنافقون " في قوله ﷻ: ﴿ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ يَقُولُونَ لِنَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلُّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (المنافقون، 7-8)، وذلك أبلغ في الدِّم وأشدَّ في مقام التوبيخ والتقريع.

- أما بالنظر إلى الخبر، وهو جملة فعلية تلتزم في الأعم الأغلب بقاعدتين:

- أما الأولى فإنَّ الفعل يرد غالباً منفياً بـ " لا " مسنداً إلى واو الجماعة على النحو التالي:

(لا يعلمون، لا يشكرون، لا يؤمنون، لا يفقهون).

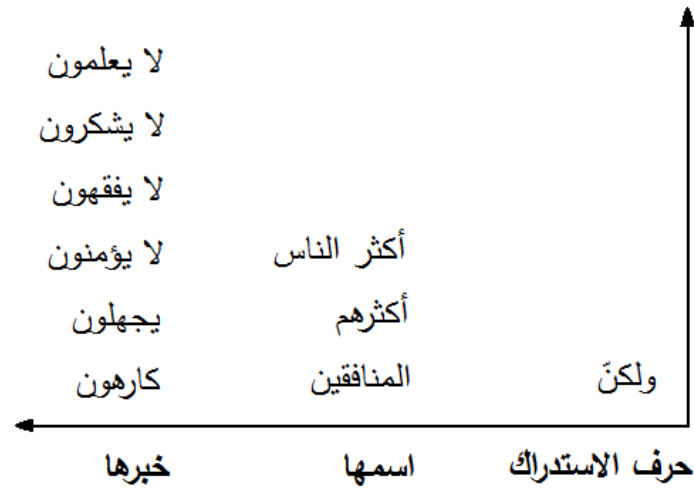
- وأما الثانية فهي حذف المفعول وإنزال المتعدّي منزلة اللازم، وذلك لعلّة إرادة العموم، إذ

ليس المراد بقوله تعالى: ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (القصص، 57) العلم بشيء بعينه، وإنما

المراد أنهم ليسوا ذوي علم ونظر، بل هم جهلة لا يتدبرون الأحوال¹.

¹ - ينظر: التحرير والتنوير، ج 20، ص 150.

ويمكننا تمثيل كافة أحوال هذه البنية النمطية المطردة ضمن المخطط التالي:



ومن المهم أن نشير إلى أن أكثر المضامين التي يتناولها الأسلوب القرآني في هذا الضرب من

التعقيبات تتعلق بنفي العلم، وقد تتعلق بمضامين أخرى بدرجة أقل، وهو ما يوضحه الجدول التالي:

لا يعلمون	لا يشكرون	لا يؤمنون	لا يفقهون	يجهلون	يجحدون	كارهون
18	3	2	1	1	1	1

ويبدو أن تواتر هذه المضامين في التعقيبات القرآنية على هذا النحو متفاوت مرتبطٌ بمدى حضورها

في واقع الناس، ولذلك فإن سائر الصفات التي أوردتها الأسلوب القرآني منفيةً في هذا الضرب من

تعقيبات الاستدراك - كما يبدو - مترتبةٌ عن غياب العلم.

3 - الظاهرة التركيبية في تعقيبات الأسماء والصفات:

رغم التنوع الكبير الذي يميّز الأشكال النحوية في بنية التعقيب ورغم عدم انتظامها على نحو خاص إلا أن الأسلوب القرآني يدع هذا التنوع ويلتزم طريقة خاصّة في النظم حين يتعلّق التعقيب بذات الله ﷻ حيث ينتظم البناء النحوي وفق هندسة نمطية تشكّل بحقّ أظهر سمة أسلوبية في تعقيبات أسمائه تعالى وصفاته.

ويمكننا تحديد المراد بتعقيبات الأسماء والصفات من واقع الاستقراء بأنها ذلك الضرب الشائع من التعقيب الذي يُشرك فيه الأسلوب القرآني بين لفظ الجلالة غالباً وبين سائر الأسماء والصفات لتشكيل البنية النحوية الأساسية لجملة لتعقيب¹، حيث ينتظم الأمر على نحو تُسند فيه سائر الأسماء والصفات إلى لفظ الجلالة، كإسناد صفة القدرة إلى الله في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُبْذُورُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرْ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة، 284)، أو كإسناد صفة العلم في قوله ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (آل عمران، ص 154).

وقد يقوم لفظ الربوبية مقام لفظ الجلالة كمسندٍ إليه في بعض المواضع الخاصة التي يُراد فيها إظهار عناية الربّ جلّ وعلا بالمخلوقين كما في تعقيب قوله ﷻ: ﴿وَتَحْمِلُ أُنْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِالْغَيْهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (النحل، 7)، أو في مواضع استشعار المخلوقين لهذه

¹ - قد تشدّد عن هذا النمط المطرد بعض التعقيبات القليلة وهي تدخل غالباً في باب الإخبار عن الله تعالى فيرد لفظ الجلالة في موضع بعض مكملات جملة التعقيب كأن يقع اسماً مجروراً أو مضافاً إليه، من ذلك ما جاء في تعقيب قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (الحج، 41).

العناية: ﴿ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (هود، 41). كما قد تقوم مقام لفظ الجلالة أيضاً بعض الضمائر في مواضع تقع على غير ما يقتضيه الظاهر، إذ يُراد فيها الإضمار في موضع الإظهار لمقتضيات المناسبة أو لبعض الأغراض البلاغية، من ذلك الضمير (هو) في تعقيب قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (الأنعام، 102)، ومنه أيضاً هاء الغائب: ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيتٍ مِّنْ لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴾ (فصلت، 54). كما ينوب عن لفظ الجلالة الضمير (أنت) في تعقيبات يُجربها الله تعالى على لسان بعض خلقه في مواضع الثناء عليه أو التضرع والدعاء كما في قوله ﷺ على لسان المسيح عليه السلام: ﴿ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (المائدة، 117).

وقد يُسند إلى لفظ الجلالة في هذا الضرب من أسلوب التعقيب بعض الأخبار عن الله تعالى بدلاً من أسمائه وصفاته، وهي مفاهيم دقيقة لا ينبغي الخلط بينها باعتبارها جزءاً من مكونات العقيدة السليمة، ولذلك ميّز العلماء بين الأسماء والصفات وبين ما يندرج في باب الإخبار عن الله تعالى باعتباره باباً أوسع من باب أسمائه وصفاته¹، إذ " لا يلزم من الإخبار عنه بالفعل مقيداً أن يُشتق له منه اسمٌ مطلقٌ كما غلط فيه بعض المتأخرين فجعل من أسمائه الحسنی المضلّ الفاتن الماكر، تعالى

¹ - يحرص العلماء على تحديد طبيعة العلاقة القائمة بين باب الأسماء وباب الصفات وباب الإخبار عن الله تعالى وفهم ما بينها من عموم وخصوص. ويمكن القول إيجازاً أن باب الأسماء هو أخصّ الأبواب جميعها، ولأجل ذلك فإن ما صحّ اسماً صحّ أن يدلّ على الصّفة وصحّ الإخبار به. كما أن باب الصفات أخصّ من باب الإخبار وأوسع من باب الأسماء، ولذلك فإنّ ما صحّ صفةً صحّ خبراً، وليس شرطاً أن يصحّ اسماً، ولذلك فإن الله تعالى يوصف بصفات كالكلام والإرادة والاستواء، ولا يُشتق له منها أسماء. أما ما صحّ خبراً فليس شرطاً أن يصحّ اسماً أو صفة، رغم أن الله تعالى يُخبر عنه بالاسم وبالصفة، ولذلك فإن الله يُخبر عنه بأنه شيءٌ ومذكورٌ ومعلومٌ وغير ذلك، ولكنّه لا يسمّى ولا يوصف بذلك. للاستزادة ينظر:

- معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنی: محمد بن خليفة بن علي التميمي، أضواء السلف، الرياض، 1999م، ص 34.

الله عن قوله، فإنَّ هذه الأسماء لم يطلق عليه سبحانه منها إلا أفعالٌ مخصوصةٌ معينةٌ فلا يجوز أن يسمّى بأسمائها المطلقة " ¹.

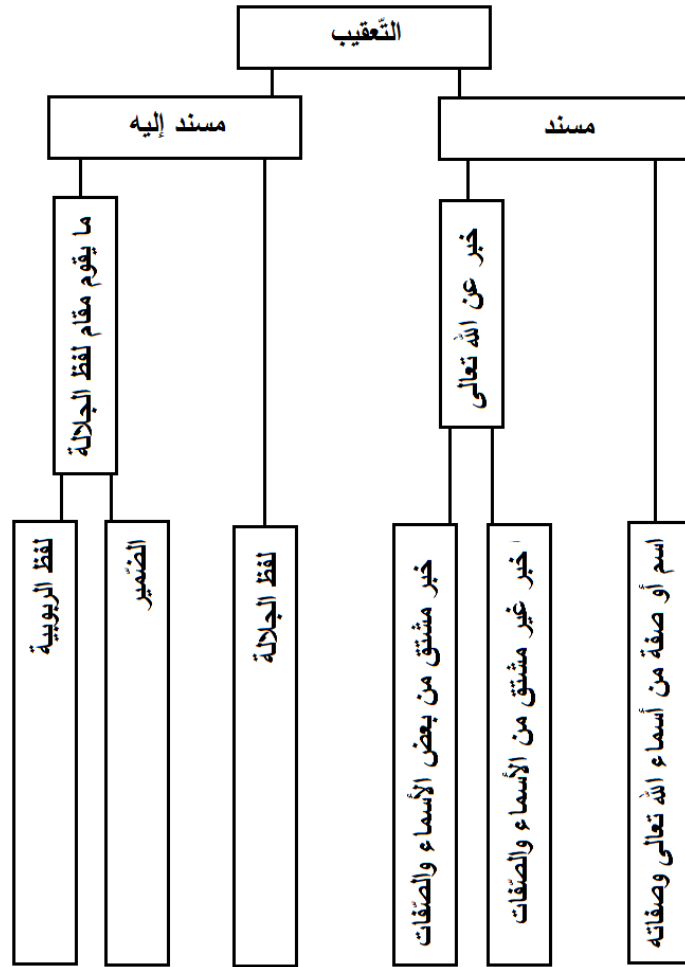
ويمكن التمييز بين نوعين من الأخبار التي تُسند إلى لفظ الجلالة أو ما يقوم مقامه في هذا الضرب من التعقيبات القرآنية. أما أولهما فهو إسناد خبرٍ بلفظ مُشتقٍّ من بعض صفات الله تعالى المنصوص عليها في القرآن الكريم أو في السُّنة الشريفة كإسناد الفعل (يَعْلَم) المشتقَّ من صفة العلم في قوله ﷻ: ﴿وَلَا تَقْضُوا الْإِيمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (النحل، 91). أو كاشتقاق اسم التفضيل (أَعْلَم) من الصِّفة ذاتها في تعقيب الآية الكريمة: ﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾ (المائدة، 61). وقد أوضح العلماء أن مثل هذه الألفاظ المشتقة من أسمائه وصفاته إذا أطلق على الله تعالى كان خبراً عنه ²، ولا يصح اعتبارها من جملة الأسماء والصفات.

أما الضرب الثاني فهو إسناد بعض الأفعال التي وردت خبراً عن الله تعالى ولم تُشتقَّ من أسمائه وصفاته، كما في تعقيب الآية الكريمة: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (الأنفال، 30)، ومثله قوله تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ (هود، 101)، فإن ﴿خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ و﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ مما ورد خبراً عن الله تعالى ولا يدخل في باب الأسماء والصفات.

وهكذا يمكننا إيجاز جميع الأحوال السابقة التي تَرِدُ وفقها تعقيبات الأسماء والصفات بالنظر إلى طبيعة لفظي المسند أو المسند إليه وعلاقتها بأسماء الله تعالى وصفاته، وهو ما يوضحه الشكل التالي:

¹ - للاستزادة ينظر: فائدة جلييلة في قواعد الأسماء الحسنی، ص 27.

² - نفسه، ص 26.



مخطط بياني يوضح المكونات التفصيلية للجملة

في تعقيبات الأسماء والصفات

وبالنظر إلى تعقيبات الأسماء والصفات من الناحية الكمية فإن عددها يتجاوز ثلث التعقيبات في كتاب الله تعالى، ولذلك فهي تتصل بكل أغراض الخطاب القرآني من ثناء على الله تعالى ووعد ووعد وأمر ونهي. وهي برغم هذه الوفرة تجري في أسلوب التعقيب وفق نمطٍ يطرّد بشكلٍ واضحٍ ليفرض حضوره القوي كشكلٍ متميّزٍ من أشكال التوازي الذي تختصّ به أعقاب الآيات الكريمة.

- خصائص التركيب النحوي في تعقيبات الأسماء والصفات:

تنقسم الجملة عند الجمهور¹ إلى قسمين لا ثالث لهما: اسمية، وفعلية². فأما الاسمية فهي الجملة المصدّرة باسم، أو هي المبدوءة به بدءاً أصيلاً، وأما الجملة الفعلية فهي الجملة المصدّرة بفعل غير ناقص³.

وتتكوّن الجملة الاسمية من ركنين أساسيين متلازمين تلازماً مطلقاً هما المبتدأ والخبر⁴. فأما المبتدأ في تعقيبات الأسماء والصفات فهو لفظ الجلالة، أو ما يقوم مقامه كلفظ الربوبية، أو بعض الضمائر التي سبق الحديث عنها. وجميع ذلك من أعرف المعارف⁵، وهو ما يُشترط في المبتدأ لأن الفائدة لا تحصل بالإخبار عما لا يُعرف⁶. وقد أُسند إلى المبتدأ خبر متمثّل في بعض الأسماء والصفات أو بعض ما يدخل في باب الإخبار عن الله تعالى.

¹ - خالف بعض النحاة رأي الجمهور كما فعل ابن هشام الذي ذهب إلى أن الجملة في كلام العرب تنقسم إلى ثلاثة أقسام بعد أن أضاف الجملة الظرفية. وقد ذهب الزمخشري قبله إلى أكثر من ذلك فجعلها على أربعة أضرب: فعلية واسمية وشرطية وظرفية. للاستزادة ينظر:

- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ص 492.

- المفصل في صنعة الإعراب، ص 44.

² - التطبيق النحوي، ص 85.

³ - ينظر: - مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ص 492.

⁴ - التطبيق النحوي، ص 85.

⁵ - أعرف المعارف بعد لفظ الجلالة الضمير ثم العلم ثم اسم الإشارة ثم الموصول ثم ذو الأداة ثم المضاف إلى واحد من هذه المعارف، وقد نظمها ابن مالك في الكافية فقال:

فَمُضْمَرٌ أَعْرَفُهَا ثُمَّ الْعَلَمُ فَذُو إِشَارَةٍ فَمَوْصُولٌ ثُمَّ

فَذُو أَدَاةٍ فَمُنَادَى عَيْنًا فَذُو إِضَافَةٍ بِهَا نَبِيْنًا

للاستزادة: ينظر فتح رب البرية في شرح نظم الأجرومية، ص 427.

⁶ - اللباب في علل البناء والإعراب: أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، تح: عبد الإله النبهان، دار الفكر، دمشق، ط1، 1995م، ج1، ص 130.

ولعل المتأمل لهذا الحضور المكثف لهذا الضرب من التركيب في أسلوب التعقيب يستشعر الإدراك القرآني لقيمة التعقيب في ترسيخ هذا الجانب المهم في عقيدة المتلقي باعتباره أشرف العلوم على الإطلاق لتعلقها بالله تعالى وهو أشرف معلوم. وقد بيّن العلماء أن العلم بأسماء الله تعالى وصفاته " مطلوبٌ لنفسه، مرادٌ لذاته، فقد قال ﷻ: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (الطلاق، 12)، فقد أخبر سبحانه أنه خلق السموات والأرض ونزل الأمر بينهما ليعلم عباده أنه بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، فهذا العلم هو غاية الخلق المطلوبة، وقال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ (محمد، 19)، فالعلم بوحديته تعالى وأنه لا إله إلا هو مطلوب لذاته وإن كان لا يُكتفى به وحده، بل لابد معه من عبادته وحده لا شريك له، فهما أمران مطلوبان لأنفسهما " ¹.

كما يستشعر المتأمل لهذا النمط الأسلوبي القرآني أن الأصل في تعقيبات الأسماء والصفات أنها جملٌ اسمية، ولم يشذَّ عن ذلك سوى عدد قليل من التعقيبات التي جاءت في صيغة الجملة الفعلية. ولعلَّ ما يميز خطابها - في الأعم الأغلب - أنها تتضمن دلالة أمرٍ إلهي بوجوب الاعتقاد ببعض أسماء الله تعالى وصفاته. وهي في ذلك على ضربين:

أما أولهما فيمثل أمراً صريحاً بوجوب العلم ببعض أسماء الله تعالى وصفاته، كقوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (البقرة، 235)، وذلك مما يوجب التقوى، فهي بذلك دعوة للمؤمن، فيها خطاب مباشر لعقله الواعي، ولذلك اقتصر توظيف هذا الأسلوب في موضع التعقيب على الخطاب المدني، وقد ذكر أهل التفسير أن افتتاح الجملة بكلمة " اعلموا" يتضمن حثاً على الاهتمام بالخبر،

¹ - معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات، ص 15.

واستتصاتهاً له، وتنبيهاً على خطورة ما يلي هذا الأمر الإلهي من كلام¹. وقد ورد هذا الضرب من

التعقيبات الفعلية في المواضع التالية:

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة، 194)
﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (البقرة، 196)
﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (البقرة، 231)
﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (البقرة، 233)
﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (البقرة، 235)
﴿وَأَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة، 260)
﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (البقرة، 267)
﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (الأنفال، 25)
﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (التوبة، 36)
﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (التوبة، 123)

أما الضرب الثاني فهو ضرب مغاير لأن الأمر الإلهي يتلبس بصورة الماضي، كقوله تعالى:

﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ (النساء، 6)، وفي ذلك دعوة ضمنية للاكتفاء بالله تعالى باعتبار بعض صفاته

التي يوجب الإيمان بها الترقّي في مراتب التقوى واستحضار مراقبته ﷻ، كالحسيب، والشهيد، والولي،

والعليم، والوكيل، والنصير، والبصير، والحسيب، والخبير، وذلك ممّا لا يكون إلا من المؤمن، ولذلك

كان هذا الأسلوب أيضاً سمة تميّز الخطاب المدني، وذلك واضح في التعقيبات التالية:

﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ (النساء، 6)
﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾ (النساء، 45)
﴿وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾ (النساء، 70)
﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ (النساء، 79)

¹ - ينظر: التحرير والتنوير، ج 2، ص 375.

﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ (النساء، 132)
﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ (النساء، 166)
﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ (النساء، 171)
﴿ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ (الإسراء، 17)
﴿ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾ (الإسراء، 65)
﴿ وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ (الأنبياء، 47)
﴿ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾ (الفرقان، 31)
﴿ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴾ (الفرقان، 58)
﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ (الأحزاب، 3)
﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ (الأحزاب، 39)
﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ (الأحزاب، 48)
﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ (الفتح، 28)

وقد اختار الأسلوب القرآني في هذا الضرب من التعقيبات الفعلية العدول عن صيغة الأمر المباشر إلى صيغة كنائية أُسند فيها الفعل (كفى) إلى لفظ الجلالة أو ما يقوم مقامه لتحقيق الأمر وتوكيده في النفس عن طريق الإخبار. أما فاعله فهو المجرور بالباء باعتبارها زائدة، بدليل أنها قد تُحذف كما في قول الشاعر:

عُمَيْرَةٌ ودَّعَ إِن تَجَهَّزْتَ غَادِيَا كَفَى الشَّيْبُ وَالْإِسْلَامُ لِلْمَرْءِ نَاهِيَا

أما تقدير الآيات الكريمة فهو: " اكتفِ بالله " ¹.

¹ - الواقع أن هناك خلافاً بين العلماء حول (كفى)، وقد رأى بعضهم أنها اسم فعل أمر، وهو ضعيف لقبول كفى علامات الأفعال، والأصح أنها فعلٌ ماضٍ. وقد اختلف في فاعلها أيضاً فذهب الزجاج في معاني القرآن إلى أنه المجرور بالباء الزائدة على تقدير معنى الأمر أي " اكتفِ بالله ". أما الرأي الثاني فهو ما ذهب إليه ابن السراج، وهو أن الفاعل مضمَر، والتقدير " كفى الاكتفاء " وبـ " الله " على هذا في موضع نصب، لأنه مفعول به في المعنى. للاستزادة ينظر:

- الباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين بن عادل، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1998، ج 6، ص 192، 193.

وإذا استثنينا ما سبق من تعقيبات وردت في صيغة الجملة الفعلية فإنَّ سائر تعقيبات الأسماء والصفات تلتزم صيغة الجملة الاسمية، وهي تتضمن الدعوة إلى معرفة الله تعالى من خلال أسمائه وصفاته دون الاعتماد على الأمر القياسي الصريح، إذ ترمي إلى ترسيخ معرفة العبد بربه معرفة حقيقية اعتماداً على التكرار باعتبار أهميته في عملية التذكّر ودوره الفاعل في العملية التعليمية وهو ما أثبتته العلم الحديث كما رأينا من قبل.

أما السبب الثاني الذي يدعوا إلى توظيف الجملة الاسمية، فهو الحاجة إلى تأكيد هذه المضامين المتعلقة بأهم جانب في العقيدة، ذلك أن "الخطاب بالجملة الاسمية أكد من الخطاب بالجملة الفعلية"¹، فإذا أريد بالكلام مجرد الإخبار فقط جيء بالجملة الفعلية، وإن أريد التأكيد فبالاسمية وحدها، أو بها مع (إن)، أو بهما وباللام². وفي ذلك ما يفسّر الفرق بين أن يُقال: "قام زيد، وبين "إن زيدا قائم"، فإن: "قام زيد معناه الإخبار عن زيد بالقيام، وقولنا: إن زيداً قائم معناه الإخبار عن زيد بالقيام أيضاً، إلا أن في الثاني زيادة ليست في الأول، وهي توكيده بأنَّ المشددة التي من شأنها الإثبات لما يأتي بعدها، وإذا زيد في خبرها اللام، فقليل: إن زيداً لقائماً، كان ذلك أكثر توكيداً في الإخبار بقيامه"³.

وقد نبّه علماء البلاغة إلى أن الخطاب إذا وجّه على جهة الاسمية فإنّه يدلّ على أمرين:

- **أما أولهما:** فهو إرادة أن الفاعل قد فعل فعله على جهة الاختصاص به دون غيره، كقول القائل: أنا قتلت فلاناً، وأنا الذي شفعت لفلان عند الأمير بالعطية، ومنه أيضاً قوله

- معاني القرآن وإعرابه: أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج، تح: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط 1، 1988، ج 2، ص 74.

- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: السمين الحلبي أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف، تح: أحمد محمد الخراط، دار القلم، ج 7، ص 324.

¹ - علوم البلاغة (البيان المعاني البديع): أحمد بن مصطفى المراغي، دط، دت، ص 52.

² - نفسه، ص 52.

³ - المثل السائر، ج 2، ص 191.

تعالى: " ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الرُّوحَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴾ (النجم، 43، 45). ولذلك جاءت الآيات الكريمة في صيغة اسمية وأورد فيها ضمير الفصل دلالة على اختصاصه تعالى بالإماتة والإحياء، والإضحاك والإبكاء، وإنكاراً لمن زعم أنه مشارك لله تعالى في هذه الخصال ¹.

- أما الثاني: فهو أن يُراد بذلك تحقيق المعنى وتمكينه في نفس السامع بحيث " لا يخالجه فيه ريب، ولا يعتريه شك، وهذا كقولك: هو يعطى الجزيل، وهو الذي وجود بنفسه، فغرضك تحقيق إعطائه للجزيل، وكونه لا يبخل بنفسه، وتمكنه في نفس من تخاطبه " ². وقد وردت على ذلك آيات كثيرة في كتاب الله تعالى، من ذلك قوله ﷻ: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾ (البقرة، 14)، فقد جاء خطابهم للمؤمنين بالجملة الفعلية، أما ما خاطبوا به شياطينهم فقد جاء بالجملة الاسمية، " لأنهم في مخاطبة إخوانهم بما أخبروا به عن أنفسهم من الثبات على اعتقاد الكفر والبعد من أن يزلوا عنه على صدق ورغبة ووفور نشاط، فكان ذلك متقبلاً منهم، ورائجاً عند إخوانهم. وأما الذي خاطبوا به المؤمنين، فإنما قالوا تكلفاً وإظهاراً للإيمان خوفاً ومداجاة، وكانوا يعلمون أنهم لو قالوه بأوكّد لفظ، وأسَدّه لما راج لهم عند المؤمنين إلاّ رواجاً ظاهراً لا باطنياً، ولأنهم ليس لهم في عقائدهم باعثٌ قويٌّ على النطق في خطاب المؤمنين بمثل ما خاطبوا به إخوانهم من العبارة المؤكّدة، فلذلك قالوا في خطاب المؤمنين: ﴿آمَنَّا﴾، وفي خطاب إخوانهم: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ " ³.

¹ - ينظر: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ج 2، ص 15.

² - نفسه، ص 15.

³ - المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج 2، ص 191، 192.

ومنه أيضاً قوله تعالى على لسان إخوة يوسف عليه السلام: ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ ﴾ ﴿ أرسله معنا غداً يرتع ويلعب وإنا له لحافظون ﴾ (يوسف، 11 - 12)، " فانظر إلى ما أخبروا به عن أنفسهم في قولهم: ﴿ لَنَاصِحُونَ ﴾ و ﴿ لَحَافِظُونَ ﴾ كيف ورد بالجملة الاسمية المؤكدة بـ " إن "، وما كان عن غيرهم كقوله: ﴿ مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا ﴾، وقوله: ﴿ أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ ﴾، وهذا فيه دلالة على ما ذكرناه من الاختصاص والتحقيق والثبوت " ¹.

أما خطاب الجملة الفعلية فإنه لا يتضمن سوى الإخبار عن الفعل دون معنى المبالغة أو التوكيد، " فأنت إذا جئت بالجملة الفعلية فقلت: " قام زيد "، فليس فيه إلا الإخبار بمطلق القيام مقروناً بالزمن الماضي من غير أن يكون هناك مبالغة وتوكيد " ². ويمكن للمتأمل أن يتبين ذلك بوضوح في قوله تعالى: ﴿ وَخَشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ (النمل: 17)، فإن شطر الآية الذي جاء على الصيغة الفعلية لا يتضمن سوى الإخبار بفعل الحشر في الزمن الماضي من غير إشعار بمبالغة أو توكيد، على خلاف شطر الآية الثاني والذي جاء على الصيغة الاسمية فإنه يتضمن معنى التوكيد ³.

ولذلك كله فإن الأسلوب القرآني يعتمد بشكل واضح على الصيغة الاسمية في تعقيباته باعتبارها موضع توكيد ومبالغة، ويعدل عن الصيغة الفعلية لأنها تدلّ على الإخبار مجرداً منهما، وهو مما لا يناسب موضع التعقيب.

¹ - الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ج 2، ص 16.

² - نفسه، ص 18.

³ - ينظر: نفسه، ص 18.

وقد اجتهدنا في إحصاء تعقيبات الأسماء والصفات التي وردت في صيغة الجملة الاسمية، كما سعينا إلى تصنيفها باختلاف صور الجملة فكان التصنيف التالي¹:

أ - **تعقيبات الجملة الاسمية البسيطة**: وهي ضرب شائع ترد فيه بنية التعقيب في شكل جملة اسمية في أبسط أحوالها عارية من كل العوامل التي قد تدخل عليها. وهي بذلك تتكون من مبتدأ وخبر فقط. وهي قسمان: مثبتة، ومنفية.

- **تعقيبات الجملة البسيطة المثبتة**: وترد في اثني عشرة صورة مختلفة، وهي:

- **الصورة الأولى** (الجدول رقم 1): المبتدأ لفظ الجلالة والخبر نكرة (وصف)، من ذلك قول تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَغْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾ (المائدة، 61)، ومنه أيضاً: ﴿وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِالْعِبَادِ﴾ (آل عمران، 15).

- **الصورة الثانية** (الجدول رقم 2): المبتدأ لفظ الجلالة والخبر معرف بـ "أد"، وذلك في موضعين: أولهما في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (المائدة، 76)، والثاني في قوله: ﴿وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (فاطر، 15).

الصورة الثالثة (الجدول رقم 3): المبتدأ لفظ الجلالة والخبر معرف بالإضافة، كقوله ﷻ: ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (الجمعة، 11)، ومنه أيضاً: ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (البقرة، 105).

- **الصورة الرابعة** (الجدول رقم 4): المبتدأ لفظ الجلالة والخبر جملة اسمية، كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ (آل عمران، 14)، ومنه أيضاً: ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ (آل عمران، 195).

- **الصورة الخامسة** (الجدول رقم 5): المبتدأ لفظ الجلالة والخبر جملة فعلية، كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (آل عمران، 140)، ومنه أيضاً: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة، 258).

¹ - ينظر: ملاحق البحث، الملحق رقم (2) الخاص بتعقيبات الأسماء والصفات، ص 381 وما بعدها.

- **الصورة السادسة** (الجدول رقم 6): المبتدأ لفظ الجلالة والخبر شبه جملة ظرفية، وقد وردت هذه الصورة في موضعين في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة، 249)، وفي قوله: ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (الأنفال، 66).

- **الصورة السابعة** (الجدول رقم 7): المبتدأ ضمير يقوم مقام لفظ الجلالة والخبر معرف بـ "أل"، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الأنعام، 103). ومنه أيضاً قوله: ﴿وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة، 160).

- **الصورة الثامنة** (الجدول رقم 8): المبتدأ ضمير يقوم مقام لفظ الجلالة والخبر نكرة (وصف)، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (البقرة، 29)، ومنه أيضاً: ﴿وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (المائدة، 117).

- **الصورة التاسعة** (الجدول رقم 9): المبتدأ ضمير يقوم مقام لفظ الجلالة والخبر معرف بالإضافة، كقوله تعالى: ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (المائدة، 114)، ومنه أيضاً: ﴿وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (الرعد، 41).

- **الصورة العاشرة** (الجدول رقم 10): المبتدأ ضمير يقوم مقام لفظ الجلالة والخبر اسم موصول، وقد تفرّد بهذه الصورة تعقيب واحد في القرآن كله جاء في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (الأنعام، 72).

- **الصورة الحادية عشر** (الجدول رقم 11): المبتدأ لفظ الربوبية معروفاً بالإضافة والخبر نكرة (وصف)، وقد جاء في موضعين، في قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ (يونس، 40)، وفي قوله: ﴿وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ﴾ (سبا، 21).

والواقع أن هذه الصور التي ترد وفقها تعقيبات الأسماء والصفات تتفاوت فيما بينها من الناحية الكمية بشكل كبير جداً، وذلك أن أسلوب التعقيب يكتف من حضور الصورة الأولى من صور الجملة البسيطة حيث أسند إلى لفظ الجلالة خبرٌ نكرةٌ (وصف)، في مائة وثلاثة عشر (113) تعقيباً.

ويقل هذا الحضور بالنظر إلى صور الجملة الأخرى، حيث ترد الصورتان الخامسة والسابعة بشكل متساوٍ، بحضور يعادل ثلاثة وأربعين (43) تعقيباً. تليها الصورة التاسعة، فالثامنة، فالثالثة، ثم ينخفض هذا الحضور إلى أدنى مستوياته حين يتعلّق الأمر بباقي صور الجملة. ويمكن ملاحظة ذلك بوضوح من خلال التأمل في النتائج التالية التي يفصلها الجدول التالي:

المبتدأ	الخبر	التكرار
لفظ الجلالة	نكرة (وصف)	113
	معرف بـ "ألـ"	2
	معرف بالإضافة	17
	جملة اسمية	4
	جملة فعلية	43
	شبه جملة ظرفية	2
ضمير يقوم مقام لفظ الجلالة	معرف بـ "ألـ"	43
	نكرة (وصف)	20
	معرف بالإضافة	24
	اسم موصول	1
لفظ الربوبية معرفاً بالإضافة	نكرة (وصف)	2

- تعقيبات الجملة البسيطة المنفية: وردت في مواضع قليلة، وجميعها لا تخرج عن ثلاث صور، وهي:

- الصورة الأولى (الجدول رقم 12): المبتدأ لفظ الجلالة والخبر نكرة (وصف)، وقد جاءت هذه الصورة من التعقيبات المنفية في تعقيب واحد تكرر في عدة مواضع من ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (البقرة، 149)، وقوله تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ (البقرة، 144).

- الصورة الثانية (الجدول رقم 13): المبتدأ لفظ الجلالة والخبر جملة فعلية. وقد جاءت هذه الصورة في موضعين، أولهما في قوله تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران، 108)، والثاني في قوله: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾ (غافر، 31).

- الصورة الثالثة (الجدول رقم 14): المبتدأ لفظ الربوبية مضافاً والخبر نكرة (وصف)، وقد جاءت هذه الصورة في قوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ (فصلت، 46)، وفي قوله أيضاً: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (هود، 123)، وهو تعقيب تكرر في مواضع أخرى قليلة.

ويمكن تلخيص النتائج المتعلقة بهذا الضرب من تعقيبات الأسماء والصفات في الجدول التالي:

المبتدأ	الخبر	التكرار	
لفظ الجلالة	نكرة (وصف)	5	الصورة الأولى
	جملة فعلية	2	الصورة الثانية
لفظ الربوبية مضافاً	نكرة (وصف)	4	الصورة الثالثة

ب - تعقيبات الجملة الاسمية الموسَّعة: كما قد تدخل بعض نواسخ الجملة الاسمية على كثير من التعقيبات وذلك لتحقيق بعض المقاصد، وذلك على ضربين:

1- دخول " إن " المشبهة بالفعل¹ على تعقيبات الأسماء والصفات:

يكثر دخول " إن " على هذا الضرب الخاص من التعقيبات، وذلك لإفادة أمرين:

- أولهما: ربط جملة التعقيب بما قبلها من الآية الكريمة ربطاً هو غاية التلاؤم والانسجام كما سبق الذكر، يقول عبد القاهر الجرجاني معلقاً على موضع " إن " من الحُسن في قول بشار:

بكرا صاحبي قبل الهجير إن ذاك النجاح في التكبير

يقول: "... وذلك أنه هل شيء أبين في الفائدة وأدل على أن ليس سواءاً دخولها وأن لا تدخل، أنك ترى الجملة إذا هي دخلت ترتبط بما قبلها وتأنف معه وتتحد به، حتى كأن الكلامين قد أفرغا إفراغاً واحداً، وكأن أحدهما قد سُبِكَ في الآخر؟ "².

- الثاني: توكيد مضمون التعقيب، وهو أمرٌ يحرص عليه الخطاب القرآني أبلغ حرصٍ باعتباره مرتبطاً بجوهر العقيدة، وتكون الحاجة للتوكيد أشدَّ كلما ازداد إعراض المتلقي، يقول الجرجاني: " ثم إن الأصل الذي ينبغي أن يكون عليه البناء، هو الذي دُون في الكتب، من أنها للتأكيد، وإذا كان قد ثبت ذلك، فإذا كان الخبر بأمرٍ ليس للمخاطب ظنٌّ في خلافه البتة، ولا يكون قد عَقَدَ في نفسه أن

¹ - سميت " إن " وأخواتها حروفاً مشبهةً بالفعل لفتح أواخرها كالماضي، ووجود معنى الفعل في كل واحدة منها، فإن التأكيد والتشبيه والاستدراك والتمني والترجي من معاني الأفعال. ينظر:

- جامع الدروس العربية، ج 2، ص 298.

² - دلائل الإعجاز، ص 316.

الذي تزعم أنه كائنٌ غير كائنٍ، وأن الذي تزعم أنه لم يكن كائنٌ فأنت لا تحتاج هناك إلى "إن"، وإنما تحتاج إليها إذا كان له ظنٌ في الخلاف وعَقْدُ قلبٍ على نفْيٍ ما تُثبت أو إثبات ما تنفي. ولذلك تراها تزداد حسناً إذا كان الخبر بأمرٍ يبعد مثله في الظنِّ، وبشيءٍ قد جرت عادة النَّاسِ بخلافه " ¹.

وقد يزداد إعراض السَّامع، فيجمع أسلوب القرآن - كما في كلام العرب - بينها وبين لام التوكيد، يقول الجرجاني: " وأما جعلها إذا جُمع بينها وبين " اللام " نحو: " إنَّ عبد الله لقائم " للكلام مع المنكر، فجيدٌ، لأنه إذا كان الكلام مع المنكر، كانت الحاجة إلى التأكيد أشدَّ، وذلك أنك أحوَجُ ما تكونُ إلى الزيادة في تثبيت خبرك، إذا كان هناك من يدفعه وينكر صحَّته، إلا أنه ينبغي أن يُعلم أنه كما يكون للإنكار قد كان من السَّامع، فإنه يكون للإنكار يُعلم أو يُرى أن يكون من السامعين. وجملة الأمر أنك لا تقول: " إنَّه كذلك "، حتى تريد أن تضع كلامك وضع من يَزَع ² فيه عن الإنكار " ³.

وقد اجتهدنا في إحصاء وتصنيف تعقيبات الأسماء والصفات التي دخلت عليها " إنَّ " وهي ترد في ست عشرة صورة مختلفة، وهي:

- الصورة الأولى (الجدول رقم 15): اسمها لفظ الجلالة وخبرها نكرة (وصف)، من ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (البقرة، 143)، ومنه أيضاً: ﴿ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴾ (الحجرات، 12).
- الصورة الثانية (الجدول رقم 16): اسمها لفظ الجلالة وخبرها معرفٌ بالإضافة، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ (النساء، 140)، وكقوله أيضاً: ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (المائدة، 4).

¹ - دلائل الإعجاز، ص 325.

² - الوزع كَفُ النفس عن هواها، وزع يزع أي كف، ينظر:

- لسان العرب، ج 8، ص 390.

³ - دلائل الإعجاز، ص 327.

- الصورة الثالثة (الجدول رقم 17): اسمها لفظ الجلالة وخبرها جملة اسمية، من ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (التوبة، 22)، ومنه أيضاً: ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ النَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (التوبة، 118).

- الصورة الرابعة (الجدول رقم 18): اسمها لفظ الجلالة وخبرها جملة اسمية منسوخة بـ " كان "، من ذلك التعقيب بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ (النساء، 32)، ومنه أيضاً: ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ (النساء، 29).

- الصورة الخامسة (الجدول رقم 19): اسمها لفظ الجلالة وخبرها جملة فعلية، مثبتة أو منفية، فأما الإثبات ففي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (آل عمران، 37)، وأما النفي ففي قوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ (الزعد، 31).

- الصورة السادسة (الجدول رقم 20): اسمها لفظ الجلالة وخبرها شبه جملة ظرفية، من ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (البقرة، 153)، ومنه أيضاً: ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ (التحل، 128).

- الصورة السابعة (الجدول رقم 21): اسمها ضمير يقوم مقام لفظ الجلالة وخبرها نكرة (وصف)، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (هود، 5)، ومنه أيضاً: ﴿ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (آل عمران، 26).

- الصورة الثامنة (الجدول رقم 22): اسمها ضمير يقوم مقام لفظ الجلالة وخبرها معرف بـ " أل "، كقوله تعالى: كقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ هُوَ النَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (البقرة، 37)، وكقوله أيضاً: ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (غافر، 8).

- الصورة التاسعة (الجدول رقم 23): اسمها ضمير يقوم مقام لفظ الجلالة وخبرها معرف بالإضافة، كقوله تعالى: كقوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ (المائدة، 109)، وكقوله أيضاً: ﴿ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ (آل عمران، 38).

- الصورة العاشرة (الجدول رقم 24): اسمها ضمير يقوم مقام لفظ الجلالة وخبرها جملة اسمية منسوخة بـ " كان "، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ كَانَ عَفَّارًا ﴾ (نوح، 10)، وكقوله أيضاً: ﴿ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ (الإسراء، 66).

- الصورة الحادية عشر (الجدول رقم 25): اسمها ضمير يقوم مقام لفظ الجلالة وخبرها جملة فعلية: ﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ (الشورى، 40)، ومنه أيضاً: ﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (الأعراف، 55).

- الصورة الثانية عشر (الجدول رقم 26): اسمها لفظ الربوبية معرفاً بالإضافة وخبرها معرف بـ " أل "، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾ (الحجر، 86)، وكقوله: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾ (هود، 66).

- الصورة الثالثة عشر (الجدول رقم 27): اسمها لفظ الربوبية معرفاً بالإضافة وخبرها نكرة (وصف)، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾ (هود، 90)، ومنه أيضاً: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ (الأنعام، 128).

- الصورة الرابعة عشر (الجدول رقم 28): اسمها لفظ الربوبية معرفاً بالإضافة وخبرها معرف بالإضافة، وقد وردت في موضعين، أولهما قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (الرعد، 6)، والثاني: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (فصلت، 43).

- الصورة الخامسة عشر (الجدول رقم 29): اسمها لفظ الربوبية معرفاً بالإضافة وخبرها شبه جملة، وقد وردت في موضعين، أولهما قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (هود، 56)، والثاني: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبَلَمُصَادٍ ﴾ (الفجر، 14).

- الصورة السادسة عشر (الجدول رقم 30): اسمها لفظ الربوبية معرّفاً بالإضافة وخبرها جملة فعلية، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (يونس، 93)، وقد تكررت في سورة الجاثية¹، وكقوله أيضاً: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (السجدة، 25).

والواقع أن هذه الصّور الكثيرة تتفاوت فيما بينها من الناحية الكمية بشكل كبير جداً، وهو الأمر الذي يوضّحه الجدول التالي:

الصور الأولى	اسم (إن)	خبرها	التكرار
الصورة الأولى	لفظ الجلالة	نكرة (وصف)	76
الصورة الثانية		معرّف بالإضافة	5
الصورة الثالثة		جملة اسمية	8
الصورة الرابعة		جملة اسمية منسوخة بـ "كان"	22
الصورة الخامسة		جملة فعلية	36
الصورة السادسة		شبه جملة ظرفية	4
الصورة السابعة	ضمير يقوم مقام لفظ الجلالة	نكرة (وصف)	30
الصورة الثامنة		معرّف بـ "أل"	22
الصورة التاسعة		معرّف بالإضافة	3
الصورة العاشرة		جملة اسمية منسوخة بـ "كان"	11

¹ - في قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُمُ بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (الجاثية، 17).

6	جملة فعلية		الصورة الحادية عشر
2	معرف بـ " أَلـ "	لفظ الربوبية معرفاً	الصورة الثانية عشر
18	نكرة (وصف)	بالإضافة	الصورة الثالثة عشر
2	معرف بالإضافة		الصورة الرابعة عشر
2	شبه جملة (جار ومجرور)		الصورة الخامسة عشر
3	جملة فعلية		الصورة السادسة عشر

2- دخول " كان " على تعقيبات الأسماء والصفات:

الأصل في كلام العرب أن يُراد بـ " كان " المعنى المنقطع باعتبار أنها فعل يُشعر بالتجديد ولكن طريقة القرآن في توظيف هذا اللفظ تفرض إعادة النَّظر في هذا الرَّأي، ولذلك ذهب صاحب البرهان إلى أن " كان " في كلام الله تعالى تردُّ على خمسة أوجه¹:

- بمعنى الأزل والأبد، كقوله تعالى: ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (النساء، 170).
- بمعنى المعنى المنقطع ، كقوله تعالى: ﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ ﴾ (النمل، 48).
- بمعنى الحال، كقوله تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ ﴾ (آل عمران، 110)، وقوله: ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾ (النساء، 103).
- بمعنى الاستقبال، كقوله تعالى: ﴿ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴾ (الإنسان، 7).
- بمعنى " صار " كقوله: ﴿ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة، 34).

¹ - للاستزادة ينظر: البرهان في علوم القرآن، ج 4، ص 127.

والواقع أن جوهر الإشكال يتعلّق أساساً بدخولها على تعقيبات الأسماء والصفات، وهو مما لا يجوز فيه القول بالانقطاع والتّجديد، ولذلك حملها بعضهم على معنى الدّوام والاستمرار، وذهب ابن عطية في تفسيره إلى أنها حيث وقعت في صفات الله فهي مسلوقة الدلالة على الزمان¹. وقد خالف الزمخشري ذلك، وذهب إلى أنها تدلّ على وجود الشيء في زمان ماضٍ على سبيل الإبهام، وليس فيه دليل على عدم سابق، ولا على انقطاع طارئ².

وقد استحسن الزركشي رأي الزمخشري واتّبعه فيما ذهب إليه قائلاً: " الصّواب من هذه المقالات مقالة الزمخشري وأنها تفيد اقتران معنى الجملة التي تليها بالزمن الماضي لا غير، ولا دلالة لها في نفسها على انقطاع ذلك المعنى، ولا بقاءه، بل إن أفاد الكلام شيئاً من ذلك كان لدليل آخر " ³. ثم ذكر أنّ الإخبار عن صفة من صفات الله تعالى بـ " كان " يُراد به وجود تلك الصّفة، وأنها لم تفارق ذات الله تعالى، يقول: " إذا علمت هذا فقد وقع في القرآن إخبار الله تعالى عن صفاته الذاتية وغيرها بلفظ كان كثيراً نحو ﴿ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً عَلِيماً ﴾، ﴿ وَاسِعاً حَكِيماً ﴾، ﴿ غَفُوراً رَحِيماً ﴾، ﴿ تَوَّاباً رَحِيماً ﴾، ﴿ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴾، ﴿ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴾، فحيث وقع الإخبار بـ " كان " عن صفة ذاتية فالمراد الإخبار عن وجودها، وأنها لم تفارق ذاته، ولهذا يقرّها بعضهم بما زال فراراً ممّا يسبق إلى الوهم إن كان يفيد انقطاع المخبر به عن الوجود... وهو تكلف لا حاجة إليه، وإنما معناها ما ذكرناه من أزلية الصّفة، ثم تستفيد بقاءها في الحال وفيما لا يزال بالأدلة العقلية وباستصحاب الحال " ⁴.

¹ - البرهان في علوم القرآن، ج 4، ص 122.

² - ينظر: الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، ج 1، ص 400.

³ - البرهان في علوم القرآن، ج 4، ص 122، 123.

⁴ - نفسه، ص 123.

والواقع أن القولين يلتقيان في أن " كان " تفيد إثبات الصفات على وجه الديمومة وعدم الانقطاع، وهو ما لا يجوز القول بغيره في ذات الله تعالى، ولذلك دخلت على كثير من التعقيبات قصد إفادة هذا المعنى.

وقد اجتهدنا في هذا إحصاء صور هذا الضرب من التعقيبات وهي لا تخرج عن صور ثلاث:

- **الصورة الأولى** (الجدول رقم 31): اسمها لفظ الجلالة وخبرها نكرة (وصف)، كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (النساء، 134)، وكقوله أيضا: ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (الفتح، 26).

- **الصورة الثانية** (الجدول رقم 32): اسمها لفظ الربوبية معرّفاً بالإضافة، وخبرها نكرة (وصف)، وقد وردت هذه الصورة في موضعين في سورة الفرقان، في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ (الفرقان، 20)، وفي قوله: ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ (الفرقان، 54).

- **الصورة الثالثة** (الجدول رقم 33): اسمها ضمير، وخبرها نكرة (وصف)، وقد جاء الضمير ظاهراً في موضع وحيد في قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾ (الأنبياء، 81)، ومستتراً في موضع آخر في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ (الأحزاب، 43).

وقد وجدنا أن هذه الصور تتباين في حضورها في تعقيبات كتاب الله تعالى تبايناً كبيراً يوضحه الجدول التالي:

التكرار	خبرها	اسم " كان "	
39	نكرة (وصف)	لفظ الجلالة	الصورة الأولى
2	نكرة وصفاً	لفظ الربوبية معرّفاً بالإضافة	الصورة الثانية
2	نكرة (وصف)	ضمير	الصورة الثالثة

تحليل عام:

في بداية هذا التحليل تتبغي الإشارة إلى ضرورة جمع البيانات السابقة وترتيبها قصد تحليلها واستخلاص الخصائص العامة التي تحكم تعقيبات الأسماء والصفات بصرف النظر عن طبيعة جملة التعقيب بسيطة أو موسّعة، ولذلك قمنا بتسجيل نتائج الإحصاء وفرزها ضمن الجداول التفصيلي التالي:

النسبة المنوية	التكرار	الخبر	المبتدأ	منفية	مثبتة	موسّعة (كان)	موسّعة (إن)	بسيطة
19.65%	113	نكرة (وصف)	لفظ الجلالة		*			*
13.22%	76	نكرة (وصف)	لفظ الجلالة		*		*	
7.48%	43	جملة فعلية	لفظ الجلالة		*			*
7.48%	43	معرف بـ "أل"	ضمير		*			*
6.78%	39	نكرة (وصف)	لفظ الجلالة		*	*		
6.26%	36	جملة فعلية	لفظ الجلالة		*		*	
5.22%	30	نكرة (وصف)	ضمير		*		*	
4.17%	24	معرف بالإضافة	ضمير		*			*
3.83%	22	جملة اسمية منسوخة بكان	لفظ الجلالة		*		*	
3.83%	22	معرف بـ "أل"	ضمير		*		*	
3.48%	20	نكرة (وصف)	ضمير		*			*
3.13%	18	نكرة (وصف)	لفظ الربوبية		*		*	
2.96%	17	معرف بالإضافة	لفظ الجلالة		*			*
1.91%	11	جملة اسمية منسوخة بكان	ضمير		*		*	
1.39%	8	جملة اسمية	لفظ الجلالة		*		*	
1.04%	6	جملة فعلية	ضمير		*		*	
0.87%	5	نكرة (وصف)	لفظ الجلالة	*				*
0.87%	5	معرف بالإضافة	لفظ الجلالة		*		*	

%0.70	4	جملة اسمية	لفظ الجلالة	*			*
%0.70	4	نكرة (وصف)	لفظ الربوبية	*			*
%0.70	4	شبه جملة ظرفية	لفظ الجلالة	*		*	
%0.52	3	معرف بالإضافة	ضمير	*		*	
%0.52	3	جملة فعلية	لفظ الربوبية	*		*	
%0.35	2	معرف بـ "ألـ"	لفظ الجلالة	*			*
%0.35	2	شبه جملة ظرفية	لفظ الجلالة	*			*
%0.35	2	نكرة (وصف)	لفظ الربوبية	*			*
%0.35	2	جملة فعلية	لفظ الجلالة	*			*
%0.35	2	معرف بـ "ألـ"	لفظ الربوبية	*		*	
%0.35	2	معرف بالإضافة	لفظ الربوبية	*		*	
%0.35	2	شبه جملة جار ومجرور	لفظ الربوبية	*		*	
%0.35	2	نكرة وصفاً	لفظ الربوبية	*	*		
%0.35	2	نكرة (وصف)	ضمير ظاهر	*	*		
%0.17	1	اسم موصول	ضمير	*			*

تواتر صور الجملة الاسمية في تعقيبات الأسماء والصفات مرتبة تنازلياً

جدول تفصيلي رقم (1)

أما إذا نظرنا إلى نتائج الإحصاء بالنظر إلى طبيعة الجملة فيمكننا تسجيل النتائج التالية:

النسبة المئوية	التكرار	
%49.31	283	تعقيبات الجملة البسيطة
%43.40	250	تعقيبات الجملة الموسعة بـ "إنـ"
%7.47	43	تعقيبات الجملة الموسعة بـ "كانـ"

تواتر تعقيبات الأسماء والصفات مرتبة تنازلياً حسب أنماط الجملة

جدول تفصيلي رقم (2)

ويمكن القول بناءً على نتائج الجدول التفصيلي رقم (2) أن نصف عدد تعقيبات الأسماء والصفات جاء على هيئة الجملة البسيطة، وأن ما يقارب نصفها الآخر جاء منسوخاً بـ " إن "، أما دخول كان فهو قليل بالنظر إلى سابقه. وهو ما يوضحه الرسم البياني التالي:



تعقيبات الأسماء والصفات حسب طبيعة الجملة الاسمية بسيطة وموسعة

أما إذا نظرنا إلى نتائج الإحصاء بالنظر إلى طبيعة المسند إليه في هذا الضرب من التعقيبات سواءً تعلّق الأمر بالمبتدأ أو باسمي " إن " و " كان "، فيمكننا تسجيل النتائج التالية:

طبيعة المسند إليه	التكرار	النسبة المئوية
لفظ الجلالة	379	65.8%
ضمير يقوم مقام لفظ الجلالة	162	28.12%
لفظ الربوبية معرفاً بالإضافة	35	6.08%

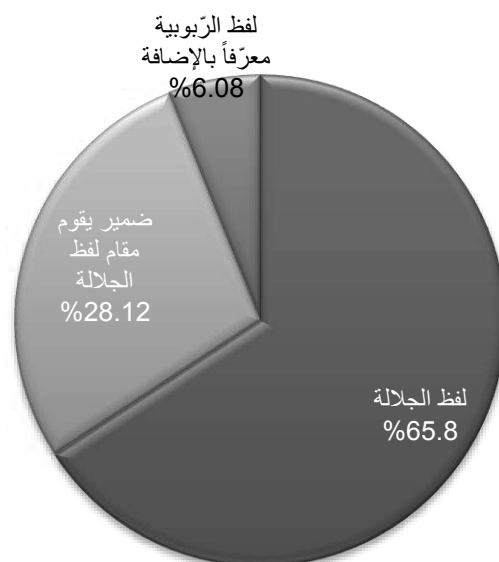
تواتر تعقيبات الأسماء والصفات مرتبة تنازلياً حسب طبيعة المسند إليه

جدول تفصيلي رقم (3)

إن نتائج الجدول تثبت أن الأسلوب القرآني قد أسند اسماً أو صفةً أو خبراً عن الله تعالى إلى لفظ الجلالة في أكثر من ثلثي التعقيبات القرآنية، وقد ناب عن لفظ الجلالة الضمير في ما يقلّ بقدر

ضئيل عن ثلث الحالات المتبقية، وأما لفظ الربوبية فهو قليل الاستعمال، وذلك ما يجسده الرسم

البياني التالي:



تعقيبات الأسماء والصفات حسب طبيعة المسند إليه

أما بالنظر إلى طبيعة ما يُسند إلى لفظ الجلالة أو ما يقوم مقامه في تعقيبات الأسماء والصفات،

فقد أمكننا تسجيل النتائج التالية:

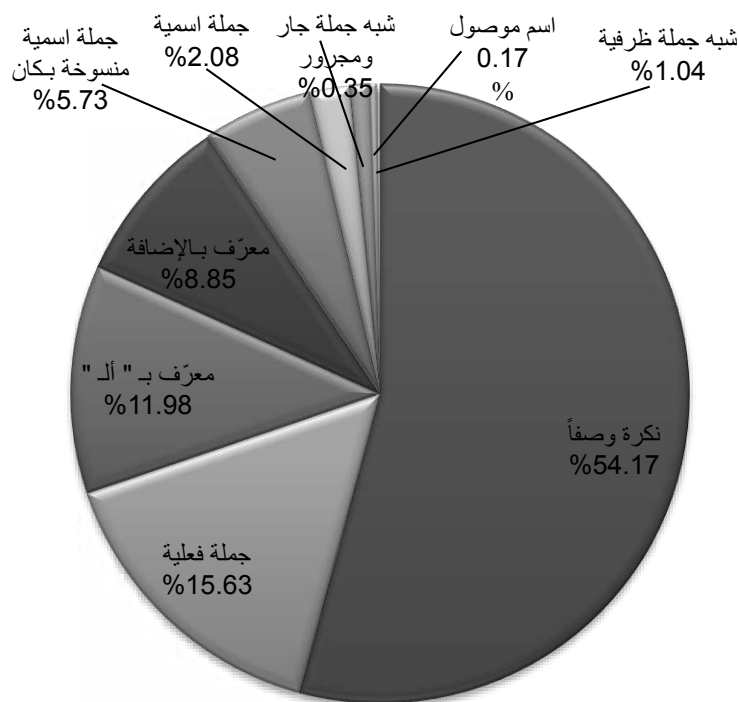
طبيعة المسند	تكرار وصفاً	جملة فعلية	معرف بـ "أ" "إ"	معرف بالإضافة	جملة اسمية منسوخة	جملة اسمية	شبه جملة ظرفية	شبه جملة جار	اسم موصول
التكرار	312	90	69	51	33	12	6	2	1
النسبة	54.17	15.63	11.98	8.85	5.73	2.08	1.04	0.35	0.17
المئوية	%	%	%	%	%	%	%	%	%

تواتر تعقيبات الأسماء والصفات مرتبةً تنازلياً حسب طبيعة المسند

جدول تفصيلي رقم (4)

إنّ نتائج الجدول التّفصيلي (4) تثبت أن أسلوب التّعقيب يسند إلى لفظ الجلالة أو ما يقوم مقامه وصفاً نكرةً في أزيد من نصف المواضيع في كتاب الله تعالى، وهو يسند خبراً جملة فعلية في 15.63%، وهو رقم أقلّ من سابقه بكثير. وينطبق ذلك على سائر صور الخبر بشكلٍ متفاوت يجسّده

الرسم البياني التالي:



تعقيبات الأسماء والصفات حسب طبيعة المسند

نتيجة عامة:

من خلال قراءة البيانات والجداول السابقة يمكن أن نسجل أهم الخصائص المتعلقة بتعقيبات الأسماء والصفات، والتي نوجزها فيما يلي:

- الأصل في تعقيبات الأسماء والصفات أن تكون جملة اسمية بسيطة يُسند فيها الخبر إلى المبتدأ، وقد تدخل عليها " إن " المشبهة بالفعل قصد إفادة معنى التوكيد الذي يقتضيه الغرض من التعقيب، وذلك مما يتوجب في مضامين العلم بذات الله تعالى، ويليق بكمال صفاته وأسمائه.

- الأصل في تعقيبات الأسماء والصفات أن يُسند الاسم أو الصفة أو الخبر إلى لفظ الجلالة، وذلك لأن الأصل في بنية التعقيب أن تستقل بمكوناتها عما يسبقها من الآية الكريمة، وهو ما يعني أن تكون مستقلة عنها في دلالتها أيضاً، وذلك أمرٌ في غاية الأهمية باعتبار الغاية التي كانت لأجلها تعقيبات الأسماء والصفات والمتمثلة في تحقيق وتوكيد أهم مكونات العقيدة السليمة في وعي المتلقي.

- الأصل في تعقيبات الأسماء والصفات أن يُسند فيها الخبر نكرة وصفاً إلى لفظ الجلالة أو ما يقوم مقامه، ويقلّ إسناده على هيئة التعريف سواءً كان ذلك بمعنيّة ضمير الفصل أم بدونه. وتفسير ذلك يرجع إلى طبيعة المتلقي ومرتبته من المعرفة والتّصديق بوقوع الخبر، ولعلّ فصل الخطاب في هذا الأمر ما ذكره الجرجاني، وهو كلام طويل نفيس لا يحسن فيه حذف ولا اختصار، ولذلك ننقله كاملاً، يقول: " والنكته أنك تثبت في الأول الذي هو قولك: " زيد منطلق " فعلاً لم يعلم السامع من أصله أنه كان، وتثبت في الثاني الذي هو " زيد المنطلق " فعلاً قد علم السامع أنه كان، ولكنه لم يعلمه لزيد، فأفدته ذلك. فقد وافق الأول في المعنى الذي له كان الخبر خبراً، وهو إثبات المعنى للشيء. وليس يقدح في ذلك أنك كنت قد علمت أن انطلافاً كان من أحد الرجلين، لأنك إذا لم تصل إلى القطع على أنه كان من زيد دون عمرو، وكان حالك في الحاجة إلى من يثبت لزيد، كحالك إذا لم تعلم أنه كان

من أصله. وتمام التحقيق أن هذا كلام يكون معك إذا كنت قد بلغت أنه كان من إنسان انطلق من موضع كذا في وقت كذا لغرض كذا، فجوزت أن يكون ذلك كان من زيد. فإذا قيل لك: " زيد المنطلق"، صار الذي كان معلوما على جهة الجواز، معلوما على جهة الوجوب. ثم إنهم إذا أرادوا تأكيد هذا الوجوب أدخلوا الضمير المسمى " فصلا " بين الجزئين فقالوا: " زيد هو المنطلق " ¹.

¹ - دلائل الإعجاز، ص 172.

خلاصة

عرفنا أن الجملة هي مجال التّعقيب، وأنّ الحديث عن التعقيبات في كتاب الله تعالى لا يكتمل إلاّ بالخوض في دراسة تركيبية نحوية تسعى إلى استخلاص الخصائص العامة التي يقوم عليها التركيب النحوي.

وقد رأينا أن هذه الدّراسة ينبغي أن تقوم أولاً على فهم طبيعة العلاقة القائمة بين جملة التعقيب وما قبلها من الآية الكريمة، وهي العلاقة التي يتأكد فيها الفصل باعتبار التّعقيب جزءاً أو مقطعاً مستقلاً منها في بنيته ودلالته، كما رأينا أن الخطاب القرآني رغم توظيفه لأساليب الفصل إلا أنه يحافظ على القدر الذي ينبغي من الانسجام في هذا الموضع الخاصّ اعتماداً على وسائل خاصة.

رأينا بعد ذلك أن بنية التّعقيب تسلك كلّ مسالك القول في كلام العرب، وأنها تخرج في كثير من التّعقيبات إلى شيء من التّركيب الذي يتعاضم في بعض المواضع، ولذلك فإنّ الخوض في دراسة تسعى لوصف البنية التركيبية لكافة أشكال التّعقيب هي أمر بالغ الصّعوبة، إن لم نقل مستحيلاً، ولذلك كانت الضرورة تقتضي التّركيز على أنماط الجملة الأكثر اطراداً ووفرة في كتاب الله تعالى. وفي سياق ذلك ميّزنا بين نوعين من البُنى:

- يتعلّق النوع الأول بعدد كبير من التّعقيبات ذات التّنوّع غير المحدود، وهي في الغالب تنتظم نسبياً ضمن مجموعات يمكن التمييز بينها حاسوبياً اعتماداً على الأداة التي تتصدّر جملة التّعقيب. كما وجدنا أن هذه المجموعات من التعقيبات تتباين من الناحية الكميّة، ولذلك اقتصرنا في دراستنا على مجموعة من الأشكال النحوية الأساسية بدءاً بتعقيبات " ألا الاستفتاحية لاعتبارات العلاقة بينها وبين ما يسبقها من حديث حول الوصل والفصل، ثم انتقلنا بعدها إلى وصف البنية التركيبية النحوية

لتعقيبات همزة الاستفهام، ثم من الشرطية، ثم " إن " الشرطية، ثم تعقيبات الإضراب بـ " بل "، وتعقيبات الاستدراك بـ " لكن ".

انتقلنا بعدها إلى الحديث عن الظاهرة التركيبية في تعقيبات الأسماء والصفات، بدءاً بالتأسيس المفهومي، ثم حصر الأحوال التي ينتظم وفقها هذا الضرب من التعقيب في كتاب الله تعالى بالنظر إلى طبيعة لفظي المسند أو المسند إليه وعلاقتهما بأسماء الله تعالى وصفاته.

وقد رأينا بعدها أن هذا الضرب من التعقيبات يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالجملة الاسمية وذلك لأن خطاب الجملة الاسمية يهدف إلى تحقيق المعنى وتمكينه في نفس المتلقي، على خلاف الخطاب بالجملة الفعلية فإنه لا يتضمن سوى الإخبار عن الفعل دون معنى المبالغة أو التوكيد. وقد تعرضنا بعد ذلك إلى دراسة البنية التركيبية النحوية لهذا الضرب من التعقيبات، كما قمنا باستخلاص جملة من الخصائص اعتماداً على تحليل نتائج الإحصاء.

خاتمة

خاتمة

هذا هو أسلوب التّعقيب ... أسلوب من أظهر أساليب القرآن ، وأكثرها شيوعاً في آيه وسوره ، في مكّيه وفي مدنيّه ، فلا تكاد تجد في كتاب الله تعالى سورةً تطول بالقدر الذي يسمح بظهور بعض التّويع في الأساليب إلّا وظهر أسلوب التّعقيب .

هو أسلوب قديم جديد ... وكيف لا يكون قديماً وقد ارتبط بكلام الله تعالى الذي كُتب في اللوح المحفوظ قبل زمنٍ لا يعلم مقداره إلا الله تعالى ، قبل أن يتنزّل على نبينا محمد ﷺ منذ أربعة عشر قرناً خلت . وهو في الوقت ذاته أسلوب جديدٌ لأنّ القارئ لا يكاد يجد فيما كُتب في هذا الموضوع شيئاً مما قد يروي ضمّاه ويسدّ جوعته إلى هذا الخير العميم الذي حُقّت به مائدة القرآن .

هو أسلوب قرآني محض ، فيه خطاب النّبي الكريم والخاصّة من عباد الله المؤمنين ، وفيه خطاب الكافرين والمنافقين وأهل الكتاب ، فيه الثناء على الله تعالى ، وفيه الوعد والوعيد ، والأمر والنهي والمدح والذّم ، وفيه سائر المعاني مما يعنّ لنفس المتلقّي . فيه خطاب مباشر للعقل الواعي وفيه خطاب اللاوعي بما يناسب طبيعة نفسه البشرية التي قد تستجيب للتكرار وللكناية و أكثر مما تستجيب لخطاب الوعظ .

لقد مررنا خلال أشواط هذه الدراسة بوقفات عديدة ، وقد أنبّعنا كلّ فصلٍ من فصولها بخلاصة هي فيه عصارة الخير كلّّه . وإننا في الختام لا نريد أن نُعيد ما ذكر من قبل إلّا بالقدر الذي يوجبه الحرص على الإفادة في نهاية كلّ جهدٍ مبذول ، ولذلك نختصر فائدة البحث كلّّه ضمن النقاط

التالية :

- أولاً : إن التأسيس المفهومي لمصطلح التعقيب لا يخلو من إشكالات ترجع في أصلها إلى طبيعة الموضوع الذي يمكن القول بأنه لم يُدرس من قبل سوى بقدر ضئيل جداً . وقد ذهبنا إلى أن المراد بالتعقيب في هذه الدراسة هو ذلك الجزء أو المقطع المستقل الذي تُختم به آية أو مجموعة من الآيات زيادة في البيان ، وتحقيقاً لأغراض الخطاب من مدح وذم ، ووعيد ووعد ، وأمر ونهي... وتوقيعاً للآيات الكريمة بما يناسب السياق من جرس . وقد يصبح التعقيب أطول من ذلك في بعض الحالات فيتجاوز المقطع ، ويتكوّن حينئذٍ من آية مستقلة أو من مجموعة من الآيات .

- ثانياً : إن مصطلحي التعقيب والتذييل - بالصورة التي ذهبنا إليها في هذه الدراسة هما وجهان لمفهوم واحد على مذهب الكثير من علماء الأمة السابقين من أمثال ابن الزبير الغرناطي ، وبرهان الدين أبو الحسن البقاعي ، وسيد قطب ، وعبد الكريم يونس الخطيب وغيرهم . وقد رجح عندنا مصطلح التعقيب تأسيساً برأي هؤلاء ، وقناعةً بقدرة هذا المصطلح على الدلالة مقارنةً مع ما يذهب إليه بعض علماء البلاغة من خلال مصطلح التذييل ، وتخصيصاً له كمصطلح قرآني ، وإبعاداً للأذهان عن الانشغال بغيره من المصطلحات البلاغية .

- ثالثاً : أسلوب التعقيب هو أسلوب قرآني محض لم يكن معروفاً من قبل في كلام العرب سوى بشكل نادر جداً ضمن مجموعة من الأبيات المتفرقة ، ثم جاء الوحي فجعل له التمكن من خلال توظيفه في أي القرآن .

- رابعاً : يقوم مفهوم التعقيب على فكرة التنوع في الأشكال باعتبار أن النفس الإنسانية تشتهي التنوع وتنفر من الرتابة ، ولذلك لم تجئ تعقيبات كتاب الله تعالى على نمط واحد بل تعددت أشكالها فكان أكثر ما جاء منها قائماً على مبدأ التنوع ضمن ما اصطلاحنا عليه بالتعقيب الأساسي وفقاً لمعيار كمي محض ، وقد انطلقنا في تحديد هذه الأشكال القرآنية لأسلوب التعقيب اعتماداً

على معيارين اثنين ، يتعلّق أولهما بتكرار التعقيب ، وأما الثاني فبالبسطة والتركيب في بنيته ، وقد نتج عن ذلك أن تعقيبات كتاب الله تعالى لا تخرج عن خمسة أشكال :

- التّعقيب الأساسي .

- التّعقيب المكرّر خارج السّورة الواحدة .

- التّعقيب المكرّر داخل السورة الواحدة .

- التّعقيب الآية .

- التّعقيب المكرّر أو تعقيبات القصص .

- خامساً : يقوم مفهوم التّعقيب على فكرة التّنوع أيضاً بالنّظر إلى الأغراض التي جاء من أجلها ، وذلك بما يتّفق مع صفة التّنوّع الواجبة في خطاب العالمين . وقد رأينا أن هذه الأغراض من الكثرة بحيث يصعب حصرها ، ولكنها في ذلك ليست في وضع سواء وهو ما يفضي إلى مجموعة من الأغراض الأساسية ، متمثلة في الثناء على الله تعالى ، والأمر والنّهي ، والوعد والوعيد ، والمدح والذّم .

- سادساً : يتألّف الإيقاع القرآني في موضع التّعقيب من تضافر منظومة توقيعية متكاملة قائمة على ضربين مختلفين من الإيقاع ، يتعلّق أولهما بالإيقاع الناتج عن رعاية الأسلوب القرآني للفاصلة ، وهو ضربٌ من التوقيع يتّصل بآخر التعقيب فقط ، وينتج عن اتّحاد التوازي بالتوازن والتّطريف ، وهي أدوات توقيعية لا تؤتي أكلها إلا بالوقف ، إلى جانب توظيف حروف الغنة واللين توظيفاً مكثّفاً باعتبارها حروفاً موسيقية بامتياز . أما الضرب الثاني من التّعقيب فتتعدّى مساحته

موضع الفاصلة ، لتشمل التعقيبة كلها ، وهو مؤلف من تضافر الإيقاع الناتج عن توازي الجمل في موضع التعقيب مع الإيقاع الناتج عن تكرار التعقيبة .

- سابعاً : يتميز أسلوب القرآن في موضع التعقيب - كما في سائر القرآن - بفصاحة ألفاظه باعتبار أنه اختار من كلام العرب أحسن الكلمات وأعذبها فجعلها مادة كتابه العظيم ، ولذلك فإن موضع التعقيب أنفى لكل ما يعيب فصاحة الألفاظ وأبعد عن كل ما يكدّر صفوها . إلى جانب ذلك فإن أسلوب التعقيب يوظف ألفاظه بدقة بالغة حيث يضع الكلمة على هيئتها التي يقتضيها المعنى في مكانها الملائم لها جمعاً وإفراداً ، وإظهاراً وإضماراً ، وتعريفاً وتذكيراً ، وإثباتاً ونقياً وغير ذلك .

- ثامناً : إن طبيعة العلاقة القائمة بين جملة التعقيب وما قبلها من الآية الكريمة هي علاقة فصل باعتبار تمام المعنى ، ولذلك فإن النقطة الفاصلة بين جملة التعقيب وما قبلها من الآية الكريمة هي موضع وقف لا يخرج عن التمام أو عن الكفاية . ومما ينبغي التنبيه إلى خطره أن القول بالفصل لا يعني أنه موضع يفتقر إلى الانسجام ، ولذلك فإن الخطاب القرآني في موضع التعقيب يوظف جملة من الأساليب التي تحقق التلاؤم والانسجام بين أجزائه حتى يكون القرآن كله كالسورة الواحدة وكالآية الواحدة .

- تاسعاً : تتعدد أشكال التراكيب النحوية في التعقيبات القرآنية تعدداً لا قبل للدارسين بحصره ، رغم ذلك يمكن الحديث عن مجموعة من البنى التركيبية النحوية الأساسية التي يمكن أن تكون مجالاً للدراسة المنظمة ، غير أن ما يشكّل ظاهرة تركيبية حقيقية في موضع التعقيب هو تعقيبات الأسماء والصفات وذلك لأنها تطرد في كتاب الله تعالى على نحو عجيب جدير بدراسة مفصلة مستقلة .

هذا وإنَّ النَّقص من سمات ما يصنعه البشر ، فإنَّ المرء كما قال بعض أهل العلم لا يكتب كتاباً في يومه إلا قال في غده لو غيّر هذا لكان أحسن ، ولو زيد كذا لكان يُستحسن ، ولو قُدّم هذا لكان أفضل ، ولو تُرك هذا لكان أجمل ، وهذا من أعظم العبر . وإنّي في ختام هذا العمل لا ألتمس الأعذار لنفسي ، ولكنني أعترف اعتراف من يأمل في عفو الله تعالى عما كان فيه من تقصير .

مَتَّى ﷺ

مَلَا حِقُّ الْبَحْثِ

ملحق رقم (1)

- تعقيبات " ألا " الاستفتاحية :

﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (البقرة، 12)
﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة، 13)
﴿ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ (البقرة، 114)
﴿ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ (الأنعام، 31)
﴿ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴾ (الأنعام، 62)
﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (يونس، 62)
﴿ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ (هود، 8)
﴿ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ (هود، 18)
﴿ أَلَا بُعْدًا لِعَادِ قَوْمِ هُودٍ ﴾ (هود، 60)
﴿ أَلَا بُعْدًا لِنُحُودَ ﴾ (هود، 68)
﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (الرعد، 28)
﴿ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ (النحل، 25)
﴿ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ (النحل، 59)
﴿ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْعَفَّارُ ﴾ (الزمر، 5)
﴿ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ (الزمر، 15)
﴿ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ ﴾ (فصلت، 54)
﴿ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (الشورى، 5)
﴿ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾ (الشورى، 18)
﴿ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ ﴾ (الشورى، 45)
﴿ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴾ (الشورى، 53)
﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ (المجادلة، 18)
﴿ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (المجادلة، 19)
﴿ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (المجادلة، 22)

- تعقيبات همزة الاستفهام :

﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة، 44)
﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة، 76)
﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (آل عمران، 65)
﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (الأنعام، 32)
﴿ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الأنعام، 50)
﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴾ (الأنعام، 53)
﴿ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ (الأنعام، 80)
﴿ أَنْقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف، 28)
﴿ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (الأعراف، 65)
﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (الأعراف، 169)
﴿ أَفَنُهِلُكُمْ بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ (الأعراف، 173)
﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (يونس، 3)
﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (يونس، 16)
﴿ أَفَأَنْتَ نَسِمُ الصُّمِّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (يونس، 42)
﴿ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴾ (يونس، 43)
﴿ ءَالَانَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ (يونس، 51)
﴿ أَنْقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (يونس، 68)
﴿ أَفَأَنْتَ نَكِرُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ (يونس، 99)
﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (هود، 24)
﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (هود، 30)
﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (هود، 51)
﴿ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾ (هود، 81)
﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (يوسف، 109)

﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (النحل، 17)
﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴾ (النحل، 52)
﴿ أَفَبِعِزَّةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ (النحل، 71)
﴿ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِالنِّعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ (النحل، 72)
﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (الأنبياء، 10)
﴿ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (الأنبياء، 23)
﴿ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأنبياء، 30)
﴿ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (الأنبياء، 32)
﴿ أَفَأَيْنِمْ مَتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴾ (الأنبياء، 34)
﴿ أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ (الأنبياء، 44)
﴿ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴾ (الأنبياء، 50)
﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (الأنبياء، 67)
﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (الأنبياء، 80)
﴿ أَلَلَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (النمل، 59)
﴿ أَلَيْلَهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ (النمل، 60)
﴿ أَلَيْلَهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (النمل، 61)
﴿ أَلَيْلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (النمل، 62)
﴿ أَلَيْلَهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (النمل، 63)
﴿ أَلَيْلَهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (النمل، 64)
﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (القصص، 60)
﴿ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴾ (القصص، 71)
﴿ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (القصص، 72)
﴿ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾ (العنكبوت، 68)
﴿ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ (السجدة، 4)

﴿ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾ (السجدة، 27)
﴿ أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴾ (يس، 62)
﴿ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾ (يس، 35)
﴿ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ (يس، 68)
﴿ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾ (يس، 73)
﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (الصفافات، 138)
﴿ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ ﴾ (الزمر، 19)
﴿ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾ (الزمر، 32)
﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ﴾ (الزمر، 37)
﴿ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ (الزمر، 60)
﴿ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (الزخرف، 51)
﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (الجاثية، 23)
﴿ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (الذاريات، 21)
﴿ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴾ (القيامة، 40)
﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴾ (التين، 8)

تعقيبات " من " الشرطية :

﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (البقرة، 121)
﴿ وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة، 158)
﴿ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (البقرة، 211)
﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (البقرة، 229)
﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (آل عمران، 19)
﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ (آل عمران، 97)
﴿ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَهَدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (آل عمران، 101)

﴿ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴾ (النساء، 38)
﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ (النساء، 48)
﴿ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فْلَنَ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴾ (النساء، 52)
﴿ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (النساء، 74)
﴿ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فْلَنَ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴾ (النساء، 88)
﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (النساء، 110)
﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (النساء، 114)
﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ (النساء، 116)
﴿ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا ﴾ (النساء، 119)
﴿ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ (النساء، 123)
﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ (النساء، 136)
﴿ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فْلَنَ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴾ (النساء، 143)
﴿ فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (المائدة، 3)
﴿ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ (المائدة، 12)
﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (المائدة، 44)
﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (المائدة، 45)
﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (المائدة، 47)
﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ (المائدة، 56)
﴿ فَمَنْ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (المائدة، 94)
﴿ مَنْ يَشَأْ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (الأنعام، 39)
﴿ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (الأنعام، 145)
﴿ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (الأعراف، 8)
﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (الأعراف، 178)
﴿ وَمَنْ يُسَاقِقْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (الأنفال، 13)
﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (الأنفال، 49)
﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (التوبة، 23)

﴿ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ (الرعد، 33)
﴿ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (إبراهيم، 36)
﴿ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (النحل، 115)
﴿ وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى ﴾ (طه، 81)
﴿ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ (الحج، 18)
﴿ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُزِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴾ (الحج، 25)
﴿ فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾ (المؤمنون، 7)
﴿ وَمَنْ يُكْرِهَنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (النور، 33)
﴿ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾ (النور، 40)
﴿ وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (النور، 55)
﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ (الفرقان، 68)
﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَّبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ (النمل، 40)
﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ (لقمان، 12)
﴿ وَمَنْ يُطِغِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (الأحزاب، 71)
﴿ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ (الزمر، 23)
﴿ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ (الزمر، 36)
﴿ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ (غافر، 33)
﴿ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ (الشورى، 46)
﴿ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (الحجرات، 11)
﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ (الحديد، 24)
﴿ وَمَنْ يُشَاقَّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (الحشر، 4)
﴿ وَمَنْ يُوقِ شَحْ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (الحشر، 9)
﴿ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ (المتحنة، 1)
﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ (المتحنة، 6)
﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (المتحنة، 9)
﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (المنافقون، 9)

﴿ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (التغابن، 16)
﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ (الطلاق، 2)
﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾ (الطلاق، 4)
﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴾ (الطلاق، 5)
﴿ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴾ (الجن، 13)
﴿ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴾ (الجن، 14)
﴿ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴾ (الجن، 17)
﴿ وَمَنْ يَعَصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا ﴾ (الجن، 23)
﴿ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴾ (المزمل، 19)
﴿ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴾ (الإنسان، 29)
﴿ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا ﴾ (النبأ، 39)

تعقيبات " إن " الشرطية :

﴿ فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ (البقرة، 193)
﴿ فَإِنْ قَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (البقرة، 226)
﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ (آل عمران، 32)
﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران، 64)
﴿ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ (النساء، 128)
﴿ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (النساء، 129)
﴿ وَإِنْ تَلَوْا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ (النساء، 135)
﴿ فَإِنْ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (الأنفال، 39)
﴿ وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴾ (الكهف، 57)
﴿ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (المجادلة، 12)
﴿ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ (التغابن، 12)
﴿ وَإِنْ تَعَفُّوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (التغابن، 14)

- تعقيبات الإضراب بـ " بل " :

﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (البقرة، 100)
﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (النحل، 75)
﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (النحل، 101)
﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ (الأنبياء، 24)
﴿ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (المؤمنون، 56)
﴿ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (النور، 50)
﴿ بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴾ (الفرقان، 40)
﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (النمل، 61)
﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (العنكبوت، 63)
﴿ بَلْ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (لقمان، 11)
﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (لقمان، 25)
﴿ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴾ (السجدة، 10)
﴿ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ ﴾ (سبأ، 32)
﴿ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴾ (فاطر، 40)
﴿ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ (يس، 19)
﴿ بَلْ لَمَّا يَدُوقُوا عَذَابٍ ﴾ (ص، 8)
﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الزمر، 29)
﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ (الزخرف، 58)
﴿ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (الأحقاف، 24)
﴿ بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ (الفتح، 11)
﴿ بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (الفتح، 15)
﴿ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ (ق، 15)
﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾ (الذاريات، 53)
﴿ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴾ (الطور، 36)
﴿ بَلْ لَجُوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴾ (الملك، 21)

– تعقيبات الاستدراك بـ " لكن " :

﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (البقرة، 151)
﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ (البقرة، 253)
﴿ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ (الأنعام، 33)
﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الأنعام، 37)
﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾ (الأنعام، 111)
﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف، 131)
﴿ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (الأعراف، 160)
﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف، 187)
﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الأنفال، 34)
﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (يونس، 55)
﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ (يونس، 60)
﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (يوسف، 12)
﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (الرعد، 1)
﴿ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ (الحج، 2)
﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ (النمل، 73)
﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (القصص، 13)
﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (القصص، 57)
﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الروم، 6)
﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الروم، 30)
﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (سبأ، 28)
﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (سبأ، 36)
﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الزمر، 49)
﴿ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (الزمر، 71)
﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (غافر، 57)
﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (غافر، 59)

﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ (غافر، 61)
﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴾ (الزخرف، 78)
﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الدخان، 39)
﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الجاثية، 26)
﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الطور، 47)
﴿ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ (المنافقون، 7)
﴿ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (المنافقون، 8)

ملحق رقم (2)

جداول تفصيلية خاصة بتعقيبات الأسماء والصفات :

الجدول رقم 1 :

﴿ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة، 19)
﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ (البقرة، 95)
﴿ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ (البقرة، 96)
﴿ وَاللَّهُ رَعُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (البقرة، 207)
﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (البقرة، 218)
﴿ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة، 224)
﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ (البقرة، 225)
﴿ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (البقرة، 228)
﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (البقرة، 234)
﴿ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (البقرة، 240)
﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ (البقرة، 246)
﴿ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة، 256)
﴿ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة، 261)
﴿ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴾ (البقرة، 263)
﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (البقرة، 265)
﴿ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة، 268)
﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (البقرة، 271)
﴿ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة، 282)
﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة، 283)
﴿ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (البقرة، 284)
﴿ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴾ (آل عمران، 4)
﴿ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (آل عمران، 15)
﴿ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (آل عمران، 20)

﴿ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (آل عمران، 29)
﴿ وَاللَّهُ رَعُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (آل عمران، 30)
﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (آل عمران، 31)
﴿ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (آل عمران، 34)
﴿ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (آل عمران، 73)
﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾ (آل عمران، 115)
﴿ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (آل عمران، 121)
﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (آل عمران، 129)
﴿ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (آل عمران، 153)
﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (آل عمران، 154)
﴿ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ (آل عمران، 163)
﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾ (آل عمران، 167)
﴿ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (آل عمران، 189)
﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (آل عمران، 156)
﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ (النساء، 12)
﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (النساء، 25)
﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (النساء، 26)
﴿ وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴾ (النساء، 84)
﴿ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (النساء، 176)
﴿ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (المائدة، 17)
﴿ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (المائدة، 19)
﴿ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (المائدة، 38)
﴿ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (المائدة، 40)
﴿ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (المائدة، 54)
﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴾ (المائدة، 61)
﴿ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ (المائدة، 71)
﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (المائدة، 74)

﴿ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴾ (المائدة، 95)
﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ (المائدة، 101)
﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴾ (الأنعام، 58)
﴿ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (الأنفال، 41)
﴿ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ (الأنفال، 47)
﴿ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (الأنفال، 67)
﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (الأنفال، 70)
﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (الأنفال، 71)
﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (الأنفال، 72)
﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة، 15)
﴿ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (التوبة، 16)
﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (التوبة، 27)
﴿ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (التوبة، 39)
﴿ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة، 40)
﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾ (التوبة، 44)
﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ (التوبة، 47)
﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة، 60)
﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (التوبة، 91)
﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة، 97)
﴿ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (التوبة، 98)
﴿ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (التوبة، 103)
﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة، 106)
﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة، 110)
﴿ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (هود، 12)
﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ (يوسف، 19)
﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴾ (يوسف، 77)
﴿ وَاللَّهُ خَبِيرٌ وَابْقَى ﴾ (طه، 73)

﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (الحج، 52)
﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (النور، 18)
﴿ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (النور، 21)
﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (النور، 22)
﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ (النور، 28)
﴿ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (النور، 32)
﴿ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (النور، 35)
﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ (النور، 41)
﴿ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (النور، 60)
﴿ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (النور، 64)
﴿ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ (القصص، 28)
﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (الحجرات، 5)
﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (الحجرات، 8)
﴿ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (الحجرات، 16)
﴿ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (الحجرات، 18)
﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (الحديد، 4)
﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (الحديد، 10)
﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (الحديد، 28)
﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (المجادلة، 3)
﴿ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (المجادلة، 6)
﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (المجادلة، 11)
﴿ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (المجادلة، 13)
﴿ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (الحشر، 6)
﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (المتحنة، 3)
﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (المتحنة، 7)
﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (المتحنة، 10)
﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ (الجمعة، 7)

﴿ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (المنافقون، 11)
﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (التغابن، 2)
﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (التغابن، 4)
﴿ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ (التغابن، 6)
﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (التغابن، 8)
﴿ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (التغابن، 11)
﴿ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴾ (التغابن، 17)
﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (التحریم، 1)
﴿ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (البروج، 9)

الجدول رقم 2 :

﴿ وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (المائدة، 76)
﴿ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ (فاطر، 15)

الجدول رقم 3 :

﴿ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (البقرة، 105)
﴿ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (البقرة، 202)
﴿ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (آل عمران، 11)
﴿ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ (آل عمران، 54)
﴿ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (آل عمران، 68)
﴿ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (آل عمران، 74)
﴿ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ (آل عمران، 174)
﴿ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (آل عمران، 152)
﴿ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (الأنفال، 29)
﴿ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ (الأنفال، 30)

﴿ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (الأنفال، 48)
﴿ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (النور، 39)
﴿ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ (الجمعة، 19)
﴿ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (الحديد، 21)
﴿ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (الحديد، 29)
﴿ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (الجمعة، 4)
﴿ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ (الجمعة، 11)

الجدول رقم 4 :

﴿ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَبَإِ ﴾ (آل عمران، 14)
﴿ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ النَّوَابِ ﴾ (آل عمران، 195)
﴿ وَاللَّهُ مَتِّمٌ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ (الصف، 8)
﴿ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (التغابن، 15)

الجدول رقم 5 :

﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴾ (البقرة، 205)
﴿ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (البقرة، 212)
﴿ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (البقرة، 213)
﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة، 216)
﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة، 232)
﴿ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (البقرة، 245)
﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (البقرة، 258)
﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة، 264)
﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ (البقرة، 276)
﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ (آل عمران، 57)

﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (آل عمران، 66)
﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (آل عمران، 86)
﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (آل عمران، 134)
﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ (آل عمران، 140)
﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ (آل عمران، 146)
﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (آل عمران، 148)
﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (المائدة، 64)
﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (المائدة، 93)
﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾ (المائدة، 99)
﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (المائدة، 108)
﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (التوبة، 19)
﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (التوبة، 24)
﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ (التوبة، 37)
﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ (التوبة، 42)
﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (التوبة، 80)
﴿ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ (التوبة، 107)
﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطْهَرِينَ ﴾ (التوبة، 108)
﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (التوبة، 109)
﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (النور، 19)
﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾ (النور، 29)
﴿ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (النور، 38)
﴿ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (النور، 46)
﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (العنكبوت، 45)
﴿ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾ (الأحزاب، 4)
﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ (محمد، 19)
﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴾ (محمد، 26)
﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴾ (محمد، 30)

﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ (الحديد، 23)
﴿ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ (الحشر، 11)
﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (الصف، 5)
﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (الصف، 7)
﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (الجمعة، 5)
﴿ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ (المنافقون، 1)

الجدول رقم 6 :

﴿ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (البقرة، 249)
﴿ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (الأَنْفَال، 66)

الجدول رقم 7 :

﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (البقرة، 137)
﴿ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (البقرة، 160)
﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (الأنعام، 13)
﴿ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ (الأنعام، 18)
﴿ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ (الأنعام، 73)
﴿ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (الأنعام، 103)
﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (الأنعام، 115)
﴿ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (يونس، 65)
﴿ وَهُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (يونس، 107)
﴿ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ (الرعد، 16)
﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (إبراهيم، 4)
﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (النحل، 60)
﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (الأنبياء، 4)

﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾ (النمل، 78)
﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (العنكبوت، 5)
﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (العنكبوت، 42)
﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (العنكبوت، 60)
﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ (الروم، 5)
﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (الروم، 27)
﴿ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴾ (الروم، 54)
﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (لقمان، 9)
﴿ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ (سبأ، 1)
﴿ وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴾ (سبأ، 2)
﴿ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ (سبأ، 23)
﴿ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴾ (سبأ، 26)
﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (فاطر، 2)
﴿ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾ (يس، 81)
﴿ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْعَفَّارُ ﴾ (الزمر، 5)
﴿ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ (الشورى، 4)
﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (الشورى، 11)
﴿ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ (الشورى، 28)
﴿ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴾ (الزخرف، 84)
﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (الجاثية، 37)
﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (الأحقاف، 8)
﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (الحديد، 1)
﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (الحشر، 1)
﴿ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ (الحشر، 22)
﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (الحشر، 24)
﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (الصف، 1)
﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (الجمعة، 3)

﴿ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ (التحریم، 2)
﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾ (الملك، 2)
﴿ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (الملك، 14)

الجدول رقم 8 :

﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة، 29)
﴿ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (المائدة، 117)
﴿ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (المائدة، 120)
﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (الأنعام، 101)
﴿ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (الأنعام، 102)
﴿ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (الأنعام، 117)
﴿ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾ (الكهف، 44)
﴿ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (القصص، 56)
﴿ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (سبأ، 47)
﴿ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ (يس، 79)
﴿ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (الزمر، 62)
﴿ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ (الزمر، 70)
﴿ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (الشورى، 9)
﴿ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴾ (الشورى، 29)
﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ أَنْقَى ﴾ (النجم، 32)
﴿ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (الحديد، 2)
﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (الحديد، 3)
﴿ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (الحديد، 6)
﴿ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (التغابن، 1)
﴿ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (الملك، 1)

الجدول رقم 9 :

﴿ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴾ (آل عمران، 150)
﴿ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ (المائدة، 114)
﴿ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴾ (الأنعام، 57)
﴿ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (الأنعام، 127)
﴿ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾ (الأعراف، 87)
﴿ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾ (الأعراف، 89)
﴿ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (الأعراف، 151)
﴿ وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴾ (الأعراف، 155)
﴿ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ (التوبة، 129)
﴿ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾ (يونس، 109)
﴿ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴾ (هود، 45)
﴿ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (يوسف، 64)
﴿ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾ (يوسف، 80)
﴿ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (يوسف، 92)
﴿ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴾ (الرعد، 13)
﴿ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (الرعد، 41)
﴿ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (الأنبياء، 83)
﴿ وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾ (الأنبياء، 89)
﴿ وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴾ (المؤمنون، 29)
﴿ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ (المؤمنون، 72)
﴿ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (المؤمنون، 109)
﴿ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (المؤمنون، 118)
﴿ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ (سبأ، 39)
﴿ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴾ (المدثر، 56)

الجدول رقم 10 :

﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴾ (يونس، 40)
﴿ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ ﴾ (سبأ، 21)

الجدول رقم 11 :

﴿ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (الأنعام، 72)

الجدول رقم 12 :

﴿ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (البقرة، 149)
﴿ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (البقرة، 74)
﴿ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (البقرة، 85)
﴿ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (آل عمران، 99)
﴿ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ (البقرة، 144)

الجدول رقم 13 :

﴿ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ ﴾ (آل عمران، 108)
﴿ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ﴾ (غافر، 31)

الجدول رقم 14 :

﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ (فصلت، 46)
﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (هود، 123)
﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (النمل، 93)
﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ (الأنعام، 132)

الجدول رقم 15 :

﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (البقرة، 20)
﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (البقرة، 109)
﴿ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (البقرة، 110)
﴿ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة، 115)
﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَعُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (البقرة، 143)
﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (البقرة، 148)
﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (البقرة، 173)
﴿ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة، 181)
﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (البقرة، 182)
﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (البقرة، 199)
﴿ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (البقرة، 220)
﴿ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (البقرة، 237)
﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (آل عمران، 119)
﴿ إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ (آل عمران، 120)
﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ (آل عمران، 155)
﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (آل عمران، 165)
﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (المائدة، 7)
﴿ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (المائدة، 8)
﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (المائدة، 39)
﴿ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (الأنفال، 10)
﴿ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (الأنفال، 17)
﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (الأنفال، 42)
﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (الأنفال، 69)
﴿ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (الأنفال، 75)
﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (التوبة، 5)

﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة، 28)
﴿ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة، 71)
﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (التوبة، 99)
﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (التوبة، 102)
﴿ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (التوبة، 115)
﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ (يونس، 36)
﴿ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴾ (إبراهيم، 47)
﴿ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (النحل، 18)
﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ (النحل، 70)
﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (النحل، 77)
﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (الحج، 17)
﴿ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ (الحج، 39)
﴿ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (الحج، 40)
﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (الحج، 54)
﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ (الحج، 59)
﴿ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ غَفُورٌ ﴾ (الحج، 60)
﴿ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ (الحج، 63)
﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَعُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (الحج، 65)
﴿ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (الحج، 74)
﴿ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ (الحج، 75)
﴿ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ (النور، 30)
﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (النور، 45)
﴿ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (النور، 53)
﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (النور، 62)
﴿ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ (العنكبوت، 6)
﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (العنكبوت، 20)
﴿ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (العنكبوت، 62)

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ (لقمان، 16)
﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (لقمان، 23)
﴿ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (لقمان، 27)
﴿ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ (لقمان، 28)
﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (لقمان، 34)
﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (فاطر، 1)
﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ (فاطر، 8)
﴿ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ (فاطر، 28)
﴿ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴾ (فاطر، 31)
﴿ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (غافر، 44)
﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ (الشورى، 23)
﴿ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (الحجرات، 1)
﴿ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴾ (الحجرات، 12)
﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (الحجرات، 13)
﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (الحجرات، 14)
﴿ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (الحديد، 9)
﴿ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (الحديد، 25)
﴿ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ (المجادلة، 1)
﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ ﴾ (المجادلة، 2)
﴿ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (المجادلة، 7)
﴿ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (المجادلة، 21)
﴿ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (الحشر، 18)
﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (الممتحنة، 12)
﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (المزمل، 20)

﴿ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ (النساء، 140)
﴿ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (المائدة، 2)
﴿ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (المائدة، 4)
﴿ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (إبراهيم، 51)
﴿ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (غافر، 17)

الجدول رقم 17 :

﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (آل عمران، 62)
﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (التوبة، 22)
﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (التوبة، 118)
﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ (الحج، 58)
﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ (الحج، 64)
﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ (لقمان، 26)
﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (غافر، 20)
﴿ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (الشورى، 5)

الجدول رقم 18 :

﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمٌ رَقِيبًا ﴾ (النساء، 1)
﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (النساء، 11)
﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ (النساء، 16)
﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (النساء، 23)
﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (النساء، 24)
﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ (النساء، 29)
﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ (النساء، 32)
﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴾ (النساء، 33)
﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴾ (النساء، 34)

﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾ (النساء، 35)
﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا غَفُورًا ﴾ (النساء، 43)
﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (النساء، 56)
﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ (النساء، 58)
﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾ (النساء، 86)
﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ (النساء، 94)
﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (النساء، 106)
﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (الأحزاب، 1)
﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ (الأحزاب، 2)
﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (الأحزاب، 24)
﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ (الأحزاب، 34)
﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴾ (الأحزاب، 55)
﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (الإنسان، 30)

الجدول رقم 19 :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (البقرة، 190)
﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (البقرة، 195)
﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُنْطَهِرِينَ ﴾ (البقرة، 222)
﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ (آل عمران، 9)
﴿ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (آل عمران، 37)
﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (آل عمران، 159)
﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ (النساء، 36)
﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴾ (النساء، 107)
﴿ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ (المائدة، 1)
﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (المائدة، 13)
﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (المائدة، 42)
﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (المائدة، 51)

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ (المائدة، 67)
﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (المائدة، 87)
﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (الأنعام، 144)
﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾ (الأنفال، 58)
﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ (التوبة، 4)
﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ (التوبة، 7)
﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (التوبة، 120)
﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (يونس، 81)
﴿ إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴾ (يوسف، 88)
﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ (الرعد، 31)
﴿ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ (النحل، 91)
﴿ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ (الحج، 14)
﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ (الحج، 38)
﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (القصص، 50)
﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾ (القصص، 76)
﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (القصص، 77)
﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ (لقمان، 18)
﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴾ (الأحزاب، 64)
﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ (الزمر، 3)
﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ (غافر، 28)
﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (الأحقاف، 10)
﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُفْسِطِينَ ﴾ (الحجرات، 9)
﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُفْسِطِينَ ﴾ (المتحنة، 8)
﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (المنافقون، 6)

﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (البقرة، 153)
﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (الأنفال، 46)
﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ (النحل، 128)
﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (العنكبوت، 69)

الجدول رقم 21 :

﴿ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (آل عمران، 26)
﴿ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ (الأنعام، 139)
﴿ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (الأعراف، 200)
﴿ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (الأنفال، 43)
﴿ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (الأنفال، 63)
﴿ إِنَّهُ بِهِمْ رَعُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (التوبة، 117)
﴿ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (هود، 5)
﴿ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴾ (هود، 73)
﴿ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (هود، 111)
﴿ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (هود، 112)
﴿ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ (الحجر، 25)
﴿ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ (المؤمنون، 51)
﴿ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ (النمل، 88)
﴿ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (سبأ، 11)
﴿ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴾ (سبأ، 50)
﴿ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ (فاطر، 30)
﴿ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (فاطر، 38)
﴿ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (الزمر، 7)
﴿ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (فصلت، 39)
﴿ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (فصلت، 40)

﴿إِنَّمَا إِلَهُ الْكَافِرِينَ﴾ (فصلت، 54)
﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (الشورى، 12)
﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (الشورى، 24)
﴿إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ (الشورى، 27)
﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ (الشورى، 50)
﴿إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ (الشورى، 51)
﴿رَبَّنَا إِنَّكَ رَعُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (الحشر، 10)
﴿إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (التحریم، 8)
﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (الملك، 13)
﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ (الملك، 19)

الجدول رقم 22 :

﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة، 37)
﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة، 54)
﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (الأنفال، 61)
﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (يوسف، 34)
﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (يوسف، 83)
﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (يوسف، 98)
﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (يوسف، 100)
﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الإسراء، 1)
﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (الشعراء، 220)
﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (القصص، 16)
﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (العنكبوت، 26)
﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ (ص، 35)
﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الزمر، 53)
﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (غافر، 8)

﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (غافر، 56)
﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (فصلت، 36)
﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (الدخان، 6)
﴿ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ (الدخان، 42)
﴿ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ (الدخان، 49)
﴿ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴾ (الذاريات، 30)
﴿ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴾ (الطور، 28)
﴿ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (المتحنة، 5)

الجدول رقم 23 :

﴿ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ (آل عمران، 38)
﴿ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ (المائدة، 109)
﴿ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ (المائدة، 116)

الجدول رقم 24 :

﴿ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ (الإسراء، 30)
﴿ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ (الإسراء، 44)
﴿ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ (الإسراء، 66)
﴿ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ (الإسراء، 96)
﴿ إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾ (مريم، 47)
﴿ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ﴾ (مريم، 61)
﴿ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (الفرقان، 6)
﴿ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ (فاطر، 41)
﴿ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴾ (فاطر، 44)
﴿ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴾ (نوح، 10)

﴿ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ (النصر، 3)

الجدول رقم 25 :

﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (الأنعام، 141)
﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (الأعراف، 31)
﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (الأعراف، 55)
﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ (النحل، 23)
﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ (الروم، 45)
﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ (الشورى، 40)

الجدول رقم 26 :

﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾ (هود، 66)
﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾ (الحجر، 86)

الجدول رقم 27 :

﴿ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ (الأنعام، 83)
﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴾ (الأنعام، 119)
﴿ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ (الأنعام، 128)
﴿ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (هود، 41)
﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ ﴾ (هود، 57)
﴿ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴾ (هود، 61)
﴿ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾ (هود، 90)
﴿ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ (هود، 92)
﴿ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ (هود، 107)

﴿ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (يوسف، 6)
﴿ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴾ (يوسف، 50)
﴿ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (يوسف، 53)
﴿ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ (إبراهيم، 39)
﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (النحل، 7)
﴿ إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (النحل، 110)
﴿ إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (النحل، 119)
﴿ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ (فاطر، 34)
﴿ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ ﴾ (العاديات، 11)

الجدول رقم 28 :

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (الرعد، 6)
﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (فصلت، 43)

الجدول رقم 29 :

﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (هود، 56)
﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبَالْمِرْصَادِ ﴾ (الفجر، 14)

الجدول رقم 30 :

﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (يونس، 93)
﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (السجدة، 25)
﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (الجنات، 17)

الجدول رقم 31 :

﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (النساء، 17)

﴿ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴾ (النساء، 39)
﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا ﴾ (النساء، 85)
﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (النساء، 92)
﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا غَفُورًا ﴾ (النساء، 99)
﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (النساء، 100)
﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (النساء، 104)
﴿ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴾ (النساء، 108)
﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (النساء، 111)
﴿ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا ﴾ (النساء، 126)
﴿ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴾ (النساء، 130)
﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴾ (النساء، 131)
﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا ﴾ (النساء، 133)
﴿ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ (النساء، 134)
﴿ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾ (النساء، 147)
﴿ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴾ (النساء، 148)
﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (النساء، 152)
﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (النساء، 158)
﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (النساء، 165)
﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (النساء، 170)
﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ (الكهف، 45)
﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (الفرقان، 70)
﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (الأحزاب، 5)
﴿ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ (الأحزاب، 9)
﴿ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ (الأحزاب، 25)
﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾ (الأحزاب، 27)
﴿ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ (الأحزاب، 40)
﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (الأحزاب، 50)

﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴾ (الأحزاب، 51)
﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ﴾ (الأحزاب، 52)
﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (الأحزاب، 59)
﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (الأحزاب، 73)
﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (الفتح، 4)
﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (الفتح، 7)
﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (الفتح، 14)
﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (الفتح، 19)
﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾ (الفتح، 21)
﴿ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ (الفتح، 24)
﴿ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ (الفتح، 26)

الجدول رقم 32 :

﴿ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾ (الفرقان، 20)
﴿ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ (الفرقان، 54)

الجدول رقم 33 :

﴿ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴾ (الأنبياء، 81)
﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ (الأحزاب، 43)

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أ - القرآن الكريم برواية حفص.

ب - مصادر ومراجع البحث:

- 1 - الانتصار للقرآن: أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد الباقلاني، تح: محمد عصام القضاة، دار الفتوح، عمّان، دار ابن حزم، بيروت، ط 1، 2001م.
- 2 - الإتياع: جلال الدين السيوطي، تح: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- 3 - الإتيان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، جمهورية مصر العربية، 1974م.
- 4 - الإشارات والتنبيهات، ابن سينا الحسين بن عبد الله، تح: سليمان دنيا، دار المعارف، مصر، ط 3.
- 5 - الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق: عائشة عبد الرحمن بنت الشاطي، دار المعارف، ط 3.
- 6 - الإيضاح في علوم البلاغة: جلال الدين القزويني، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجبل، بيروت، ط 3، د ت.
- 7 - الأسس الجمالية في النقد العربي عرض وتفسير ومقارنة: عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، 1992.
- 8 - الأصوات اللغوية رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية: سمير شريف إستيتية، دار وائل للنشر، عمان، 2002م.
- 9 - الأصول في النحو: أبو بكر محمد بن السراج، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- 10 - الأعلام: خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي، دار العلم للملايين، ط 15، 2002م.
- 11 - الأمالي: أبو عبد الله محمد بن العباس اليزيدي، مطبعة جمعية دائرة المعارف، الهند، ط 1، 1397هـ.
- 12 - الأمالي: أبو علي القالي، عناية وترتيب: محمد عبد الجواد الأصمعي، دار الكتب المصرية، ط 2، 1926.
- 13 - البحر المحيط في التفسير: أبو حيان الأندلسي، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر،

بيروت، 1420هـ.

- 14 - البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: أبو العباس أحمد بن محمد الفاسي، تح: أحمد عبد الله القرشي رسلان، منشورات الدكتور حسن عباس زكي، القاهرة، 1419هـ.
- 15 - البرهان في ترتيب سور القرآن: أبو جعفر أحمد بن الزبير الثقفي الغرناطي، محمد شعباني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1990م.
- 16 - البرهان في تناسب سور القرآن: أبو جعفر أحمد بن الزبير الثقفي الغرناطي، تح: سعيد بن جمعة الفلاح، دار ابن الجوزي، ط 1، 1428هـ.
- 17 - البرهان في علوم القرآن: أبو عبد الله بدر الدين الزركشي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط 1، 1957.
- 18 - البلاغة العربية: عبد الرحمن بن حسن الميداني، دار القلم، دمشق - الدار الشامية، بيروت، ط 1، 1996م.
- 19 - البلاغة فنونها وأفنانها: فضل حسن عباس، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط 4، 1997.
- 20 - البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط 1، 1993.
- 21 - البيان في عد أي القرآن: أبو عمرو الداني، تح: غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث، الكويت، ط 1، 1994.
- 22 - البيان والتبيين: أبو عثمان الجاحظ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1423هـ.
- 23 - التحديد في الإتقان والتجويد: أبو عمرو الداني، تح: غانم قدوري حمد، مكتبة دار الأنبار، بغداد، ط 1، 1988.
- 24 - التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984هـ.
- 25 - التسهيل لعلوم التنزيل: أبو القاسم محمد بن أحمد ابن جزي، تح: عبد الله الخالدي، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط 1، 1416هـ.
- 26 - التصوير الفني: سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط 17، دت.
- 27 - التطبيق النحوي: عبده الراجحي، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط 1، 1999م.
- 28 - التفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة.

- 29 - التفسير المظهري: محمد ثناء الله المظهري، تح: غلام نبي التونسي، مكتبة الرشدية، باكستان، 1412هـ.
- 30 - التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط 2، 1418هـ.
- 31 - التفسير الوسيط: محمد سيد طنطاوي، دار نهضة، القاهرة، ط 1، 1997.
- 32 - التناصب البياني في القرآن الكريم: أحمد أبو زيد، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1992.
- 33 - التوقيف على مهمات التعاريف: زين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين الحدادي، عالم الكتب، القاهرة، ط 1، 1990م.
- 34 - الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور: ضياء الدين بن الأثير، تح: مصطفى جواد، مطبعة المجمع العلمي، 1375هـ.
- 35 - الجدول في إعراب القرآن الكريم: محمود بن عبد الرحيم صافي، دار الرشيد، دمشق، مؤسسة الإيمان، بيروت، ط 4، 1418هـ.
- 36 - الجنى الداني في حروف المعاني: أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم المرادي، تح: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1992م.
- 37 - الجواهر الحسان في تفسير القرآن: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الثعالبي، تح: محمد علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 1، 1418هـ.
- 38 - الحدود الأنيفة والتعريفات الدقيقة: زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري، تح: مازن المبارك، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط 1، 1411هـ.
- 39 - الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، جمهورية مصر العربية، ط 4.
- 40 - الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: السمين الحلبي أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف، تح: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دت.
- 41 - الدر المنثور: جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور: جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت.
- 42 - الدعاء: سليمان أبو القاسم الطبراني، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت،

ط 1، 1413هـ.

- 43 - الروح: ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، دت.
- 44 - السنة: أبو بكر أحمد بن عمرو بن الضحاك، تح: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، 1400هـ.
- 45 - السيرة النبوية: ابن هشام، تح: مصطفى السقا وآخرون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط 2، 1955.
- 46 - الشَّروط في القرآن الكريم: عبد العزيز علي الصالح المعبيد، ماجستير، كَلِّية دار العلوم، جامعة القاهرة، 1976م.
- 47 - الشيخ الشعراوي وقضايا إسلامية حائرة: محمود فوزي، دار النهضة هاتيه، ط 2.
- 48 - الصاحبى في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها: أبو الحسين أحمد بن فارس، تح: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1997م.
- 49 - الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: يحيى بن حمزة العلوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط 1، 1423هـ.
- 50 - العقد الفريد: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1404هـ.
- 51 - الفاصلة في القرآن: محمد الحسناوي، دار عمار للنشر والتوزيع، ط3، 2000م.
- 52 - الفروق اللغوية: أبو هلال العسكري، تح: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، دت.
- 53 - الفصل والوصل في القرآن الكريم: منير سلطان، منشأة المعارف، الاسكندرية، ط 2.
- 54 - الفوز الكبير في أصول التفسير: الإمام أحمد بن عبد الرحيم ولي الله الدهلوي، دار الصحوة، القاهرة، ط 2، 1986.
- 55 - القاموس المحيط: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 8.
- 56 - القرآن ونقض مطاعن الرهبان: صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم، دمشق، ط1، 2007 م.
- 57 - الكتاب: سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي،

القاهرة، ط 3، 1988م.

- 58 - الكشف والبيان عن تفسير القرآن المعروف بتفسير الثعلبي: أبو إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي، تح: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط 1، 2002م.
- 59 - الكلبيات: أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي، تح: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- 60 - اللباب في علل البناء والإعراب: أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، تح: عبد الإله النبهان، دار الفكر، دمشق، ط 1، 1995م.
- 61 - اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين بن عادل، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1998.
- 62 - اللغة العربية معناها ومبناها: تمام حسان، عالم الكتب، ط 5، 2006م.
- 63 - اللمع في العربية: أبو الفتح عثمان بن جني، تح: فائز فارس، دار الكتب الثقافية، الكويت.
- 64 - المثل السائر: ضياء الدين بن الأثير، تح: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة.
- 65 - المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 3، 1997م.
- 66 - المرشد في فهم أشعار العرب: عبد الله الطيب، دار الآثار الإسلامية، الكويت، ط 3، 1989م.
- 67 - المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ المعروف بصحيح مسلم: مسلم بن الحجاج النيسابوري، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- 68 - المصطلح النقدي في التراث الأدبي العربي: محمد عزام، دار الشرق العربي، لبنان / سوريا.
- 69 - المطلع على ألفاظ المقنع: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي الفتح، تح: محمود الأرنؤوط وياسين محمود الخطيب، مكتبة السوادى للتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط 1، 2003م.
- 70 - المعجزة الكبرى القرآن: أبو زهرة محمد بن أحمد بن مصطفى، دار الفكر العربي، د ت.
- 71 - المعجم الكبير: أبو القاسم سليمان الطبراني، تح: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط 2.
- 72 - المعلقات العشر وأخبار شعرائها: أحمد الأمين الشنقيطي، دار النصر للطباعة والنشر، د ت.
- 73 - المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الراغب الأصفهاني، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم،

دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط 1، 1412هـ.

74 - المفصل في صنعة الإعراب: جار الله محمود بن عمرو الزمخشري، تح: علي أبو ملح، مكتبة الهلال، بيروت، ط 1، 1993.

75 - المقتضب: أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تح: محمد عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب، بيروت، دت.

76 - المكتفي في الوقف والابتداء: أبو عمرو الداني، تح: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، دار عمار، ط 1، 2001م.

77 - المنزح البديع: أبو محمد القاسم السجلماسي، تح: علال الغازي، مكتبة المعارف، الرباط، ط 1، 1980.

78 - الموجز في قواعد اللغة العربية: سعيد بن محمد بن أحمد الأفغاني، دار الفكر، بيروت، 2003م.

79 - الموسوعة القرآنية: إبراهيم بن إسماعيل الأبياري، مؤسسة سجل العرب، 1405هـ.

80 - الموسوعة القرآنية المتخصصة: مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، 2002م.

81 - النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم: محمد بن عبد الله دراز، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 2005.

82 - النحو الوافي: عباس حسن، دار المعارف، ط 15، دت.

83 - النكت في القرآن الكريم: علي بن فضال المجاشعي، تح: عبد الله عبد القادر الطويل، دار الكتب العلمية بيروت، ط 1، 2007.

84 - النون وأحوالها في لغة العرب: صبحي عبد الحميد محمد عبد الكريم، مطبعة الأمانة، مصر، ط 1، 1986.

85 - الوسيط في تفسير القرآن المجيد: أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1994.

87 - إبراهيم السامرائي: فقه اللغة المقارن، دار العلم للملايين، بيروت، ط 3، 1983.

88 - إتمام الأعلام: نزار أباطة ومحمد رياض المالح، دار صادر، بيروت، ط 1، 1999.

89 - إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود العمادي محمد بن مصطفى، دار إحياء

التراث العربي، بيروت.

- 90 - إعجاز القرآن: أبو بكر الباقلاني، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ط 5، 1997م.
- 91 - إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 8، 2005.
- 92 - إعراب القرآن وبيانه: محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، دار الإرشاد للشئون الجامعية، حمص، دار اليمامة، دمشق، دار ابن كثير، دمشق، ط 4، 1415هـ.
- 93 - أسباب النزول: أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري، تح: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح، الدمام، ط 2، 1992م.
- 94 - أسباب نزول القرآن: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد النيسابوري، تح: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1411هـ.
- 95 - أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان: تاج القراء برهان الدين الكرمانى، تح: عبد القادر أحمد عطا، دار الفضيلة. دت.
- 96 - أسلوب التعقيب القرآني مقارنة جمالية: أسامة عبد العزيز جاب الله، مطبعة ومكتبة الإسراء، طنطا، 2008م.
- 97 - أسلوب التعقيب في القرآن الكريم: محمد كريم الكواز، منشورات جامعة السابع من أبريل، ط 1، 1425هـ.
- 98 - أسماء الله الحسنى: أحمد مختار عمر، دراسة في البنية والدلالة، مكتبة الأسرة، 2000م.
- 99 - أصول السنة ومعه رياض الجنة بتخريج أصول السنة: أبو عبد الله ابن أبي رَمَين المالكي، تح: عبد الله بن محمد عبد الرحيم بن حسين البخاري، مكتبة الغرباء، المملكة العربية السعودية، ط 1، 1415هـ.
- 100 - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، دار الفكر، بيروت، 1995م.
- 101 - أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 1، 1418هـ.

- 102- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: جمال الدين بن هشام الأنصاري، تح: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دت.
- 103- بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي، بيروت.
- 104- تاج العروس من جواهر القاموس: مرتضى محمد بن محمد الزبيدي تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- 105 - تاريخ آداب العرب: مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي.
- 106- تنمة الأعلام: محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، ط 2، 2002م.
- 107 - تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن: عبد العظيم بن الواحد بن أبي الإصبع، تح: الدكتور حفي محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي.
- 108 - تراث أبي الحسن الحرّالي المراكشي في التفسير: أبو الحسن علي بن أحمد الحرّالي، تح: محمادي بن عبد السلام الخياطي، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، ط 1، 1997م.
- 109 - تفسير الراغب الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، تح: محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب، جامعة طنطا، ط 1، 1999م.
- 110 - تفسير الشعراوي: محمد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، 1997.
- 111- جامع البيان في تأويل القرآن المعروف بتفسير الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط 1، 2000.
- 112 - تفسير القرآن: أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار، تح: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، ط 1، 1997م.
- 113 - تفسير القرآن الحكيم المعروف بتفسير المنار: محمد رشيد بن علي رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.
- 114 - تفسير القرآن العظيم: ابن كثير أبو الفداء إسماعيل القرشي، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط 2، 1999م.
- 115 - تفسير القرطبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تح: أحمد البردوني وإبراهيم

أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط 2، 1964.

116 - تفسير مقاتل بن سليمان: أبو الحسن مقاتل بن سليمان الأزدي، تح: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث، بيروت، ط 1، 1423هـ.

117 - تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 1، 2001م.

118 - توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك: أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم المرادي، تح: عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، ط 1، 2008م.

119 - ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، رسالة النكت في القرآن: أبو الحسن علي بن عيسى الرماني، تح: محمد خلف الله أحمد، محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط 3، 1976.

120 - جامع البيان عن تأويل آي القرآن المعروف بتفسير الطبري: محمد بن جرير الطبري، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط 1، 2001م.

121 - جامع الدروس العربية: مصطفى بن محمد سليم الغلاييني، المكتبة العصرية، بيروت، ط 28، 1993م.

122 - جزء الحسن بن عرفة العبدي: أبو علي الحسن بن عرفة، تح: عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائي، دار الأقصى، الكويت، ط 1، 1985.

123 - جماليات المفردة القرآنية: أحمد ياسوف، دار المكتبي، دمشق، ط 2، 1999.

124 - جمالية الخبر والإنشاء: حسين جمعة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005.

125 - جمهرة أشعار العرب: أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، تح: علي محمد البجادي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، جمهورية مصر العربية، ص 104.

126 - جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع: أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، المكتبة العصرية، بيروت.

127 - خزانة الأدب وغاية الأرب: تقي الدين الحموي، تح: عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، دار البحار، بيروت، 2004.

128 - خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني: محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة،

- 129 - خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية: عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، مكتبة وهبة، ط 1، 1992م.
- 130 - دراسات في علوم القرآن الكريم: فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، ط 14، الرياض، 1426 هـ.
- 131 - دراسات قرآنية: محمد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط 8، 2004.
- 132 - دراسة الصوت اللغوي: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، 1997م.
- 133 - درة التنزيل وغرة التأويل: الخطيب الإسكافي أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني، تح: محمد مصطفى أيدين، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط 1، 2001م.
- 134 - دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون: عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 2000م.
- 135 - دلالة الألفاظ: إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط 6، 1991.
- 136 - دلائل الإعجاز في علم المعاني: عبد القاهر الجرجاني، تح: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني، القاهرة، دار المدني، جدة، ط 3، 1992.
- 137 - ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس، تح: محمد حسين، د ط، 1950م.
- 138 - ديوان الخنساء، شرح وعناية: حمدو طماس، دار المعرفة بيروت، لبنان، ط 2، 2004.
- 139 - ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1983.
- 140 - ديوان النابغة: عناية وشرح حمدو طماس، دار المعرفة، بروت، ط 3، 2005م.
- 141 - ديوان النابغة، تقديم: حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت، ط 2، 2005.
- 142 - ديوان امرئ القيس: عناية وشرح: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، ط 2، 2004.
- 143 - ديوان أبي فراس الحمداني، شرح: خليل الدويهي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 2، 1994.
- 144 - ديوان تأبط شرا، تح: علي ذو الفقار شاكر، دار الغرب الإسلامي، ط 1، 1984.
- 145 - روح البيان: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي، دار الفكر، بيروت، دت.
- 146 - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود الألوسي، تح: علي

- عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1415 هـ.
- 147 - زهرة التفاسير: أبو زهرة محمد بن أحمد بن مصطفى، دار الفكر العربي، د ت.
- 148 - سقط الرّند: أبو العلاء المعري، دار بيروت للطباعة والنشر، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1957.
- 149 - سر الفصاحة: ابن سنان الخفاجي، دار الكتب العلمية، ط 1، 1982م.
- 150 - سنن ابن ماجه: ابن ماجه أبو عبد الله محمد القزويني، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي.
- 151 - سنن الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، تح: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط 2، 1975م.
- 152 - سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت.
- 153 - شرح الأشموني على ألفية ابن مالك: أبو الحسن علي بن محمد الأشموني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1998.
- 154 - شرح الأصول الخمسة: القاضي عبد الجبار بن أحمد، تح: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، ط 3، 1996م.
- 155 - شرح الكافية الشافية: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الطائي الجبالي، تح: عبد المنعم أحمد هريدي، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط 1.
- 156 - شرح المعلفات السبع: أبو عبد الله الزوزني، دار المعرفة، بيروت، ط 2، 2004.
- 157 - شرح المفصل: ابن علي بن يعيش النّحوي، إدارة الطباعة المنيرية، جمهورية مصر العربية.
- 158 - شرح طيبة النشر في القراءات العشر، ابن الجزري شهاب الدين أبو بكر أحمد بن محمد، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 3، 2000م.
- 159 - شعب الإيمان: أحمد أبو بكر البيهقي، تح: عبد العلي عبد الحميد حامد ومختار أحمد الندوي، مكتبة الرشد، الرياض، ط 1، 2003م.
- 160 - صبح الأعشى في صناعة الإنشاء: أحمد بن علي بن أحمد القلقشندي، دار الكتب العلمية، بيروت.

- 161 - صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط 1، 1422هـ.
- 162 - صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج النيسابوري، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- 163 - صفحات في علوم القراءات: أبو طاهر عبد القيوم عبد الغفور السندي، المكتبة الأمداية، ط 1، 1415هـ.
- 164 - صورة الأمر والنهي في الذكر الحكيم: محمود توفيق محمد سعد، مطبعة الأمانة، مصر، ط 1، 1993.
- 165 - طريق الهجرتين وباب السعادتين: ابن قيم الجوزية، دار السلفية، القاهرة، ط 2، 1394 هـ.
- 166 - علم الأصوات: كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000م.
- 167 - علوم البلاغة (البيان المعاني البديع): أحمد بن مصطفى المراغي، دط، دت.
- 168 - فائدة جلية في قواعد الأسماء الحسنى: ابن قيم الجوزية، تح: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، طبعة غراس، الكويت، ط 1، 2003م.
- 169 - فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ.
- 170 - فتح البيان في مقاصد القرآن: أبو الطيب محمد صديق خان الحسيني البخاري، تقديم ومراجعة: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، 1992م.
- 171 - فتح القدير: محمد بن علي الشوكاني، دار ابن كثير، دمشق - دار الكلم الطيب، بيروت، ط 1، 1414هـ.
- 172 - فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد: حامد بن محمد بن حسين بن محسن، تح: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار المؤيد، ط 1، 1996م.
- 173 - فتح المجيد شرح كتاب التوحيد: عبد الرحمن بن حسن سليمان التميمي، تح: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ط 7، 1957م.
- 174 - فتح رب البرية في شرح نظم الآجرومية: أحمد بن عمر بن مساعد الحازمي، مكتبة الأسد، مكة المكرمة، ط 1، 2010م.
- 175 - فواصل الآيات القرآنية: كمال الدين عبد الغني مرسي، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية،

مصر، ط 1، 1999.

176 - فواصل الآيات القرآنية دراسة بلاغية دلالية: السيد خضر، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 2، 2009.

177 - في الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المد العربية: غالب فاضل المطليبي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، دائرة الشؤون الثقافية والنشر، العراق، 1984م.

178 - في الميزان الجديد: محمد مندور، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 2004.

179 - في ظلال القرآن: سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط 17، 1412هـ.

180 - قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل: عبد الرحمن الميداني، دار القلم، دمشق، ط 4، 2009.

181 - كتاب التعريفات: الشريف الجرجاني، تح: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1983م.

182 - كتاب الصناعتين: أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 1419هـ.

183 - كتاب العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، دت.

184 - كتاب إيضاح الوقف والابتداء: أبو بكر محمد بن القاسم ابن بشار الأنباري، تح: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1971م.

185 - كشف اصطلاحات الفنون والعلوم: محمد بن علي ابن القاضي التهانوي، تح: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط 1، 1996م.

186 - لباب التأويل في معاني التنزيل المعروف بتفسير الخازن: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم الخازن، تح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1415هـ.

187 - لسان العرب: ابن منظور أبو الفضل محمد بن مكرم، دار صادر، بيروت، ط 3، 1414هـ.

188 - مجاز القرآن: أبو عبيدة معمر بن المثنى، تح: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1381هـ.

189 - مجمل اللغة لابن فارس: أبو الحسين أحمد بن فارس، تح: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة

الرسالة، بيروت، ط 2، 1986م.

- 190 - محاسن التأويل المعروف بتفسير القاسمي: محمد جمال الدين بن محمد القاسمي، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1418هـ.
- 191 - مختار الصحاح: زين الدين أبو عبد الله الرازي، تح: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت، ط 5، 1999.
- 192 - مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: ابن قيم الجوزية، تح: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 3، 1996م.
- 193 - مدخل إلى ظلال القرآن دراسة وتقييم: صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار عمار، عمان، ط 2، 2000.
- 194 - مدخل على المنطق الصوري: محمد مهران، دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1994.
- 195 - مذكرات إمام الدعاة: محمد زايد، دار الشروق، ط 3، 1998.
- 196 - مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، تح: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط 1، 2001.
- 197 - مسند الدارمي المعروف بسنن الدارمي: أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تح: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط 1، 2000م.
- 198 - مسند أبي يعلى: أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى التميمي، الموصلي، تح: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، ط 1، 1984.
- 199 - معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول: حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، تح: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم، المملكة العربية السعودية، ط 1، 1990م.
- 200 - معالم التنزيل في تفسير القرآن المعروف بتفسير البغوي: أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تح: محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط 4، 1997م.
- 201 - معاني القرآن وإعرابه: أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج، تح: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط 1، 1988.
- 202 - معترك الأقران في إعجاز القرآن: جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1408هـ.

- 203 - معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى: محمد بن خليفة بن علي التميمي، أضواء السلف، الرياض، 1999م.
- 204 - معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات: محمد بن خليفة بن علي التميمي، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط 1، 1999.
- 205 - معجم مقالات العلوم في الحدود والرسوم: جلال الدين السيوطي، تح: محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 1، 2004م.
- 206 - معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979م.
- 207 - مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: جمال الدين بن هشام، تح: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ط 6، 1985.
- 208 - مفاتيح العلوم: أبو عبد الله محمد بن أحمد الخوارزمي، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، ط 2.
- 209 - مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 3، 1420هـ.
- 210 - مفتاح العلوم: يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي، ضبط وتعليق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2، 1987.
- 211 - ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل: أبو جعفر أحمد بن الزبير الثقفي الغرناطي، عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- 212 - من أسرار التعبير القرآني صفاء الكلمة: عبد الفتاح لاشين، دار المريخ للنشر، الرياض، 1983م.
- 213 - من بلاغة القرآن: أحمد أحمد البدوي، نهضة مصر، القاهرة، 2005.
- 214 - من روائع القرآن تأملات علمية وأدبية في كتاب الله ﷻ: محمّد سعيد رمضان البوطي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1999م.
- 215 - مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط 3.
- 216 - منهاج البلغاء وسراج الأدباء: أبو الحسن حازم القرطاجني، تح: محمد بن الحبيب بن الخوجة،

دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 3، 1986.

217 - موسيقى الشعر: إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط 2، 1952.

218 - موسيقى اللغة: رجب عبد الجواد إبراهيم، دار الآفاق، القاهرة، 2003.

219 - نقد الشعر: قدامة بن جعفر، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت.

220 - نهاية الأرب في فنون الأدب: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط 1، 1423هـ.

ج- أطروحات:

- أساليب الأمر والنهي في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية: يوسف عبد الله الأنصاري، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، السعودية، 1990.

- فونولوجيا القرآن دراسة لأحكام التجويد في ضوء علم الأصوات الحديث: أحمد راغب أحمد، رسالة ماجستير، جامعة عين شمس، جمهورية مصر العربية.

- المدح والذم في القرآن الكريم دراسة موضوعية: معن توفيق دحام الحياي، رسالة دكتوراه في اللغة العربية، جامعة الموصل، 2004 م

د - دوريات:

- أضواء على ظهور علم المناسبة القرآنية: عبد الحكيم الأنيس، مجلة الأحمدية، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، العدد 11، جويلية، 2002م.

- حروف القرآن دراسة دلالية في علمي الأصوات والنغمات: نعيم اليافي، مجلة الفيصل، الرياض، العدد 102، سبتمبر، 1985.

- الذاكرة والتعلم: عبد الحكيم السلوم، مجلة النبأ، مجلة إلكترونية تصدر عن مؤسسة النبأ للثقافة والإعلام، العدد 52، 2000.

- قراءة جديدة لمعلقة لبید: نذیر العظمة، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب،

دمشق، العدد 102، أبريل، 2006.

- النون في اللغة العربية دراسة لغوية في ضوء القرآن الكريم: مصطفى زكي التونسي، حليات كلية الآداب، جامعة الكويت، ع 17، 1996.

هـ - مواقع إلكترونية:

- جماليات التلاؤم والتنافر بين البلاغيين واللغويين: أسامة عبد العزيز جاب الله، مقال منشور على موقع ديوان العرب، على الرابط:

<http://www.diwanalarab.com/spip.php?article13776>

- الجمل المتوازية في ديوان أبي القاسم الشابي دراسة نحوية دلالية: محمود محمد سليمان علي الجعيدي، مقال منشور على موقع الدكتور سالم الخماش، على الرابط:

<http://www.angelfire.com/tx4/lisan/tawazun.htm>

- دلالة أسلوب التعقيب في القرآن الكريم: أحمد كاظم عماش، بحث على شبكة الأنترنت من خلال الرابط:

<http://aldhiala.com/arabic/magazine/maab/09/4.pdf>

Sommaire :

Le Phénomène stylistique dans «at– Taaqi :ba :t» (les commentaires) coraniques

Le terme «Taaqi :b» (commentaire) désigne, dans cette étude, la partie indépendante placée à la fin d'un verset ou plusieurs versets dans le texte coranique. Il contribue à réaliser les différents fins discursives tel que (l'ordre, la promesse, la menace, la louange, la diffamation etc.), et à donner au verset un ton cohérent avec le contexte. Le « Taaqi :b»(commentaire) est un style coranique important, il unit la force sémantique à la beauté tonique, il joue un rôle efficace dans l'orientation des significations du récit. Du point de vue quantitatif, Il est présent dans le tiers des versets, ce pour cela qu'il est considéré parmi les styles coraniques les plus apparents.

En dépit de l'importance primordiale, et la présence exceptionnelle du «Taaqi :b»(commentaire) dans le Coran, ce style n'a pas été suffisamment étudié, tout ce qu'on a trouvé se résume simplement dans quelques allusions dispersées dans certains ouvrages d'exégèse, d'Ijaz, et de rhétorique. Ce qui augmente la nécessité d'une telle étude qui opte à saisir les aspects stylistiques de ce phénomène coranique.

De point de vue méthodologique, notre étude est descriptive– analytique, elle se consolide parfois avec des statistiques et des renvois historiques. Elle commence par l'élaboration des fondements conceptuels et terminologiques du « Taaqi :b»(commentaire), puis, elle décrit ses différentes formes et ses fins rhétoriques, elle décrit , ensuite, la structure linguistique de ce style coranique pertinent.

La conclusion regroupe un certain nombre de résultats importants qui correspondent aux points suivants :

- l'énumération des différentes formes du « Taaqi :b»(commentaire) en se basant sur des facteurs qui permettent à réaliser une classification exhaustive.

- la restriction des fins rhétoriques réalisées par les «Taaqi :ba :t»(commentaires), tel que, la louange d' ALLAH, la promesse, la menace, la diffamation... etc.